سوق المعادن

وكلّ ما يسُرُّ الأفئدةَ والمُقَلْ



15 من التراث العاملي

سوق المعادن والحلل
وكلّ ما يسُرُّ الأفئدةَ والمُقَلْ

العلامة الشيخ محمد علي عز الدين
1231هـ 1815م - 1301 هـ 1884 م

تحقيق وتقديم : حبيب جابر
مراجعة: محمد جواد سبيتي
سالم علي سبيتي

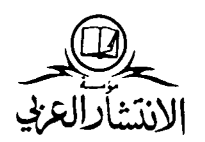




سوق المعادن
وكلّ ما يسُرُّ الأفئدةَ والمُقَلْ

العلامة الشيخ محمد علي عز الدين

1231هـ 1815م - 1301 هـ 1884 م



ص.ب: 113/5752
E-mail: arabdiffusion@hotmail.com
www.alintishar.com
بيروت - لبنان
هاتف: 659148-9611 فاكس: 659150-9611

المجلس الثقافي للبنان الجنوبي
بيروت لبنان
هاتف: 703630 01 فاكس: 815519 01

ISBN 978-614-404-053-9
الطبعة الأولى 2010

تصـديـر

يسعدنا، في المجلس الثقافي للبنان الجنوبي، بالغ السعادة، أن نتقدَّم، اليوم، من صفوة الحرصاء على تراث جبل عامل الثقافي، بأثر، محمود الذكر، من آثار هذا التراث المجهولة المصير، بجانب منها كبير، نظراً لما اختلف على الجبل العاملي من محنٍ كارثية ونكبات داميات لعلَّ أشدها ضراوة وأفدحها ضرراً، إبَّان الحكم العثماني التسلطي، تلك الغزوة البربرية التي شنَّها عليه الجزار أحمد باشا بجحافل القتلة والهدَّامين.

وهذا الأثر التراثي الثمين، الذي قيِّض لنا، أخيراً، أن نعثر على مخطوطته المفقودة، ما هو إلاَّ **«سوق المعادن»** للمغفور له العلاَّمة الشيخ محمد علي عزالدين العاملي. أما كيف قُيِّض لنا، في المجلس، أن نعثر على هذه «المخطوطة» وننصرف، من فورنا، إلى دراستها وتحقيقها ثم إلى إصدارها كتاباً ناجزاً، فلذلك قصة نرويها، موجزة، بما يأتي من كلام:

لقد جاء في رأس الأهداف، التي ما نشأ المجلس الثقافي للبنان الجنوبي (عام 1964) إلاَّ من أجل تحقيقها في مسيرته الثقافية، هدفٌ، محدَّد بوضوح ودقَّة، يقول حرفياً: **«المحافظة على التراث العاملي والعمل على كشف كنوزه ونشر أهم آثاره من المخطوطات القيِّمة»**.

وسعياً لتحقيق هذا الهدف الرئيسي لم يدَّخر المجلس وسعاً إلاَّ بذله، ولا وسيلة إلاَّ توسل بها، حتى وُفِّق بالعثور على جملة من المخطوطات العاملية القيِّمة، فعكف عليها درساً وتدقيقاً وتحقيقاً ثم أخذ ينشرها، تباعاً، في سلسلة كتب أطلق عليها عنوان **«من التراث العاملي»** وقد بلغ عددها، لتاريخه، أربعة عشر كتاباً.

وسيراً على هذا النهج تابعنا طريق البحث عن المزيد من المخطوطات العاملية. وعلى نحوٍ مفاجئ طالعنا، ذات يوم، صهرنا العزيز محمد جواد سبيتي بخبرٍ، سار

للغاية، يفيد بأنَّ لديه مخطوطتين نادرتين، يحتفظ بهما وديعةً غالية، من والده المغفور له العلاَّمة الشيخ موسى سبيتي وهما: «**سوق المعادن**» للعلاَّمة الراحل الشيخ محمد علي عزالدين و«**رسالة في الرد على أبي حيَّان التوحيدي**» للعلاَّمة الراحل الشيخ علي سبيتي.

جاءتنا هذه المفاجأة السارة في موعد مع الحظ سخيّ، إذْ كنَّا نبحث، بجهد خاص، للعثور على هاتين المخطوطتين، نظراً لتواتر الأخبار التاريخية، التي تحدثت عن قيمة كل منهما التراثية العاملية، وعن علوِّ المنزلة التي كان يحتلها كل من العلاَّمتين سبيتي وعزالدين في حقل الدراسات الإسلامية والتاريخية والأدبية..

وما أن حظينا بالحصول على مخطوطة «**سوق المعادن**» لم نلبث أن وضعناها بين يدي الباحث المحقِّق الصديق الأستاذ حبيب جابر فانصرف، من فوره، إلى قراءتها بتأنٍّ ونقل ما جاء فيها، بعناية فائقة وجهد شاق، ثم شرع في تحقيقها وكتابة المقدمة، وأخيراً أعاد إلينا المخطوطة في صورتيها: مسوَّدة قديمة، متآكلة الورق عسيرة القراءة، ومبيضَّة ناصعة في حلَّة متقنة جديدة.

واستكمالاً للفائدة تمنَّينا على أستاذ الأدب العربي الصديق سالم علي سبيتي تحرير نبذة قصيرة عن سيرة صاحب المخطوطة فأنجزها، على وجه السرعة، مشكوراً.

وما أن اكتمل الملف بين أيدينا حتى توجَّهنا به إلى الأخ العزيز الأستاذ نبيل مروة، مدير «**مؤسسة الإنتشار العربي**»، للطبع والنشر، فاستقبلنا بما عُرف عنه من دماثة خلق، وحسن وفادة، وسارع إلى إعطاء الأمر الإداري للجهة المسؤولة، في المؤسسة، إلى اتخاذ المقتضى في الحال، ثم أردف قائلاً: إنَّ مؤسستنا معنية، على نحوٍ خاص، بنشر الآثار القيِّمة من التراث العاملي، وسبق لنا أن نشرنا لكم، في المجلس الثقافي للبنان الجنوبي، بعض الكتب التراثية العاملية، ونحن على تمام الاستعداد لنشر المزيد...

نعم، فلكم فضل كبير، لا يُنسى في هذا المضمار، فجزيل الشكر لكم على ما أدَّت مؤسَّستكم العامرة من خدمة جليلة لتراث جبل عامل الثقافي وعلى ما سوف تؤدِّي في الآتي من الأيام.

وعلى نحو ما كنَّا نتمنَّى صدرت مخطوطة «**سوق المعادن**»، للعلاَّمة العاملي الراحل الشيخ محمد علي عزالدين، في كتاب، مكتمل الشروط، سرعان ما احتلَّ موقعه المرموق في سلسلة «**من التراث العاملي**» التي دأبنا، في المجلس، على إصدارها كتاباً تلو كتاب.

وفي هذا الصدد يسرنا، بالغ السرور، أن يأتي الكتاب اللاحق، في هذه السلسلة، متضمِّناً «**رسالة في الرد على أبي حيَّان التوحيدي**» للعلاَّمة الراحل الشيخ علي سبيتي العاملي.

وبعد فيطيب لنا، في المجلس الثقافي للبنان الجنوبي، أن نعرب عن أصدق مشاعر الامتنان والشكر للأخوة الأعزاء: حافظ الأمانة الأستاذ محمد جواد سبيتي والباحث المحقِّق الأستاذ حبيب جابر وكاتب السيرة الأستاذ سالم سبيتي ثم صاحب المروءة الناشر الأستاذ نبيل مروة، وذلك على ما قدّموه، جميعاً، من فضل وازن لولاه لما برزت إلى النور، مجلوَّةً في كتاب متقن أنيق، مخطوطة «**سوق المعادن**». ولفقد التراث العاملي، بذلك، أثراً لا يعوَّض، على الإطلاق، فدامت بركات، صاحب الفضل الأوَّل، العلاَّمة الراحل الشيخ محمد علي عزالدين العاملي وطاب ثراه.

وحرصاً على كشف المزيد من كنوز التراث العاملي ونشره، إغناءً للمكتبة العربية الإسلامية، نتمنَّى على المهتمين بهذا التراث الغالي أن يتفضَّلوا، علينا في المجلس الثقافي للبنان الجنوبي، بما لديهم من معلومات، موثقة، تتصل بتراثنا الثقافي العاملي ولهم منَّا، سلفاً، بالغ التقدير وجزيل الشكر...

بيروت في 25/ 8/ 2009

حبيب صادق

أمين عام

المجلس الثقافي للبنان الجنوبي

مقدمّة المحقق

كُنتُ مثلَ الكتابِ أَخفاهُ طيٌّ فاستَدَلُّوا عليهِ بالعنوانِ

العباس بن الأحنف(1)

يحظى «**العنوان**» في الكتابات العربيّة القديمة بأهميّة كبيرة، ذلك أنَّ عنواناً لمؤلَّف من المؤلَّفات من شأنه التدليل عليه، فيكون اسماً على مسمًّى أو لفظاً يطابق المعنى، ومن مأثور الكلام «**يُقرأ الكتاب من عنوانه**» وإذا كان العنوان بمثل هذه الأهمية وبمنزلة المفتاح فكذلك هو الأمر بالنسبة للمقدمة، فهي الباب الواسع الذي يدخل منه القارئ فيساعده على فهم طبيعة الكتاب وأسباب تأليفه وتحديد موضوعه. من هنا يمكن أن نقرأ هذا الكتاب «**سوق المعادن**» من عنوانه ومقدمته.

فهو «**سوق**»(2) جلب إليه المؤلف العاملي الراحل الشيخ محمد علي عز الدين «**البضائع والأمتعة**» على اختلاف أنواعها.

تجدر الإشارة هنا إلى أنّ لفظة «**السوق**» ما كانت لتطلق حصراً على ذلك الموضع الذي يصار فيه إلى بيع البضائع وشرائها، كما هو المفهوم من هذه اللفظة للوهلة الأولى، ذلك أنَّ التاريخ يحدثنا عن «**أسواقٍ**» من نوع آخر كسوق عكاظ الجاهلي الشعري الشهير، وسوق المربد للشعر في العراق، إلى ما هنالك من «**أسواق**» للأدب كان الأدباء والشعراء يؤمونها في المناسبات عارضين «**بضائعهم**» أمام الملأ، إما تباهياً وتفاخراً وإما طلباً للشهرة أو طمعاً في حيازة لقبٍ يمتاز به الشاعر عن أقرانه: معلّم الشعراء الأول، صنّاجة العرب... بهذا المعنى كتاب اليوم «**سوق المعادن**». ففيها من الحلل ما يسرُّ الأفئدة والمُقل، كما يقول المؤلِّف وهو

(1) العباس بن الأحنف: شاعر مجيد أصله من عرب خراسان، نشأ في بغداد وكان من شعراء الرشيد والدولة العباسية، وفي المراجع أنَّه شاعر غزل.

(2) السوق: يُذكَّر ويؤنَّث.

«ياقوتٌ فيه لكل طالبٍ قوت» على حد قوله أيضاً. و**«أنَّ أجمل ما يتحلّى به الإنسان ويقتنيه وأبهى ما يتجلبب به في الدَّارين ويحويه، هو الإقتطاف من أزاهير العلوم والتنزه برياضها والورود على زلال أنهارها وحياضها»** ثم إننا لا نستطيع الزعم أنَّ هذا الكتاب جاء فريداً في «**نوعه**» ولا هو بكامله من إبداع المؤلف العاملي، فقد نجد الموضوع نفسه مطروحاً في ثنايا مؤلفين من ذوي الهمم العالية ممن جمعوا الآداب والحِكم والمواعظ ورقائق الأشعار، وبسطوا مجلدات في التواريخ والنوادر والحكايات والطرائف واللطائف، وألَّفوا الجمَّ الغفير من الكتب ضمَّنوها فوائد لم تكن محصورة في غيرها.

لقد نسج المؤلِّف في هذا الكتاب على منوال الكثير من السابقين مقتفياً خطاهم، لا سيما الشريف المرتضى[1] في «**أماليه، أو الدُّرر والغُرر**»، والأبشيهي[2] في كتابه «**المستَطرف في كل فن مستَظرف**» وأخيراً وليس آخراً بهاء الدين العاملي في «**كشكوله**»[3].

وإذا كان للمؤلف من فضلٍ، فهو أنه قد جمع ونقل والتقط ولخَّص واستخرج أحكاماً وحكماً وآداباً من شأنها أن تغني الباحث وتجنِّبه عناء البحث والتفتيش عن مراجع تكاد تستعصي على الحصر. ثم إنَّ المؤلف، وفضلاً عن كونه فقيهاً إمامياً

---

(1) هو علي بن الطاهر ذو المناقب ابن أبي أحمد الحسين بن موسى بن محمد بن موسى بن إبراهيم بن موسى الكاظم بن جعفر الصادق بن محمد الباقر بن زين العابدين علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليه السلام، ولد سنة 355هـ وتوفي سنة 436هـ، وكان يُلقَّب بذي المجدين المرتضى - علم الهُدى.

قال ابن بسام في أواخر كتابه «الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة»: «كان هذا الشريف إمام أئمة العراق بين الإختلاف والإتفاق، إليه فزع علماؤها وعنه أخذ أدباؤها، له ديوان شعر، وكتاب «**طيف الخيال**» و«**الأمالي أو الدُّرر والغُرر**».

(2) الأبشيهي: شهاب الدين محمد بن أبي الفتح المتوفى سنة (850هـ)، أنظر كتابه «**المستطرَف في كل فنٍّ مستَظرف**».

(3) الشيخ بهاء الدين العاملي محمد بن عزّ الدين بن عبد الصمد الحارثي الهمداني العاملي الجُبعي 539هـ/ 1547م).

و«**الكشكول**» أو «**الكشكولة**»: كلمتان آراميتان، وهو الوعاء الذي يجمع فيه المتسوِّل رزقه، وبه سُمِّي الكشكول لبهاء الدين العاملي الذي بحث فيه شتى الفنون.

مجتهداً، ومرجعاً دينياً، وصاحب مدرسة في عصره، فهو في هذا الكتاب يرتدي جبَّة الأدب واللغة تارةً، وجبَّة المؤرِّخ تارةً أخرى، وجبَّة الفيلسوف أو المتفلسف ثالثةً، حيث راح يدلي بدلوه ويُبدي آراءه ووجهة نظره وموقفه من قضايا عصره الكبرى.

فالمؤلف الراحل الشيخ محمد علي عز الدين لم يكن أول من نهض في هذه المنطقة وتصدَّى في إحدى رسائله التي أدخلها إلى سوقه لشيعة الفرمسون (الماسونية)، فهو بلا شك من الأوائل الذين خاضوا هذا الغمار وصالوا وجالوا في هذا المضمار، تفنيداً ودحضاً لكل مبادئ وشعارات هذه الجمعية شبه السرية والتي، كما هو معلوم، يكتنف الغموض ماهيتها.

ومما يؤكد مقولتنا هذه ما وقفنا عليه من كتب ومؤلفات قديمة وحديثة حول هذا الموضوع.

ولعلَّ من أولئك الأوائل المستشرق الأب لويس شيخو اليسوعي في كتابه الموسوم بـ«**السر المصون في شيعة الفرمسون**»[1]. ثم اقتفى خطاه من بعده عدد لا يستهان به من المؤلفين نذكر منهم على سبيل المثال لا الحصر، الشيخ محمد علي الزعبي في كتابه: «**الماسونية منشئة ملك إسرائيل**».

تجدر الإشارة إلى أنَّ كتاب الأب شيخو جاء لينقع غُلَّة القارئ والباحث من حيث عمومية الموضوع وشموليته وكماله، إذ هو يقدم للقارئ فكرة تامة ويرسم صورة واضحة لهذه الجمعية: تاريخها، مؤسِّسوها، أهدافها، شعاراتها وماهيتها، موثِّقاً كل ذلك بالإستناد إلى مراجع من كتب ورسائل المنتسبين إليها وغيرهم. ومما يؤكد مقولتنا عن السبق والأولية لمؤلف هذا الكتاب، ما جاء في كتاب الأب شيخو المذكور ننقله حرفياً، قال الأب شيخو في الصفحة الثانية من «**السر المصون**»: «**قال الحاج محمد علي الشامي العاملي** في رسالة وسمها بـ«**كشف الظنون عن حال الفرمسون**» وأثبتها في كتابه «**سوق المعادن**» سنة 1290هـ/ 1883م، قال: «**إنَّ دفع الضرر المظنون واجب، والمحتمل حسن عند العقلاء، مثلاً إذا وجدت في**

(1) «**السر المصون في شيعة الفرمسون**» كتاب صدر عن دار الرائد اللبناني والمطبعة الكاثوليكية - بيروت سنة 1910م. أنظر رسالة المؤلِّف في تضاعيف هذا الكتاب بعنوان: «**كشف الظنون عن حال الفرمسون**».

طريقك وادياً وأخبرك مُخبر أنَّ فيه سباعاً مؤذية ولك مناص عنه بارتفاعك في سفح جبل، وسلوك طريق آخر، فإنه يجب عليك العدول عن الوادي إلى السفح أو الطريق الآخر، وهذا دفع الضرر المظنون، وإذا لم تجد من يخبرك واحتملت ذلك من نفسك فإنه يحسن عقلاً سلوك السفح أو الطريق الآخر لتحقق السلامة، وهذا دفع الضرر المحتمل». (انتهى)

قلت: ثم إنك لتجد المؤلف العاملي في هذا الكتاب واحداً من كبار المنشئين البارعين في البديع، أمثال عبد الحميد الكاتب[1] والصاحب بن عباد[2] والقاضي الفاضل[3] وصولاً إلى المنشئ المتفنِّن علي بن عيسى الإربلي[4].

تجدر الإشارة هنا إلى أننا قد نجد بين هؤلاء وغيرهم، من قسَّم كتابه إلى أبواب وفصول، تتعدَّد بتعدُّد المواضيع، في حين أن مؤلف هذا الكتاب أغفل مثل هذا التقسيم، حيث لا تبويب ولا فهرسة تكون «**جَرْدَة**» تُبرز بوضوح مدى التنوع وما تضمنه الكتاب من حيث ترتيب المواد وتسمياتها، فالمؤلف يسوق كل موضوع خطر بباله، حتى ليمكن القول باستحالة إخضاع تلك المواد لمعيار تصنيفي واحد، لا سيما والمواد تبدو متناثرة فاقدة لكل وحدة عضوية، وإلاَّ فسنكون أمام فهرسة ضخمة تضيق بصفحاتها دفَّتا هذا الكتاب.

(1) عبد الحميد الكاتب ابن يحيى العامري (329هـ)، به ضُرب المثل فقيل: «**فُتحت الرسائل بعبد الحميد وخُتمت بابن العميد**» وابن العميد هذا هو أبو الفضل محمد بن العميد المعروف بالجاحظ الثاني، توفي سنة 394هـ.

(2) الصاحب بن عباد: أبو القاسم إسماعيل الطالقاني، نسبة إلى طالقان، لُقِّب بالصاحب لصحبته مؤيِّد الدولة في صباه، وُلد سنة (326هـ) وتوفي سنة (385هـ).

(3) القاضي الفاضل: هو أبو علي عبد الرحيم العسقلاني، نسبة إلى عسقلان بفلسطين «**علم المتقدمين والمتاخرين**» وزير السلطان صلاح الدين بن أيوب الملقَّب بالناصر، برز في صناعة الإنشاء على المتقدمين ولد سنة (529هـ) وتوفي سنة (596هـ) ودُفن بمصر بسفح المقطَّم، قال عنه العماد الأصفهاني: «**هو كالشريعة المحمدية التي نسخت الشرائع**».

(4) هو أبو الحسن بهاء الدين علي بن عيسى الإربلي الشيباني، وصل إلى بغداد بعد سقوطها على أيدي المغول سنة 657هـ وفيها رُتِّب كاتباً للإنشاء، توفي سنة (692هـ) ودُفن ببغداد، له كتاب «**كشف الغُمَّة في معرفة الأيمة**» و«**رسالة الطيف**» الشهيرة، ذكرها المؤرِّخ آقا بزرك الطهراني في كتابه «**الذريعة**».

أخيراً وإذا كان هنالك من سؤال عن «**الجدوى**» من عملٍ كهذا «**ولّى زمانه**» لا سيما أنه لا حديث اليوم إلاَّ عن الحداثة وما بعدها، وعن استشراف المستقبل.

فنحن في المجلس الثقافي للبنان الجنوبي، كما هو دأبنا الدائم وكما تدلُّ سيرتنا، لا نألو جهداً، ولا ندع فرصة ولا نترك سبيلاً إلاَّ سلكناه تعميماً للفائدة وإعلاءً لبنيان عمارتنا الثقافية العاملية، وحرصاً منا على كنوزنا الأدبية والتاريخية التي ما زال الكثير منها قابعاً في صناديق مقفلة أو في زوايا معتمة عرضة للتلف أو الضياع.

هكذا أردنا هذا الكتاب مرجعاً للباحثين ومعيناً للواردين يغرفون من زلاله العذب ما يطفئ الغُلَّة آملين الرضى وحسن القبول.

* شكر وامتنان

هنالك في المعاملات، كما هو معلوم، دائن ومدين، وقد يتعدد الدائنون، وقد يكون الدين المستحق الأداء على أنواعٍ من الوجهة الحقوقية ـ القانونية، فهو إما دين من الدرجة الممتازة لا يُنازَع صاحبه من قِبَل دائنين آخرين، أو هو دين عادي يشترك الدائنون في استيفائه بنسبة أنصبة دين كل منهم، وثمة دين من نوع آخر هو أدنى مستوى من النوعين المذكورين، إذ يبقى إيفاؤه من قِبَل المدين هو الواجب الأخلاقي بعد سقوط الدَّيْنِ بمرور الزمن.

بناءً على هذا، فأنا مدين للكثيرين وبامتياز في إخراج هذا الكتاب «**سوق المعادن**» إلى دائرة الضوء، أولئك الذين هدوني وقدَّموا يد العون ووفَّروا لي فرصة ذهبية لم أشأ أن تضيع، دأباً مني على إحياء تراثنا العاملي.

أنا مدين أولاً للمغفور له المؤرِّخ والأديب والشاعر والعالم اللغوي الشيخ أحمد رضا العاملي، وذلك من خلال عملي على تحقيق مخطوطة كتابه الموسوم بـ«**طرفة الطرائف وزبدة المعارف**» الصادر حديثاً عن دار الإنتشار العربي بالتعاون مع المجلس الثقافي للبنان الجنوبي، ذلك الكتاب هداني إلى أنَّ هناك أثراً أدبياً تاريخياً بعنوان «**سوق المعادن**» لا يزال مجهول المصير.

وفي جلسة دردشة جمعتني بالصديق الأديب محمد جواد السبيتي في قاعة المجلس الثقافي للبنان الجنوبي في بيروت، سألته مستفسراً عن «**سوق المعادن**»

هذا، وعمّا إذا كان قد طُبع أو أنه ما زال مخطوطاً في إحدى الزوايا؟

وكانت المفاجأة السارة عندما أعلمني الصديق السبيتي بأن مخطوطة «**سوق المعادن**» موجودة في حوزته إرثاً من أجداده آل السبيتي في كفرا ـ جنوب لبنان، وان هناك علاقة نسب وقرابة تربط آل السبيتي بمؤلِّف هذا الكتاب الشيخ محمد علي عز الدين العاملي، علماً بأنَّ المؤلف هو جد محمد جواد السبيتي الأعلى لأمِّه.

وكان اتفاق في ما بيننا على إكمال عملية التحقيق التي كان قد بدأها الصديق السبيتي وتوقف عن إكمالها ـ بسبب ظروفه الشخصية ـ بعد أن كان قد قطع شوطاً كبيراً ساعدني على إنجاز هذا العمل، وذلك بعد أن زوَّدني بعدة مراجع من شأنها تسهيل المهمة.

ومن ثمَّ أنا مدين لمؤسستنا الحاضنة، المجلس الثقافي للبنان الجنوبي بشخص أمينه العام الصديق العزيز والأديب المفكِّر والمناضل الوطني الأستاذ حبيب صادق ذي الفضائل الجمَّة التي لا يسعني حصرها على جماعة الشعراء والأدباء والكتَّاب والمؤرخين العامليين بخاصة، وعلى الثقافة الوطنية بعامة.

حبيب صادق دأب على مواكبتي وتسديد خطواتي في جميع ما قمت وأقوم به من أعمال مجنِّباً إياي السقوط في حمأة الخطأ، وذلك بإرشاداته السديدة ونصائحه الصائبة، فضلاً عن استدراك ما قد يكون فاتني، حتى لتكاد تجد في كل عمل من أعمالي أثراً من بصماته ومعلماً من فكره النيِّر وإرادته الصلبة.

أخيراً لا يسعني إلاَّ الإعراب عن امتناني لسكرتيرة المجلس الثقافي للبنان الجنوبي الصابرة الصامدة السيدة الفاضلة جميلة سالم سبيتي فهي التي تولَّت طباعة كل ما حقَّقته من مخطوطات.

لكلِّ هؤلاء اعترافي بجميلهم وفضلهم عليَّ ما دمت حياً.

المحقِّق

حبيب جابر

النبطية 20/10/2008

السيرة الذاتية
للشيخ محمد علي عز الدين

1 ـ مولده ونشأته:

وُلد الشيخ محمد علي عز الدين في قرية كفرة، وهي من قرى جبل عامل، وذلك في العام 1231هـ/ 1815م تقديراً، وهو ابن علي بن يوسف بن محمد بن إسماعيل بن إبراهيم آل عزالدين العاملي[1] والكفراوي نسبة إلى مسقط رأسه كفرة وموئل أجداده وصولاً إلى جدِّه الرابع إبراهيم. وكفرة هي من مساكن أسرتَيْ آل السبيتي وآل عز الدين العلميتين المعروفتين[2]. وقد برز من علماء آل السبيتي الشيخ محمد السبيتي وولداه الشيخان علي وحسن، ومن علماء آل عز الدين الشيخ يوسف والأخوان الشيخ أحمد والشيخ حسن.

والشيخ محمد علي عز الدين هو صهر الشيخ محمد السبيتي الذي اقترن بأخت الشيخ محمد علي، وهي والدة الشيخين علي وحسن السبيتي اللذين كان بينهما وبين خالهما الشيخ محمد علي عز الدين محبة ومودَّة ورفقة درب في كفرة؛ فقد كفل الشيخ محمد السبيتي الكبير شقيق زوجته الشيخ محمد علي أثناء نشأته، ولاحقاً أرسل الشيخ علي السبيتي خاله الشيخ محمد علي عز الدين وشقيقه الشيخ حسن إلى النجف وتولّى أمر الإنفاق عليهما خلال إقامتهما هناك وحتى عودتهما إلى كفرة التي فتح الشيخ محمد علي عز الدين فيها مدرسة دينية[3].

---

(1) السيد محسن الأمين، أعيان الشيعة، مج9، ص447، دار التعارف، بيروت، 1403هـ/ 1983م.

(2) خطط جبل عامل، مطبعة الإنصاف، بيروت، ص 348.

(3) السيد محسن الأمين، خطط جبل عامل، مصدر سابق، ص 384.

2 ـ مراحل دراسته:

يقول محمد بن مهدي مغنية[1]: «الشيخ محمد علي عز الدين قرأ الدرس، في أول عمره، بقرية حداثا على الشيخ المقدَّس علي آل مروة، فتوفَّق وتدرَّج، وأقبس فضله وأسرج وإلى الترقي في الفضائل عرَّج، وبعد مدة انتقل إلى قرية النميرية لدى البحر الخضم، والأستاذ الأعظم، المرحوم المقدَّس السيد علي إبراهيم (الحسيني)، فخاض في بحر ذلك العيلم، وأخذ منه رشائش فضله واستقى منه وَدْقَ ترازم وَبْلِهِ حتى فاض عليه يُمْنُه فتقدَّم في العلوم، وكان أنِ انشغل السيد ببعض عوائق عن ملازمة الدرس، فارتحل (الشيخ عز الدين) إلى بلدة جُبع، فعرَّس فيها (لدى الشيخ الأكبر عبد الله آل نعمة) فقطف أزاهير رياضها، وجنى من ثمرات حدائقها وعياضها، وجمع بخزانة فضله أغلب البضاعة، فبذَّ الفضل وأشهره وأذاعه حتى أفاد واستفاد وزاد في الفضائل واستزاد فبلغ الغاية وتجاوز النهاية ولمَّا أترع خزانته من الفضائل وثقَّل العلم عاتقه والكاهل ارتحل إلى العراق [برفقة ابن أخته حسن ابن الشيخ محمد السبيتي] والفضل إليه مشتاق. (وبقي فيه نحو ستٍّ سنين قرأ خلالها على عدة أساتذة منهم: الشيخ محسن آل خنفر والحاج مُلاًّ علي ابن الحاج ميرزا خليل الطهراني النجفي الذي أجازه،) وبعد مدة قليلة من الزمان أفاض عليه الكريم المنان، فناهَزَ الشيوخ الأبدال وتحدَّث عن فضله علماء الرجال وآب من رحلته (العراقية) إلى بلاده وأناخ في وطنه بعدما جمع جُلَّ طارفه وتلاده»[2].

3 ـ عودته إلى جبل عامل وتدريسه فيه:

«وكانت عودته من العراق إلى قريته كفرة، في منتصف القرن الثالث عشر للهجرة (الثامن عشر للميلاد) فأسَّس فيها مدرسة دينية بعد أن حصَّل قسطاً كبيراً من المعرفة (الدينية) في النجف (الأشرف)، وساعد الشيخ علي السبيتي خاله الشيخ

(1) محمد بن مهدي مغنية، هو مؤلف مخطوط «**جواهر الحكم**»، ثلاثة أجزاء، وهو من تلامذة الشيخ محمد علي عز الدين، والمخطوط بأجزائه الثلاثة، موجود لدى الأستاذ حسين شرف الدين ـ صور.

(2) محمد بن مهدي مغنية، مخطوط جواهر الحِكَم، مج2، ص589.

محمد علي عز الدين في التدريس في مدرسة كفرة الدينية، وقد كان له في كفرة مكتبة كبيرة عُرفت باسم «مكتبة آل السبيتي»[1].

الإنتقال إلى حَنَوَيْه

حنويه قرية عاملية قرب مدينة صور الجنوبية، انتقل الشيخ محمد علي عز الدين إليها، استجابةً لدعوة أهلها له ليملأ الفراغ الديني حيث لا رجل دين فيها حينئذٍ، فأقام وافتتح مدرسة دينية علّم فيها العلوم العصرية، كعلم النفس وعلم الأخلاق، وكان له مؤلفات في هذين العلمين: «**روح الإيمان**» و«**سوق المعادن**».

4 ـ الشيخ عز الدين والطبيب الفرنسي الزائر

زار الدكتور لورته Lortet، عميد كلية الطب في ليون ـ فرنسا خلال رحلته إلى لبنان في العام 1875م والتي استمرت حتى العام 1880م، بغية التنقيب عن الآثار التاريخية الدينية فأقام أحافيره قرب حنويه التي زار مدرستها في العام (1297هـ/ 1880م) وقد قال فيها: «**إنَّ الثقافة منتشرة جداً بين المتاولة في حَنَوَيْه: القرية الصغيرة ذات الأربعمائة نسمة تقريباً، ويوجد في حَنَوَيْه، ليس فقط مدرسة إبتدائية يقصدها كل الأطفال الذكور ولكن مدرسة عليا عامرة**»[2].

وأثناء مقابلة بين الشيخ محمد علي عز الدين وبين الزائر الطبيب لورته Lortet، كتب له الشيخ عز الدين جواباً عن أسئلته التي طرحها، وتتعلّق باستيضاحات عن المذهب الشيعي: وقد جاء فيه: «**عام 1297هـ شرَّف بزيارته بلدتنا (حنويه) الدكتور لورته Lortet، مصحوباً بزوجته، وعندما زار المدرسة سالني أسئلة تتعلق بالمذهب الشيعي. وطلب منّي أن أعرِّفه الزمن الذي غُرس فيه المذهب الجعفري في البلاد، وتلبية لرغبته أنشات هذه الخلاصة الصغيرة لتاريخنا يستطيع أن يحملها معه**»[3].

---

(1) السيد محسن الأمين، خطط جبل عامل، مصدر سابق، ص348.
(2) P.Lortet: La syrie d'aujourd hui,p 134. «نقلاً عن كاظم مكي: الحركة الفكرية والأدبية في جبل عامل، دار الأندلس، بيروت، ص34 وما بعدها.
(3) Lortet. P132.، راجع المصدر نفسه.

5 ـ مكتبة الشيخ محمد علي عز الدين

يقول السيد محسن الأمين: «مكتبة الشيخ محمد علي عز الدين في حنويه تفرَّقت أيدي سبأ، وكان فيها، من مؤلفاته التي ليس لها نسخة، كتاب في الرجال نُهب من صور في حوادث جبل عامل بعد الإحتلال الفرنسوي وتلف، ورأيت في بعض بيوت حنويه (حيث كانت مدرسته) مجلداتٌ من كتاب التهذيب للشيخ الطوسي بخط فاخر، عليها خطُّ الشيخ محمد علي عز الدين وخاتمه، قد وُضعت على الأرض وأثَّرت فيها الرطوبة ومُزِّقت كلَّ ممزَّق»[1].

وكتاب «**سوق المعادن**» هذا حُفظ في مكتبة آل السبيتي مع القليل من مخطوطات متنوعة آلت جميعها إلى الأستاذ محمد جواد السبيتي، وراثة عن جدِّه الأعلى الشيخ محمد السبيتي، ويؤكِّد الأستاذ المرحوم مصطفى عز الدين، أحد قياديي الحزب القومي السوري الإجتماعي، «**إنَّ الجزء الأكبر من مكتبة الشيخ محمد علي عز الدين انتقل إلى أحد أنسبائه العلاَّمة السيد إبراهيم يحيى في شَمَع**» (قرية عاملية).

6 ـ مؤلفاته:

1 ـ **رسالة في العبادات.**

2 ـ **تحية القاري لصحيح البخاري** كتاب عزيز النظير ألَّفه عند اطلاعه على صحيح البخاري.

3 ـ **سوق المعادن** بمنزلة الكشكول.

4 ـ **منظومة في المواريث.**

5 ـ **كتاب في الرجال والتراجم** ذهب في حوادث جبل عامل أوائل الإحتلال الفرنسي للبنان وليس له نسخة ثانية.

6 ـ **رفع الوسواس عن أفئدة الناس.**

7 ـ **تحفة الأحباب في المفاخرة بين الشيب والشباب.**

---

(1) السيد محسن الأمين، «**خطط جبل عامل**»، مطبعة الإنصاف، ص159، بيروت، 1961م.

8 ـ عدة رسائل في الفقه.

9 ـ **رسالة كشف النصيف ورفع الأراجيف عن أحكام الخالص وشبهات الزيف**، وهي رسالة طويلة أوردها بطريق السؤال والجواب قال في أولها: «أما بعد فمن غرائب هذا العصر أنَّ السلطان محمود العثماني في ابتداء سلطنته سنة 1223هـ أمر بضرب سكة مغشوشة للمعاملة منها البشلك وزنه خمسة دراهم والقرش وزنه درهم والقمري وزنه نصف درهم وأخذ الناس يتعاملون بها في المملكة مدة ملكه وملك عبد المجيد وعبد العزيز وأخيه عبد الحميد إلى هذه السنة من ملك عبد الحميد وهي سنة ألف ومائتين وسبع وتسعين هجرية بعد استقرار الحرب التي جرت بين المسلمين والروس فأظهر الباب العالي أحكاماً عديدة وتأسيسات جديدة منها: تنقيص أثمان النقود لا سيما المغشوش منها كالبشلك وجعل نقصته على النصف ولما خرج الأمر بذلك عظم على التجار وكافة الناس وأُغلقت جملة من المخازن والدكاكين ولا سيما أنه قد صادف غلاء في الأقوات وصار كل ما وصل الأمر إلى بلد يقع الاختلاف بين أهلها في معاملاتهم وديونهم ويبادر جماعة من أهل الأطماع إلى بلد أخرى لم يصل إليها الأمر فيشترون بما عندهم من ذلك وكثر الاختلاف والتداعي على وجه قلَّ ما وقع هذه المدة مسألة أو مخاصمة إلاَّ في ذلك فأحببت رسم هذه الجملة بصورة السؤال والجواب إلى آخر ما ذكره»[1].

10 ـ منظومة في التاريخ.

7 ـ تعريف بعض مؤلفاته

«وأنَّى التفتَّ يميناً وشمالاً تجدْ له القدحَ المعلَّى، أُدخلْ وانظرِ السوق **(سوق المعادن)** تجد فيه كلَّ ما تشتهيه ويروق، ولا يكون عندك ارتياب، وطالعْ فيه المفاخرة **ما بين الشيب والشباب**، وفي القريض له الباع الطويل العريض، وله في النظم القلائد في لبَّات الخرائد، وفي النثر عقود لآلٍ في صدور الغيد أو قلادة عقيانٍ معلقة على الحسناء في الجيد وجودُه نطَفَ على العوالم وهديه لكافة الناس شراذم، نفعَنا الله ببرِّه وبركته»[2].

(1) أعيان الشيعة، مرجع سابق، ص448.

(2) مخطوط جواهر الحِكَم، مج2، ص589.

8 ـ وفاته:

توفي الشيخ محمد علي عز الدين في 23 من شهر رمضان المبارك لسنة (1301هـ/ 1884م)، فقال في نعيه الشيخ محمد بن مهدي مغنية: «لقد فجع الإسلام والدين واختلَّت شريعة سيد المرسلين بانتقال المقدَّس الطاهر الزكيّ، شيخ الساحة السورية المرحوم محمد بن علي عز الدين، وقد حضر جنازته خلق كثير من جميع أطراف عاملة وكان (مأتمه) يوماً مشهوداً، تفطَّرت فيه أكباد الخَلْق لما اصابهم من الحزن والشجن»[1].

9 ـ رثاؤه:

رثاه تلميذه الشيخ حسين بن علي مغنية، وفاءً لفضله عليه بقصيدة ملتاعة مطلعها:

أيُّ طــوْدٍ هَــوى وأيُّ عِــمــادِ ... خــرَّ لَـوْ يُـفْـتَـدى فُـدِيْ بـالـعـبـادِ
جــبــلٌ راســخٌ تــداعــى بـيَـوْمٍ ... جَـلَّـلَ الأفْـقَ رُزْؤُهُ بـالـسَّـوادِ
طـودُ حـلـمٍ وبـحـرُ عـلـمٍ خِـضَـمٌّ ... غـاضَ مـن بـعـدِ أنْ رغـى بـزَبـادِ[2]

وللشيخ محمد علي عز الدين أبيات نعى نفسه فيها، وهو في حالة مرضه الأخير الذي كان عالماً خلاله بانتقال نفسه الزكيّة إلى (رحمة الله الواسعة)، نثبتها كاملة لأهميَّتها الذاتية والإجتماعية معاً:

إذا مـتُّ فـانْـعـيـنـي بـمـا انـا أهـلُـهُ ... لـدى كـلِّ غـادٍ واقـرعـي سـنَّ نـادمِ
وسُحِّي دموعاً يقصُرُ الوَدْقُ دونَـها ... لِـديـنِ الـعُـلـى عـفـواً وآخـر طـاعـمِ
وشُقِّي علـيَّ الـجـيـبَ يا ابـنـة هاشمٍ ... وقــولــي فــلانــاً كــانَ أوَّلَ غــارمِ
ومـا كـانَ وقَّـافـاً ولا كـانَ طـائـشـاً ... وكـان يـرى الـمـعـروفَ ضـربـةَ لازمِ
وكُـفِّـي إذا نـادى الـمـنـادي مـكـارمـاً ... فــهــمِّــيَ جــودٌ واقــتــنــاءُ مــكــارمِ
ومِـنْ هِـمَّـةٍ هـمِّـي بـبـيـتٍ مُـسـهَّـداً ... ويُـصـبـحُ مَـرثـاهـا نـبـيـلَ الـكـرائـمِ

---

(1) المصدر نفسه، والصفحة نفسها.

(2) محمد بن مهدي مغنية، مخطوط جواهر الحِكَم، مج3، ص717.

فكَمْ غادةٍ أبرزتُها من خِبائِها ... كشمسِ الضُّحى تُجلى بحلَّةِ ناعمِ
حرامٌ على غيري حلولٌ بِرَبْعِها ... لِمَا حفَّها مِنْ مُرهَفِ الهندِ صارِمِ
وإن عمَّرَتْ سوقَ المعادنِ لُؤْلُؤاً ... جواهِرُها رغماً على أنفِ سائمِ

بيروت في 23/5/2009

سالم علي سبيتي

مقدمة المؤلفّ

بسم اللَّه الرحمن الرحيم وبه ثقتي وهو حَسْبي

بسم الله الرحمن الرحيم

أسألُك اللهمَّ بعدَ حمدك، أن تحلِّيني بأساوير معرفتك التي عطلت منها عرائس أفكار كثير من المُتَبحّرين، وأن تكسوني من ديباج رحمتك، الذي عريت عنه جُسوم جَمّ غفير من المُتقدّمين والمُتأخرين، وأصلّي على نبيّك خاتم النبيين وأشرف المُرسلين، الذي عمَّت دعوتُه جميعَ العالمين، وطبَّقتْ حُجّته أقطار السّماوات وأرجاء الأرضين، وآله وأصحابه شُمّ العَرَانين وحماة الدين صلاةً دائمةً إلى يوم الدين.

أمّا بعد، فإنّ اللَّه جلّتْ عَظَمَته أتقن الأشياء بحكمته وقدَّرها قبل إيجادها بعظيم قدرته، فلم يزل مطويّ الليالي يُنشر، وخفيّ الصّنيع يبرز ويظهر، وحادي الأيام يحدو، وجوادها طوراً يخبُّ وطوراً يعدو، إلى أن وردت بطاء بُزله[1] مَنَاهل الكدور، وأصدرت بطاناً تَمايلُ من سُكْر الفجور، بعكس الأمور، وشربنا من مُرِّ حَوادثها دهاقاً، وتجرّعنا من سُمّ أراقمها زُعاقاً[2] وركبنا من صعابها كلّ مهزال[3]، وكحلنا من عُبابها بمراود من سبال[4].

فغلِّقت من دون العلوم الأبواب، وتفرّقت عن شريف ساحاتها الخُزَّان والحُجّاب.

---

(1) **بُزلُ**: نوع من الوعول.

(2) **زعاق**: صفة الماء الشديد المرارة.

(3) **مهزال**: هزيل البنية ضعيفها.

(4) **سبال**: ما سال من دم أو مطر.

كأنْ لم يكنْ بين الحَجونِ إلى الصَّفَا أَنيسٌ ولمْ يسمَرْ بمكَّةَ سامرُ[1]

فيا لها صفقة مغبون وأين منها البائع وندامةُ محزون، وهل لُغُلّها من ناقع، ولقد طال العهد حتى كاد أن يجودَ المُريب بنفسه، وكل يوم يتمنى المرءُ فيه أن يعودَ لأَمْسِه.

ولمّا شرّفني اللَّه من فضله بخدمة العلماء الأعلام، وأوقفني من فيوضهم على ما يُحيي دَوَارس العظام، حاولت أن أنتظم في سلكهم، وأقتدي، وإن لم أكن أهلاً، بهدْيهم ونَسْكهم، وإن جاذبتني الليالي الزّمام حتى كأني لست من أهل هاتيك الخيام، فابتدأتُ بكتاب في الفقه[2] وجعلته تعليقاً على قواعد العلّامة[3] وقد خرج منه بعض الأجزاء وابتدأتُ بكتاب في الرّجال وإلى الآن لم يتم، وها أنا الآن مُشتغل فيهما على حسب ما يوفق اللَّه بمَنّه وكرمه.

إلّا أنه كثيراً ما تعرض فوائد شريفة ولطائف ظريفة ليست من العلمين أو منهما ولكن ليست في المقام الذي أكتب فيه ويُخشى عليها أن تُدمج في قالب النسيان، فخطر في بالي أن أعمد إلى جمع ما تيسَّر جمعه منها في كتاب على حال لا يَضرّ، إن شاء اللَّه، في الاشتغال بما هو أهم عند ذوي الألباب، فشرعت مستعيناً باللَّه في جمعه كيفما أعان اللَّه تعالى وأفاض من جوده، غير ناظر إلى ترتيب ولا تخصيص في فن من الفنون، بل ربما وشحته ببعض لطائف المُجون، فلا يأخذ عليّ الناظر بشيء من ذلك، حيث إن المبنى هو الحرص على ما يسنح من الغرائب واللطائف، فقد تحتاج النفس إلى التفكُّه بشيء من الظرائف. وفي الكلام السائر «يوجد في الأسقاط[4] ما لا يوجد في الأسفاط» وسمينه: (سوق المعادن والحُلل وكل ما يسرّ

---

(1) **حَجون**: جبل بأعلى مكّة على ميل ونصف الميل من البيت، **والصّفا والمروة**: هما جَبَلان بين بطحاء مكة والمسجد، والبيت قاله مضّاض بن عمرو الجرهمي يتشوّق إلى مكة لما أخلتهم منها خزاعة. **معجم البلدان**، م2 ص 411، وم2 ص 225.

(2) عنوان هذا الكتاب: «**أحكام القواعد وإتمام الفوائد**»، مخطوط في مكتبة الشيخ موسى السبيتي في قرية كفرا العاملية.

(3) العلّامة: هو الشيخ جمال الدين أبو منصور الحسن بن سديد الدين المعروف بالعلّامة الحلّي وكتاب العلّامة: هو **قواعد الأحكام في معرفة الحلال والحرام**»، يحتوي على 6600 مسألة.

(4) **الأسقاط**: مفردها السَّقَطُ: ردي المتاع، كلُّ ما لا خير فيه. **والأسفاط**: مفردها السفط: إناء يُعَبّأ فيه الطيب.

الأفئدة والمُقل) المفتوح لطالبي العلم والعمل. فإليك سوقاً تحلّى من جواهره الأذهان العاطلة، ويُقيم بلمعان لآليه الأرواح المائلة، ياقوت فيه لكل طالب قوت. ومن اللَّه تعالى أستمد المعونة والهداية وأسأله من جوده وكرمه أن يجعله خالصاً لوجهه الكريم وأن ينفعني به وخاصّتي وأحبتي وجميع الطلاب من المؤمنين وأن يجزيني على ذلك جزاء المحسنين، إنه خير من سُئِل وأجود من أعطى فضل العلم من الكتاب العزيز وهو حسبي ونعمَ الوكيل فنعم المولى النصير.

«في بيان فضل العلم من الكتاب والسُّنَّة والعقل»، فهو ياقوت فيه لكل طالب قوت. ولا شك أن أجمل ما يتحلى به الإنسان ويقتنيه، وأبهى ما يتجلبب به في الدّارين ويحويه، هو الاقتطاف من أزاهير العلوم والتنزّه برياضها، والورود على زُلال أنهارها وحِيَاضها، فإن شرف العلم لا يخفى، وشهابه لا يُطفَأ، وهو الجوهر النفيس وسبب هلاك إبليس، وبه فُضّلت الأنبياء ورَجَح مِدَاد العلماء على دم الشهداء، ووطئت الطّلاب أجنحة ملائكة السماء، وقد انعقد على فضله الإجماع، في جميع الأعصار، من أهل الأمصار والأصقاع، والكتاب والسنّة قد صَدَعا به، ودليلُ العقل غير مشتبه.

أما «الكتاب» فقد برهن على تفضيله في عدة مواضع منها:

قوله تعالى في سورة العلق، وهي على ما قيل، أوّل ما أُنزل على نبيّنا ﷺ: ﴿ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ ۝١ خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ مِنۡ عَلَقٍ ۝٢ ٱقۡرَأۡ وَرَبُّكَ ٱلۡأَكۡرَمُ ۝٣ ٱلَّذِي عَلَّمَ بِٱلۡقَلَمِ ۝٤ عَلَّمَ ٱلۡإِنسَٰنَ مَا لَمۡ يَعۡلَمۡ﴾[1]. فقد امتنّ تعالى في مُفْتَتَحِ كتابه على عباده بجعلهم بعد العدم في عالم الوجود، ثم أردف ذلك بذكر صفة العِلم، فلو كان قد شرّفهم بشيء هو أفضل من العلم، لكان أولى بالذكر.

ومنها: قوله سبحانه: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ ۝١ عَلَّمَ ٱلۡقُرۡءَانَ ۝٢ خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ ۝٣ عَلَّمَهُ ٱلۡبَيَانَ﴾[2] وهي كسابقتها في المعنى، ومنها قوله: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَ سَبۡعَ سَمَٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلۡأَرۡضِ مِثۡلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ ٱلۡأَمۡرُ بَيۡنَهُنَّ لِتَعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدۡ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عِلۡمَۢا﴾[3].

(1) سورة العلق، الآيات: 1 ـ 5.
(2) سورة الرحمن، الآيات: 1 ـ 4.
(3) سورة الطلاق، الآية: 12.

فجعل، تعالى شأنه، علم التوحيد الذي هو أشرف أفراد العلوم غاية لخلْق العَالَمَيْن العُلويّ والسُّفْليّ، وأيّ شرف أعلى من ذلك؟ ثم أشار إلى انفراده تعالى بالإحاطة بالعلم دون باقي مخلوقاته، وفي ذلك أوضح دلالة على شرف العلم.

ومنها: قوله تعالى: ﴿هَلْ يَسْتَوِي ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾[1]، فإنه تعالى نفى التسوية بين من يعلم وبين مَنْ لا يعلم بطريق الإذّكار ثمّ حصر التذكُّر الموصل للسعادة بأولي الألباب، وهم أهل العلم والعقل.

ومنها: قوله تعالى: ﴿وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا﴾[2].

قال الشهيد الثاني[3] رحمه اللَّه في «تنبيه المُريد في آداب المفيد والمستفيد»:

«وحاصل ما فسروه في الحكمة مواعظ القرآن والعلم والفهم والنبوّة. انتهى كلامه.

ومثلها: قوله تعالى: ﴿وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْحُكْمَ صَبِيًّا﴾[4] وآتيناه الكتاب والحكمة»[5]. والكل يرجع إلى العلم.

ومنها: قوله تعالى ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْ﴾[6]. حصر الخشية من اللَّه المُنجِّية من العقاب والمُوصلة إلى جزيل الثواب بالعلماء، وليس ذلك إلّا للعلم، وإلّا لما كان للوصف معنى:

ومنها: قوله تعالى: ﴿شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُوْلُواْ ٱلْعِلْمِ﴾[7]

---

(1) سورة الزمر، الآية: 9.

(2) سورة البقرة، الآية: 269.

(3) **الشهيد الثاني**: هو زين الدين بن علي بن أحمد العاملي الجُبَعي، استُشهد في استانبول بتهمة القول بالاجتهاد وتدريس الفقه على المذهب الجعفري سنة 965هـ، له العديد من الكتب ومنها «تنبيه المُريد».

(4) اقتباس من سورة مريم، الآية: 12.

(5) هذا المعنى جاء في الآيات التالية: ﴿فَقَدْ ءَاتَيْنَآ ءَالَ إِبْرَٰهِيمَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ﴾ (سورة النساء، الآية 54) و﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا لُقْمَٰنَ ٱلْحِكْمَةَ﴾ (سورة لقمان، الآية 12) و﴿وَشَدَدْنَا مُلْكَهُۥ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْحِكْمَةَ وَفَصْلَ ٱلْخِطَابِ﴾ (سورة ص، الآية: 20).

(6) سورة فاطر، الآية: 28.

(7) سورة آل عمران، الآية: 18.

فقرن أولي العلم بنفسه وكفاهم فخراً وخصّهم بالشهادة دون غيرهم.

ومنها: ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ﴾(1). قرنهم بنفسه وخصّهم بتأويل القرآن.

ومنها: ﴿قُلْ كَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًۢا بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلْكِتَٰبِ﴾(2). قرنه بنفسه وجعله قاضياً بين نبيّه ورعيته وأتى مرتبة أعلى من ذلك.

ومنها: ﴿يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ﴾(3).

ومنها: ﴿وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا﴾(4).

ومنها: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ مِن قَبْلِهِۦٓ﴾.. إلى قوله: ﴿وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ﴾(5)، فرفعهم درجات وخصّهم بمزية الإيمان وبكونهم من الخشوع يخرون للأذقان.

وكل هذه المزايا لا توجد في غيره والمسبّب لها فيهم العلم.

ومنها: خطاباً لمحمدﷺ: ﴿وَقُل رَّبِّ زِدْنِى عِلْمًا﴾(6). أمره تعالى بطلب الزيادة، وهل ذلك إلّا لكونه غاية الكمال؟

ومنها: ﴿بَلْ هُوَ ءَايَٰتٌۢ بَيِّنَٰتٌ فِى صُدُورِ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ﴾(7).

ومنها: ﴿وَمَا يَعْقِلُهَآ إِلَّا ٱلْعَٰلِمُونَ﴾(8).

ومنها: ﴿فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا۟ فِى ٱلدِّينِ﴾(9) الآية.

ومنها الآيات التي نفت المساواة بين الأعمى والبصير والخبيث والطيب والظلّ

---

(1) سورة آل عمران، الآية: 7.
(2) سورة الرعد، من الآية: 43.
(3) سورة المُجادلة، الآية: 11.
(4) اقتباس من سورة آل عمران، الآية: 7.
(5) سورة الإسراء، الآية: 107.
(6) سورة طه، الآية: 114.
(7) سورة العنكبوت: الآية: 49.
(8) سورة العنكبوت، الآية: 43.
(9) سورة التوبة، الآية: 122.

والحرور والظلمات والنور، وكلها كناية عن العالم والجاهل والعلم والجهل.

ومنها: حكاية عن الملائكة بتذللهم وإقرارهم بالقصور: ﴿لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ﴾[1].

ومثلها: حكاية عن عيسى عليه السلام: ﴿تَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِى وَلَآ أَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِكَ﴾[2].

ومنها: ﴿وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾[3].

ومنها: ﴿فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾[4].

ومثل هذه الآيات في الكتاب العزيز كثير، وكلها صريحة في أن العلم لا مرتبة فوقه، ومن مجموعها يُستفاد أنّ كلّ شيء، العلم به أفضل من الجهل.

فإن قلت: ما تقول في قوله تعالى: ﴿وَمَا عَلَّمْنَٰهُ ٱلشِّعْرَ وَمَا يَنۢبَغِى لَهُۥٓ﴾[5]، أَوَليس قد نفى اللَّه تعالى عن نبيّه ﷺ علم الشعر، وذكر أنه لم يعلمه إياه، وأنه ليس مما ينبغي له، وذلك ينافي ما أفاده مجموع الآيات من أن العلم به أفضل من الجهل؟

قلت: ليس المنفي عنه ﷺ العلم بالشعر، وإنما المنفي عنه فعله، وهو غير العلم به وبقواعده ومعانيه ودقائقه، كيف وقد كان عليه السلام يطرب عليه ويُعجبه، وقد أنشده الشعراء ومدحوه، كحسّان بن ثابت[6] وكعب بن زهير[7] والنابغة الجعدي وغيرهم[8].

---

(1) سورة البقرة، الآية: 32.

(2) سورة المائدة، الآية: 116.

(3) سورة الإسراء، الآية: 85.

(4) سورة النحل، الآية: 43.

(5) سورة يس، الآية: 69.

(6) **حسّان بن ثابت**: شاعر جاهلي إسلامي كنيته أبو الوليد، لم يشهد مع النبيّ مشهداً، مات في خلافة معاوية عاش مائة وعشرين سنة منها ستون في الجاهلية وستون في الإسلام.

(7) كعب بن زهير: شاعر فحل مُجيد، شهد مع النبيّ فتح مكة وهو صاحب القصيدة المشهورة التي مطلعها: بانت سعاد... انظر: **الشعر والشعراء**، ص 84.

(8) **النابغة الجعدي**: يكنّى أبا ليلى، شاعر جاهلي أتى الرسول (ص) وأنشده: أتيتُ رسول اللَّه إذ جاء بالهدى... انظر: **الشعر والشعراء**، ص 181.

كان يقول: «إنَّ من الشعر لحكمةً وإنَّ من البيان لَسِحْراً» وهذه الكلمة من أعظم الدلائل على أنه كان يرتاح للشعر وأنه كان مطَّلعاً على حقائقه ودقائقه، وإنْ مُنع من قوله الذي هو غير العلم، لِما كان يتّهمه الكفّار بأنّ القرآن منه، وأنه ﷺ شاعر، على أنه ﷺ لم يكن ممنوعاً منه مطلقاً وكيف كان، وإنما كان ممنوعاً منه بقصد الشعرية التي لا تليق به، وإلّا فقد كان يقع في كلامه البيت والبيتان، لكن لا بقصد الشعر بل على حسب ما تسمح به السليقة العربية بالكلام، فيأتي بعضه مقفى موزوناً مثل قوله ﷺ:

أَنَا النبيُّ لا كَذِبْ أَنَا ابنُ عبدِ المُطَّلِبْ[1]

وقوله ﷺ:

هَلْ أنتِ إلاّ إصبعٌ دُميتِ وفي سَبيلِ اللَّه ما لَقيتِ

ولئن سَلمَّنا وأغضينا عن ذلك كله، فنقول: الذي ندَّعيه ونفهمه من الآيات شرَفية كلّ علم من حيث هو علم على الجهل به ولا يُنافيه عروض عارض يجعل الجهلَ خيراً، ألا ترى أن من يعلم من نفسه أنه إذا تعلّم عِلْمَيْ الكلام والفقه اللذين هما أشرف العلم، يحصل فيه فساد في العالم وتخريب في الدين، تحكم له الضرورة من كل عاقل أن الجهل أحرى به وها هنا كان عدم تعليم الشعر لرسول اللَّه، والعجز عنه وعدم العلم به أولى، كما علّمه اللَّه تعالى مما يقع من الشّك للمستضعفين والتهمة للمعاندين بأن القرآن من ضروب الشعر وأنه من إنشائه ﷺ، وفي ذلك تكذيب له، فجعله اللَّه على حال لا يُحسن الشعر، كما منعه كذلك من الخطّ والقراءة حتى تتمَّ عليهم الحجّة بأنه ليس بموضع تهمة، وذلك لا يُنافي كون العلم بالشعر من حيث هو أفضل من الجهل به حتى تنخرم الكُلّية.

---

(1) قال هذا في معركة أُحد، انظر: **صحيح مسلم**، مجلّد 5 ـ 6، ص 168.



في بيان فضل العلم من طريق السنّة المطهرة

وأمّا السنّة المُطَهَّرة، فكثيرة جداً يعجز المقام عن إحصائها، إلّا أنّا نذكر منها شيئاً يسيراً تبرّكاً وتيمّناً، ومن أراد الاطّلاع فعليه بكتب الحديث.

فمن السنّة ما رواه في «الكافي» محمد بن يعقوب الكُلَيني بسَنَده المتصل بطريقتيْنِ إلى ميمون القدّاح[1] عن أبي عبد اللّه الصادق عليه السلام قال: «قال رسول اللّه صلى الله عليه وآله، من سلك طريقاً يطلب فيه علماً، سَلَكَ اللّه به طريقاً إلى الجنّة، وأنّ الملائكة لَتَضع أجنحتها إلى طالب العلم رضىً به، وأنه يستغفر لطالب العلم مَنْ في السماء ومن في الأرض حتى الحوت في البحر، وفضل العالِم على العابد كفضل القمر على سائر النجوم ليلة البدر وأن العلماء وَرَثة الأنبياء، وأنّ الأنبياء لم يورّثوا دِرْهماً ولا ديناراً، ولكن ورّثوا العلم، فمن أخذ منه أخذ بحظّ وافر»[2].

وفي «الكافي» أيضاً بسنده المتصل إلى أبي البختري[3] عن أبي عبد اللّه عليه السلام قال: «إن العلماء وَرَثة الأنبياء، وذاك أن الأنبياء لم يورّثوا درهماً ولا ديناراً، وإنما ورّثوا أحاديث من أحاديثهم، فمن أخذ منها أخذ حظاً وافراً، فانظروا علمكم هذا عمّن تأخذونه فإن فينا، أهل البيت، في كل خلف عدولاً ينفون عنه تحريف الغالين

(1) **القدّاح**: اختلف المؤرخون في تحديد شخصيته واسمه عبد اللّه بن ميمون. ذكر الشهرستاني في «**الملل والنحل**» أن القدّاح هو مؤسس دولة القرامطة وكان من أصحاب الأئمة: زين العابدين والإمام الباقر والإمام أبي عبد اللّه الصادق جعفر بن محمد المولود في المدينة سنة 80هـ والمتوفى سنة 148هـ، والذي أجمع الفقهاء على أنه كان أفقه أهل زمانه وإليه ينسب المذهب الجعفري.

(2) **الكافي**، ج1، ص 34، و«**الكافي**» هو أحد كتب أربعة في الحديث الصحيح، وهو من تصنيف أبي جعفر محمد بن يعقوب الكُليني، وعدد أحاديثه 16099 حديثاً. والكُليني فقيه من علماء الشيعة، توفي سنة 328 هـ. انظر: **أعيان الشيعة**.

(3) أبو البختري: من الرّواة الموثوقين، هو وهب بن وهب الطائي توفي في بغداد سنة 200هـ. انظر: **طبقات ابن سعد**، و«**أعيان الشيعة**».

وانتحال المُبطلين وتأويل الجاهلين» وفيه أيضاً بالسَّنَد المتصل إلى حمّاد بن عثمان[1] عن أبي عبد اللّهعليه السلام قال: «إذا أراد اللّه بعبدٍ خيراً فقَّهَهُ في الدّين».

وفيه أيضاً متصلاً إلى محمد بن مسلم عن أبي جعفرعليه السلام: «إنّ الذي يعلم العلم منكم له أجر مثل أجر المتعلّم وله الفضل عليه، فتعلّموا العلم من حَمَلة العلم وعلّموه إخوانكم كما علَّمكموه العلماء».

وفيه مرسلاً عن معاوية بن وهب عن أبي عبد اللّهعليه السلام: «كان أمير المؤمنينعليه السلام يقول: يا طالبَ العلم إن للعالم ثلاث علامات: العلم والحِلم والصمت، وللمتكلّف ثلاث علامات: يُنازع مَنْ فوقه بالمعصية ويَظلم مَنْ دونه بالغَلَبة ويُظاهر الظَّلَمَة».

وفيه مُتّصلاً إلى ابن أبي عُمير مرسلاً له عن بعض أصحابه عن أبي عبد اللّهعليه السلام: «إذا مات المؤمن الفقيه ثَلَم في الإسلام ثلمة لا يسدّها شيء». وفيه عن يونس مرفوعاً قال: قال لقمان لابنه[2]: «يا بُني اخترِ المجالس على عينك، فإن رأيت قوماً يذكرون اللّه عزّ وجلّ فاجلسْ معهم، فإن تكنْ عالماً ينفعك علمك وإنْ تكنْ جاهلاً علّموك، ولعل اللّه أن يُظلهم برحمة فَتَعُمَّك معهم، وإذا رأيتَ قوماً لا يذكرون اللّه فلا تجلس معهم، فإن تكن عالماً لم ينفعك علمك وإن تكن جاهلاً يزيدوك جهلاً ولعل اللّه يظلمهم بعقُوبة فَتعمّك معهم».

وفيه عن أبي الحسن موسىعليه السلام عن جعفرعليه السلام: «مُحادثة العالم على المزابل خيرٌ من محادثة الجاهل على الزّرابي»[3].

وفيه عن أبي عبد اللّهعليه السلام قال، قال رسول اللّهصلى الله عليه وآله: «قالت الحَوَاريون لعيسى ابن مريمعليه السلام: يا روح اللّه من نُجالس قال: من يذكركم اللّه رؤيته ويزيد في علمكم منطقه ويرغّبُكم في الآخرة علمه».

وفيه عن ابن أبي عُمير مرفوعاً عن أبي عبد اللّهعليه السلام قال سألته عن مجدور

(1) حماد بن عثمان من الرّواة الموثوقين الثقات الذين دعوا بأصحاب الإجماع لما رووه في أوائل المائة الأولى حتى المائة الثالثة توفي سنة 150هـ.

(2) انظر: **الكافي**، م1، ج1، ص 36، باب مجالسة العلماء.

(3) الزَّرابي: مفردها زُربيٌّ: مابُسط واتُكِيء عليه من الطَّنافس.

أصابته جَنَابَةٌ فغسلوه فمات، قال[1]: «قتلوه، ألا اسألوا فإن دواء العيّ السؤال».

وفيه عنه عليه السلام: «العامل على غير بصيرة كالسّائر على غير الطريق لا يزيده سرعة السير إلّا بُعداً».

وفيه عنه عليه السلام قال: «قال رسول اللّه: من عمل على غير علم كان ما يُفسد أكثر ممّا يُصلح».

وفيه في باب النّوادر مُسنداً إلى حفص بن النجراني رفعه، قال: «كان رسول اللّه صلى الله عليه وآله إلى أمير المؤمنين عليه السلام يقول: رَوّحوا أنفسكم ببديع الحكمة، فإنها تكلُّ كما تكلُّ الأبدان».

وفيه مسنداً عن أبي بصير قال: سمعت أبا عبد اللّه عليه السلام يقول؛ «يا طالب العلم إنّ العلم ذو فضائل كثيرة، فرأسه التواضع، وعينه البراءة من الحسد، وأذنه الفهم، ولسانه الصدق، وحفظه الفحص، وقلبه حسن النية، وعقله معرفةُ الأشياء والأمور، ويده الرحمة، ورجله زيارة العلماء، وهمّته السلامة، وحكمته الوَرَع، ومُستقرّه النجاة، وقائده العافية، ومركبه الوفاء، وسلاحه لِينُ الكلمة، وسيفه الرّضا، وقَوسُه المُدَاراة، وجيشه مُجاورة العلماء، وماله الأدب، وذخيرته اجتناب الذنوب، وزاده المعروف، ومأواه المُوادَعة، ودليله الهدى، ورفيقه محبّة الأخيار»[2].

وفيه عن أبي عبد اللّه عليه السلام قال، قال رسول اللّه صلى الله عليه وآله: «نِعْمَ وزير الإيمان العلم» (الحديث)[3].

وعن علي عليه السلام: «قيمةُ كلِّ امرئٍ ما يعلمه» وفي لفظ آخر «ما يُحسنه» والأخبار من طرق الخاصة يعجز عنها البيان، وفي ما ذكرناه بلاغ.

وأما من طريق العامة، فكثير أيضاً، فقد رووا عن النبي صلى الله عليه وآله أنه قال: «العلمُ فريضةٌ على كلّ مُسْلم»، وقال: «مَنْ طلب علماً فأدركه، كتب اللّه له كفلين[4] من

(1) المرجع نفسه، ص 40، باب سؤال العالم وتذاكره.

(2) انظر: **«الكافي»**، م1، ص 48.

(3) المرجع نفسه والصفحة نفسها.

(4) **كفلين**: أي بمعنى حافظين أو ضامنين.

الأجر»، وقال: «ما من متعلم يختلف إلى باب العالم إلّا كتب اللّه له بكلّ قدم عبادة سنة وبنى له بكل قدم مدينة في الجنة، ويمشي على الأرض وهي تستغفر له ويصبح ويُمسي مغفوراً له». وقال: «فضل العالم على العابد كَفَضْلي على أدناكم، إن اللّه وملائكته وأهل السماوات والأرض، حتى النملة في حُجرها والحوت في المياه ليُصلّون على معلّم الناس الخير». وقالﷺ: «إن الملائكة لتضع أجنحتها لطالب العلم رضىً بما يصنع».

وقالﷺ: «من غَدَا في طلب العلم، أظلّت عليه الملائكة وبُورك له في مِشْيته ولم ينقص من رِزْقه».

وقال: «أطلبوا العلم ولو بالصّين»، إلى غير ذلك ممّا رووه في طرقهم عنهﷺ، وعن الصحابة.

وفي «**تنبيه المُريد**» للشهيد الثاني (قَدَّس الله) نَفْسَه: أسند بعض العلماء إلى أبي يحيى بن زكريا بن يحيى السّاج أنه قال: «كنا نمشي في أزقّة البصرة إلى باب بعض المحدثين، فأسرعنا في المشي، وكان معنا رجلٌ ماجن فقال: «ارفعوا أرجلكم عن أجنحة الملائكة كالمستهزئ، فما زال حتى جفّت رجلاه»!

وأسند أيضاً إلى أبي داود السجستاني أنه قال: «كان في أصحاب الحديث رجل خليع إلى أن سمع بحديث النبيﷺ «إن الملائكة لتضع أجنحتها لطالب العلم رضىً به» فجعل في رجليه مسماراً من حديد وقال: أريد أن أطأ أجنحة الملائكة فأصابته الآكلة في رجليه. (انتهى ما حكاه الشهيد).

وقد حكى هو وغيره من الحكم القديمة في فضل العلم أشياء كثيرة:

منها: أن في الإنجيل في السورة السابعة عشرة: «ويلٌ لمن سمع بالعلم ولم يطلبه كيف يُحشر مع الجهّال إلى النار، اطلبوا العلمَ وتعلّموه فإنَّه إن لم يُسعدكم لم يُشقكم، وإن لم يرفعكم لم يضعكم، وإن لم يُغنكم لم يفقرْكم، وإن لم يَنفعكم لم يضرّكم، ولا تقولوا نخاف أن نعلم فلا نعمل، ولكن قولوا نرجو أن نعلم ونعمل والعلم يشفع لصاحبه وحقٌ على اللّه أن يجزيه، إن اللّه تعالى يقول يوم القيامة: يا مَعْشر العلماء ما ظنّكم بربّكم؟ فيقولون: ظنُّنا أن يرحمنا ويغفر لنا، فيقول اللّه

تعالى: إني قد فعلت، إني قد استودعتكم حكمي، لا لِشَرّ أردتُه بكم بل لخير أردته بكم، فادخلوا في صالح عبادي إلى جنّتي برحمتي».

ومن كلام المسيح: «من علّم فعمل فذلك يُدعى عظيماً في ملكوت السماوات».

❀ ❀ ❀

وأما دليل العقل، فهو أن الأشياء تنقسم إلى موجود ومعدوم، ولا شكّ أن الموجود أشرف، ثم إن الموجود ينقسم إلى نامٍ وغير نامٍ، ولا إشكال أنّ النامي أشرف، ثم إن النّامي ينقسم إلى حسّاس وغير حسّاس، ولا ريب أن الحساس أشرف، ثم إن الحساس ينقسم إلى عاقل وغير عاقل، ولا شك أن العاقل أشرف، ثم إن العاقل ينقسم إلى عالم وغير عالم، ولا شبهة أن العالم أشرف، وهو المطلوب إذ شرّفه لشرَف العلم بطريق السّير والتقسيم.

وهذه المقدّمات كلها يشهد عليها الوجدان السليم والطبع المستقيم، بل هو أمرٌ كاد يلحق بالضروريات، بل هو منها عند أهل العقول، بل عند الحيوانات، وكفاك شاهداً أنه من لا يعلم شيئاً من العلم يدّعيه في مقام الفخر، وهذا مما لا حاجة إلى الاشتغال به لوضوحه وبيانه، والله الموفق.



فائدة بيانية: عَشجد بَلاغة لا صاغة

ذكر علماء البيان أن للبلاغة طَرَفيْنِ: أعلى وأسفل وما بينهما مَرَاتب، والأسفل بلا كلام هو الذي لو غير الكلام عنه إلى ما دونه التحق، وإن كان صحيح الإعراب، بأصوات الحيوانات التي تصدر عن محالِّها.

ولا نزاع أيضاً في أن المراتب كثيرة غير منحصرة، وإنما وقع لهم الكلام في تحقيق الأعلى وما يقرب منه والذي ذهب إليه جماعة، ومنهم السعد التفتازاني في «مطوّله» ومختصره هو أن الأعلى وما يقرب منه كلاهما حدّ الإعجاز، وهما واقعان في القرآن ولا يمكن وصول البشر إليهما، وإن تفاوتاً في أنفسهما، وحمل عليه كلام صاحب «التلخيص» حيث قال فيه:

«وللبلاغة طرفان أعلى وهو حدّ الإعجاز وما يقرب منه... إلى آخر كلامه قال التفتازاني في أثناء شرحه لهذا الكلام: والذي أُلْهِمتُه بين اليقظة والمنام، أن ما في قوله (وما يقرب منه) معطوفة على قوله (وهو وما يقرب منه) حدّ الإعجاز». انتهى.

أقول: «ما أظن هذا الكلام إلّا أضغاث أحلام».

وذهب آخرون إلى أن «الأعلى وما يقرب منه حدّ الإعجاز، إلّا أن الأول في القرآن والثاني في كلام البشر. فالأول حدّ بمعنى أنه لا يمكن للبشر أن تتعدى إليه، والثاني حدّ، بمعنى أنه لا يمكنهم أن يتجاوزوه».

أقول: والذي يجول في خَلَدي منذ نظرت إلى هذه المسألة، أن القرآن مرتبة واحدة، خلافاً للسعد (التفتازاني) وأتباعه وما أوهمه من كثرة النكت في بعض الآيات دون بعض، هو الحُجّة لَنا لا علينا، إذ ليست البلاغة إلّا إيراد الكلام على

وفق مقتضى الحال، وبه يقع التَّفاضل، وبإحرازه على حقيقته يتوصَّل إلى حدّ الإعجاز، ولا شك أن المقام المناسب لإيراد آية كثيرة النكت، غير المناسب لأخرى قليلة النكت وبالعكس، حتى أن وضع هذه في مقام تلك وبالعكس، مما يقلب حقيقة الإعجاز، وليس التَفَاضل بكثرة النكات، كما ينبئ به صريح عبارته في هذا المقام فإنه من أفحش الأوهام، وما أوهم بعضهم من قدرة بعض الفصحاء على مثل بعض الآيات فرام أن يجعل هذه الآيات مما يقرب من الأعلى منكور ولئن سلم إمكان وجوده، فأقلّ ما فيه أن الإعجاز إنما هو في الأسلوب، حتى لو غيّرت بعض الألفاظ بل أكثرها مع بقاء الأسلوب، لم ترتفع حقيقة الإعجاز.

● انظر إلى قول بعض أهل الخَلاعة «إن الذين يغسلون ثيابهم ثمّ لا يجدون ما يلبسون أولئك هم المفلسون» وأمثاله، فإنك تراه مُعجزاً لوجود: الأسلوب القرآني فيه.

● والملخص أن القرآن كله أعلى وكلّه حدّ الإعجاز، ولا يمكن الوصول إليه لأحد من البشر ﴿قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾[1] ﴿فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِۦ وَٱدْعُوا۟ شُهَدَآءَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾[2].

+ وأما ما يقرب من الأعلى فهو لا يوجد إلّا في كلام أهل بيت العصمة الذي أُنزل القرآن في بيوتهم وعلى لسانهم، وهو دون القرآن بمرقاة وفوق جميع كلام البشر، وليس كل ما يتكلّمون به من ذلك بل في مَواطن مخصوصة يعرفها من له اطلاع في كلامهم، فإن من نظر فرّق بين ما يوردونه عليهم السلام في الخطب والمواعظ والمكاتبات والأدعية وبين ما يوردونه في بيان الأحكام ومكالمتهم مع الناس.

وقد اعترف بذلك جماعة ممّن وقفنا على كلامهم من المخالفين كأبي عثمان الجاحظ وابن أبي الحديد وغيرهما من فحول الشيعة والمعتزلة، وإن رُمْتَ الوقوف على العيان فعليك بمراجعة الكتب المجموعة من كلامهم عليهم السلام «كنهج البلاغة»

(1) سورة الإسراء، الآية: 88، وهي من آيات التّحدي.

(2) سورة البقرة، الآية: 23.

و«الصحيفة السّجادية» و«احتجاج» أبي علي الطبرسي وكتب الأدعية وغيرها، فإنك تقف على ما يشفي العليل ويبلّ الغليل، واللّه الهادي إلى سواء السبيل.

❀ ❀ ❀

لؤلؤة البحرين: «حكاية عن الشيخ ميثم»

حكى الشيخ يوسف البحراني صاحب «الحدائق الناضرة» في كتابه «لؤلؤة البحرين في الإجازة لِقَرَتيّ العين»[1] في ترجمة الشيخ ميثم البحراني نقلاً عن كتاب «مجالس المؤمنين»، بعد أن نقل جملة من أحوال الشيخ ميثم، أنه كان رحمه اللّه تعالى، في أوائل زمانه معتكفاً في زاوية الخمول، مشتغلاً بتحقيق حقائق الفروع والأصول. فكتب إليه فُضلاء الحلّة والعراق صحيفة تحتوي على عَذْله وملامته على هذه الأخلاق، وقالوا: العجب منك أنك مع شدّة مهارتك في جميع العلوم والمعارف وحذاقتك في تحقيق الحقائق واللطائف، قاطنٌ في بلاد الاعتزال ومخيم في زاوية الخمول الموجب لخمود نار الكمال، فكتب في جوابهم هذه الأبيات:

طلبتُ فُنون العلم أَبْغي بها العُلى ... فقصّرني عمّا سَمَوْتُ له القلُّ[2]

وبَيّنَ لي أَنَّ المَحَاسِنَ كُلَّها ... فُروعٌ وأنَّ المالَ فيها هُوَ الأَصْلُ

فلما وصلت هذه الأبيات، كتبوا إليه: إنك أخطأت في ذلك والخطأ ظاهر، فكتب في جوابهم هذه الأبيات وهي لبعض شعراء المتقدّمين:

قَدْ قالَ قومٌ بِغيرِ علمِ ... ما المَرْءُ إلاّ بأَصْغَرَيْهِ

فَقُلْتُ قَوْلَ امرئٍ حكيمِ ... ما المَرْءُ إلاّ بِدِرْهَمَيْهِ

مَنْ لَمْ يكُنْ دِرْهَمٌ لَدَيْهِ ... لَمْ تَلْتَفِتْ عُرْسُهُ إِلَيْهِ

❀ ❀ ❀

(1) قَرَتيّ: نسبة إلى «قرتِ» مصدر الفعل قَرَتَ الجلد: اخضرَّ لانحباس الدَّم بين اللحم والعظم؛ «وقَرَتيُّ العين» مَنْ في عينه إصابة تُعيقها عن النظر.

(2) كتب المؤلف في الحاشية: «لم أجد في اللؤلؤة إلّا هذين البيتين، مع تعبيره بـ «الأبيات» بلفظ الجمع، فنقلت العبارة على حالها تحرّزاً من الكذب، واللّه أعلم» القَلُّ والقِلُ بالوجهين: مصدر الفعل قلَّ ضد كَثُرَ ويوصفَ به. مَنْ كان قليل الإمكانات.

● ثمّ إنّه عطّر اللّه مرقده، لما علم أنّ مجرّد المراسلات والمكاتبات لا تنفع، توجه إلى العراق لزيارة الأئمةعليهم السلام. وبعد الوصول إلى المشاهد العليّة، لبس ثياباً خشنةً رثّة ودخل بعض مدارس العراق فسلم عليهم، فردّ بعضهمعليه السلام وهم بالإشتغال التّام، وجلس رحمه اللّه في صفّ النّعال، ولم يلتفت إليه أحد منهم، ولم يقضوا واجب حقّه، وفي أثناء المباحثة وقعت بينهم مسألة مشكلة دقيقة كلّت فيها أفهامهم وزلّت أقدامهم، فتكلّم، قُدّس سرّهُ، وأجاب بتسعة أجوبة في غاية الجودة والدّقة، فقال له بعضهم بطريق السخريَّةِ والتّهكم: يا حليلك طالب علم! (أي ما أشطرَكَ).

ثم بعدها أُحضر الطعام فلم يؤاكلوه بل أفردوه بشيء قليل على حِدَة وانفردوا بالباقي، فلما انقضى المجلس قام، قُدّس سرّهُ، ثم عاد إليهم في اليوم الثاني وقد لبس ملابس فاخرة واسعة الأكمام وعمامة كبيرة وهيئة رائعة، فلما قرب وسلم عليهم، قاموا تعظيماً له وسلّموا عليه واجتهدوا في إكرامه وتوقيره وأجلسوه في صدر المجلس المشحون بالمُحققين والأكابر المُدَقّقين، ولما شرعوا في المباحثة والمذاكرة، تكلّم معهم بكلمات عليلة لا وجه لها شَرْعاً ولا عقلاً، فقابلوها بالتّحسين والتّسليم والإذعان على وجه التعظيم.

فلما حضرت مائدة الطعام، بادروا معه بأنواع الأدب، فألقى الشيخ ميثم، قُدّس سرّهُ، في كمه ذلك الطعام وقال: كُلْ يا كُمّي، فلما شاهدوا تلك الحال العجيبة أخذوا في التعجّب والاستغراب، واستفسروه، قُدّس سرّهُ، عن معنى هذا الخطاب، فأجاب رحمه اللّه، بأنكم إنما أتيتم بهذه الأطعمة النّفيسة لأجل أكمامي الواسعة، لا للنفس القدسيّة اللّامعة، وإلّا فأنا صاحبكم بالأمس وما رأيت تكريماً ولا تعظيماً، مع أني جئتكم بالأمس بهيئة الفقراء وسجيّة العلماء، واليوم جئتكم بلباس الجبّارين وتكلّمت بكلام الجاهلين، فقد رجّحتم الجهالة على العلم والغنى على الفقر، وأنا صاحب الأبيات التي في أصالة المال وفرعية الكمال التي أرسلتها إليكم وعرضتها عليكم، فقابلتموها بالتّخطِئَة وزعمتم انعكاس القضية.

فاعترف الجماعة بالخطأ بتَخْطئتهم واعتذروا مما صدر منهم. (انتهت القضية).

والشيخ ميثم هذا هو شارح «النهج» وله عليه شروح ثلاثة، وله غيرها من الكتب، وكان حكيماً. وميثم بفتح الميم والثاء المثلّثة، إذْ حكى في «اللؤلؤة» عن بعض العلماء في حواشيه على «الخلاصة» أنّ ميثم، حيث ما وجد، فهو بكسر الميم إلّا مَيثم البحراني، فإنه بفتحها.

❀ ❀ ❀

شذرةٌ لطيفة عن بشار (الشاعر)

حكي في تاريخ ابن خلّكان المعروف بـ «وفيات الأعيان» في ترجمة بشار بن بُرد أنه: رفع غلام لبشّار إليه في حساب نفقته، من جملته جَلاء مرآة عشرة دراهم، فصاح به بشّار وقال: واللّه ما سُمع بأعجب من هذا، جلاء مرآة أعمى عشرة دراهم! واللّه لو صَدِئَتْ عين الشمس حتى يبقى العالم في ظُلمة، ما بلغت أُجرة من يجلوها عشرة دراهم.

قلت: وأذكرتني هذه الحكاية، حكاية صدرت في زماننا هذا: حدثني الأستاذ أبو الحسن عبد اللّه بن علي نعمة العاملي الجُبعي[1]، أيّده اللّه تعالى قال: كان جماعة من أهل «المشهد» في دعوة عند صديق لهم وكان فيهم الشيخ أحمد

---

(1) **الشيخ عبد اللّه نعمة الجُبعي**، رئيس مدرسة جُبَع، وقفت في أوراق العلّامة المؤرخ الشاعر الشيخ سليمان ضاهر، على ما كتبه الشيخ طالب البلاغي من النجف الأشرف إلى الشيخ عبد اللّه نعمة، قال: «شيخُ الأَجِلّة وعميد المذهب والمِلّة، مُجتهد العصر والزمان ونادرة الوقت والأوان، سلمان الزمان وأبو ذرّ الأوان كهف الفقراء والمساكين وغوثهم وغيثهم إذا طرقتهم طوارق الأيام والسنين». وقد اتبع هذا القول بقصيدة مطلعها:

أَرَى مَنْ مُبلغٌ لبنانَ عاملْ ... بأن الوجد بالأحشاء عاملْ

منها:

وهل من نظرةٍ لعميدِ قومٍ ... على هام المَجَرَّة عاد نازلْ
أبي حسنٍ ونجلِ سُراةِ قومٍ ... لحفظ العلم والأيتام كافلْ
يَغَارُ على خفيّات المعاني ... فيربطها بهاتيكَ الدَّلائلْ
وكم كشف الغِطاءَ عن المُعَمَّى ... وأوضَحَ وَجْهَ مُشكلةِ المَسَائلْ

يوم السبت، يوم الحادي عشر من شهر
ربيع الأول من شهور 1274 هـ والحمد للّه رب العالمين

البلاغي[1]. فلما خرجوا لاقاه صديق له فقال له: وكيف كانت هذه الدعوة؟ فأخذ يصفها إلى أن قال: فَتَناولت رغيفاً والرّغيف ما هوَ هُوَ، لو نفخه ابن يومه لطار إلى الفلك الأطلسي.

❁ ❁ ❁

دُرّة ـ فوائد فقهيّة:

اشتهر بين كثير من الفقهاء في كثير من المواضيع، الاستدلال على جَواز التصرّف في مال الغير بغير إذنه، وعدم الغرامة إذا ظنّ المصلحة، بقوله تعالى: ﴿مَا عَلَى ٱلْمُحْسِنِينَ مِن سَبِيلٍ﴾ ولعلّه في أكثر تلك المواضيع لم يُصادف محلّه.

منها: لو شَرَدَتْ دابة لأحد، فعارضها شخص ليردّها إلى صاحبها فَتَلِفَتْ بمعارضته قال بعض لا يضمن لأنه محسن و﴿مَا عَلَى ٱلْمُحْسِنِينَ مِن سَبِيلٍ﴾[2] وهو واضح الاشتباه لأنه سببٌ في تَلَفِها، والسبب يضمن مع ضعف المباشر، كما هو معلوم، وظنّه الإحسان لا ينفع مع حصول الإساءة الفعلية نعم، قد يُقال هنا برفع الإثم لقدومه بظنّ المصلحة والإذن، وليس ذلك من قاعدة الإحسان، كما هو المدّعى.

ومنها: لو أراد الشريك في الحائط المُهدم أو البئر أو النهر، عَمَارته، قال الشيخ والشهيد على ما نقل عنه: إنّ له ذلك من دون إذن شريكه، لقاعدة الإحسان.

وقال بعض: إنْ أَعَاده بآلته الأصلية، جاز لكونه إحساناً، ويبقى على الشركة وإنْ كان بآلة مُختصّة بالفاعل، أعني الشريك الآخر فلا، لأنه لا شركة لغير صاحب الآلة فيها فلا إحسان، ولا يخفى ما في كِلا القولين وخروج الفرض عن قاعدة الإحسان لأنه تصرّف في مال الغير بغير إذنه، وهو محرَّم عقلاً فضلاً عن النقل، كيف ويُحتمل عدم رضاه بذلك، بل يُحتمل أنّ له مصلحة في بقائه مهدوماً.

---

(1) الشيخ أحمد البلاغي العاملي النجفي، ت 1271 هـ، نعته السيد الأمين في **أعيان الشيعة** بالفاضل المحقق فقيه عصره.

(2) سورة التوبة، الآية: 91.

وقد وقع البعض في ما ماثل المقام، كلام يُشبه هذا الكلام بدعوى أنه إحسان مع كونه مُستلزماً التصرّف في مال الغير بغير إذنه والذي يُحتمل عدم رضاه، ولا يخفى قربه من الاشتباه، كيف والفقهاء مجمعون على عدم جَواز عمارة الحائط المختصّ بالغير إذا كان مهدوماً، أو سَقْي دابّة الغير أو إطعامها، أو صياغة الذهب والفضّة، وطحن الحنطة، أو ختان الصبيّ، أو غير ذلك ممّا هو إحسان وإن زادت قيمته، ويُلزمون الفاعل مع التلف بالإعادة إنْ أمكنت، وبالمثل إن كان مثْليّاً والقيمة إنْ كان قيميّاً، ولو تمّ، في ما أجازوه، من دون إثم وغرامة، لتَمَّ في هذه المواضع، إذ المأخذ هو الآية والحال مُتّحد، مع أن الإجماع قائم على عدم تمامه في ما ذكرنا. فمن أين جاءت التّفرقة. **والتحقيق**: أنَّ الآية مختصّة بمواضع مخصوصة أكثرها منصوصة والضابط فيها هو ما كان إحساناً صرفاً غير مُعارض بشيء، كحركة التصرّف في مال الغير بما يُحتمل عدم رضاه، كحفظ اللقطة والأمانة المالكية كالوديعة والعارية والعين المُستأجرة الشرعية، وكحفظ مال الغائب والطفل والمجنون والسَّفيه لِمَنْ وُلِّي عليه من أب أو وصيّ أو حاكم أو عدل أو فاسق مع عدم وجود العدل أو من وصل إليه كما إذا أطارت الرِّيحُ ثوباً إلى دار إنسان أو نحو ذلك مما يُعلم فيه إذن المالك أو الشارع، فإنه لا حرمة في ذلك كله بل له ثواب، ولا غرامة إذا فُرض وقوع تَلَف ولو بمباشرته إذا لم يكن على وجه الختانة، ولهم البيع والشراء إذا اقتضت المصلحة ذلك، فَلِلْمُلْتقط مثلاً بيع بعض اللقطة للنفقة عليها، ويقتصر على مقدار الحاجة، فيبيع جزءاً فجزءاً من الدّابة الملتقطة، وهكذا حتى يستغرق، ويُقدّم الرّهن على البيع على الأقوى ما لم يكن البيع أعْود ولا يجب عليه النفقة من ماله، ويأخذ ما يُنفقه على تقديره إذا وُجد المالك، لأنه إحسانٌ صرف، وليس له البيع في غير النفقة وشبهها من الضروريات، كخوف التَّلف، وإن باع بالزائد عن ثمن المثل لأنه تصرّف مع ظنّ عدم الرّضا أو احتماله، وقد عرفت أنه غير محض الإحسان.

ومَثَل المُلتقط مَنْ حصلت الأمانة عنده قهراً، كإطارة الثوب الريح، فليس له التصرّف بغير الضروري كالملتقط، وكذا المُستأجَر والمُعَارَ، فلا يتصرف بغير المأذون فيه، ويُنفق على الدّابة ونحوها، ولا يغرّم إذا تلفت مع عدم الخيانة ويرجع بالنفقة، وليس ذلك كمُطعم الدّابة ابتداءً من غير أن تكون يده عليها بنحو من هذه الأنحاء.

وأمّا الأب والجد والوصيّ والحاكم ومن قام مقَامه من وكيل مع عدم وجوده، أو عدل مع عَدَمه، فلهم التصرّف مع المصلحة مُطلقاً ضرورياً أو غيره، لعموم الولاية، ما عدا الوكيل فيتبع لفظ الوكالة إن عاماً فَعَامٌ أو خاصاً فيقتصر عليه، والعدْل ففي كونه كالحاكم مع فقده، فيكون وليّاً مُطلقاً يتصرّف كتصرّف الحاكم، أو كالمُلتقط ومن وصلت إليه الأمانة، فيقتصر على الضروري وجهان أحْوطهما، ولعلّه أقواهما الثاني، وإن كان لا يخالف الأول عن قوة، بل لعله المتعين عند فقد الحاكم كُليّةً وعدم رجاء وجود حاكم أو الوصول إليه ولو بالمراسلة المفيدة للظن، وحكم الفاسق مع عدم العَدْل حكم العَدْل على ولايته، ولعل كونه كالأمين لا الوليّ أقوى من احتمال ذلك في العَدْل، لما يُقال إنه ليس محلاً، غاية ما هناك أنه يُكلّف بالحفظ وهل لهم ذلك التصرّف مع عدم المصلحة بحيث لا مَفْسدة؟ نقل بعض الإجماع على الجواز بالأب والجدّ، وأما غيره فمحلّ كلام لا يسعه المقام فلاحظ وتأمّلْ، وبما ذكرناه قابلْ ما لم نذكره، ولا تُسرع إلى ﴿مَا عَلَى ٱلْمُحْسِنِينَ مِن سَبِيلٍۚ﴾[1]، فإن النظر يدقّ في تحقيق المحسن ووجوده، والمحسنون قليلون، أحسن اللّه لنا ولك التوفيق إنه خير رفيق.

ظريفة لطيفة:

ذكر ابن خلكان في باب الحاء في ترجمة الحسين بن الضّحاك الشاعر[2] الخليع قال: «كان بالفتيان فتى من أهل الشام عجيب الخلقة والشكل غليظ جاف، قال الحسين بن الضّحاك: وكنت أحتمل ذلك من هذا الفتى، وكان حظّي التعجّب منه، وكان يأتيني بكتب عتيقة له، ما رأيت كتباً أحلى منها ولا أظرف ولا أشكل من معانيها، ويسألني أن أجيب عنها فأجهد نفسي في الجوابات، عناية له لا للشّامي، لعلمي أنه لا يميز بين الخطأ والصواب، ولما طال ذلك عليّ حَسَدْتُه وتنبّهت على

(1) سورة التوبة، الآية: 91.

(2) **الحسين بن الضّحاك**: من شعراء الدولة العباسية، مولى لباهلة، بصريّ المولد والمنشأ، أصله من خراسان، كان يلقّب بالخليع أو الأشقر شاعر ظريف مطبوع، كان أبو نواس يأخذ معانيه في الخمر، له غزل كثير، عمّر حتى قارب المائة سنة، مات في خلافة المستعين باللّه أو المنتصر باللّه. انظر: **الأغاني**، دار الفكر، ج6، ص 165، وما بعدها.

إفساد حاله عندها، فسألته عن اسمها فقال: بَصبص، فكتبت إليها عنه في جواب كتاب جاءه منها كان جاءني به، أبياتاً وهي:

أرْقصني حبُّكِ يا بصبصُ والحُبُّ يا سَيِّدتي يُرْقصُ
أرمضتِ أجفاني لِطولِ البُكا فَما لِأَجْفانِكِ لا تَرْمصُ[1]
ورَابني وجْهُكِ ذلك الذي كأنّه مِنْ حُسْنِهِ سَعْفَصُ

قال: فجاءَني بعد ذلك فقال: يا أبا علي، ما كان ذنبي إليكَ وما أَرَدتَ بما صنعتَ بي؟ فقلت له: وما ذاك عافاك اللّه؟ قال: مَا هُوَ إلّا أن وصل إليها ذلك الكتاب حتى بعثت إليَّ: «إنّي مشتاقة إليك والكتاب لا ينوب عن الرؤية، فتَعَال إلى الرّوشن بالقرب من بابنا فقِفْ بحَيَاله حتى أراك»، فتزينت بأحسن ما قدرت عليه وصرتُ إلى الموضع، فبينما أنا واقف أنتظر مُكلِّماً لي أو مُشيراً إليّ، وإذ بشيءٍ قد صُبَّ عليَّ فملأني من فوقي إلى قدميَّ، وسرْجي وصيّرني وجميع ما عليّ ودابتي في نهاية السّواد والنَّتَن والقذر، وإذا هو ماء قد خُلط ببول وسواد سرجين[2]، وانصرفت مَخْزِيّاً، وكانَ ما مرّ بي من الصبيان وسائر من مررتُ به من الطنين والضحك والصياح أعظم مما جرى عليّ، ولحقني من أهلي ومنزلي شرّ من ذلك، وأعظم من كل ما ذكرت، أنَّ رُسُلَها انقطعت. قال: فجعلت أعتذر إليه وأنا أحمد اللّه على ما ناله، شماتةً به.



بَيَان كلمات لمولانا أمير المؤمنين عليه السلام:

نادرة عن مولانا أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال: «ما اسْتَبْستمكْتُ قط ولا استلبربعت قط ولا تسرولت واقفاً ولا تعمَّمتُ قاعداً ولا قعدت على قلامة قلم، فمن أين أصابني هذا الهمّ».

قلت: مراده عليه السلام ما أكلت سمكاً يوم السبت ولا أكلت لبناً يوم الأربعاء، وهذا من محاسن الكلام، حيث يجعل الكلمتين في كلمة واحدة مع فَهْم المعنى وقبول الذوق له.

---

(1) **رَمَصَتِ العينُ**: جَمعَتْ وخماً جامداً في الموق.

(2) **سرجين**: زبل، سواد.

وهذا كما ينسبون إلى عبد شمس وعبد الدار فيقولون: عبشمي وعبدلي.

قال شاعرهم:

وتضحك (منّي) شيخةٌ عَبْشَمِيَّةٌ كأنْ لم تَرَ قبلي أسيراً يَمَانيا

إلّا أن هذه النسبة مُختَصَّة في ما لا يمكن بدونها لعدم التمييز إذا قيل: عبدتي ودارتي، لاحتمال نسبته إلى عبد ودار، ومثله ورد في الجمع كالعبادلة لجماعةٍ اسم كل منهم عبد اللّه.

ومن جملة ما نحن فيه قولهم: البَسْمَلة: لِبِسْمِ اللّه، والحَمْدَلَة للحمد للّه، والحَوْقَلة للا حَوْلَ ولا قوّة إلّا باللّه.

وأمّا قوله: ولا قعدت إلخ... فالظاهر أن مراده: إني لم يبق لي ثأر على أحد ولم أقعد على أقلّ شيءٍ يهم، مثل قوله: ولا يُقيم على ضيم ألمَّ به. ومُحصّله أن الهموم إنما تحصل من هذه الأشياء، ولم أفعل شيئاً منها، فمن أين أصابني هذا الهمّ؟

وبهذا الحديث يُستدل على كراهية هذه الأشياء، كأكل السَّمَك يوم السبت وأكل اللّبن يوم الأربعاء. نعم، ظاهر التعليل المفهوم منه أن النَّهْيَ إرشادي واللّه تعالى أعلم.

ويحتمل أن يقال: أنَّ الجلوس على قلامة القلم مما يورث الهمّ كسوابقه بظاهر هذا الحديث، ولكن الأوجه ما ذكرنا فتأمَّلْ.

❀ ❀ ❀

طريفة سكينة وعُروة:

حكي أن سكينة بنت الحسين وقفت على عُروة بن أُذَيْنة[1] الشاعر فقالت له: أنت القائل:

---

(1) **عُروة بن اذينة**، كان ثبتاً يروي عنه مالك بن أنس الفِقْهَ. والبيت ورد (في أبيات). انظر: **الشعر والشعراء**، ص 389.

قـالَـتْ وأبـثـثْـتُـهـا وجـدي فبُـحـتُ بـه قد كُنْتَ عندي تُحبُّ السّرَ فاسْتَتِرِ
أَلَسْتَ تُبْصِرُ مَنْ حَولي فقلتُ لها غَطَّى هَوَاكِ وما أَبْقى على بَصَري

قال: نعم، فقالت له، أنت القائل:

إذا وَجَـدْتُ أُوارَ الـحـبّ فـي كـبـدي أَقْـبـلـتُ نـحـو سِـقـاء الـقَـوْم أَبْـتـرِدُ
هَـبْـنـي بَـرَدْتُ بِـبَـرْدِ الـمـاء ظـاهـرهُ فـمَـنْ لِـنَـارٍ عـلـى الأَحْـشَـاءِ تَـتَّـقِـدُ

قال: نعم، فالتفتتْ إلى جَوَارٍ كُنَّ حولها وَقالتْ: هُنَّ حَرَائر إن كان هذا خرج من قلبٍ سَليم.

❀ ❀ ❀

فائدة فقهيّة: غريبة

قال السيد المحيط السيد جواد العاملي صاحب «مفتاح الكرامة»[1] في تعليقاته على «الوافي» عند ذكر نَجَاسة الخنزير بأجمعه حتى ما لا تُحلُّه الحياة، ولا بأس بذكر حكاية حكاها شيخنا البهائي في «شرحه على الفقيه».

قال: «كنت مع الشّاه عباس الأول، غفر اللَّه له، في الصيد، إذْ عرض خنزير عظيم الجثة طويل سنّ خارج، فضربه الشّاه بالسيف ضربةً نصّفَهُ بها ثم أمر بقلع سِنّهِ والإتيان بها إليه، فوجد مكتوباً عليها لفظ الجلالة، بخطّ بيّن، فحصل له وَلنا ولِمَنْ حضر من العسكر المنصور، نهاية التعجّب، فإن ذلك من أغرب الغرائب، ولمّا أرانيها، أدام اللَّه نصره قال: كيف يجتمع مع نجاسة الخنزير»؟

فعرضت لديه أن السيّد المرتضى (ر) قائلٌ بطَهَارة ما لا تُحلُّه الحياة من نجس العين، ووجود هذا الخط على هذا السِّنِّ ربما يؤيد كلامه رحمه اللَّه فإن

(1) **السيد جواد العاملي**: تتلمذ في مدرسة شقراء (جبل عامل)، على رئيسها السيد أبي الحسن موسى بن حيدر الحسيني العاملي، وكان واحداً من ثلاثة سافروا بعد وفاة أستاذهم للعراق وهؤلاء هم: السيد حسين ابن السيد أبي الحسن والسيد جواد صاحب «مفتاح الكرامة»، ابن أخ السيد أبي الحسن والشيخ إبراهيم يحيى، واشتهر كل واحد منهم بفن: السيد حسن بالأصول، والسيد جواد بالفقه والشيخ إبراهيم بالشعر والأدب. انظر: **أعيان الشيعة**، المجلد الخامس، طبعة دمشق الأولى.

السن مما لا تُحِلُّه (الحياة)، وكان بعض الأطباء حاضراً في المجلس الأشرف فقال: قد صرّح الشيخ في «القانون» بأنّ بعض العظام فيها حياة والسنّ من جملة تلك العظام، فيكون ممّا تحلّه الحياة البتّة، فقلت له: كلام ابن سينا غير رائج عندنا[1]. بل بعد نقْل علمائنا، قدّس اللَّه سرّهم، عن أيمَّتنا[2] عليهم السلام من أن السّنّ ممّا لا تُحلّه الحياة، وأنها كالظفر والشعر والقرن، فحرّك رأسه وأرمى عنقه استعظاماً لابن سينا، فأردت كَسْرَ سَوْرَة استعظامه فقلت له: إنّ لي مع ابن سينا، في هذا المقام، بحثاً لا يخلص منه، وهو أنه ناقض نفسه في هذا الكلام الذي نقلته أنت عنه، لأنه ذكر في بحث أمراض الأسنان من «القانون» أنها من جملة العظام التي لها حِسّ، وقال في بحث تشريح الأسنان: «ليس لشيء من العظام حسٌّ البَتّة» إلّا الأسنان، وظاهر تلك العبارة موجبة جُزْئِيّته، فيثبت الحسّ لبعض وتلك سالبة كلية مُنتفية عن الكلّ، وهل هذا إلّا عينُ التّناقض؟ فطأطأ رأسه وقال: أراجع «القانون»، فقلت له: راجعْ ألف مرّة. (انتهى ما نقله السيد رحمه اللَّه عن البهائي).

قلت: صحّة هذه الحكاية لا تُثبت مذهب المرتضى، لأن النّجاسة من التكاليف الراجعة إلى العباد، ولا يقتضى ذلك منع كتابة لفظ الجلالة على الحيوان النّجس من قبل اللَّه تعالى، نعم، يحرّم علينا أن نكتب، وكون أحكامه تعالى مُعَلَّلة بالعلل والأغراض، لا يستلزم علمنا بها، بل حرّرنا في غير مقام من الأصول أنّ للّه تعالى حِكَماً تَعَبُّديّة صرفاً ليس المطلوب فيها إلّا تَعبُّد العبد من غير أن تكون في نفسِها فمُقتضية لذلك، ولعلّ هذا منها أو لعل له حكمة خفيت علينا، وإلّا فما الفرق بين الكلب وابن آوى؟ حتى أنّ هذا نجس وهذا طاهر والجواب فحيث جاءت الروايات عنهم عليهم السلام بنجاسة الخنزير، وهي تقتضي نَجاسة جميع أجزائه أحلّتْها الحياة أم لا، فلا يُعدل عنه لمثل هذه الحكاية. واللَّه تعالى أعلم بأحكامه.

❀ ❀ ❀

(1) **ابن سينا**: 980 ـ 1073 هـ، ولد في أعمال بخارى، من كبار فلاسفة العرب، له كتاب «**الإشارات**» و«**القانون**» في الطب، تأثر بفلسفة أرسطو وبالأفلاطونية الحديثة.

(2) أيمتنا: هكذا وردت، بالألف ثم الياء، عوضاً عن الهمزة، وسترد هكذا في السياق بصورة متواصلة.

فائدة منطقية:

مسألة: إعلَمْ أن بين الإمكان العام والإمكان الخاص، عموماً وخصوصاً مطلقاً، والعموم في الجانب الأول، لأن الإمكان العام سلبُ الضرورة عن الجانب المخالف، والإمكان الخاص عبارة عن سلبها عن الجانبين، ولا ريب أنها كلما سلبت عن الجانبين، سلبت عن الجانب المخالف إذ هو أحد الجانبين المسلوبة عنهما في الخاص، وليس كلَّما سلبت عن المخالف سلبت عن الجانبين لبقائها في الجانب الموافق بلا سلب، فاجتمعا في زيدٍ مثلاً، فإنه خاص لعدم الضرورة في وجوده وعدمه، وافترقا في العام، في الباري، لأن وجوده ضروريّ، فلم تسلب الضرورة عن جانب الوجود، وإن سلبت عن جانب العدم، إذ يسوغ أنَّ يقال إن عدمه ليس ضرورياً، والجواب فالإمكان العام كالجنس، لأنه سلب الضرورة عن الجانب المخالف وله فصلان:

أحدهما: سلب الضرورة عن الموافق، والجواب بتحقق الخاص.

والثاني: ثبوتها للجانب الموافق، والجواب بتحقق الواجب، كالبارد وحرارة النار، ولا يكون بدون أحدهما، إذ الجنس لا يستقر بدون فصل إذا انتقش هذا على صحيفة خاطرك اندفع الاعتراض عن قول المصنّفين من أهل الميزان، أو أمكنت، كما هي في عبارة السعد التفتازاني حيث يقول في «تهذيب المنطق»: المفهوم إذا امتنع فرض صِدْقه على كثيرين فجزئي، وإلّا فكُليّ امتنعت أفراده، أو أمكنت ولم توجد، أو وُجد الواجد إلخ. . .

ما ذُكر وتقرّر بالاعتراض أنه إما أن يريد بالإمكان من أمكنت العام أو الخاص، فإن أراد العام لزم جعل القسم قسيماً، لأن الممتنع قسم من الممكن العام، لأنه كما عرفت، سلب الضرورة عن الجانب المخالف.

فقولنا: النار حارة بالإمكان العام معناه أن البرودة لها ليست ضرورية بل هي ممتنعة كما أن الحرارة لها واجبة فبكون الواجب والممتنع قسمين في الإمكان العام وهو أصل المقسم وقد جعلوه قسيماً للممتنع وإن أرادوا الإمكان الخاص لزم جعل

القسيم قسماً إذ الخاص كما عرفت عبارة عن سلب الضرورة عن الجانبين، والجواب يخرج الواجب لأنه مسلوبة فيه عن الجانب المخالف، وإذا خرج الواجب عن الممكن دخل في الممتنع إذ لا ثالث لهما، وإذا دخل فيه صار قسماً منه بعد أن كان قسيماً، وكل من جعل القسيم قسماً وعكسه باطل بالبداهة، والجواب أن المراد من قولهم أو أمكنت العام المقيد بجانب الوجود والجواب يخرج الممتنع فلا يلزم المحذور لأن ذلك إنما كان من جهة دخوله الممكن العام، فإذا طُرح قيدنا بجانب الوجود خرج، فلا يلزم جعل القسم قسيماً أو من جهة إرادة الخاص لخروج الواجب فيلزم القسيم قسماً وحيث أراد العام المقيد بجانب الوجود دخل الواجب والخاص كلاهما وخرج الممتنع فاندفع الإشكال والله الموفق.

فائدة شعرية غريبة وفريدة:

للشيخ عبد الحسين الأعْسم بيتان مشهوران:

بِزُوّارِ الحُسَينِ خَلطتُ نَفْسي ... لِتُحْسَبَ هُمُ عندَ العَدادِ
فَإنْ عُدَّتْ فقد سَعِدَتْ وإلاّ ... فَقَدْ فازتْ بتكْثيرِ السَّوَادِ

قلتُ: إنشاء هذين البيتين ما حدثني به بعضهم قال: سمعت الشيخ عبد الحسين المذكور يقول: سَبب ذلك أنه كان في بغداد رجلٌ نصراني من التُّجار المُعتبرين، فجار عليه الدّهر حتى كثرت ديونه واستهلك أموالَه، فَطَلبه الغُرماء، فهرب على وجهه حتى ساقه القضاء إلى مَنَازل جماعة من عرب الشّيعة، فبقي عندهم مدّة من الزمان إلى أن جاء وقت زيارة الحسين عليه السلام، فذهب جماعة منهم إلى الزيارة، وكان ذلك النصراني قد صحبهم، كلُّ ذلك وهم لا يعلمون أنه نصراني، فلما وصلوا إلى الصحن الشريف وضعوا أمتعتهم في جانبٍ منه، وقال بعضهم لبعض: من يجلس عند الأمتعة حتى نزور القبر الشريف ونرجع؟ فقال النصراني: إنّي أنا أفعل ذلك، فلما ذهبوا أخذ به النّعاس فرأى في مَنَامه أنّ جماعة من الرجال يطوفون بالصّحن وعليهم أثر البهاء والجمال وهم يكتبون زُوَّار الحسين إلى أن فرغوا، فلما فرغوا جاءوا، وإذا برجل جالس كأنه أميرُهم فقال: ما صَنعتم؟ قالوا: كتبنا جميع الزّوار ولم يبقَ أحد، فقال لهم: قد بقي رجل عند أولئك الأمتعة،

فقالوا: إنه نصراني فكيف نكتبه مع زُوّار الحسين المُستوجبين الجنّة؟ فقال: اكتبوه، أليس قد كثَّر السّواد[1]؟ فانتبه الرجل وأدخل اللّه في قلبه حبّ الإسلام وأسلم، فأنشدت عند ذلك البيتين المذكورين.

❀ ❀ ❀

فائدة لغوية حسنة:

اشتهر على ألسنة الناس قراءة هذا المثل هكذا:

«وعند جُهَيْنة الخبرُ الصَّحيح»

جهينة، بالهاء، وفي القاموس[2] ذكره في باب (جفن) قال ما نصّه: وعند جفينة الخبر اليقين، هو اسم خَمَّار، ولا تَقُلْ جهينة.

أو قد يقال، لأن حُصين بن عمر بن كلاب خرج ومعه رجل من بني جُهينة يُقال له الأخنس، فقام الجهني إلى الكلابي فقتله وأخذ ماله، وكانت صخرة بنت عمر بن معاوية تبكيه في المواسم، فقال الأخنس:

تُسَائِلُ عَنْ حُصَيْنٍ كلَّ رَكْبٍ وعندَ جُهَيْنَةَ الخَبَرُ اليقينُ

❀ ❀ ❀

حديث الصبر

في «الكافي»[3] مسنداً إلى أبي عبد اللّهعليه السلام قال: إذا دخل الميت قبره كانت الصلاة عن يمينه والزّكاة عن يَسَاره والبِرُّ فُظَلِّلٌ عليه، قال: ويتنحّى الصبر ناحيةً، فإذا دخل عليه الملكان اللّذان يَليان مُسَاءَلَتهُ، قال الصبر للصلاة والزّكاة: دونكما صاحبكما فإنْ عجزتُما عنه فأنا دُونه.

❀ ❀ ❀

(1) **السواد**: عامة الناس، الشخص من الناس.

(2) **القاموس المحيط**، للفيروزآبادي، ويكتفى بالقاموس لشهرته.

(3) **الكافي**، كتاب في التفسير للسيد فضل اللّه بن علي الراوندي، انظر: **«الأعيان»** م1، ص 127.

قضية: بين عليٍّ وعمَّار (رض) وبين عثمان (رض)

وجدت في «إحقاق الحقّ» وغيره من كُتب الخاصّة والعامّة ما ملخّصه، أن رسول اللّه ﷺ قسّم بناء المسجد على أصحابه لمّا أراد بناءَهُ، فوضع مع كلّ رجلٍ رجلاً، وكان من جملة ذلك أن ضمَّ عمّاراً إلى[1] عليّ عليه السلام، فبينما عليّ وعمّار يبنيان، إذ مرَّ بهما عثمان بن عفّان، فلما أقبل ورأى الغبار، تقنَّعَ بثوبه، فقال عليّ لعمّار: إذا أنا قلتُ شيئاً فَقُلْ مثلي، فقال عليّ عليه السلام:

لا بأسَ في مَنْ يَعْمُرُ المَسَاجِدا — يظلُّ فيها قائماً وقاعدا

كَمَنْ يُرى عن الطريق حائدا

فردّ عليه عمّار بمثل ما قال، فقال عثمان لعمّار: أتقول هذا يا عبد يا لكَع[2]؟ ولم يقدر أن يقول لعليّ عليه السلام، فغضب عمّار من قوله، فقال علي عليه السلام لعمّار: لا تُخبرْ بذلك رسول اللّه، فلمّا جاء رسول اللّه ﷺ، أخبره عمّار بما قال عثمان، فقال له: من يشهد لك بذلك؟ فقال: عليّ، فاستشهده فشَهِدَ، فقال لعليّ: يا عليّ امْضِ حتى تقف على عثمان وقُلْ له: يا عبد يا لُكَع، أنت قلتَ لعمار: يا عبد يا لُكَع، فمضى عليه السلام وفعل ذلك.

❀ ❀ ❀

«كلام لبعض البلغاء»

نادرة: وكتب بعض الفصحاء إلى ابن أختٍ له: أنتَ ابن أُختي ما دام الحِبْر أليفُك والقِرْطاسُ حَليفَك، فإنْ تغيَّرتْ حالُك، وَلا أخالك، فغيّر خالكَ والسلام.

ومن أحسن ما سمعته في الرّثاء، ثلاثة أبيات لعبد المُحسن الصوري الشاعر الماهر:

قالوا أَلَمْ تحضرْ عَليّاً عندما — دَفَنُوهُ قلتُ هُناك بِئْسَ المَحْضَرُ

لا أستطيع أَرَى المَعَالي بَينكمْ — مَحْمولةً وأَرَى المَكَارِمَ تُقْبَرُ

ما كان أكثرَهمْ وأنتَ جَليسُهُمْ — وأَقلَّهمْ إذْ قَدّمُوكَ وكَبَّروا

❀ ❀ ❀

---

(1) **عمّار بن ياسر**: الصحابي المشهور.

(2) **لُكَع**: صفة الوسخ الأحمق.

غرائبُ لعلّها قريبة:

حكي عن الشّيخ بهاء الدين بن عبد الصَّمَد الحارثي الحمداني العاملي، عطَّر اللَّه مَرْقَده، أنه مرّ في أيّام سِيَاحته على بعض بلدان العجم، وكان قد اتفق ذلك في أيام الشتاء، فمرّ في تلك البلد فطلب الضّيافة، فأُرشد إلى منزل القاضي، فعرَّج عليه، فلما وصل قِيلَ له أنَّ امرأة القاضي حامل وهي مُعْسر قد صار لها أيّام في النّفاس، فقال الشيخ: أنا أكتب لها شيئاً بحيث تلد عاجلاً، فكتب بالفارسية حروفاً مُقطَّعة: «يخرج منها ما راجا ضرّ ما راجا زن قاضي خابزا خائزا» وفي نسخة بدل تزامَن، والأولى أضبط بحسب اللغة الفارسية، ومُلخّص المعنى بالعربية: أنا نزلت بمأوى وحماري نزل، وامرأة القاضي باختيارها ولدت أو لم تلد، فولدت من حين عُلّق عليها، قال من ذكر ذلك، أنه يُكتبُ ويُشدُّ على بَطنها، وقد جُرِّبَ فَوُجدَ صَحيحاً.

قلت: إن صحّ ذلك، فوجهه أنه من خَواص الحروف استخرجه رحمه اللَّه، فاتفق أن خرج منه هذا التركيب، وأمثال ذلك من خَواص الحروف كثير، ومنه ما عن مجريات الرئيس أبي علي بن سينا أنه يكتب على جبهة المُرْتعف من دم الرُّعاف: لُعِنَتْ امرأة تَقَوّدُ على بنتها.

❀ ❀ ❀

وأحسن ما سمعته في الكَسَل:

سالت اللَّه يجمعني بسَلْمى	**أَلَيْسَ اللَّه يَفْعَلُ ما يَشَاءُ**
ويبطحها ويَطرَحني عليها	**شبيه الزِّقّ يَحْمِلُهُ السَّقَاءُ**
ويأتي بعد ذاكَ سَحابُ غَيثٍ	**يُطَهِّرُنا وليس بنا عَنَاءُ**

❀ ❀ ❀

قيل لسقراط متى أثّرتْ فيكَ الحكمة؟ قال مُذْ حَقَّرْتُ نفسي.

من أمثال العرب:

قالوا شَتَم جَدْيٌ على سطح ذئباً تحته، فقال الذئبُ: لَمْ تَشْتمني أنتَ وإنما شتمني مكانك.

❀ ❀ ❀

عن يحيى بن معاذ: من أكل حتى شبع عُوقب بثلاث، أُلْقيَ الغطاء على قلبه والنُّعاس على عينيه والكسلُ على بَدنه.

❁ ❁ ❁

عن «ربيع الأبرار» للزمخشري، تقول العرب: إذا ظهر البَيَاض قلّ السَّواد، يُريدون بالسَّواد التّمر وبالبَيَاض اللّبن، ويعنون: إذا اتسع الخِصب وكثُر اللّبن قلَّ التّمر في تلك السنة وبالعكس.

❁ ❁ ❁

حكى الشيخ بهاء الدين العاملي في كتابه المسمّى بالكَشْكول نقلاً عن «شرح الأسباب» ما صورته: حكى المسيحي أنّ رجلاً عَظمتْ خِصْيَتَاه في دمشق حتى كان كيسهما قدر المِخَدّة الكبيرة، وتعذّرتْ عليه الحركة، وجاء إلى البيمارستان وطلب المعالجة من الجَرَّاحة، وأنهم أمْسَكوا عن معالجته خوفاً من موته، ثمَّ إنه حضر إلى دار العدل وسأل نائب السلطنة أن يأمرهم بالمعالجة بقطعهما، وبقي أياماً قلائلَ ثم مات، وعند قطعهما، وزنوهما فكان وزنهما سبعة عشر رطلاً بالدّمَشْقي، والرطل ستمائة درهم.

❁ ❁ ❁

وفي «الكشكول» رُوي أن موسى عليه السلام لما سمع كلام اللّه تعالى، كان كلما سمع كلام أحد أخذه الغَثَيان.

❁ ❁ ❁

خَواصٌّ غريبة

1 ـ وفي «الكشكول» قال العلّامة في شرح «القانون» في بحث البول: «ومن الأبوال العجيبة ما ذكره ابن مطران في «بستان الأطباء» أن بول المسعور[1]، وهو من ضَرَبه السَّموم، إذا أُلقيَ في الماء ظهرت أجزاء صغار، لا يشكّ النّاظر أنها جِراء كلاب، فإنْ صُفّي الماء، في خرقة لم يوجد لها عين ولا أثر، وإنْ أُعيد الماء في الزجاجة ثم نُظر إليه رُؤيت تلك الجراء ظاهرةً مرةً ثانية». قال: وهذا من العجائب،

(1) **المسعور**: المُصاب بداء الكَلَب.

قال صاحب «الكشكول»: وهو كذلك ولا يمكن أن يُعَلَّلَ بغير الخاصيّة.

❁ ❁ ❁

2 ـ **وفي «الكشكول»** عن كتاب «لسان المحاضرات»، أتى بعض السُّوقة برجل إلى أبي حنيفة وقالوا: وجدنا معه طنبوراً فأقِمْ عليه الحدّ، فقال لهم: لا حدَّ عليه، فقالوا له كيف ذلك وقد وجدنا معه آلة الفِسْق؟ فقال أبو حنيفة: معه آلة الزّنى، فانقطعوا وانصرفوا.

❁ ❁ ❁

3 ـ **وفيه** عن بعض الحكماء: «لكل شيء راحة، وراحة الثَّوْب طيّه وراحة البيت كَنْسه».

❁ ❁ ❁

4 ـ **وفيه** من كلامهم: كل إناء فرَغت فيه شيئاً يضيق إلّا القلب، كلما فُرِّغ فيه من العلم اتّسع.

❁ ❁ ❁

ومن كلامهم: «الإغراق في الاعتذار يُحقِّق التُّهمة».

حكاية بعير الأعرابيِّ

ومنه ضلَّ لأعرابي بعير، فحلف إنْ وجده أن يبيعه بدرهم واحد، فوجده فلم يحتمل قلبه أن يبيعه بذلك الثمن، فعمد إلى سنّور[1] وعَلَّقه في عنقه وأخذ يُنادي: الجمل بدرهم والسّنّور بخمسمائة، ولا أبيعهما إلّا معاً، فمرّ به بعض الأعراب فقال: ما أرخص الجمل لولا القلادة.

❁ ❁ ❁

ولبعضهم: «مَثَلُ الرزق الذي تطلبه. مثل الظلّ الذي يمشي معك. أنت لا تدركه مُتَّبعاً. وإذا ولّيت عنه تبعك».

❁ ❁ ❁

(1) **السنّور**: من أسماء القطط.

الخلفاء العباسيون: نُبذة مفيدة

تُحدِّدُ عدد خلفاء العبَّاسيين ومدة أعمارهم وسني خلافتهم ومن قتل منهم خلع عن «كشكول» البهائي. (انظر: المنجد في اللغة والأعلام).

السَّفاح عاش 33 سنة. خلافته 8 سنوات وأربعة أشهر	المنصور عاش 63 سنة خلافته 22 سنة	المهدي عاش خلافته 11 سنة و45 يوماً	الهادي عاش 26 سنة خلافته 1 سنة و52 يوماً	الرَّشيد عاش 48 سنة خلافته 23 سنة وشهران و18 يوماً	الأمين عاش 48 سنة خلافته 3 سنوات وشهران و18 يوماً
المأمون عاش 48 سنة خلافته 20 سنة و3 أشهر و18 يوماً	المعتصم عاش 68 سنة خلافته 8 سنوات و8 أشهر و8 أيام	الواثق عاش 27 سنة خلافته 5 سنوات وتسع أشهر و10 أيام	المتوكّل عاش 44 سنة خلافته 14 سنة و11 شهراً و15 يوماً	المنتصر عاش 29 سنة خلافته 6 أشهر	المستعين عاش 29 سنة خلافته 3 سنوات و8 أشهر و28 يوماً
المعتزّ عاش 44 سنة خلافته 3 سنوات و6 أشهر و23 يوماً	المهتدي عاش 26 سنة خلافته 11 شهراً	المعتمد عاش 48 سنة خلافته 23 سنة و3 أيام	المعتضد عاش 49 سنة خلافته 4 سنوات و9 أشهر 3 أيام	المكتفي عاش 33 سنة خلافته 4 سنوات و6 أشهر و19 يوماً	المقتدر عاش 38 سنة خلافته 24 سنة و11 شهراً و16 يوماً
القاهر عاش 30 سنة خلافته سنة و6 أشهر و6 أيام	الرّاضي عاش 32 سنة خلافته 4 سنوات و10 أشهر	المُتّقي عاش 49 سنة خلافته 4 سنوات و11 شهراً	المُسْتَكْفي عاش 46 سنة خلافته 4 سنوات و4 أشهر	المُطيع عاش 42 سنة خلافته 29 سنة و5 أشهر	الطّائع خلافته 17 سنة و28 شهراً و6 أيام
القادر خلافته 41 سنة و3 أشهر و20 يوماً	القائم عاش 76 سنة خلافته 44 سنة و25 يوماً	المقتدي عاش 38 سنة خلافته 19 سنة و8 أيام	المستظهر عاش 41 سنة خلافته 14 سنة و3 أشهر و11 يوماً	المسترشد عاش 41 سنة خلافته 23 سنة و23 يوماً	الرّاشد خلافته 11 شهراً و11 يوماً
المقتفي عاش 46 سنة خلافته 24 سنة و3 أشهر و16 يوماً	المستنجد عاش 46 سنة خلافته 11 سنة و7 أيام	المستضيء عاش 39 سنة خلافته 9 سنوات و10 أشهر و28 يوماً	النّاصر عاش 69 سنة خلافته 46 سنة و10 أشهر	الظاهر عاش 69 سنة خلافته 9 أشهر و14 يوماً	المستنصر عاش 39 سنة خلافته 16 سنة و11 يوماً
					المستعصم عاش 46 سنة خلافته 15 سنة و9 أشهر

[العبّاسيون: سُلالة حكمت في بغداد (132هـ ـ 656هـ) وكان منها 37 خليفة، شعارهم الرّاية السوداء، بلغت الأمبراطورية الإسلامية في عهدهم أوجها.

ينحدر أفرادها من العبّاس بن عبد المطّلب عمّ النبي. وقد اندلعت الثورة العباسية في خراسان بقيادة أبي مسلم الخراساني بعد نصف قرن من الدعاية السّرية، فَنُودي بأبي العباس السَّفّاح خليفة بعد وفاة أخيه إبراهيم بن محمد بن علي، وتعقّب العبَّاسيون بَقَايا الأمويين وقتلوا مروان بن محمد الثاني آخر خلفاء الأمويين في الشام وقضوا على دولتهم. وكان سقوط بغداد على يد المغول ومقتل آخر الخلفاء العباسيين المستعصم سنة 656هـ] 1242م ـ 1258م[1].

انظر: المنجد في اللغة والأعلام

شَذْرة دُرَر:

1 ـ أرسل الصدوق[2] في كتاب «من لا يحضره الفقيه» قال: «دخل رسول اللّه ﷺ على خديجة عليها السلام فقال لها: بالرّغم مني، ما تُرى بكِ يا خديجة، فإذا قدمتِ على ضَرَائرك فأقريهنّ السلام. فقالت: ومن هنَّ يا رسول اللّه؟ فقال: مريم بنت عمران وكلثم أخت موسى وآسية امرأة فرعون. فقالت: بالرّضا يا رسول اللّه.



2 ـ من «الكشكول»:

لما ماتت ليلى وأتى المجنون الحيّ، سأل عن قبرها فلم يُهدَ إليه، فأخذ يشمّ تُراب كلَّ قبرٍ يمرّ به حتى شمّ تُراب قبرها فعرفه وأنشد:

أَرَادوا لِيُخفوا قَبْرَها عن مُحِبِّها ... وطِيْبُ تُرَابِ القَبر دَلَّ على القبرِ

(1) **انظر**: المنجد للأعلام.

(2) **الصدوق**: هو أبو جعفر محمد بن علي بن بابويه القمّي المعروف بالصدوق، له كتاب «من لا يحضره الفقيه» فيه 9044 حديثاً، وله كتاب «الأمالي» والصدوق أحد العلماء الأربعة المعروفين بأصحاب الكتب: الكليني والصدوق والطوسي؟

ثم لم يزلِ يُكرّر هذا البيت حتى مات إلى جنبها.

3 ـ **قال بعض العُرفاء**: أَقِلَّ من معرفة الناس، فإنك لا تدري حالك يوم القيامة، فإن تكنْ فضيحة كان من لا يعرفك قليلاً.

4 ـ كانت **الرّباب بنت امرئ القيس** إحدى زوجات الحُسين عليه السلام وشهدت معه الطفّ وولدت منه سكينة، ولما رجعت إلى المدينة خطبها أشراف قريش فأبَتْ وقالت: لا يكون لي حمٌ بعد رسول اللّه، وبقيت بعده عليه السلام لمَّا يُظلها سقف حتى ماتت.

5 ـ نقل في «الكشكول» من كتاب «**نُزهة القلوب**» وغيره، أن بنتاً كانت في (قمشة) إحدى ولايات أصفهان، فَزُوّجتْ، فحصل لها ليلة الزفاف حكّة في عانتها، ثم خرج لها في تلك الليلة ذكر[1] وأُنثَيان[2] وصارت رجلاً وكان في زمن السلطان خَدَابَنْده.

6 ـ وفي «**الكشكول**»: سمع أمير المؤمنين عليه السلام رجلاً يحلف: «والذي احتجب بسبع سماوات ما كان كذا» فقال له: ويلك إن اللّه لا يحجبه شيء، فقال الرجل: أُكفّر عن يميني؟ فقال عليه السلام: لا، لأنك حلفت بغير اللّه والحالف بغير اللّه لا يلزمه الكفّارة.

7 ـ وفيه قال بعض الظرفاء: السُّوقي إذا وَزَن عمله يوم القيامة فلا بدّ أن يقول: حَوِّلوه إلى كفّة أخرى، ففي الميزان عين.

8 ـ وفيه عن «**إحياء العلوم**» للغزالي عن الصادق عليه السلام: «مَوَدَّةُ يوم صِلَة ومودَّة شهر قَرابة، ومودةُ سنة رَحِمٍ للّه مَنْ قطعها قطعه اللّه»[3].

---

(1) **ذكرٌ**: يُقصد به قضيب الرجل.

(2) **أَنثيان**: يقصد بها خصيتان هنا.

(3) **أبو محمد حامد محمد الغَزّالي**، ويقولون الغَزّالي من طوس، ولد سنة 1059م وتوفي 1111م، له كتاب **إحياء علوم الدين**، وكتاب **تهافت الفلاسفة**، حارب الفلاسفة وانصرف إلى الحياة الصوفية.

9 ـ لما **مات جالينوس**[1]، وُجد بجيبه رقعة فيها مكتوب: «**أحمق الحمقاء** من يملأ بطنه من كلّ ما يجد، فما أَكَلْتَهُ فلِجِسْمك، وما تصدّقت به فَلِروحك، وما خلّفته فَلِغيرك، والمُحسنُ حيٌّ وإن نُقِل إلى دار البِلى، والمُسيء ميّتٌ وإنْ بقي في الدنيا، والقناعة تستر الخِلَّة وبالصبر تُدرَكُ الأمور، وبالتدبير يكثر القليل، ولم أرَ لابن آدم شيئاً أنفع من التوكل على اللّه تعالى».

دخل ابن النّبيه[2] على الصّاحب صفيّ الدين فوجده قد حُمَّ بقشعريرة فقال:

تَبّاً لِحُمّاكَ التي أضنَتْ فؤادي وَلَهَا
هل سألَتْكَ حاجةً فانت تَهْتزّ لَهَا

❁ ❁ ❁

10 ـ نقل في «**الكشكول**» عن «أمالي» بن بابويه: كتب هارون الرشيد إلى أبي الحسن موسى بن جعفر عليه السلام، عِظْني وأَوْجِزْ، فكتب إليه: «ما من شيء تَراه عينُك إلّا وفيه موعظة».

11 ـ من كلام سمنون المُحبّ: أوّل وِصَال العبد للحقّ هُجْرانُه لنفسه، وأول هُجران العبد للحقّ مُوَاصلتُه لنَفْسه.

12 ـ قال بعض الشعراء إلى شخص تأخّر وعده:

أبا أحمدٍ لَسْتَ بالمُنْصِفِ إذا قُلْتَ قَوْلاً فَلِمْ لا تَفِ
فَأنجِزْ لَنا كُلّما قَدْ وَعَدْتَ وإلاّ أخِذْتَ وأُدْخِلْتَ في[3]

---

(1) **جالينوس**: (131م ـ 201)، طبيب يوناني ائتمّ به أئمة أطباء العرب، له اكتشافات في عالم التشريح.

(2) هو كمال الدين علي بن محمد بن الحسن، من شعراء مصر، مدح الأيوبيين وتولّى ديوان الإنشاء للملك الأشرف موسى، توفي سنة 619هـ.

(3) عند الشعراء، ما يُسمّى بالاكتفاء، فهنا مثلاً: «**أُدخلتَ في**: اكتفى بها الشاعر عن القول:» أُدخلت في النار.

13 ـ عن الشيخ **مُحيي الدين بن عربي**[1] قال في «الفتوحات المَكّية»: «إن للّه خليفة من وُلْد فاطمةعليها السلام يُواطي اسمه اسم رسول اللّهﷺ، جَدُّه الحسين بن عليعليه السلام يُبايَعُ بين الرّكن والمقام، يُشبه رسول اللّه في الخَلْق وينقص عنه في الخُلُق، أسعدُ الناس به أهلُ الكوفة، يعيش خمساً أو سبعاً أو تسعاً، يضع الجِزية ويدعو إلى اللّه بالسيف، ويرفع المذاهب عن الأرض فلا يبقى إلّا الدين الخالص، وأعداؤه مقلّدة الفقهاء (العلماء به) أهل الاجتهاد، لما يرونه من الحكم بخلاف ما ذهبتْ إليه أئمتهم، فيدخلون تحت حكمه خوفاً من سَيْفه، يفرح به عامة المسلمين أكثر من خَواصّهم، يُبايعُه العارفون من أهل الحقائق عن شهود وكشفٍ بتعريف إلهيّ، له رجال إلهيون يقيمون دعوته وينصرونه، ولولا أنّ السيف بيده، لأفْتَى الفقهاء بقتله، ولكنّ اللّه تعالى يُظهره بالسيف والكرم فيُطيعون ويَخَافون ويقبلون حُكْمه من غير إيمان، بل يُظهرون خلافه ويعتقدون فيه، إذا حكم فيهم بغير مذهبهم، أنه على ضَلالة في ذلك الحكم، لأنهم يعتقدون أنّ الاجتهاد قد انقطع وما بقي مُجتهد في العلم، وأنّ اللّه لا يوجد بعد أئمّتهم أحداً له درجة الاجتهاد». (انتهى).

ولعلّ هذا الكلام هو الذي دعا شيخنا البهائي رحمه اللّه إلى الحكم بتشيّع هذا الرجل ولا يخلو عن تأمّل، واللّه أعلم بالسَّرائر.

❀ ❀ ❀

14 ـ عن **الفيروزآبادي** أنه قال في «القاموس»: سبب احتراز الناس من السَّفر في شهر صَفَر، وقوع الواقعة العظمى بين عليّعليه السلام ومعاوية، في صفّين، فإنها كانت في غُرّة صفر سنة سبع وثلاثين من الهجرة..

15 ـ عن **الزّهري** قال: «الليلة التي قُتل الحسين في صبيحتها، لم يُرفع في

---

(1) **ابن عربي**، محيي الدين، محمد بن علي الحاتمي الطّائي، (ت 638هـ ـ 1240م)، ولد في مدينة الأندلس، وتوفي بدمشق، ودفن بسفح جبل قاسيون، صوفي، يلقّب بالشيخ الأكبر، أقام 20 عاماً في أشبيلية ثم رحل إلى الشرق، كان ظاهرياً في العبادات باطنياً في الاعتقاد. له 400 مصنّف أشهرها **«الفتوحات المكّية في معرفة الأسرار المالكية والملكية»**

بيت المقْدس حجرٌ إلّا وُجد تحته دَمٌ عبيط». قلتُ: هذا في أخبار أصحابنا أشهر من أن يُذكر.



فائدة في أوقات الاستخارة:

اعلمْ أنه وردت روايات خاصة في ذكْر أوقات مخصوصة للاستخارة، لكن الذي عليه عامة الناس وأكثر من شاهدناه من العلماء، بل ومن سمعنا عنه ولم نُشاهده، على حُسْن الاستخارة في كلِّ وقت ويحملون الرّوايات المُشار إليها على تأكّد الإستخيار وبيان الأفضلية، كما هو شأنهم في كثير من القيود الواردة في المُستَحبّات، وذهب شيخنا المظفّر، الشيخ مُحسن ابن الشيخ محمد حنفي إلى عدم مشروعيتها في غير الأوقات المخصوصة، عملاً بالرّوايات الخاصة وتحكيمها على العامة، كما هي القاعدة من حَمْل العام على الخاص وتفصيل الأوقات، على ما أفتاني، أدَامه اللّه تعالى مُشافَهةً هكذا:

يوم الأحد من الفجر إلى الظهر جيد، ومنه إلى أول العصر رديء، ومن العصر إلى الليل جيّد.

ليلة الأحد كلها غير جيّدة.

يوم الاثنين من الصبح إلى طلوع الشمس جيد، ومنه إلى الضحى رديء، ومنه إلى الظهر جيد، ومنه إلى العصر رديء، ومن العصر إلى الليل جيد، **وليلته** من المغرب إلى الصبح رديئة.

يوم الثلاثاء من الصبح إلى الضحى رديء، ومنه إلى الظهر جيد، ومنه إلى العصر رديء، ومنه إلى الليل جيد. **ليلة** الثلاثاء من المغرب إلى العشاء الآخر وإلى النوم جيد، ومن بعده إلى الصبح رديء.

يوم الأربعاء جيد إلى زوال الشمس، ومنه إلى العصر رديء، ومن العصر إلى الليل جيد، ليلته كليلة الثلاثاء.

يوم الخميس جيد إلى طلوع الشمس، ومن الزّوال إلى الليل وما بينهما رديء، وليلته كسابقتيها.

يوم الجمعة جيد إلى طلوع الشمس، ومنه إلى الزوال رديء، ومنه إلى العصر جيد، ومنه إلى الليل رديء، وليلتها كسابقاتها. يوم السبت جيد إلى الضحى، ومنه إلى الظهر رديء، ومنه إلى العصر جيد، ومنه إلى آخر النهار رديء، **وليلته** كسوابقها.



فائدة في الاجتهاد:

قال السيد المرتضى علم الهدى في ما جمعه من كلام شيخه المفيد في المجالس، قال الشيخ أدام اللّه عزّه، قال أبو القاسم الكعبي في كتاب الغرر، إن سأل سائل فقال: من أين أُثبت الاجتهاد؟ قلنا لأنّا قد وجدنا كل مبطل له قد صار في ما أقامه مقامه إلى الاجتهاد، في أنه أبطل الاجتهاد وأوجب الوقوف في الحادث وأوجب الأخذ بقول الإمام حسب ما يقوله الرافضة، يعني الإمامية، قال: فهو على كل حال قد صار إلى الاجتهاد لأن إيجابه الوقوف حُكْمٌ حكم به، وكذلك الأخذ بقول الإمام لم ينص اللّه عليه ولا نصّ عليه رسول اللّهﷺ، فلما كان هؤلاء إنما أبطلوا الاجتهاد من هذه الجهة، كانوا مصحّحين له من حيث لا يشعرون ومُثبتين له أنه لا بدّ من الاجتهاد.

قال الشيخ، أدام اللّه تعالى عزّه، فيُقال له: خبّرنا عمّن أثبت الأصول عندك من جهة الاجتهاد وأبطل النص فيها ولم يُعتمد عليه، وزعم أن الاجتهاد طريق إلى العلم بها، أيكون النظر أصلاً في إبطال مقاله، أمْ لا سبيل إلى الرّد عليه إلّا من جهة التوقيف، فإن قال: لا سبيل إلى كسر مذهبه إلّا من جهة التوقيف، قيل له: قد كان العقل إذاً يجيز وضع الشرائع كلها من جهة الاجتهاد، وهذا خلاف مذهبك وما لا يُعلم أن أحداً من الفقهاء ولا أهل العلم كافة ركبه، على أن صحة السمع لا يخالف أن تكون معروفة من جهة النظر أو الخبر، فإن كانت معروفة من جهة الخبر،

فحكم صحّة الخبر كحكمها، وهذا يؤدي إلى ما لا نهاية له، وإن كانت معروفة بالنظر، فقد ظفرنا بالبغية في إلزامك ذلك وأن للقائل الذي قدمنا ذكره أن يستدل على صحة مقاله بمثل استدلالك، فيقول: وجدت كل من أبطل الاجتهاد في استخراج هذه الأحكام يضطره الأمر في ذلك إلى الاجتهاد لأنه إن استعمله مبتدئاً فيه فضرورته إليه ظاهرة وإن استعمل النص والاجتهاد والاحتجاج بالإجماع فإنما يُصححها بالاجتهاد، فهو مضطر في أصل ما اعتمد إلى الاجتهاد، وهذا نظير ما قلت يا أبا القاسم لمخالفيك في الاجتهاد في الفروع عندك مع أنها أصول عندهم، لا مجال للاجتهاد فيها ولا فضل في ذلك على أنه يقال له: ما أبين غفلتك، أنت تزعم أن الاجتهاد في الأحكام له حدٌ يمنع من الحكم على الذاهب عنه بالضلال، ومبطلو الاجتهاد إنما أبطلوه بضرب من النظر والاستدلال، حكموا على الذاهب عنه بالضلال، فمن أين صار ما أبطله القوم من الاجتهاد عندك هو الذي صحّحوه. وما صحّحوه هو الذي شهدوا بفساده لولا سهوك عن الحق، واعلم رحمك اللّه أن الذي يذهب إليه هذا الرجل ومن شاركه في خلافنا في الحكم بالنص، ليس هو اجتهاد في الحقيقة، بل هو حدس وترجيم وظن فاسد لا يُنتج يقيناً ولا يولد علماً، ولو اعترفنا لهم بأنهم مجتهدون لما لُمْناهم على فعلهم، لكننا نعتقد أنهم مقصّرون ومفرطون تائهون ضالّون، ومن أطلق لفظه بالرّد على أهل الاجتهاد في الأحكام، فإنما أطلقه مجازاً لأن القوم قد شهروا أنفسهم بهذه الصفة حتى صارت كالعلم لهم وإن كانوا بالضّد منها، لجرت لهم مجرى سِمَة المهلكة بالمفازة وكاللذيع بالسّليم وعن الشمس بالجونة وما أشبه ذلك. فَتَأَمَّلْه ترشد إن شاء اللّه تعالى.



أحاديث شريفة:

1 ـ روى الكليني في الحسن عن هشام بن سالم والخزار عن أبي عبد اللّه عليه السلام قال: جاء الفقراء إلى النبي صلى الله عليه وآله فقالوا: يا رسول اللّه، إن الأغنياء لهم ما يحجّون وليس لنا، ولهم ما يعتقدون وليس لنا، ولهم ما يتصدّقون وليس لنا. فقال صلى الله عليه وآله: «من كبّر اللّه عزّ وجلّ مائة مرة، كان أفضل من سياق بُدْنِهِ، ومن حمد اللّه مائة مرة كان أفضل من حملان مائة فرس في سبيل اللّه سَرْجها ولجمها ورَكِبها، ومن قال: لا إله

إلّا اللّه مائة مرة كان أفضل الناس عملاً ذلك اليوم، إلّا من زاد».

قال: فبلغ ذلك الأغنياء فصنعوه. قال: فعاد الفقراء إلى النبيﷺ فقالوا: يا رسول اللّه قد بلغ الأغنياء ما قلتَ فصنعوه، فقال رسول اللّهﷺ ﴿ذَٰلِكَ فَضۡلُ ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُۚ﴾[1].

• في «مزار البحار» وغيره:

2 ـ عن زين العابدينعليه السلام أنه قال: «ما أُبالي إذا قلت هذه الكلمات ولو اجتمعت عليّ الجنّ والإنس وهي: بسم اللّه وباللّه ومن اللّه وإلى اللّه وفي سبيل اللّه، اللّهم إليك أسلمتُ نفسي وإليك وجّهتْ وجهي وإليك فوّضت أمري، فاحفظني بحفظ الإيمان من بين يديّ ومن خلفي وعن يميني وعن شمالي ومن فوقي ومن تحتي، بحولك وقوّتك، فإنه لا حول ولا قوة إلّا باللّه العليِّ العظيم».



• وفي «المزار أيضاً:

3 ـ إذا خفت جنّاً أو شيطاناً فقُلْ: «يا اللّه الإله الأكبر القاهر بقدرته جميع عباده، المُطاع بعظمته عند كل خليقته والمُمْضي مشيئته لسابق قدرته، أنت الذي تكْلأ ما خلقتَ بالليل والنهار، ولا يمتنع من أردتَ به سوءاً بشيء دونك من ذلك السوء، ولا يحول أحدٌ دونك بين أحد وبين ما تريده من الخير، كلّ ما يُرى وما لا يُرى في قبضتك، وجعلت قَبَائل الجنّ يَروننا ولا نراهم، وأنا لكيدهم خائف، فأَمِّنِّي من شرّهم ومن بأسهم بحق سلطانك العزيز يا عزيز».

❀ ❀ ❀

• وفيه أيضاً:

4 ـ عن الكامل محمد بن عبد اللّه عن أبيه عن أبي عبد اللّه البرقي عن بعض أصحابنا قال: دَفعتُ إلى امرأة غَزْلاً فقالت: ادفعه في مكة لِيُخاط به كسوة الكعبة، قال: فكرهت أن أدفعه إلى الحَجَبَةِ وأنا أعرفهم، فلما صرنا في المدينة، دخلت

(1) سورة الحديد، الآية: 21.

على أبي جعفر عليه السلام فقلت: جُعلتُ فداك، إن امرأة أعطتني غزلاً فقالت: ادفَعْه بمكة لتخاط به كسوة الكعبة فكرهت أن أدفعه إلى الحَجَبَةِ، فقال: اشتر به عسلاً وزعفراناً وخذْ من طين قبر الحسين عليه السلام واعجنه بماء السماء واجعل فيه من العسل والزعفران وفرّقه على الشيعة لِيداووا به مرضاهم.

❀ ❀ ❀

5 ـ ● نقلَ أبي وجماعة عن سعد اليقطيني عن محمد بن إسماعيل البصري عن بعض رجاله عن أبي عبد اللّه عليه السلام قال: «طينُ قبر الحُسين شِفاء من كل داء، وإذا أكلته فقُلْ: اللّهم اجْعله رزقاً واسعاً وعلماً نافعاً وشِفاءً من كلّ داء، إنّك على كلّ شيءٍ قدير».

❀ ❀ ❀

6 ـ وروى لي بعض أصحابنا، يعني محمد بن عيسى، قال نَسيتُ إسنادَه، قال: إذا أكلتَهُ تقول: «اللّهمَّ ربّ هذه التربة المُباركة ربّ الوصيّ الذي وَارَتْه، صلّ على محمد وآل محمد واجْعلهُ شِفاءً من كلّ داء».

7 ـ ● نقل محمد بن أحمد بن الحسين العسكري عن الحسن بن علي بن مهزيار عن أبيه عن ابن أبي عُمير عن محمد بن مروان عن أبي حمزة الثمالي قال، قال الصادق عليه السلام: إذا أردتَ حَمْل الطين، طين قبر الحسين عليه السلام، فاقْرأ فاتحة الكتاب، والمعوّذتين[1]، وقلْ هو اللّه أحد، وقُلْ يا أيها الكافرون، وإنّا أنزلناه، ويَس، وآية الكرسي، وتقول: «اللّهمّ بحقّ «عبدك محمد وحبيبك» و«نبيّك ورسولك وأمينك» و«بحق أمير» المؤمنين عليه السلام عبدك وأخو رسولك وبحقّ فاطمة بنت نبيّك وزوجة وليّك وبحق الحَسَن والحُسين عليهما السلام وبحقّ الأئمّة الراشدين عليهم السلام وبحق هذه التربة وبحق الملك الموكّل بها وبحق الوصيّ الذي هو فيها وبحقّ الجسد الذي تضمّنت وبحق السبط الذي ضمّت وبحقّ جميع ملائكتك وأنبيائك ورُسُلك، صلّ على محمد وآل محمد واجعلْ هذا الطين شفاءً لي ولمن يستشفي به من كلّ داء

(1) سورتي: الفلق والناس من القرآن.

وسُقْم وآفة وعاهة ومن جميع الأوجاع كلها، إنك على كل شيء قدير». وتقول: «اللّهمّ ربّ هذه التربة المُباركة المَيْمونة والمَلَك الذي هبط بها والوصيّ الذي هو فيها، صلّ على محمد وآل محمد وسلّم، وانفعني بها إنك على كل شيء قدير».

❁ ❁ ❁

8 ـ نقل الحسن بن عبد اللّه بن محمد عن أبيه عن ابن محبوب عن مالك بن عطيّة عن أبيه عن أبي عبد اللّه عليه السلام قال: «إذا أخذت من تربة المظلوم عليه السلام ووضعتها في فيك، فَقُلْ: اللّهم إني أسألك بحقّ هذه التربة وبحقّ المَلَك الذي قبضها والنبيّ الذي حضّنها والإمام الذي حلَّ فيها، أن تُصلّي على محمد وآل محمد وأن تجعل لي فيها شفاءً نافعاً ورزقاً واسعاً وأماناً من كل خوف وداء»، فإنه إذا قال ذلك، وهب اللّه تعالى له العافية وشفاه.

❁ ❁ ❁

• فائدة شريفة: رسالة إلى اللّه

1 ـ ذكر المجلسي وغيرُه، من الرُّقاع التي تُكْتب لقضاء الحوائج ما يلي: عن الهادي أبي الحسن العسكري عليه السلام يُكتب: «بسم اللّه الرحمن الرحيم، إلى اللّه الملك الدّيان الرؤوف المَنَّان الأحد الصّمد، من عبده الذليل البائس المُستكين فلان بن فلان، اللّهم أنت السّلام ومنك السلام وإليكَ يعود السلام، تَبَاركت وتَعاليت يا ذا الجلال والإكرام وصَلوات اللّه على محمد وآله وبركاته وسلامه.

أما بعد:

فإنّ من يحضرنا من أهل الأموال والجاه قد أسعدوا من أموالهم وتقدموا بسعة جاههم في مصالحهم ولمّ شؤونهم وتأخر المستضعفون المقلون مِمَّنْ تنجز حوائجهم لأبواب الملوك ومطالبهم فيا من بيدك نواصي العباد أجمعين، ويا مقرَّ الولاية للمؤمنين ومُذِلّ العُتاةِ الجبارين، أنت ثقتي ورجائي، وإليك مهربي وملجأي، وعليك توكُّلي، وبكَ اعتصامي وعياذي، فألِنْ يا رب صَعْبه، وسخّر لي قلبه ورُدَّ عنّي نافره،

واكفني بَوائقَه، فإن مقادير الأمور بيدك وأنت الفعّال لما تشاء، لك الحمد وإليك يصعد الحمد، ولا إله إلّا أنت سبحانك وبحمدك، تمحو ما تشاء وتثبت، وعندك أمّ الكتاب، وصلى اللّه على محمد وآله الطيّبين والسلام عليهم ورحمة اللّه وبركاته».

❀ ❀ ❀

2 - روى بعض موالي العسكري[1] أنه كتب إليه يُعْلِمُهُ ما فيه من البلاء، وكان في حَبْس المتوكل، وكان المتوكل قد جَهَر يستوعده بالعقوبة، فاستعدّ له أهل الثروة بالتحف ولم يكن عند الرجل شيء، فأمره الهادي[2] عليه السلام بكتابة هذه القصة، فكتبها ليلاً في ثلاث رقاع وأخفاها في ثلاث أماكن، فما كان إلّا عند انبساط الشمس حتى فرَّج اللّه، تعالى عزّ وجلّ، عنه بِمَنِّه ولُطفه والحمد للّه تعالى.

❀ ❀ ❀

دعاء شريف، نافع جداً إن شاء اللّه:

هذا الدّعاء المُتضمّن للتوسّل بكلّ واحد من الأئمة عليهم السلام، وهو على ما في «البحار»، لِمَا جُعل له: «اللهمّ صَلِّ على محمد وأهل بيته، وأسألك اللهمّ بحقّ محمد وابنته وابنيها الحسن والحسين عليهم السلام، إلّا أعنتني بهم على طاعتك ورضوانك، وبلّغتني بهم أفضل ما بَلَّغته أحداً من أوليائهم في ذلك، وأسألك بحق وليّك أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام، إلّا انتقمت لي ممّنْ ظلمني وكفيتني به مؤونة من يُريدني بِظُلم، أبداً ما أبقيتني، وأسألك بحقّ وليّك عليّ بن الحسين عليه السلام إلّا كفيتني ونجّيتني من جور السلاطين ونَفْث الشياطين، وأسألك اللهمّ بحقّ وليّك محمد بن علي وجعفر بن محمد عليهما السلام إلّا أعنتني بهما على أمر آخرتي بطاعتك، وأسألكَ اللهمّ بحقّ وليّكَ العبد الصالح موسى بن جعفر الكاظم غيظه عليه السلام إلّا عافيتني ممّا أخافه وأحذره على بصري وجميع سائر جسدي وجَوارح بدني ما ظهر منها وما بطن من جميع الأسقام والأمراض والأعلال والأوجاع بقدرتك يا أرحم الراحمين، وأسألك اللهمّ بحق وليّك علي بن موسى الرضا عليه السلام إلّا أنجيتني به،

---

(1) العسكري الإمام الحادي عشر من أئمة الشيعة الإمامية.

(2) الإمام العاشر.

وسَلَّمتني مما أخافه وأحذره في جميع أسفاري في البراري والقفار والأودية والغياض والبحار، وأسألك اللهمّ بحق وليِّك أبي جعفر الجوادعليه السلام إلّا جُدتَ به من فضلك وتفضّلت عليّ به من وُسعك ما أستغني به عما في أيدي خَلقك، وخاصةً يا ربّ لئامهم، وبارك لي فيه وفي ما لك عندي من نِعَمكَ وفضلكَ ورزقكَ، إلهي انقطع الرجاء إلّا منك، وخابت الآمال إلّا فيك، يا ذا الجلال والإكرام، أسألك بحق مَنْ حقّه عليك واجب، أن تصلي على محمد وأهل بيته وأن تبسط عليّ ما حظرته من رزقك، وأن يُسَهِّل ذلك ويُيَسِّره في خير منك وعافية، وأنا في خفض عيش ودعة، يا أرحم الرّاحمين، وأسألك اللهمّ بحقّ وليِّك عليّ بن محمدعليه السلام[1] إلّا أعنتني على قضاء نَوَافلي، وبَرّ إخواني، وكمال طاعتك، وأسألك اللهمّ بحقّ وليِّك الحسن بن عليّعليه السلام الهادي[2]، الأمين الكريم الناصح الثقة العالم، إلّا أعنتني به على أمر آخرتي، وأسألك اللهمّ بحقّ وليِّك وحُجَّتك على عبادك وبقيّتك في أرضك المُنتقم لك من أعدائك وأعداء رسولك، بقيّة آبائه الطاهرين، ووارث سُلافة الصالحين، صاحب الزمانعليه السلام وعلى آبائه الكرام المتقدمين الأخيار، إلّا تداركتني به ونجّيتني من كل كرب وهمّ، وحفظت عليَّ قديم إحسانك إليّ وحديثه، وأدررت عليّ جميع عوائدكَ عندي، يا رب أعني به ونجّني من المَخافة ومن كل شدَّة وعظيمة ونازلة وغمّ ودَيْن ومرض وسُقْم وآفة وظلم وجور وفتنة في ديني أو دُنياي وآخرتي بمنّك ورأفتك ورحمتك وكرمك، وتفضّلك وتعطّفك، يا كافي موسىعليه السلام فرعون ويا كافي محمداً صلوات اللّه عليه وآله ما أهمَّه، ويا كافي عليٍّعليه السلام ما أهمّه يوم صفّين، ويا كافي عليّ بن الحسينعليه السلام يوم الحرّة ويا كافي جعفر بن محمدعليه السلام أبا الدّوانيق، صلّ على محمد وآله واكفني ما أهمّني في دار الدنيا وكلّ هول دون الجنة، برحمتك يا أرحم الراحمين، يا قاضي الحوائج، يا وهّاب الرغائب، يا مُعطي الجزيل، يا فكّاك العُتاة، اللهمّ إنك تعلم أني أعلم أنك قادر على قضاء حوائجي، فصلّ على محمد وآله، وعجّلْ يا ربّ فرّج وليّك وابن بنت نبيّك، واقْض يا اللّه حوائج أهل بيت محمدعليهم السلام، واقْض لي يا رب بمحمد وآل بيته حوائج الدنيا والآخرة صغيرها

---

(1) علي بن محمد: عليّ الرضا الإمام التاسع.

(2) الحسن بن علي: الحسن العسكري.

وكبيرها في يُسْر منكَ وعافية، وتمّمْ نعمتك عليّ، وهنّئني بهم كرامتك، وألبِسني بهم عافيتك، وتفضّل بعفوك، وكن لي بحقّ محمد وأهل بيته في جميع أموري وليّاً وحافظاً وناصراً وكالئاً وراعياً وساتراً ورازقاً ما شاء اللَّه كان، وما لم يشأ لم يكن، لا يُعجز اللَّه شيء طلبه في الأرض ولا في السماء، هو كائن هو كائن، إن شاء اللَّه تعالى.



• عهد عن ابن طاوس[1] وغيره:

في ذكر ما يُزار به مولانا صاحب الزّمان عليه السلام بعد الفجر في كلّ يوم: اللّهم بلغ مولانا صاحب الزمان، صلوات اللَّه عليه، عن جميع المؤمنين والمؤمنات في مشارق الأرض ومغاربها وبرّها وبحرها وسهلها وجبلها، حيّهم وميّتهم، وعن والديّ ووُلْدي وعنّي من الصلوات والتّحيات زِنة عرش اللَّه ومِداد كلماته، ومُنتهى رضاه، وعدد ما أحصاه كتابه، وأحاط به علمه، اللهمّ أُجدِّدُ له في هذا اليوم، وفي كل يوم، عهداً وعَقداً وبيعةً في رقبتي، اللهمّ كما شرّفتني بهذا التشريف، وفضّلتني بهذه الفضيلة، وخصصتني بهذه النعمة، فصلّ على سيدي ومولاي صاحب الزمان، واجْعلني من أنصاره وأشياعه والذّابّين عنه، واجْعلني مِنَ المستشهدين بين يديه، طائعاً غير مُكْرَه في الصفّ، الذي نَعَتَّ أهله في كتابك فقلت: ﴿صَفًّا كَأَنَّهُم بُنْيَٰنٌ مَّرْصُوصٌ﴾[2] على طاعتك وطاعة رسولك وآله عليهم السلام، اللهمّ هذه بيعة له في عُنقي إلى يوم القيامة.

• عهد عن جعفر الصادق عليه السلام:

قال: من دعا اللَّه تعالى أربعين صباحاً بهذا العهد، كان من أنصار قائمنا، فإن مات قبله أخرجه اللَّه تعالى من قبره وأعطاه بكلّ كلمة ألف حسنة ومحا عنه ألف سيئة، وهو هذا:

---

(1) السيد رضيّ الدين بن طاوس صاحب كتاب «**زوان الفوائد**» في الأدعية.
(2) سورة الصف، الآية: 4.

ب البحر المَسجور ومُنزل
آن العظيم ورب الملائكة
الكريم وبنور وجهك المنير
ي أشرقت به السموات
ويا حيّ بعد كل حيّ حين
، اللهمّ بلّغْ مولانا الإمام
رين، عن جميع المؤمنين
وبرّها وبحرها وعني وعن
ماه علمه وأحاط به كتابه،
ي عهداً وعقداً وبيعةً له في
ماره وأعوانه، والذّابين عنه
والسّابقين إلى إرادته[1]
ت الذي جعله على عبادك
مُجَرّداً قناتي، مُلبّياً دعوة
والغُرَّة الحميدة، وأكحلْ
وْسِعْ مَنْهَجه، واسلك بي
أحي به عبادك، فإنك قلتَ
ى ٱلنَّاسِ﴾[2] فأظهر اللّهمّ
يظفر بشيء من الباطل إلّا
م من عبادك، وناصراً لمن
ابك، ومشيّداً لما ورد من
من بأس المعتدين، اللهمّ
استكانتنا من بعده، اللهمّ

اكشف هذه الغُمّة عن هذه الأمة، بحضوره وعجّل لنا ظهوره، إنهم يرونه بعيداً ونراه قريباً، برحمتك يا أرحم الراحمين. ثم تضرب على فخذك الأيمن بيدك ثلاث مرّات وتقول: العَجَل يا مولاي يا صاحب الزمان، ثلاثاً.



• زيارة شريفة لصاحب الأمر عليه السلام:

هذه الزيارة التي نذكرها من أعظم الزيارات لصاحب الأمر عليه السلام وقد اعتنى بذكرها الأصحاب في مزاراتهم، وقد خرجت من الناحية المقدّسة على يد أبي جعفر محمد بن عبد اللَّه الحِمْيري، ونصّ عليها أيضاً، الباب الشريف، الباب الثاني ثاني الأبواب الأربعة[1] محمد بن سعيد العمري، وأسندها إلى الحميري على ما ذكره المجلسي في «البحار» عن مؤلف «المزار الكبير» هكذا: الشيخ الفقيه أبو محمد عربي بن مسافر، والشيخ أبو البقا عبد اللَّه بن نَما بن علي بن حمدون، جميعاً عن الشيخ الأمين أحمد بن محمد بن علي بن طحان المقدادي، عن الشيخ أبي علي، عن أبيه عن الشيخ الطوسي، عن محمد بن إسماعيل، عن محمد بن أشناس، عن محمد بن أحمد بن يحيى القمّي عن محمد بن علي بن زنجويه القمّي، ومحمد بن عبد اللَّه الشيباني، عن الحميري[2] وأسندها إلى محمد بن عثمان بالسَّنَد إلى ابن أشناس عن أبي محمد بن عبد اللَّه بن محمد الدعلجي، عن أبي الحسين حمزة بن محمد بن شبيب، قال: «حدَّثنا أبو عبد اللَّه أحمد بن إبراهيم قال: شكوت إلى أبي جعفر محمد عثمان (هكذا) شوقي إلى رؤية مولانا عليه السلام فقال لي: مع الشَّوق تشتهي أن تراه؟ فقلت: نعم، فقال: شَكَرَ اللَّه شوقَك وأراكَ وجهه في يُسْر وعافية، لا تلتمس يا أبا عبد اللَّه أن تراه، فإنّ أيام الغيبة تشتاق إليه ولا تسأل الاجتماع معه، إنها عَزائم اللَّه والتسليم لها أولى ولكن توجَّه إليه بالزيارة وما أملاه عند محمد

---

(1) **الأبواب الأربعة**: سفراء الإمام المهدي عليه السلام وهم: عثمان بن سعيد العمري ومحمد بن عثمان العمري والحسين بن روح النوبختي وعلي بن محمد السمري، وهو الباب الثاني كما جاء في النص أعلاه.

(2) **السيد الحميري**: إسماعيل بن الحميري من شعراء الشيعة الكبار، أغفل ذكره المؤلفون لإقذاعه في الصحابة والتهجم عليهم توفي في بغداد زمن خلافة الرشيد.

فانسخوه من عنده، وهو التوجّه إلى الصّاحب بالزيارة بعد صلاة اثنتَيْ عشرةَ ركعة، تقرأ: قل هو اللّه أحد في جميعها ركعتين ركعتين، ثم تصلي على محمد وآله وتقول، قول اللّه تعالى: ﴿سَلَٰمٌ عَلَىٰٓ إِلۡ يَاسِينَ﴾[1] وذكر الزيارة بتمامها وهي هذه:

«سلام على آل يس، ذلك هو الفضل المبين واللّه ذو الفضل العظيم لمن يهديه صراطه المستقيم، قد أتاكم اللّه يا آل يس خلافته، وعلم مخازن أمره فيما قضاه ودبَّره ورتبه وأراده في ملكوته. فكشف لكم الغطاء، وأنتم خَزنته وشهداؤه وعلماؤه وأُمناؤه، وساسة العباد وأركان البلاد، وقُضاة الأحكام وأبواب الإيمان، وسُلالة النبيّين وصفوة المرسلين، وعترة خيرة رب العالمين، ومن تقديره منائح العطاء بكم إنفاذه محتوماً مقروناً، فما شيء منّا إلّا وأنتم له السبب وإليه السبيل، خياره لوليّكم نِعَمةٌ، وانتقامه من عدوّكم سُخطةٌ، فلا نَجاة ولا مَفْزع إلّا أنتم، ولا مذهب عنكم يا أعين اللّه الناظرة وحَمَلَة معرفته، ومساكن توحيده في أرضه وسمائه، وأنت يا مولاي ويا حُجّة اللّه وبقيّته، كمالُ نعمته ووارثُ أنبيائه وخلفائه، ما بلغناه من دهرنا وصاحب الرحمة لِوَعْد ربّنا التي فيها دولة الحق، وفرجنا ونصر اللّه لنا وعزّنا، السلام عليك أيها العلم المنصوب، والعلم المصبوب، والغوث والرحمة الواسعة، وعداً غير مكذوب، السلام عليك يا صاحب المَرْأى والمَسْمع الذي بعين اللّه مواثيقه، وبيد اللّه عهوده، وبقدرة اللّه سلطانه، أنت الحليم الذي لا تعجله الغضبة، والكريم الذي لا تبخله الحفيظة، والعالم الذي لا تجهله الحمية، مجاهدُتك في اللّه ذاتُ مشيئة اللّه، ومقارعتُك في اللّه ذاتُ انتقام اللّه، وصبرُك في اللّه ذو أناة اللّه، وشكرك للّه ذو مزيد اللّه ورحمته، السلام عليك يا مخزوناً باللّه، اللّه نوّر أمامه ووراءه، ويمينه وشماله، وفوقه وتحته، السلام عليك يا محروزاً في قدرة اللهمَّ، اللّه نور سمعه وبصره، السلام عليك يا وعد اللّه الذي ضمنه، ويا ميثاق اللّه الذي أخذه ووكّده، السلام عليك يا داعي اللّه وربّانيّ آياته، السلام عليك يا بابَ اللّه وديَّان دينه، السلام عليك يا خليفة اللّه وناصر حقّه، السلام عليك يا حجّة اللّه ودليل إرادته، السلام عليك يا تالي كتاب اللّه وترجمانه، السلام عليك في آناء ليلك ونهارك، السلام عليك يا بقيّة اللّه في أرضه، السلام عليك حين تقوم،

(1) سورة الصافات، الآية: 130.

السلام عليك حين تقعد، السلام عليك حين تقرأ وتبيّن، السلام عليك حين تُصلّي وتقْنت، السلام عليك حين تركع وتسجد، السلام عليك حين تعوّذ وتُسبّح، السلام عليك حين تهلّل وتكبّر، السلام عليك حين تحمد وتستغفر، السلام عليك حين تمجّد وتمدح، السلام عليك حين تُمسي وتُصبح، السلام عليك في الليل إذا يغشى وفي النهار إذا تجلّى، السلام عليك في الآخرة والأولى، السلام عليكم يا حُجج اللَّه ورُعاتنا وهُداتنا ودعاتنا وقادتنا وأئمّتنا وساداتنا وموالينا، السلام عليكم أنتم نورنا وأنتم جاهنا[1] أوقات صلواتنا وعصمتنا بكم لدعائنا وصلاتنا وصيامنا واستغفارنا وسائر أعمالنا، السلام عليك، أيها الإمام المأمون، السلام عليك أيها الإمام المأمول، السلام عليك بجوامع السلام، أُشهدك يا مولاي أني أشهد أن لا إله إلّا اللَّه وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، لا حبيب إلّا هو وأهله، وأنّ أمير المؤمنين حجّته، وأنّ الحسن حجّته، وأن الحسين حجّته، وأنّ عليّ بن الحسين حجّته، وأنّ محمد بن عليّ حجّته، وأن جعفر بن محمد حجّته، وأنّ موسى بن جعفر حجّته، وأنّ عليّ بن موسى حجّته، وأن محمد بن عليّ حجّته، وأن عليّ بن محمد حجّته، وأن الحسن بن عليّ حجّته، وأنتَ حجّته، والأنبياء دُعاة وهُداة رشدكم، أنتم الأول والآخر وخاتمته، وأنّ رَجْعتكم حقّ لا شكّ فيها، يومَ لا ينفع نفساً إيمانها خيراً[2] وأن منكراً نكيراً حقّ، وأنّ النشور حق، والبعث حق، وأنّ الصراط حق، وأنّ المرصاد حقّ، وأنّ الحساب حقّ، وأن الجنّة حقّ، وأنّ النار حقّ، والجزاء بهما للوعد والوعيد حق، لا تردّون ولا تسبقون مشيئة اللَّه وبأمره تعملون، وللَّه الرحمة العليا، وبيده الدعوة الحُسنى، وحجّة اللَّه النعمى، خلق الجن والإنس لعبادته وأراد من عباده عبادته، فالشقيّ من خالفكم، والسعيد من أطاعكم، وأنت يا مولاي فاشهدْ بما أشهدتك عليه تخزنه وتحفظه لي عندك، أموت عليه وأُنشر عليه، وأقف به، وليّاً لك بريئاً من عدوّك، ماقتاً لمن أبغضكم وآدّاً لمن أحبّكم، فالحق ما رضيتموه والباطل ما سخطتموه، والمعروف ما أمرتم به والمُنكر ما نهيتم عنه، والقضاء المُثبت ما اسْتأثرتْ به سنتكم.

---

(1) وجاء في نسخة أخرى: وأنتم تجاهنا.

(2) إنْ لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في إيمانها خيراً، هذا هو الصواب، والموجود في زيارة احتجاج الطبرسي وما في هذه النسخة كأنه غلط.

فلا إله إلّا اللّه وحده لا شريك له، ومحمد عبده ورسوله، وأمير المؤمنين حجّته، والحسن حجّته، والحسين حجّته، وعلي حجّته، ومحمد حجّته، وجعفر حجّته، وموسى حجّته، وعليّ حجّته، ومحمد حجّته، وعليّ حجّته، والحسن حجّته، وأنتَ حجّته، وأنتم حُججه وبَراهينه، أنا يا مولاي مُستبشر بالبيعة التي أخذ اللّه عليّ شرطه، قتالاً في سبيله، أشتري به أنْفُس المؤمنين، فنفسي مؤمنة باللّه وحده لا شريك له، وبرسوله وبأمير المؤمنين وبكم يا مواليّ أوّلكم وآخركم، ونصري لكم مُعدّ، ومودّتي لكم خالصة، وبراءتي من أعدائكم أهل الحردة والجدال ثابتة لثأركم، أنا وليّ وحيد وحيه، واللّه إله الحق الخلق جعلني بذلك آمين آمين، من لي إلّا أنت في ما دنْتُ واعتصمت بك فيه، تحرسني في ما تقرّبت فيه إليك، يا وقاية اللّه وستْره، أغنني، أغِثْني، أدْنني، أعنّي، أدركني صِلْني بك ولا تقطعني، اللهمّ بهم إليك تَوَسُّلي وتقرُّبي، اللّهمّ صلّ على محمد وآله وصلْني بهم ولا تقطعني، بحججك اعصمني، وسلامك على آل يس، مولاي أنت الجاه عند اللّه ربّك وربّي، إنه حميد مجيد، اللهمّ إني أسألك باسمك والذي خلقته من ذلك فلا يخرج منك إلى شيء أبداً، أيا كيْنون، أيا مكوّن، أيا مُتعال، أيا متقدّس، أيا مترحّم، أيا مترئّف، أيا مُتحنّن، أسألُك كما خلقته غضاً أن تصلي على محمد نبيّ رحمتك وكلمة نورك ووالد هُداة رحمتك، املأ قلبي نور اليقين، وصدري نور الإيمان، وفكري نور الثبات، وعزمي نور التوفيق، وذكائي نور العلم، ولساني نور الصدق، وديني نور البصائر من عندك، وبصري نور الضياء وسمعي نور وعي الحكمة، ومودّتي نور المُوالاة لمحمد وآلهﷺ، ونفسي نور قوّة البَراءة من أعداء محمد وأعداء آل محمدﷺ، حتى ألقاك وقد وفيتُ بعهدك وميثاقك، فَتَسعُني رحمتك، يا وليُّ يا حميد، بمرآك ومسمعك، يا حجّة اللّه، دعائي، فوَفّني منجزات إجابتي، أعتصم بك، معك معك سمعي ورضاي يا كريم.



• حديث لا تُعادوا الأيام فتعاديكم

روى المجلسي بإسناده إلى الصدوق عن ابن المتوكل، عن علي بن إبراهيم، عن عبد الرحمن بن أحمد الموصلي، عن الصقر بن أبي دُلَف قال:

«لما حمل المتوكّل سيدنا أبا الحسن ﷺ جئت أسأل عن خَبَره قال: فنظر الزرافي إليه، وكان حاجباً للمتوكل، فأمر أن أدخل إليه، فقال: يا صقر ما شأنك وفيمَ جئت؟ قلتُ: لخيرٍ، قال: اقعد، فقلت: أخطأت في المجيء، قال: فزَجر الناس عنه ثم قال لي: ما شأنك وفيمَ جئت؟ قلت: لخيرٍ ما، قال: لعلّك جئت تسأل عن خبر مولاك؟ فقلت له: ومن مولاي؟ مولاي أمير المؤمنين، قال: اسكتْ، مولاك على الحقّ لا تحتشمني فإني على مذهبك، فقلتُ: الحمد للّه، قال: أتحبّ أن تراه؟ قلت: نعم، قال: اجلسْ حتى يخرج صاحب البريد من عنده، قال: فجلستُ، فلما خرج قال لغلام له: خُذْ بيد أبي الصّقر وأدخله إلى الحجرة، وأومأ إلى بيت، فدخلت فإذا هو جالس على صدر حصير وبحذائه قبر محفور، قال: فسلّمت، فردّ ثم أمرني بالجلوس ثم قال: يا صقر فما أتى بك؟ قلت: جئتُ أتعرّف خبرك، قال: ثم نظرت إلى القبر فبكيت، فنظر إليّ فقال لي: يا صقر لا عليك، لن يصلوا إلينا بسوء، فقلتُ: الحمد للّه، ثم قلت: يا سيدي حديث يُروى عن النبي ﷺ لا أعرف معناه، قال: وما هو؟ قلت قوله: لا تُعادوا الأيام فتعاديكم، ما معناه؟ فقال: نِعْم الأيام نحن ما دامت السماوات والأرض، فالسبت اسم رسول اللّه ﷺ والأحد أمير المؤمنين عليه السلام والاثنين الحسن والحسين عليهما السلام والثلاثاء عليّ بن الحسين ومحمد بن عليّ وجعفر بن محمد عليهم السلام والأربعاء موسى بن جعفر وعليّ بن موسى ومحمد بن علي وأنا عليّهم السلام والخميس ابني الحسن والجمعة ابن ابني وإليه تجمع عَصَائب الحقّ. هذا معنى الأيام فلا تعادوهم في الدنيا فيُعادوكم في الآخرة، ثم قال: وَدِّعْ واخرجْ فلا آمن عليك.

قلت: من هنا ذكر أصحاب المزارات زيارة كل واحد منهم عليهم السلام في اليوم الذي هو له.

❀ ❀ ❀

يتيمة ذات قيمة في الزيارة:

1 ـ لا ريب أن صلاة الزيارة لأحد المعصومين عليهم السلام من قرب بعد الزيارة، والأخبار بذلك لا تُحصى، وعليه العمل في سائر الأعصار، إنما الكلام في الزيارة للبعيد، وظاهر إطلاق جماعة، أنها بعد الزيارة كالقُرب.

2 ـ ونُقل في «الذكرى» عن ابن زهرة أنّ من زار وهو مقيم ببلده قدَّم الصلاة، وقوّى المجلسي في «البحار» التخيير بين التقديم والتأخير، وتردّد في زيارة عاشوراء المخصوصة، فاحتمل ستة احتمالات، والأقرب عندي مذهب ابن زهرة، وإن كان التخيير لا يخالف عن وجه.

3 ـ لنا روايات: أحدها ما رواه الكليني في «الكافي» والشيخ[1] في «التهذيب في الصحيح»، في كليهما إلى ابن أبي عمير عمّن رواه عن أبي عبد اللّه عليه السلام، ورواه أيضاً في «الكامل» على ما حكى بطريقين إلى ابن أبي عمير، أحدهما صحيح والآخر فيه إسماعيل بن سهل مرسلاً، أيضاً عن أبي عبد اللّه عليه السلام قال:

«إذا بعدت بأحدكم الشّقة ونَأَتْ به الدار فَلْيَعْلُ أعلى منزله وَلْيُصَلِّ ركعتين وَلْيومِئ بالسلام إلى قبورنا، فإنّ ذلك يصل إلينا».

وهذه الرواية، وإن كانت مرسلة، إلّا أنّ صحّتها إلى ابن أبي عمر كافية، فإن الأصحاب قبلوا مَرَاسيله.

وحكى شيخ الطائفة الإجماع على تصحيح ما يصحّ عنه، وحكوا أنه لا يُرسل إلّا عن ثقة، فالرواية إذاً صحيحة، ولا أقلّ من كونها قوية، سيّما بعد روايتها في الكتب المُعتمدة، وخصوصاً بعد التّسامح في أدلّة السُّنن، وأمّا الدلالة، فظاهرةٌ في المطلوب، حيث قدّم صلاة الركعتين على السلام، ومثل ذلك ظاهر في الترتيب، لكونه في مقام البَيَان، وإن كانت الواو لمطلق الجمع، ومن ثمّ فَهِمَ الأصحاب من روايات الزيارة من قرب، تأخير الصلاة لتأخيرها فيها، وإن كان العطف بالواو، على أن لك أن تضيف إلى ذلك أن صلاة الزيارة عبادة ثبت شرعيتها منهم عليهم السلام فيجب وضعها في الموضع الذي وضعوها فيه، إذْ هو المُتَيَقّن، ثم إنّ الخبر، وإن كان فيه ذكر زيارة الحسين عليه السلام، إلّا أنّ الظاهر التعميم لهم أجمع للتسوية، عدا الأصحاب بينهم عليهم السلام في جميع ما يجب أو يندب من حقوقهم واحترامهم صلوات اللّه عليهم.

(1) الشيخ المفيد أحد أصحاب الكتب الأربعة المعتمدة عند الإثنى عشرية. «ويقال له شيخ الطائفة».

ثانيها: ما نُقل عن «الكامل» عن سليمان بن عيسى عن أبيه عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «قلت لأبي عبد الله عليه السلام، كيف أزورك إذا لم أقدرْ على ذلك؟

قال: يا عيسى، إذا لم تقدرْ على المجيء، فإذا كان في يوم الجمعة، فاغْتسل أو توضّأ واصعدْ على سطحك وصَلِّ ركعتين وتوجّه نحوي، فإنه من زارني في حياتي فقد زارني في ممَاتي، ومن زارني في مَمَاتي فقد زارني في حياتي».

وهذا الخبر في الدلالة، نظير سابقه، وأما السَّند، فالظاهر إرساله إلى سليمان، ولكن موافقته لغيره مع التَسامح في أدلّة السّنن تُجبره.

4 ـ **ثالثها**: ما أرسله الشيخ في «المصباح» عن عبد الله بن سنان وأسنده مؤلف «المَزَار الكبير» على ما حكاه في «البحار» عن الشيخ عماد الدين الطبري، عن الشيخ أبي الحسن ابن الشيخ الطوسي، عن أبيه عن المفيد، عن ابن قولويه وابن بابويه، عن الكليني، عن علي بن إبراهيم، عن أبيه، عن ابن أبي عُمير، عن عبد الله بن سنان، قال: «دخلت على سيّدي أبي عبد الله عليه السلام في يوم عاشوراء، فَأَلْفَيْتُه كاسفَ اللون ظاهر الحزن ودموعه تنحدر من عينيه كاللؤلؤ المُتساقط، فقلت له: يا بن رسول الله صلى الله عليه وآله مِمَّ بُكاك لا بكّى الله عينك؟ فقال: أَوَفي غفلةٍ أنت؟ أَوَما علمت أن الحسين عليه السلام أُصيب في مثل هذا اليوم»؟ وساق الحديث إلى أن قال: «يا عبد الله ابن سنان، إنّ أفضل ما تأتي به في مثل هذا اليوم، أن تَعْمَد، إلى ثياب طاهرة فتلبسها وتتَسَلَّب، قلت: وما التَّسَلُّب؟ قال: تحلّ أزرارك وتكشف عن ذراعيك كهيئة أصحاب المَصَائب، ثم تخرج إلى أرضٍ مُقفرة أو مكان لا يراك أحد، أو تعمد إلى منزلٍ لكَ خالٍ أو في خلوة منذ حين يرتفع النهار، فتُصلّي أربع ركعات تُحسن ركوعها وسجودها، وتُسلّم بين كلّ ركعتين، تقرأ في الأولى سورة الحمد و﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ ۝١﴾[1]، وفي الثانية الحمد و﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١﴾، ثم تُصلّي ركعتين تقرأ في الأولى الحمد والأحزاب، وفي الثانية الحمد و﴿إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُنَٰفِقُونَ﴾[2] ثم تسلّم وتحوّل وجهك نحو قبر الحسين عليه السلام ومضجعه فتُمثّل لنفسك مصرعه ومن كان معه من وُلْده وأهله، وتُسلّم وتُصلّي عليه وتلعن قاتليه»، إلى آخر الرواية، وهي

---

(1) سورة الكافرون، الآية: 1.

(2) سورة المنافقون، الآية: 1.

أوضح دلالة من سابقتيها، وسندها نقيّ لأنه إما صحيح وإمَّا حَسَن بإبراهيم بن هاشم.

5 ـ **رابعها**: ما أورده في «البحار» عن صاحب «المَزَار الكبير» عن ابن أشناس، عن الدعلجي، عن حمزة بن محمد بن الحسن بن شبيب، عن أحمد بن إبراهيم، قال:

«شكوت إلى أبي جعفرعليه السلام محمد بن عثمان، شوقي إلى رؤية مولاناعليه السلام فقال: مع الشوق أتشتهي أن تراه؟ فقلتُ: نعم فقال لي: شكَرَ اللّه سعيك، إلى أن قال: وما أمْلاه عنه محمد بن علي فانسخوه من عنده، وهو التوجّه إلى الصاحب بالزيارة بعد صلاة اثنتي عشرة ركعة، تقرأ: قُلْ هو اللّه أحد في جميعها ركعتين ركعتين، ثم تصلّي على محمد وآل محمد وتقول قول اللّه جلّ اسمه «سلام على آل يس» إلى آخر الزيارة، والدّلالة واضحة، وكلام أبي جعفر محمد[1] بن عثمان العمري، حُجّة، لأنه منصوص عليه من قبل صاحب الأمر على يد أبيه، وأجمعت الطائفة عليه، وظهر المُعجز على يده.

6 ـ **خامسها**: كما عن «المصباح» مُرسلاً عن الصادقعليه السلام: من أراد أن يزور قبر رسول اللّهصلى الله عليه وآله وقبر أمير المؤمنينعليه السلام وفاطمة والحسن والحسين وقبور الحُجَج عليهم السلام، وهو في بلده، فَلْيَغْتَسلْ في يوم الجمعة، وَلْيَلْبس ثوبين نظيفين، وَلْيَخْرُجْ إلى فلاة من الأرض، ثم يصلّي أربع ركعات يقرأ فيها ما تَيَسَّرَ من القرآن، فإن تشهَّد وسلّم، فَلْيَقم مستقبل القِبلة وَلْيَقُلْ: السلام... إلى آخر الزيارة وإرسال السند يجبر بالتسامح في السُّنَن وموافقة المسانيد، والدّلالة واضحة.

7 ـ وروي في «البحار» عن الحسين بن الحسن بن بابويه، عن عمه محمد بن علي، عن بعض مشايخه القُمّيين، قال:

«كَرَبني أمر ضِقتُ به ذرعاً ولم يسهل في نفسي أن أفشيه لأحد، فنمتُ وأنا مغموم، فرأيت رجلاً جميل الوجه حَسَن اللباس طيّب الرائحة، فابتدأني وقال: إرجع في ما أنت بسبيله إلى اللّه تعالى، واستعنْ بصاحب الزمان، وسلّمه حاجتك» فقلت: علّمني فقد أنساني همّي كلَّ زيارة ودعاء، فمسح صدري بيده وقال: «حسبُك

(1) أحد السفراء الأربعة للحجة القائم.

اللَّه، لا بأس عليك، تَطَهَّر وصَلِّ ركعتين، ثم قُمْ وأنت مستقبل القِبلة وقُلْ: سلام اللَّه الكامل»... إلى آخر الزيارة.

وهذه القضية، وإن لم تكن حُجَّة، لكونها طيفاً وغير معلومة الإسناد إلى المعصومعليه السلام، إلّا أن قبول جماعة من المُعتمدين لها، وذكرها في مزاراتهم، مع ظهور أثر النجاح عليها، فإنّ حاكيها قال: واللَّه ما طلعت الشمس حتى جاءني الفرج، ممّا يؤيد المطلوب. وفي ما ذكرنا من الأخبار المُشتملة على الصحيح وغيره، الكفاية، حجّة القول: يكون للصلاة بعد الزيارة وجوه:

أحدها: إنه الثابت من قرب، ولا فرق بين القُرب والبُعد، وفيه أنه قياس ومع الفارق، فإن ما ذكرنا من الأخبار هو الفارق، فإن قلت: ما ذكر من الأخبار لم يُبيّن فيه كون الصلاة للزيارة، ولعلها صلاة أخرى مقدّمة على العمل غير صلاة الزيارة، فتكون صلاة الزيارة بعد.

قلت: هذا الكلام من السَّخافة بمكان، فإن كل رواية في زيارة، فيها صلاة أو غَسْل، فهِم الأصحاب منها صلاة الزيارة وغَسْل الزيارة، وكذا غيرهما من الآداب، وإن لم يصرّح به في الرواية، وكان ذلك قرينة معروفة عند الأئمة عليهم السلام والرواة، فيطلقون اتكالاً على تلك القرينة، بل هو ظاهر الحل من أمثال تلك الخطابات، وهذا نظير ما يقال: علّمني دعاءً أدعو به للحاجة، فيقول له: صلّ كذا وقُلْ كذا، فإن كل ذي فهم يفهم إرادة صلاة الحاجة ولا يحتاج إلى زيادة نصّ زائد على ذلك، مُضافاً إلى أنه في الروايات المذكورة لم يذكر صلاة بعد الزيارة، فإما أن يُقال بأن الزيارة من بعد لا يُستحبّ لها صلاة، وكأنه خلاف ذلك الإجماع، أو يُقال باستحبابها ولم تذكر، فيُردّ عليه أنه حذف بلا قرينة في مقام القرينة على الخلاف، وهو تقدُّم ذكر الصلاة، فلو كان للزيارة صلاةً أخرى غير المذكورة، لَوَجب ذكرها حتى لا يُتَخيّل أن الأولى صلاة الزيارة، ولما لم يكن سوى الأولى جزمنا بكونها صلاة الزيارة.

الثاني: ما في «البحار» عن «الكامل» عن الحميري عن أبيه عن البرقي عن أبيه رفعه قال: دخل حنّان بن سدير على الصادقعليه السلام فقال: يا حنّان تزورون أبا عبد اللَّهعليه السلام في كل شهر مرة؟ قال: لا، قال: ففي كل شهرين مرّة؟ قال: لا، قال: ففي كلّ سنة مرة؟ قال: لا، قال: ما أجفاكم بسيّدكم؟ قال: يا بن رسول

اللّه ﷺ، قلّة الزّاد وبُعد المسافة، قال: ألا أدلّكم على زيارة مقبولة وإن بعدَ النّأْي؟ قال: فكيف أزوره يا بن رسول اللّه ﷺ قال: اغتسلْ يوم الجمعة أو أي يوم شئت إلى أن قال: فاصعد أعلى موضع في دارك أو الصحراء، فاسْتقبل القِبلة بعد أن تُبيّن أن القبر هنالك، يقول اللّه تعالى: ﴿فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ﴾[1] ثم قلْ: السلام عليك، وساق ذكر الزيارة، إلى أن قال: تتحوّل إلى يسارك قليلاً وتُحوّل وجهك نحو عليّ بن الحسين عليه السلام، وهو عند رجل أبيه، وتُسلّم عليه مثل ذلك، ثم ادْعُ اللّه بما أحببت من أمر دينك ودنياك ثم تصلي أربع ركعات (الحديث) والدلالة واضحة، إلّا أن في السند ما في الإرسال ما ترى، فلا يُعارض أدلة الأول المشتملة على المسند وغيره.

ولعلنا بعد البناء على التسامح في أدلّة السنن، نحكم بالتخيير كما اختاره المجلسي، ويلوح لي هنا احتمال آخر، وهو أنه بعد العمل بهذه الرواية يخصّ تأخير صلاة الزيارة للبعيد، لمن نزل نفسه منزلة القريب وتمثل القبر بين يديه كما يقتضيه قوله عليه السلام: بعد أن تبيّن أن القبر هنالك، وقوله: يقول اللّه: ﴿فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ﴾[2]، وقوله: ثم تتحول عن يسارك قليلاً.

الثالث: ما نُقل عن المصباح عن مبشّر بن عبد العزيز قال: كنتُ عند أبي عبد اللّه عليه السلام فدخل بعض أصحابنا فقال: جُعلتُ فِداك، إني فقير، فقال عليه السلام: استقبل يوم الأربعاء فَصُمْهُ واتْلُهُ بالخميس والجمعة ثلاثة أيام، فإذا كان يوم الجمعة، فَزُرْ رسول اللّه ﷺ من أعلى سطحك، ثم صلِّ مكانك ركعتين، ثم اجْثُ على ركبتيك (الحديث). وهو مع إرساله يحتمل إرادة صلاة الحاجة، ولكن التّسامح في السّنن يقوّي التخيير، واعلم أن هذا خبر مُسند لا يخلو من اضطراب في المتن، وهو الذي احتمل فيه المجلسي الاحتمالات الكثيرة، وهو ما في «البحار» عن «الكامل»، هكذا حكم ابن داود وغيره عن محمد بن موسى الهمداني عن محمد بن خالد الطَيالسي عن سيف بن عُميرة وصالح بن عُقبة معاً عن علقمة بن محمد الخضرمي ومحمد بن إسماعيل عن صالح بن عقبة عن مالك الجهني عن أبي جعفر الباقر عليه السلام قال:

(1) سورة البقرة، الآية: 115.
(2) سورة البقرة، الآية: 115.

8 ـ «**من زار الحسين**ﷺ يوم عاشوراء حتى يظلّ عنده باكياً، لقيَ اللّه تعالى يوم القيامة بثواب ألفي حجة، وساق الحديث إلى أن قال: جُعلتُ فداك، فما لمن كان في بُعد البلاد وأقاصيها ولم يمكنه المصير إليه في ذلك اليوم، برز إلى الصحراء أو صعد سطحاً مرتفعاً في داره وأومأ إليه بالسلام واجتهد على قاتله بالدعاء، وصلى بعده ركعتين، يفعل ذلك في صدر النهار وقبل الزوال، ثم لِيَنْدب الحسينﷺ (الحديث).

إلى قوله: قال صالح بن عُقبة وسيف بن عُميرة قال علقمة: قلت لأبي جعفرﷺ: عَلِّمْني دعاء أدعو به في ذلك اليوم إذا أنا زرته من قريب ودعاءً أدعو به إذا لم أزره من قريب وأومأت إليه من بُعد البلاد ومن سطح داري، فقال: يا علقمة، إذا أنت صلّيت الركعتين بعد أن تُومئ إليه بالسلام، وقلت عند الإيماء إليه ومن بعد الركعتين هذا القول، فإنك إذا قلت ذلك، فقد دعوت بما يدعو به من زاره من الملائكة، وكتب اللّه لك بها ألف حسنة، وساق ذكر الثواب، إلى أن قال: السلام عليك يا أبا عبد اللّه إلى آخر زيارة عاشوراء المشهورة، فهذا الخبر معرفة موضع الصلاة منه، كما ترى، في غاية ما يكون من الإشكال، ومن هنا جاء فيه احتمالات:

أحدها: تكرير الصلاة قبل الأعمال وبعدها، لأنه في أول مرة أمره بالصلاة بعد السلام وفي الثانية أمره بالصلاة قبل الزيارة المخصوصة، فالمناسب امتثال كل من الأمرين.

ثانيها: أن يسلّم سلاماً خارجاً عن المخصوصة، ثم يُصلي الركعتين ثم يتلو المخصوصة، فتكون الصلاة بين زيارتين ثانيتهما المخصوصة، وهذا الاحتمال جزم به الكفعمي[1] على ما حكى عنه وهو متّجه، لكنه لا يتمّ إلّا بعد جَعْل هذا القول إشارة إلى المخصوصة.

ثالثها: أن تكون الصلاة بين الزيارة وبين الأذكار المكررة مائة مائة، فيكون

(1) **الكفعمي**: نسبة إلى قرية درست قرب بلدة جبشيت اسمها كفرعيما، وفيها قبر الكفعمي. له «**المصباح**». انظر: **خطط جبل عامل**، للسيد محسن الأمين.

هذا القول إشارة إلى الأذكار، ويكون السلام في قوله: بعد أن تومئ بالسلام، عبارة عن المخصوصة.

رابعها: أن تكون بعد الذّكرين المكرّرين، وقل قوله: اللهمّ خصّ أنت أول ظالم إلخ. . .

خامسها: أن تكون متوسطة بين الذكرين المكرّرين.

سادسها: أن تكون بعد الزيارة والأذكار أجمع وقبل السجود والدعاء المشهور بدعاء علقمة، وهذا الاحتمال قوّاه المجلسي واستظهر عليه بمناسبة السجود للصلاة.

وعندي هنا احتمال **سابع** : وهو أن يكون عليه السلام مُراده التنبيه على التخيير، حيث إنه أول مرة ذكر الصلاة بعد، وفي الثانية قبل، ولم ينبه على الفرق ولا صرَّح بالجمع.

ويحتمل **ثامناً**: أن من زار بغير المخصوصة أخّر الصلاة، ومن زار بها قدّم الصلاة كما هو ظاهر الخبر، وهذا من أقوى الاحتمالات.

9 ـ واعلم أن المجلسي (ره) نقل عن «مزار السيد» بدل الركعتين في قوله: وقلت عند الإيماء إليه من بعد الركعتين لفظ التكبير، وجاء يوافق عَجُز الخبر صدرَه، ويتمحّض جعل الصلاة بعد الزيارة المعبّر عنها بالسلام، ويؤيد ذلك ما نُقل عن محمد بن خالد الطيالسي عن سيف بن عميرة قال: خرجت مع صفوان بن مهران وجماعة من أصحابنا إلى الغري، فلما فرغنا من الزيارة، صرف وجهه إلى ناحية أبي عبد اللّه عليه السلام فقال لنا: أتزورون الحسين عليه السلام من هذا المكان من عند رأس أمير المؤمنين صلوات اللّه عليه من هاهنا؟ فَدَعا صفوان بالزيارة التي رواها علقمة عن أبي جعفر عليه السلام في يوم عاشوراء ثم صلّى ركعتين عند رأس أمير المؤمنين عليه السلام وودّع في دُبُرِهما[1] أمير المؤمنين عليه السلام وأومأ إلى الحسين عليه السلام منصرفاً نحوه بوجهه وودّع، وكان في ما دعاه: يا اللّه يا اللّه إلى آخر الدعاء، قال سيف: سألت صفوان فقلت له: إن علقمة لم يأتنا بهذا عن أبي جعفر عليه السلام إنما أتانا بدعاء الزيارة، فقال صفوان: وَرَدتُ مع سيدي أبي عبد اللّه عليه السلام إلى هذا المكان، ففعل

---

(1) **الدُّبُرُ**: الظهر والخَلْف، مثاله قوله تعالى: ويوَلُّون الدُّبُرَ.

مثل الذي فعلناه في زيارتنا، ودعا بهذا الدعاء عند الوداع بعد أن صلّى كما صلّينا وودّع كما ودّعنا (الحديث).

10 ـ فهذا صفوان الثقة الجليل (رحمه الله) حكى فعل الإمام عليه السلام أنه صلّى صلاة زيارة عاشوراء بعدها، اللهمّ إلّا أن يُقال: يُحتمل كون الصلاة التي صلّاها صفوان وحكاها عن الإمام عليه السلام صلاة زيارة أمير المؤمنين عليه السلام، فلا يصلح ذلك شاهداً لما نحن فيه، لكنه بعيد، نعم يُحتمل أن تكون زيارة الحسين عليه السلام عند قبر أمير المؤمنين عليه السلام زيارة قرب، لأن رأسه الشريف، على ما في بعض الروايات، عند قبر أبيه صلوات اللّه عليهم، فالأَوْلى الرجوع إلى ما قدمنا من الأخبار الواضحة المتن، ومع ذلك فالأحوط للزائر من بعد، وخصوصاً زائر عاشوراء، وزائر الحسين عليه السلام، من روضة الأمير صلوات اللّه عليه تكرير الصلاة قبلها وبعدها، بل احتاط المجلسي (رحمه اللّه) بتكريرها في عاشوراء بعد الاحتمالات الستّة التي ذكرناها أولاً، واللّه المعين وعنده أجر العاملين ونتوسّل إليه بأوليائه وأسمائه طالبين من فاضل نعمائه أن يجعلنا وإياكم من العارفين العاملين المخلصين المقبولين، إنه على كل شيء قدير وبالإجابة جدير وصلى اللّه على محمد وآله الطيّبين الطاهرين.



زيارة الصادق عليه السلام المذكورة لقضاء الحوائج

تقول بعد الظُّهر وصلاة ركعتين وأنت مستقبل القِبلَة تحت السماء: سلام اللّه الكامل التام الشامل العام وصلواته الدائمة وبركاته القائمة، على حُجّة اللّه ووليّه في أرضه وبلاده وخليفته على خَلقه وعباده، سُلالة النبوة وبقية العترة والصفوة، صاحب الزمان ومظهر الإيمان ومعلن أحكام القرآن مُطهّر الأرض وناشر العدل في الطول والعرض الحجّة القائم المهدي والإمام المنتظر المرضيّ الطاهر ابن الأئمة الطاهرين، الوصيّ ابن الأوصياء المَرْضيين، الهادي المعصوم ابن الهداة المعصومين.

السلام عليك يا إمام المسلمين والمؤمنين، السلام عليك يا وارث علم النبيين ومستودع حكمة الوصيين، السلام عليك يا عصمة الدين، السلام عليك يا مُعِزّ

المؤمنين المستضعفين، السلام عليك يا مُذِلّ الكافرين المتكبّرين الظالمين، السلام عليك يا مولاي يا صاحب الزمان يا بن أمير المؤمنين وابن فاطمة الزهراء سيّدة نساء العالمين، السلام عليك يا بن الأئمة الحُجج على الخلْق أجمعين، السلام عليك يا مولاي سلام مُخْلص لك في الولاء، أشهد أنك الإمام المهديّ قولاً وفعلاً وأنك تملأ الأرض قسطاً وعَدْلاً، فعجّل اللّه فرجك وسهّل مخْرجك وقرّب زمانك وكثّر أنصارك وأعوانك وأنجز لك موعدك وهو أصدق القائلين: ﴿وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُواْ فِى ٱلْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ ٱلْوَٰرِثِينَ ۝﴾[1].

يا مولاي حاجتي كذا وكذا، فاشفع في نجاحها، وتدعو بما أحببت، وذكر بعضهم أنه يقرأ في أول ركعتيّ هذه الزيارة الحمد والفتح وفي الثانية الحمد والنصر.

❀ ❀ ❀

مَثَلٌ من كلامهم: «أبلغ من قسّ بن ساعدة» قال في مجمع الأمثال: هو قسّ بن ساعدة بن حذافة بن زهير بن إياد بن نزار الإيادي وكان من حكماء العرب وأعقل من سُمع به منهم، وهو أول من كتب: «من فلان إلى فلان» وأول من أقرّ بالبعث من غير علم، وأول من قال: «أما بعد» وأول من قال: «البيّنة على المدّعي واليمين على من أنكر». وقد عمّر مائة وثمانين سنة. وأخبر عامر بن شراحبيل الشعبي عن عبد اللّه بن عباس (ره): أن وفد بني بكر بن وائل قدموا على رسول اللّهﷺ، فلما فَرغ من حَوائجهم قال: «هل فيكم أحد يعرف قسّ بن ساعدة»؟ قالوا: كلنا نعرفه، قال: فما فعل؟ قالوا: هَلَك، فقال: كأني به على جمل أحمر بعُكاظ قائماً يقول: «أيها الناس اجتمعوا واستمعوا، كل من عاش مات وكل من مات فات وكل ما هو آتٍ آت، إن في السماء لخبرا وإن في الأرض لَعِبَرا، مِهادٌ موضوع وسقفٌ مرفوع، وبحار تموج وتجارة لن تبور، ليلٌ داجٍ وسماءٌ ذاتُ أبراج، أَقْسَم قِسٌّ حقاً، لئن كان في الأرض رضىً ليكوننَّ بعد سُخطٍ، وأن للّه عزّتْ قُدرته دِيْناً هو أحب إليه من دينكم الذي أنتم عليه، ما لي أرى الناس يذهبون فلا يرجعون، أَرَضوا فأقاموا أم تُرِكوا فَنَاموا».

❀ ❀ ❀

(1) سورة القصص، الآية: 5.

● **مثل، «أبخل من مادر»**: وهو رجل من بني هلال بن عامر بن صعصعة، بَلَغ من بُخْله أنه سقى إبله فبقي في أسفل الحوض ماء قليل، فسلحَ فيه ومدر الحوض به، فسُمّي مادراً لذلك، واسمه على ما قيل: مُخارق.

قال في «مجمع الأمثال» قال حمزة: حدّثني أبو بكر بن دُريد، قال: حدثني أبو حاتم عن أبي عُبيدة أنه قرأ عليه حديث مادر فضحك، قال: فقلتُ له: ما الذي أضحكك؟ قال: تَعَجُّبي من تسيّر العرب أمثالاً، لو سيّروا ما هو أهم منها لكان أبلغ، قلت: مثل ماذا؟ قال: مثل مادر هذا، جعلوه علماً في البخل بفعلة تحتمل التأويل، وتركوا مثل ابن الزبير مع ما يؤثر من لفظه وفعله عن دقائق البُخل فتركوه كالغَفَل، من ذلك أنه نظر إلى رجل من أصحابه وهو يومئذٍ خليفة يُقاتل الحجّاج بن يوسف على دولته وقد دقّ الرّجل في صدور أهل الشام ثلاثة أرماح فقال له: يا هذا اعتزل عن حَربنا فإنّ بيت المال لا يقوى على هذا، وقال لجماعة جنده في تلك الحرب: «أكلتمْ تَمْري وعصيتمْ أمري»، وسمع أن مالك بن أشعر الرَّازمي من بني مازن أكل من بعير وحده وحمل ما بقي على ظهره، فقال: دُلُّوني على قبره أنْبشه، وقال لرجل أتاه مُجتدياً وقد أبدع به، فشكا إليه حَفى ناقته: اخصفها بهلب[1] وارقعها بسبت وانجد بها يَبْرد خُفّها، فقال الرجل: يا أمير جئتك مستوصلاً لا مستوظفاً، فلا بقيتْ ناقة حملتني إليك، فقال: وصاحبها.

ولهذا الرجل فيه شعر، قال أبو عبيدة: فلو تكلّف الحارث بن كلدة طبيب العرب، أو مالك بن زيد مناة من وصف علاج ناقة الأعرابي ما تكلَّفه هذا الخليفة، لما كانوا يعتبرونه وكان مع هذا، يأكل في كل أسبوع أكلة ويقول في خطبته: «إنّ بطني شبر في شبر وعندي ما عسى يكفيني» فقال فيه الشاعر:

لَو كَان بطنُك شِبراً قد شَبِعَت وقد ... أَبْقيتَ فَضْلاً كثيراً للمساكينِ

فإن تُصِبْك منَ الأيام جائِحَةٌ ... لا تَبْكِ منْكَ على دُنيا ولا دينِ

❁ ❁ ❁

(1) **خصف**: النعل: خرزها، الهلب: هنا شعر الفرس.

«عقد عارف حاسب لا عقد كاتب»: العدُّ بتشكيل الأصابع

اعلمْ أن بعض الأحاديث اشتمل على أشياء لا تُفهم إلّا بعد معرفة اصطلاحهم في حساب العقود، فلنذكر في هذا المقام ما يكشف عن حقيقة الحال على حسب ما تلقيته من بعض الأسانيد، وذكره المجلسي (ره) في الأربعين:

وذلك أن القدماء وضعوا ثماني عشرة صورة من أوضاع الأصابع الخمسة اليمنى لضبط الواحد إلى تسعة وتسعين، ومثلها من أوضاع الأصابع الخمسة اليسرى، لضبط المائة إلى تسعة آلاف، ووضعاً لعشرة الآلاف، فيظبطون تلك الأوضاع من الواحد إلى عشرة آلاف:

فجعلوا الخنصر والبنصر والوسطى من اليمين، لعقود الآحاد، أي للواحد إلى التسعة، ومن اليسرى لعقود آحاد الآلاف التي هي من الألف إلى تسعة آلاف، وجعلوا السَّبَّابة والإبهام من اليمين لعقود العشرات، أي للعشرة إلى تسعين، ومن اليسرى لعقود المئات، أي للمائة إلى تسعمائة، وتفصيلها: أن تثني الخنصر فقط للواحد، وتضم إليه البنصر للاثنين وتضم إليهما الوسطى للثلاثة، كما هو المعهود بين الناس في عدّ الواحد إلى الثلاثة، لكن تضع رؤوس الأنامل في هذا العقود قريبة من أصولها.

وللأربعة: ترفع الخنصر وتعقد البنصر والوسطى.

وللخمسة: ترفع البنصر أيضاً وتثني الوسطى فقط.

وللستة: تثني البنصر فقط.

وللسبعة: تثني الخنصر فقط.

وللثمانية: تضمّ إليه البنصر.

وللتسعة: تضم إليهما الوسطى، ولكن في هذه الثلاثة تبسط الأصابع على الكفّ مائلةً أناملها إلى جهة الرّسغ، لئلّا يلتبس بالثلاثة الأُوَل.

وللعشرة: تضع رأس ظفر السَّبّابة على مفصل أُنملة الإبهام، ليصير الإصبعان معاً كحَلَقة مدوَّرة.

وللعشرين: تضع ظفر الإبهام تحت طَرَف العقدة التحتانية من السّبَّابة والتي تلي الوسطى، حيث يُظنّ أن أُنملة الإبهام أُخذت بين أصل السَّبَّابة والوسطى، وإن لم يكن لوضع الوسطى مدخل في ذلك، لكون أوضاعها مُتغيّرة الآحاد.

وللثلاثين: تضع رأس أُنملة السَّبَّابة على طرف ظفر الإبهام الذي يليها، ليصير وضع السبابة والإبهام كهيئة القوس مع وترها، ويجوز أن يعرض للإبهام انحناء أيضاً.

وللأربعين: تضع باطن أُنملة الإبهام على ظفر العقدة التحتانية من السَّبَّابة، حيث لا يبقى بينهما فرجة أَصْلاً.

وللخمسين: تجعل السَّبَّابة منتصبة وتضع الإبهام على الكف محاذياً السَّبَّابة.

وللستين: تأخذ ظفر الإبهام بباطن العقدة الثانية للسبَّابة كما تفعله الرّماة.

وللسبعين: تأخذ الإبهام مُنتصباً وتضع على رأس أُنملَتِهِ باطن أُنملة السَّبَّابة وعقدتها الثانية، بحيث يبقى تمام ظفره مكشوفاً.

وللثمانين: تأخذ الإبهام مُنتصباً وتضع على مفصل أُنْملَتِهِ طرف أُنملة السَّبَّابة.

وللتسعين: تضع رأس ظفر السَّبَّابة على مفصل العقدة الثانية من الإبهام، ثم كلّ وضع يدلّ على عقد من الآحاد في اليمين يدلّ على ذلك العقد من آحاد الأُلوف في اليسرى، وكل وضع يدلّ على عقد من العشرات في اليمنى يدل على ذلك العقد من المئات في اليسرى.

فهذه العقود الستة والثلاثون تضبط من الواحد إلى تسعة آلاف وتسعمائة وتسع وتسعين.

ولعشرة آلاف تضع طرف أُنملة الإبهام على طرف السَّبَّابة بحيث يصير طرفاهما متحاذيين.

❀ ❀ ❀

• جوهر مكنون في أحوال النون:

اعلم أنَّ للنون السّاكنة ستة أحوال:

الأولى: أنها تُدغم وجوباً في ستة حروف يجمعها قول (يرملون) بالياء والرّاء والميم واللّام والواو والنون، نحو: من ماء، ومن يوم، ولا يعترض بنحو: صنوان وقنوان، فإن الشرط في ذلك أن يكن الحرفان في كلمتين.

الثانية: الأفصح بقاء غُنَّتها في الواو والياء، نحو: من ويل ومن يوم.

الثالثة: الأفصح ذهاب غُنَّتها في اللّام والرّاء، نحو: من ربّ ومن لين.

الرابعة: أنها تُقلب ميماً مع الباء لِكَراهة نبرتها، نحو: من باب وعنبر.

الخامسة: أنها تُخفى مع خمسة عشر حرفاً وهي: الصّاد والذّال والثّاء والتّاء والكاف والجيم والسّين والشّين والفاء والقاف والزّاي والطّاء والظّاء والضّاد، والحاصل أنها ما عدا ما تقدم وما يأتي.

السادسة: أنها تظهر مع حروف الحلق: وهي الهمزة والهاء والعين والحاء والغين والخاء، ويجمعها قول (أهع حغخ) والمراد بالإدغام هنا قلب الحرف الأول إلى الثاني وإدخاله فيه، وجعلهما كالحرف الواحد، وبالغُنَّة إبقاء الصوت الذي يخرج عقيب التَّلفُّظ بالنون كالجرس، مأخوذ من التّغنّي، وبالإخفاء إخراجها من الخيشوم، وبالإظهار إخراجها من مخرجها الأصلي، ولذلك مباحث شريفة محلّها عِلْما الصرف والتجويد.



• لآلىء منظومة

1 ـ لأحمد الغزالي أخي الغزالي المشهور:

وَهَانَ عليَّ اللّوم في جَنب حَيِّها — وقَوْل الأعَادي إنَّهُ لَخَلِيعُ
أَصَمُّ إذا نُوديتُ باسمي وإنّني — إذا قيلَ لي يا عَبْدَها لَسَميعُ

2 ـ ولإبراهيم بن خفاجة الأندلسي[1]:

ولَئِنْ جَريتُ مع الصِّبا جَريَ الصَّبا وشَربتُها من كفِّ أحوى أَحْورِ
ناجيتُ منه عطارداً ولرُبما قبَّلته ولثمتُ وجه المشتري

❀ ❀ ❀

3 ـ وله أيضاً وقد أبدع:

ما لِلْعَذَارِ وكان وَجْهُكِ قَبْلَهُ قَدْ خُطَّ فيه من الدُّجَى مِحْرابا
وأرَى الشَّبابَ وكان ليس بخَاشِعٍ قدْ خَرَّ فيه رَاكعاً وأنَابَا
ولَقَدْ علمتُ بأنَّ ثَغْرَكِ بارِقٌ أنْ سوفَ يزجي لِلْعَذَار سَحَابَا

❀ ❀ ❀

4 ـ ولأحمد بن يوسف السليكي المِنازي:

وَقَانا نَفْحَةَ الرَّمْضَاءِ وادٍ سَقاه مُضاعِفُ النَّبْتِ العميمِ
نَزَلْنَا دَوْحَهُ فَحَنا عَلَيْنا حُنُوَّ المُرْضِعاتِ على الفطيمِ
وأَرْشَفَنا على ظَمَإٍ زُلالاً أَرَقَّ مِنَ المُدَامَةِ والنَّديمِ
يُراعي الشّمسَ أَنَّى قَابَلَتْهُ فَيَحْجِبها وَيأذنُ للنَّسيمِ
يَرُوعُ حَصَاهُ حَالِيَةَ العَذَارى فَتَلْمَسُ جانَبَ العِقْدِ النَّظيمِ

❀ ❀ ❀

5 ـ ولبعضهم:

تَنَفَّسَ صُبحُ الشَّيب في ليلِ عَارضي فَقلتُ عَسَاه يكتفي بعَذَاري
فَلَمّا فَشَا عاتَبْتُهُ فَأَجابَني أيَا هل تَرى صبحاً بغيرِ نَهَارِ

❀ ❀ ❀

6 ـ ولمحمد بن الفضل الخازن، وقد أجاد:

مَنْ يَسْتَقمْ يُحْرَمْ مُنَاه ومن يَزِغْ يختصّ بالإسْعَافِ والتمْكينِ

---

(1) أبو إسحاق إبراهيم بن خفاجة، شاعر أندلسي، يهتم بالمعنى قبل اللفظ، (450هـ ـ 539هـ).

أُنْظُرْ إلى الألِفِ اسْتَقَام فَفَاتَهُ عُجمٌ وفَازَ به اعْوِجَاجُ النُّونِ

❀ ❀ ❀

7 - وله ولقد أحسن وأجاد في ما أراد:

مَنْ لي بِاسْمَرَ حَجَّبوه بِمِثْلِهِ في لَوْنِهِ والقَدِّ والعَسَلانِ[1]
مَنْ رامَهُ فَلْيَدَّرِعْ صَبْراً على طَرَف السِّنَان وطَرْفِهِ الوسْنَانِ
رَاحَ الصِّبا يَثْنيهِ لا ريحُ الصَّبا سكرانَ لي من حُبّهِ سُكَرَانِ
طَرْفي كَطِرْفٍ جامحٍ مَرحٍ مَتَى أَرْسَلْتُ فَضْلَ عِنَانِهِ عنَّاني

❀ ❀ ❀

8 - وله في الحكيم أبي القاسم الأهوازي وقد قصده فآلَمَهُ:

رَحِمَ الإله مُجَدَّلين سَليمُهمْ مِنْ سَاعدَيْكَ مُبَضَّعٌ بالمِبْضَعِ
فَعَصَابَةٌ تأتيهمُ بِمَصَائبٍ نُشِرَتْ فَتَطوي أذرعاً بالأذرُعِ
دَسْتُ المَبَاضعِ أمْ كِنَانَةُ أسْهمٍ أمْ ذو الفقار مع البطينِ الأنْزعِ[2]
غرراً بنفسك إنْ لَقيتُك بَعْدَهَا يا عَنْتَر العَبْسيّ غيرَ مُدَرَّعِ

❀ ❀ ❀

9 - وللقاضي الأرجاني[3]:

ما جِئْتُ آفاقَ البلاد مُطوِّفاً إلاّ وأنْتُمْ في الوَرَى مُتَطَلَّبي
سعيي إليكمْ في الحقيقة والذي تجدون عنكم، فهو سَعْيُ الدَّهرِ بي
أَنَحوكمُ ويُرَدّ وجهي القهقرى عَنكمْ فَيَسْري مثْلَ سَيْرِ الكوكبِ
فالقَصْدُ نحو المَشْرِقِ الأقْصَى لكمْ والسَّيْرُ رأي العين نحو المغربِ

❀ ❀ ❀

(1) **العَسَلان**: مصدر الفعل عسل الرمح: اشتدَّ اهتزازه.

(2) **البطين الأنزع**: من صفات الإمام عليﷺ وذو الفقار سيفه المشهور ذو الحدين.

(3) **القاضي الأرجاني**: هو أبو بكر أحمد بن محمود بن الحسين الأرجاني الشاعر الشهير، كان قاضياً في تُسْتُّر وعسكر مكرم، ولد في حدود سنة 460هـ وتوفي سنة 544هـ، له ديوان طبع في بيروت سنة 1307هـ وطبعته وزارة الثقافة العراقية ببغداد. انظر: **وفيات الأعيان**، 1/ 63، **الوافي بالوفيات**، 7/ 373، **شذرات الذهب**، 4/ 137، **الأعلام**، 1/ 215.

10 ـ وللقاضي أيضاً كتبه إلى بعض الرؤساء يعتب عليه لعدم سؤاله عنه وقد انقطع مدة:

نَفْسي فِدَاؤكَ أيُّهذا الصَّاحِبُ ... يَا مَنْ هَوَاهُ عليّ فَرْضٌ واجِبُ
لِمْ طالَ تقصيري وَما عاتبتني ... فأنا الفِداءُ مقصرٌ ومُعَاتَبُ
ومِنَ الدليل على مَلالِك أنني ... قدْ غِبْتُ أيّاماً ومَالي طالِبُ
وإذا رأيت العبدَ يهربُ ثمّ لَمْ ... يُطْلَبْ فَمَوْلَى العبد منهُ هارِبُ

❀ ❀ ❀

● مسألة فسخ المرأة عقد النكاح:

هل تفسخ المرأة النّكاح إذا تبيّن في الرجل عنّة، بعد أن كان عقد عليها وظاهره السلامة؟

أولاً: وعلى تقدير جَواز الفسخ، فهل يجب التأجيل عند الحاكم الشرعي؟ أولا؟ وإذا مضى الأجل، فهل تفسخ بدون الحضور عند الحاكم أم لا؟

الجواب: إن للمرأة أن تطلب الفسخ بوجود العنّ، وهو على ما في «الروضة»[1] وغيرها، مَرَضٌ يعجز معه عن الإيلاج لضعف الذّكر عن الانتشار، والأدلة على أهل الحكم متوفّرة، منها «صحيحة» أبي حمزة، قال: سمعت أبا جعفر عليه السلام يقول: إذا تزوّج الرجل المرأة الثيّب التي قد تزوجت زوجاً غيره، فزعمت أنه لم يقربْها مذ دخل بها، فإن القول في ذلك قول الرجل، وعليه أن يحلف باللّه لقد جامعها لأنها المُدَّعية، قال: فإن تزوّجها وهي بكر، فزعمت أنه لم يصلْ إليها فإن مثل هذا يعرفه النساء فلينظر إليها من يوثق به منهن فإنْ ذكرت أنها عذراء، فعلى الإمام أن يؤجّله سنة، فإن وصل إليها، وإلّا فرّق بينهما وأعطيت نصف الصُّداق ولا عُدَّة عليها، وفي هذه الرّواية وغيرها تصريح بأنّ التأجيل سنة لا بدّ منه. وهي تقيّد إطلاق غيرها، مما يدُلّ على جواز الفسخ من دون ما يعرض لذكر الأجل.

● وقد ذكر جماعة في حكمة التأجيل سنة، أن تَعَذُّر الجُماع، قد يكون

---

(1) كتاب «**الروضة البهيّة**».

لعارض حرارة فتزول في الشتاء، أو برودة فتزول في الصيف، أو يُبوسة فتزول في الربيع أو رطوبة فتزول في الخريف. أما إن ابتداء الأجل من عند المرافعة، لا قبلها، فهو ظاهر «الصحيحة» المذكورة، حيث جعله للإمام، وهو صريح ما رواه الشيخ في «التهذيب» عن أحمد بن محمد بن عيسى عن علي بن الحكم عن أبي البختري عن أبي جعفرعليه السلام عن أبيهعليه السلام، أنّ علياًعليه السلام كان يؤخّر العنين سنة من يوم ترافعه امرأته. (الرواية).

❀ ❀ ❀

• غرائب شعرٍ ونثر

1 ـ للصّلاح الصَّفدي[1]:

كَتَبْتُ لِمَوْلىً نأَتْ دَارُهُ وسِنَاتُ[2] حالِيَ وَقْفٌ عَلَيهِ

فَسَعْيِي إليه سُمُوّي بِهِ سُؤالِيَ عنه سَلامي عليهِ

❀ ❀ ❀

2 ـ ولبعضهم في موسوس:

وَبَارِدُ النَيّة عِنِّينُها يُكَرّرُ الرِغْدَةَ والهَزّهْ

مُكرراً سبعينَ في مَرَّةٍ كأنَما صَلَّى على حمزهْ

❀ ❀ ❀

3 ـ **يُقال:** إنه ما رُؤي قبور إخوة أكثر تباعداً من قبور بني العبّاس رضي اللّه تعالى عنهم: قبر عبد اللّه بالطّائف، وقبر عُبيد اللّه بالمدينة، وقبر قثم بسمرقند، وقبر عبد الرحمن بالشام، وقبر معيد بأفريقية.

❀ ❀ ❀

---

(1) صلاح الدين خليل (1296 ـ 1362) من مؤلّفاته، **شرح لاميّة العجم**.

(2) السِّنات كما في البيت الثاني: مفردها سِنَةٌ مصدر الفعل وَسِن الرجلُ وَسَناً وسنةً: ثقل نومه أو أشتدَّ عليه النُّعاس فأصابه بفتور وضعف وهي هنا الفتور وضعف الحال.

سؤال حول بِكْرٍ حامل:

رجل عقد على بِكْر وتبين بعد الدّخول أنها حاملة من زِنَى، فهل العقد صحيح؟ وعلى أيّ تقدير، فهل لها المسمّى من المَهْر أم غيره؟

الجواب: إذا تبين أنها حامل من الزّنَى الواقع قبل الدخول، فالعقد صحيح ولا عُدّة لها، نعم، لا يبعد استحباب اجتنابها حتى تلِدَ، ثم إنْ كان الزنى وقع بعد العقد، فالظاهر أنّ لها المَهْرَ بتمامَهِ، ولا خيار للرجل في فسخ النّكاح وإن كان قبل العقد ولمّا يعلم الرجل به حالته، فإن قد قدّم على نكاحها على كلّ حال، ثيباً أو بِكْراً فلا فسخ، ولها المسمى كله، وإن كان على ما هو الظاهر من حال البنات من البكارة. ففي ثبوت الفسخ وتمام المهر لها إشكال، والأقوى العَدَم، وإن كان قد شرط كونها بكراً ثمّ عَلِمَ بعد الدخول يسبق الثيبوبة على العقد، فالظاهر أن له الخِيَار في الفسخ على الفور على الأقوى، فإن اختار الفسخ، كان لها المَهْر كله، ويُرجع به أو بتفاوت نسبة مهرها بِكْراً إلى مهرها ثيباً. على المُدَلِّس، وإن كانت هي المُدَلّسَة، رجع عليها بما يزيد عن أقلّ مهر أمثالها على الأقوى، وإن اختار الإمساك قيل: لها المسمى أجمع وقيل ينقص شيئاً ولم يعيَّنْ لإطلاقه في الرواية وقيل السدس، وقيل: يُعَيّن النقص بنظر الحاكم الشرعي، وقيل: ينقص بنسبة ما بين مهرها بكراً إلى مهرها ثيباً، ولعلّ هذا هو الأوجه.

مسألة الشك في الصلاة:

كثير الشك في الصلاة لا يلتفت ويَبْني على الصّحة، كما هو المشهور بين العلماء والأخبار به مُستفيضة.

1 ـ **منها**: ما رواه الكليني في «الصحيح» عن محمد بن مسلم عن أبي جعفرعليه السلام قال: إذا كثر عليك السّهو فامْض في صلاتك فإنه يوشك أن يدعك إنما هو الشيطان. والمراد بالسّهو: الشّكّ كما يظهر من استعماله به في أكثر الروايات.

2 ـ **ومنها**: ما رواه في «الصحيح» عن زُرارة وأبي بصير قالا: قلنا له: «الرجل يشكّ كثيراً في صلاته حتى لا يدري ما صلّى وما بقي عليه». قال: يُعيد، قلنا يكثر عليه ذلك، كلما عاد يشكّ، قال: «يمضي في شكّه» ثم قال: «لا تُعوّدوا

الخبيث من أنفسكم نقض الصلاة فتُطمِعوه، فإن الشيطان خبيث معتاد لِمَا عُوِّدَ، فَلْيَمْضِ أحدكم في الوهم ولا يُكثرنّ نقض الصلاة، فإنه إذا فعل ذلك مراراً، لم يعد إليه الشكّ».

قال زرارة، ثم قال: «إنما يريد الخبيث أن يُطاع فإذا عُصي لم يعد إلى أحدكم». ولا يقدح في الرّواية القطع، فإن المُراد أحدهما عليهما السلام، إذْ مثل هذين الجليلين لا يرويان إلّا عن أحدهما، خصوصاً بعد موافقة الرواية لغيرها من رواياتهم عليهم السلام مع ظهور الأوامر التي فيها بكونها من المعصوم، على أن القطع بحسب الظاهر، إنما هو من أصحاب الكتب كالكُليني وغيره، وإلّا فهي في الأصل مُسندة، وللكلام في ذلك محلٌ آخر.

وكذا لا يقدح في الاستدلال قوله عليه السلام: «يُعيد»، مع قولهما في السؤال: «يشكّ كثيراً»، فإنه يُحمل على الكثرة الاتفاقية غير المعتادة جمعاً بينه وبين ما بعده من كلام السّائل والمسؤول.

3 ـ **ومنها**: ما رواه في «الفقيه» في «الصحيح» على الظاهر عن محمد بن مسلم عن أبي جعفر عليه السلام قال: «إذا كثر عليك السّهو فَدَعْهُ فإنه يوشك أن يَدَعَك، إنما هو الشيطان» والسند صحيح على الأقوى بالبرقيين، ولا يقدح فيه عدم توثيق عليّ، فإنه عن مشايخ الإجازة، والظاهر عدم احتياجهم إلى التوثيق.

4 ـ **ومنها**: ما أرسله أيضاً في «الفقيه» عن الرّضا عليه السلام قال: «إذا كثر عليك السهو فامضِ على صلاتك ولا تَعُدْ»، إلى غير ذلك من الأخبار الدّالة على أنه لا يجب العلاج بما يُعالج به، ولو لم يكن كثير السَّهو، كالإعادة فيما لو كان الشك في ركعات الثنائية والثلاثية، وأعاد المشكوك فيه وهو في المحل، وصلاة الاحتياط وسجود السهو ونحو ذلك.

فإن قلتَ: إنه لم يصرّح فيها إلّا بعد الإعادة، وأما سجود السَّهو وصلاة الاحتياط وغيرهما من العلاجات، فلم يُتعرَّض له في الأخبار.

قلتُ: لا معنى لقوله: «إذا كثر عليك السّهو فَدَعْهُ»، إلّا أنك لا تلتفت إليه ولا

تعدّه شيئاً، ولازِم ذلك عدم معالجته بنوع من الأنواع والبناء على الصحّة تماماً ونقصاناً، ويؤيّد ذلك التعليل بأنه من الشيطان وبأنه يُترك لو تُرك.

ومن هنا نقول بتعدية الحكم إلى الوضوء، فإن مفهوم العلّة شامل له، على أن رواية ابن مسلم مطلقة غير مختصّة بالصلاة.

وقد وفّق اللَّه من فيضه بعد كتابتنا هذه المسألة، لكتابة رسالة في أحكام الوسواس في الأصول والفروع وغيرهما، وأسبابه وعلاجاته، سمّيناها «جلاء الوسواس عن أفئدة الناس».

❀ ❀ ❀

• حديث عليٍّ عليه السلام عن الأشتر:

• في شرح «نهج البلاغة» لعبد الحميد بن أبي الحديد (المعتزلي) ما هذا صورته: «أبو مخنف من المحدّثين وممّن يرى صحّة الإمامة بالاختيار، وليس من الشيعة ولا معدوداً من رجالها، وكذا نصر بن مزاحم بن يَسَار المنقري من رجال الحديث أيضاً». (انتهى).

وفيه نظر، فإن الظاهر من النّجاشي وغيره، كونه من رجال الشيعة، وفي الشرح المذكور أيضاً: «للَّه أمٌّ قامتْ عن الأشتر لو أن إنساناً يقسم أن اللَّه تعالى ما خلق في العرب ولا في العجم أشجع منه إلّا أستاذه علي عليه السلام لما خشيتُ عليه الإثم». واللَّه درّ القائل، وقد سُئل عن الأشتر: «ما أقول في رجل أهرمت حياتَهُ أهلُ الشّام وأهرم موتَه أهلَ العراق ويحق فيه ما قاله أمير المؤمنين عليه السلام: «كان لي كما كنت لرسول اللَّه صلى الله عليه وآله».

❀ ❀ ❀

• روضة نبوية حول العدل الإلهي:

في حديث: «فقبض قبضةً بيمينه فقال: إلى الجنة، وقبض قبضةً بشماله وقال: إلى النّار ولا أُبالي».

قال بعض العارفين: قد أشكل هذا الحديث على بعض الناس فقال: كيف يجوز أن يخلق اللَّه قوماً للنار في أصل الخلق، ثم يكلّفهم ترْك طاعته وترك معصيته، وهل هذا إلّا يُنافي العدل؟ وهو مُنزَّهٌ عنه سبحانه، وأجاب عنه بأن كلام آل محمدعليهم السلام لا يَرد عليه اعتراض أبداً وإنما يقع لعدم فهم السامع مقصدهم وما عَنَوا به.

وقد جاء في حديثهم أن الأرواح خُلقت قبل الأبدان بألفي عام، وأمر سبحانه بالإقرار له بالرُّبوبية، ولمحمدﷺ بالنبوّة، ولعليّ ولأهل بيته بالإمامة، فمنهم من أقرّ بقلبه ولسانه، ومنهم من أقرّ بلسانه دون قلبه، وهو قوله سبحانه ﴿وَلَهُۥٓ أَسۡلَمَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ طَوۡعٗا وَكَرۡهٗا وَإِلَيۡهِ يُرۡجَعُونَ﴾[1].

ثم إنه سبحانه، لما أراد خلق الأجساد، خَلَق طينة طيّبة وأجرى عليها الماء العذب الطيب، وخلق من صفوها أجسام محمد وآله الطاهرينﷺ، وخلق طينةً خبيثةً وأجرى عليها الماء المالح الخبيث ومزج الطينتين بمقتضى حكمته ولُطْفه وعركهما عَرْكَ الأديم فأصاب كلّ منهما من لطخ الأخرى، فأسكن الأرواح المؤمنة أولاً في الطينة الطيّبة فلم يضرّها ما أصابها من لطخ الأخرى، إذ ليس من سِنْخها ولا جوهرها وأسكن الرّوح الكافرة أولاً في الطينة الخبيثة ولم ينفعها ما أصابها من لطخ الطيبة، إذ ليس من سنخها[2] ولا معدنها، فأصاب المؤمن السّيئات بسبب المزاج، وأصاب الناصب الحسنات للمزاج.

وقد ورد أن حكمة المزاج اشْتباهُ الصورتين، صورةُ المؤمن وصورة الناصب، ولولاه لامْتاز كلّ منهما، وفي ذلك تعبٌ للمؤمن وقصد بالأذى، وقد تشتبه الأعمال في الظاهر حتى يعمل المؤمن في دولة الظّالمين، ولا يمتاز وهذا في الأبدان خاصة دون الأرواح، فالقضية المذكورة في الحديث كانت في الأبدان التي هي قالب للأرواح المؤمنة والكافرة، وهي تتبع للأرواح في الخلق وفي التكليف والمَعَاد، فليس في الحديث إشكال مع هذا.

❀ ❀ ❀

---

(1) سورة آل عمران، الآية: 83.

(2) سنخ: أصل، مادة.

• دُرَّةُ خَواص لا دُرَّة غوّاص: إحرام راكب البحر.

ورد علينا من مدينة صيدا من الشيخ الجليل الشيخ خليل عسيران ابن الحاج حسين، وكيل دولة إيران، سؤال يطلب فيه الإشارة إلى الدّليل، فأجبناه عنه، وأحببنا رسْمَهُ في هذا المؤلّف لذكر الأدلّة ومجيئه وافياً في بابه، وكان ذلك ليلة الفطر أوّل شوّال سنة ثمانية وستين بعد الألف والمائتين (1268هـ) وهذا السؤال: ما قولكم دام فضلكم في راكب البحر، هل يحرّم عليه التظليل في حالة الإحْرام كالسّائر برّاً؟ وعلى تقديره، فهل الحرمة سارية إلى حالة النزول؟ وهل نزوله حالة رسوّ المركب أم بوصوله إلى البرّ؟ وعلى القول بالتحريم، هل إذا أصابه ظلُّ الشراع وغيره من غير تعمّد، يجب عليه التحرز منه؟ وعلى القول به، إذا لم يكن، هل عليه كفّارة أم لا؟

الجواب:

هذه المسائل نادرة العروض في الأخبار وكلام العلماء الأخيار، والذي وصل إليه نظري القاصر فيها ما محصله:

إن السّائر بحراً كالسّائر برّاً، يحرّم عليه التظليل بثوب فوق رأسه وغيره، لإطلاق الرّوايات وعموم بعضها، وهي كثيرة، منها «صحيحة» عبد اللّه بن المغيرة قال: سألت أبا الحسن عليه السلام عن الظلال للمُحْرم، قال: اضْحَ لما أَمَرْتُ به الرواية، ومعنى الإصحاء اعتزال الكِنّ[1] والظهور للشمس.

ومنها «موثّقة» أبي بصير عن الرجل يضرب عليه الظلال، قال: نعم، إن كان به شقيقة. الرّواية ومعناها بمقتضى مفهوم الشرط الذي هو عندي حُجّة، إن لم يكن به شقيقة أو نحوها، لا يضرب ظلالاً، وغيرهما بمعناهما كثير، وكلها لا تفصيل فيها بين السائر برّاً والسّائر بحراً، ومثل هذا كافٍ في إثبات الحكم، وهذا ممّا لا ينبغي الإشكال فيه، إن كان مجلسه على ظهر السفينة ونحوه من الأمكنة الظاهرة للشمس، وأما من كان مجلسه في بطن المركب أو أحد بيوته أو نحوهما ممّا هو مُظلّل بأصله، فإن كان لا يقدر على مكان يظهر فيه للشمس، فلا إشكال في كفاية ذلك، وفي لزوم الفدية جاء وجهان من تنزيله منزلة من اضطرّ للتظليل كالعليل، ومن الأصل مع كون التظليل غير مسند إليه، والثاني أقوى، والأول لا يخرج عن قوة مع

---

(1) **الكِنُّ**: البيت.

كونه أحوط، وإن كان يقدر على مكان آخر ففي الخروج إليه وجهان: أحدهما الوجوب، لقوله عليه السلام في الرواية ونحوها: أَضْحِ لما أُمرت له، فيكون الإصحاء واجباً، ومن أن ظاهر أكثر الروايات، كون التظليل مانعاً، وهذا الوجه لا يخرج عن قوة مع موافقته للأصل، ويحمل الأمر بالإصحاء على إرادة دوامه، بمعنى عدم إحداث التظليل، ويؤيّده مقابلته له في رواية الكلابي حيث فيها قلت لأبي الحسن عليه السلام: إن علي بن شهاب يشكو رأسه والبرد شديد ويُريد أن يُحْرم فقال: إن كان كما زعمَ فَلْيُضْحِ وإلّا فَلْيُضَحّ لمنْ أحرم له.

لكن الوجه الأول هو الموافق للاحتياط مع بقاء الأمر بالإصحاء على ظاهره، مضافاً إلى ذلك قول الصيقل: «ما رأيت أحداً كان أشدّ تشديداً في الظلّ من أبي جعفر عليه السلام كان يأمر بقلع القُبّة والحاجبين إذا أحرم، فتأمّل فإنَّ المراد، قُبة المحمل وحاجباه».

وأما حالة النزول: فإن كان نزل في البرّ فلا إشكال في جواز ضَرْبه الخباء ونحوه ممّا يجوز للسائر برّاً، وإن كان أرستْ السفينة في البحر للبيات أو القيلولة فيحتمل عدم جواز الاستظلال للإستصحاب وإطلاق الأدلة وتنزيل السفينة منزلة الدّابة للرّاكب والرّاكب لم يرخّص له في الاستظلال على ظهرها، وإلّا قوي جَوَاز الاستظلال له بحائط المركب أو أحد بيوته، بلْ يضرب خباءً ونحوه لتخصيص الفقهاء حرمة التظليل بالسائر. ونقل عليه بعض الإجماع: قال الشهيد الثاني في (الروضة) «ويُحرّم التظليل للرجل الصحيح سائراً فلا يحرّم نازلاً إجماعاً» (انتهى). ووقت رسوب السفينة غير سائر قطعاً بل نازل لغةً.

قال في القاموس: «النزول، الحلول ونزل بهم وعليهم، حَلَّ» (انتهى) ولحصول العُسْر والحَرَج، لو التزمنا بحرمة التظليل حالة الوقوف والإقامة، ولا يعتبر بحالة السير، فإن الشمس تؤثّر في السَّاكن أضعاف ما تؤثّره في السّائر، وذلك واضح لكل أحد.

وأمّا ظلّ الشراع: فالأقوى عدم وجوب التحرّز منه للأصل، ولكونه عن غير فعله، كالغمامة تجيء فوق رأس الرّاكب، ولتجويز الأئمة عليهم السلام والفقهاء المشي في ظلّ المحمل، والشراع أولى منه، لاستلزام الانتقال من تحت ظله العُسْرَ والحرج، فإننا سافرنا في البحر فوجدنا الشراع لحظةً يُظلك وأخرى يحيد، فالملتزم بموقع الشمس أو الظلّ يكاد يُعدّ مجنوناً، نعم لا ينبغي، بل قد يُقال لا يجوز للرّاكب أن يتقصّدَه لأنه منهيٌّ عن التظليل بل مأمور بالإصحاء.

وأما الكفّارة وجوباً واستحباباً، فهي شاةٌ تُذبح بمِنى كما تضمّنته «صحيحة» ابن ربيع وغيرها، والصّدوق يذهب إلى أنها مُدٌّ من طعام، وعليه رواية أبي بصير وعن الحسن: فديةٌ من طعام أو صَدَقة أو نُسُكٌ[1]، والصحيح ما ذكرنا.

• عقد منظوم كأنه خرز نجوم:

1 ـ لبشار بن بُرد[2]:

غمض الجديد بصاحبيك فَغَمَّضا ... وبقيتَ تَطْلُب في الحَبَالة مَنْهَضَا
وكأنّ قلبي عند كلِّ مُصيبةٍ ... عظمٌ تكَرَّر صَدْعه فَتَهَيَّضا
وأخٌ سلوتُ له فأذكره أخاً ... فمضى وتُذكرك الحَوَادثُ ما مضى
فاشْربْ على تَلَفِ الأحِبَّة إننا ... جَزْرُ المَنِيَّةِ ظاعنين وخُفَّضا
ولقد جريت مَعَ الصِّبا طلق الصِّبا ... فاطعتُ عُذّالي وأُعطيتُ الرِّضا
ومحوتُ من سُكْري وكنتُ مُوَكّلاً ... أرعى الحمامة والغُرابَ الأبْيَضا
ما كلُّ بارقَةٍ تجود بمائها ... ولَرُبَّما صدق الربيع فَرَوَّضا
قدْ ذُقتُ إلْفَتَهُ وذِقْتُ فُراقَهُ ... فوجدتُ ذا عَسَلاً وذا جَمرَ الغَضَا
ويلي عليه وويلتي من بَيْنِهِ ... كان الذي قد كان حُلماً فانقضى
سبحان من كتب الشّفاءَ لذي الهوى ... ما كان إلاّ كالخضاب فقد نَضَا
ما عوَّضَ الصَّبرُ امرَأ إلاّ رأى ... ما فاتَهُ دونَ الذي قَدْ عُوِّضا

2 ـ لأبي تمام[3]:

أهلوكَ أضْحوا شَاخِصاً ومُقَوِّضا ... ومُزَمِّماً يصف النوى ومُعَرِّضا
إنْ يَذجُ عيشك أنهم أمّوا اللوى ... في منْ أضاءوهُم على ذات الإضَا

---

(1) **النُّسُك**: القربان والعبادة.

(2) انظر: **الديوان، شرح التبريزي**، دار صادر.

(3) **أبو تمّام**: حبيب بن أوس الطائي، الشاعر المشهور، والأبيات من قصيدة مؤلفة من 25 بيتاً، وهي من مدائحه في ابن أبي دُؤاد القاضي. وهي مشهورة قالها على وزن ورويّ قصيدة بشار، وقد عارضها البحتري في القصيدة التي مطلعها: ترك السّواد وقد ذكر السيد حسن الأمين، في كتابه «أبو تمام: حياته وشعره»، قصيدة أبي تمام مع قصيدتي بشار والبحتري في الصفحة 294 وما بعدها. (انظر: في الصفحة التالية).

بَدَّلتَ من برق الثغور وبَرْدِها بَرْقاً إذا ظَعَنَ الأَحِبَّةُ أوْمضا
ما أنصف الشرخ[1] الذي بعث الهوى فقضى عليك[2] بلَوْعةٍ ثم انقضى
عندي من الأيّام ما لو أنَّه أمسى بشارب مرْقدٍ ما غمّضا
لا تطلبنَّ الرِّزْقَ بعدَ شِماسِهِ فَترُومهُ سَغْباً[3] إذا ما غُيِّضَا
ما عوَّضَ الصبرُ امْرَأً إلاَّ رأى ما فاته دونَ الذي قدْ عَوَّضا
يا أحمد بنَ أبي دؤادٍ دعوة ذَلَّتْ لِذكْركَ لي وكانت لكَظا
لما انتضيْتُك للخطوب كَفَيتَها والسيف لا يُرضيك[4] حتى يُنتَضَى
قد كان صَوَّحَ نبت كلِّ قَرَارَةٍ حتى تَروَّح في نَدَاك فَرَوَّضا[5]
أوردتني العِدَّ الخَسِيف[6] وقد أُرى أَتَبَرَّضُ الثَّمَدَ البكيَّ تَبرُّضا
وسكت إلاّ أن أُعرِّضَ قائلاً جَهْراً وصَرَّح جَهْرةً من عَرَّضا

3 ـ للبُحْتري[7]:

تَرَكَ السَّوَاد لِلابسيه وبَيَّضا ونضى من السّتين عنه ما نَضَا[8]
وَشآهُ أغْيدُ في تَصَرُّف لَحْظِهِ مَرَضٌ أَعَلَّ به القُلُوبَ فأَمْرَضا
وكأنَّهُ وَجَد الصِّبَا وجَديدَهُ دَيْناً دَنَا مِيقاتُه أن يُقتضى
فَعَقَقت للبُخَلاءِ أُذْعِرُ جاشَهمْ ونذيره من فاضلٍ أن يُنتضَى[9]

---

(1) **الشرخ**: الزمن عن الأمين وفي الديوان.

(2) **عليك**: عليّ، نفس المصدر.

(3) **سعباً**: سبحاً عند الأمين.

(4) **لا يرضيك**: لا يكفيك، المصدر نفسه.

(5) **فَروّضا**: وروَّضا، عند الأمين.

(6) **العد الخسيف**: في المرجع نفسه. **والعدّ**: الماء الثابت **والخسيف**: البئر، **الثّمد** الماء: القليل **والبكيّ**: البئر القليلة الماء، **وتبرّض الشيء**: أخذه قليلاً قليلاً. هذه الشروح عن المؤلف السيد حسن الأمين.

(7) الأبيات من قصيدة طويلة (32) بيتاً، قالها في مدح إسماعيل بن بُلْبل. **ديوان البحتري**، ج1، ص 328، دار بيروت.

(8) كَنَّى بلبس السواد عن الشعر الأسود وبالتبييض عن الشعر الأبيض. **نضا**: خلع. **شآه**: الكلمة الأولى في البيت الثاني معناها سبقه.

(9) هذا البيت ساقط من قصيدة الديوان.

لا تَأمَنَنْ من جَارِ بَيتك إنْ طوى أطنابَ جَانبِ بيته أو قَوَّضا[1]
فالأرْضُ وَاسِعةٌ لِنَقْلَةِ رَاغبٍ عمَّنْ تَنَقَّلَ وِدَّه وَتَنَقَّضا[2]
لا تَهتبَلْ إغْضَاءتي إن كنتُ قد أَغْضيتُ مُشْتَمِلاً على جَمْرِ الغضا
لَستُ الذي إنْ عَارضَتْهُ مُلِمَّةٌ أَصْغَى إلى حُكْم الزّمان وَفَوَّضا[3]
لا يَستَفِزَّني الطّفيفُ ولا أرى تِبعاً لِبَارِقِ خُلَّبٍ إنْ أوْمضا[4]
أنا من أحَبَّ تحرِّياً وكأنني في مَنْ أُعاينُ منكَ ممَّن أبغضا[5]
أَغْبَبْتَ سَيْبَكَ كَيْ يَجِمَّ[6] وإنما غُمِدَ الحُسَامُ المشْرَفيّ ليُنْتضى
وسَكَتُّ إلاّ أَنْ أُعَرِّضَ قائلاً نَزْراً، وصَرَّح جُهْدَه مَنْ عَرَّضَا

❀ ❀ ❀

4 ـ جميل بثينة[7]:

وَمَا ذَكرَتْك النَّفْسُ يا بَثْنُ مَرَّةً منَ الدّهرِ إلاّ كَادَت النَّفْسُ تَتْلَفُ
وإلاَّ اعْتَرَتْنيَ زَفْرَةٌ واسْتِكانَةٌ وجادَ لَهَا سَجْلٌ من الدمع يذرفُ
وما اسْتَطْرَفتْ نَفْسي حَديثاً لِخِلَّةٍ أُسَرُّ بِه إلاّ حَديثك أَطْرَفُ
تعَلَّقْتُها والجسمُ منّي مُصَحَّحٌ فَما زالَ يَنْمو حُبُّ بَثْنَى وأضْعَفُ
إلى اليوم حتى سُلَّ جسمي وشَفَّني وأَنْكَرْتُ منْ نفْسي الذي كُنتُ أَعْرِفُ
فَتَاةٌ من المُرَّان ما فوقَ حِقْوها وَمَا تَحْتَهُ منها نَقيَ يتَقَصَّفُ
ولَسْتُ بنَاسٍ أهْلَها حينَ أقْبلوا وجَالوا عَلَينا بالسُّيوفِ وطوَّفوا
وقالوا جميلاً بات باللّيل عندَها وقَدْ جَرَّدوا أَسْيَافَهم ثمَّ وقّفوا
وفي البيتِ ليثُ الغَابِ لولا مَخَافَةٌ على نفس بثنى والإله لأرْعفوا

---

(1) لا تأمنَنّ: في الديوان: لا تُنكرنْ.

(2) فالأرض: والأرض في الديوان. ووِدّه: عَهْدَهُ.

(3) جاء ترتيب هذا البيت في الديوان قبل هذه الأبيات، وأصغى: ألقى في الديوان.

(4) اللطيف بدلاً من الطفيف في الديوان.

(5) جاء ترتيب البيت بعد البيت السابق، في مَنْ أُعاين: في ما أعاين في الديوان.

(6) يجمّ: يكثر.

(7) جميل بثينة: هو جميل بن معمر العُذري، كنيته أبو عمرو، وهو أحد عشّاق العرب المشهورين وصاحبته بُثينة وهما من قبيلة عذرة. الشعر والشعراء، ص 286.

هَمَمْتُ وقد كادت مِراراً تَطَلَّعتْ إلى حَرْبِهِمْ نَفْسي وفي الكَفِّ مُرهَفُ
وكم مُرْتَجٍ أمراً أُتيحَ له الرَّدَى ومنْ خائِفٍ لمْ يَنْتَقِصْهُ التَّخَوُّفُ

5 ـ وللمؤلف ثلاثة أبيات عرضت بديهةً وإلى اللَّه المُشتكى:

مَنْ للعَزيزِ أرادَ قَوْمٌ ذُلَّهُ واللَّه يأبَى أنْ يُذَلَّ عَزيزُ
قد كان إبْريزاً يزينُ صَعيدَهم فالآن عَزَّ عليهِمُ الإبْريزُ
بَاعُوه بالثَّمن الرَّخيص لَعَاً لهم هل بَيْعُ غالٍ بالرَّخيصِ يَجوزُ؟

❀ ❀ ❀

6 ـ وفي الدُّرر والغُرر للسيد المرتضى علم الهدى، أخبر أبو عبد اللَّه المُرزُباني قال: حدّثنا أحمد بن يحيى النحوي قال: حدّثنا الزّبير بن بكّار قال: حدّثنا عروة بن عُبيد اللَّه بن الزبير قال: كان عروة بن أُذينة[1] نازلاً مع أبي في قصر عروة بالعقيق فسمعته ينشد لنفسه:

إن التي رغمت فؤادك مِلَّها خَلَقَتْ هواكَ كما خَلَقتَ هوىً لها
بيضاءُ باكرَها النعيمُ فَصَاغَها بِلَبَاقَةٍ فأدقَّها وأَجَلَّها
فيك الذي زعمت بها وكلاكما أبدى لِصاحِبِهِ الصَّبابة كُلَّها
ولعمرها لو كان حُبُّكَ فوقَها يوماً وقد ضَحيتْ إذاً لأظَلَّها
فإذا وجدتَ لها وَسَاوِسَ سَلْوَةٍ شفع الضمير إلى الفؤاد فَسَلَّها
لمّا عرضتُ مسلماً في حاجةٍ أخشى صُعوبتَها وأرجو دَلّها
مَنَعتْ تَحيتها فقُلتُ لِصَاحبي ما كان أكثرها لنا وأقَلَّها
فَدَنا فقال لَعلَّها مَعْذورةٌ في بعض رقْبتها فقلتُ لَعلَّها

❀ ❀ ❀

7 ـ قال عروة بن عبيد اللَّه: فجاءني أبو السَّائب المخزومي يوماً فسلّم عليّ ثم جلس إليّ، فقلتُ له بعد الترحيب به: أَلَكَ حاجة يا أَبَا السَّائب؟ فقال: وكما تقول، الحاجة أبيات لعروة ابن أُذينة[2]، بلغني أنك سمعتها منه، فقلت: أيّ أبيات؟ فقال: وهل يخفى القمر؟ إن التي رغمت فؤادك. . .

---

(1) **عروة بن اذينة**: شاعر من بني ليث، كان شريفاً ثَبْتاً يُحْمَلُ عنه الحديث. قال الأصمعي: كان ثبتاً يروي عنه مالك بن أَنس الفقه. **الشعر والشعراء**، ص 388.

(2) **عروة بن اذينة**: محدّث وشاعر عاصر الخليفة الأموي عبد الملك بن مروان.

فأنشدتُه إيّاها، فقال: ما يروي هذا إلّا أهلُ المعرفة والفضل، هذا هو واللّه الصّادق الدّائم العهد، لا الهُذَلي[1] الذي يقول:

إن كان أهلُك يمنعونكِ رَغبةً ... عنّيَ فاهلي بي أظنُّ وأَرغبُ

لقد عَدَا الأعرابي طَوْره، وإني لِأرجو أن يغفر اللّه لابن أُذينة في حُسْنِ الظنّ وطلب العذر لها، فدعوت له بطعام فقال: لا واللّه حتى أرويها، فلما رَوَاها، وثب، فقلت: كما أنت يغفر اللّه لك حتى تأكل، فقال: واللّه ما كنت لأخلط بمجيئي لها وأخذي لها غيرها، وانصرف.

8 ـ لبعضهم:

أفي كل يومٍ أنت منْ لاعج الهوى ... إلى الشّام من أعلام لَمْيَاء ناظرُ
بعمشاء من طول البكاء كأنّما ... بها خَزَرٌ أو طرفُها مُتَخَازِرُ[2]
تمنّى المُنى حتى إذا مَلَّت المُنى ... جَرى واكفٌ من دمعها مُتبادِرُ
كما ارْفضَّ مِسْكٌ بعدما ضُمَّ ضَمَّةً ... بخيط الفتيل اللؤلؤ المُتَناثِرُ



وله:

خَليليّ قد رُمْتُ الأُمورَ وسِقْتُها ... بنفسي والفتيان كلَّ زَمانِ
فلم أُخْفِ سرّاً للصديق ولم أجد ... خَليّاً ولا ذا البثّ يستويانِ
من الناس إنسانان دَيْني عليهما ... مَليّان لو شَاءَا لقد قَضَيَاني
خليليّ أَمّا أمُّ عمرو فمنهما ... وأمّا عن الأخرى فَلا تَسَلانِ
بُلينا بهجرانٍ ولم أرَ مثلنا ... منَ الناس إنسانان يَزدجرانِ[3]
أشدّ مُصافاة وأبعد من قِلىً ... وأغصى لوَاشٍ حين يكتنفانِ
يُحدّثُ طَرْفانا بما في صُدورنا ... إذا استعجمت بالمنطق الشَّفتانِ

---

(1) **الهُذلي**: لا أدري من المقصود بهذا الاسم، لأن الشعراء الهذليين كُثر ذكرهم ابن قتيبة في **الشعر والشعراء**، ص 440 وما بعدها. ولعلّ المقصود منهم هو أبو كبير الهُذلي ولم أقف عند ابن قتيبة على هذا البيت من الشعر في ترجمته للشعراء الهذليين.

(2) **بعمشاء**: بعينٍ عمشاء، **وخَزَر خَزْراً**: نظر بمؤخر عينه.

(3) **يزدجران**، ماضيه ازدجر: صاح به وطرده.

فَلا تَعْجَبا مِمّا بي اليوم من هوىً ... فبي كلّ يومٍ مِثْلما تَرَيانِ
خَليليّ عن أيٍّ الذي كان بيننا ... منَ الوصلِ أم قاضي الهوى تَسَلانِ
خليليّ لا واللّه ما بي بالذي ... تُريدان منْ هَجْرِ الحبيب تَداني

9 ـ لبعضهم وأجاد:

ولقد عَجِبْتُ وَمَا عَجِبْـ ... ـتُ لكلِّ ذي عينٍ قَريرهْ
وَوَراءهُ يومٌ عظيـ ... ـمٌ فيهِ تنكشف السَّريرهْ
هذا ولو عَلِمَ ابنُ آ ... دَمَ غمض أجفان الحَفيرهْ
لَبَكى وَمَا منْ هَوْلِ ذلكَ مُدَّةَ العُمْرِ القصيرهْ

❀ ❀ ❀

• لُمَع ظاهرة

1 ـ • من مستلمحات القضاة ولَطائفهم الجائرة، أنّ في مذهب الخَوَارج[1] أَنْ «لاحكم إلّا للّه». فكان لهم قاضٍ يحكم بينهم، فأُتيَ يوماً بسارقٍ سَرقَ مِصْحفاً وقْفاً على القُرَّاء، فلم يجد في كتاب اللّه في سارق المصحف نَصّاً خاصاً فقال: افتحوا المصحف، فما يخرج نعمل به، فخرج: ﴿سَنَسِمُهُۥ عَلَى ٱلْخُرْطُومِ﴾[2] فأمر بقطع أنفه، فجاء المجدوع ملكهم فأخبره بأن قاضيه ظلمه وجَدَع أنفه بغير حقّ، في مصحف له في حقّ القرّاء أخذه من غير حِرز، فغضب الملك وأحضر القاضي وسأله عن أمره، فحكى له الحكاية، فاشتدّ غضبُه وتحيَّر في أمره، فقال له نديم مجّانه: يُفتح كتاب اللّه، فما يخرج منه يُفعل به، ففتحوا فخرج: ﴿وَٱلْأَنفَ بِٱلْأَنفِ﴾[3] فأمر الملك بجدع أنفه، فرجع القاضي إلى بيته مجدوعاً، وله بنت تحفظ القرآن، فجاءته وهي تحمد

(1) **الخوارج**: أقدم الفرق الإسلامية، خرج رجالها بادئ ذي بدء على الخليفة الرابع علي بن أبي طالب لأنه رضي بمبدأ التحكيم بينه وبين معاوية بن أبي سفيان في صفّين، ومن ثمّ كفّروا جميع المسلمين واستحلّوا دماءهم ومنهم قاتل الإمام عليّ بن أبي طالب، عبد الرحمن بن ملجم.

(2) سورة القلم، الآية: 16.

(3) سورة المائدة، الآية: 45، ﴿وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَآ أَنَّ ٱلنَّفْسَ بِٱلنَّفْسِ وَٱلْعَيْنَ بِٱلْعَيْنِ وَٱلْأَنفَ بِٱلْأَنفِ وَٱلْأُذُنَ بِٱلْأُذُنِ وَٱلسِّنَّ بِٱلسِّنِّ وَٱلْجُرُوحَ قِصَاصٌ ۚ فَمَن تَصَدَّقَ بِهِۦ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَّهُۥ ۚ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾.

اللَّه تعالى، فقال لها الأب: ما هذا موضعُ الحمد! قالت: بل أَحْمَدُ اللَّه حيث إنك لما فتحت في السّارق لم يخرج ﴿فَٱضۡرِبُواْ فَوۡقَ ٱلۡأَعۡنَاقِ﴾[1] وكان يفتحون فيك المصحف فيخرج: ﴿فَضَرۡبَ ٱلرِّقَابِ﴾[2] وكانوا يجزّون رقبة القاضي فنبقى يَتامى.

2 ـ ● ومنها حكاية ما عن كتاب «الحيوان»[3]، أنّ قاضياً وُلّيَ قضاء بقعة، ولما دخلها كان فقيراً وكان عجمياً، فجاء الأضحى وليس عنده ما يذبحه، فقالت له زوجته: عندنا ديك يجوز أن نتقرّب به إلى اللَّه تعالى، فقال: أما نحن فليس علينا أُضْحية، وأمّا الديك فيجوز أن نَتَقرّب به إلى اللَّه تعالى، قال ﷺ: فكأنما قرّب دجاجة، ولكنه يُنبّهنا بالليل، وكانوا في هذا وجار لهم يسمع تحاورهما، فرثى لهما ورقّ، ولما أصبح أنفذ إليهما كبشاً أَمْلَحَ، وحكى لأكابر المدينة حال القاضي وزوجته فأهدى إليه كلّ واحد كبشاً، فلما دخل البيت وهو مملوء من الغنِم، قال: ما هذه؟ قالت المرأة: لعلّ الجيران سمعوا مَقالتنا وعزمنا على ذبح الدّيك، فبعثوا ما بعثوا للتضحية، فقال: يا أمّ فلان، احتفظي بهذا الديك فإن له شأناً عند اللَّه فإنه تعالى فدى إسماعيل بكبش وفدى هذا الديك بثلاثين كبشاً.

❀ ❀ ❀

3 ـ ● **ولبعضهم في قاضٍ:**

وقاضٍ لم تمضِ أَحكامُه ... وأحكامُ زَوْجتهِ مَاضِيَهْ
فَيَا لَيْتَهُ لم يكن قاضياً ... ويا ليتها كانت القاضيهْ

❀ ❀ ❀

4 ـ ● **ولبعضهم أيضاً:**

لَنا قاضٍ له رأسٌ ... من الخِفَّة مَمْلُوءُ
وفي أسْفلِهِ دَاءٌ ... بعيدٌ عَنْكُمُ السُّوءُ

❀ ❀ ❀

---

(1) سورة الأنفال، الآية: 12.
(2) سورة محمد، الآية: 4، ﴿فَإِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَضَرۡبَ ٱلرِّقَابِ﴾.
(3) اقتبس هذه الحكاية الشيخ أحمد رضا في كتابه «**طرفة الطرائف وزبدة المعارف**». انظر: ترجمته في مقدمة كتابه المذكور.

5 ـ ● كتب الصّاحب بن عَباد[1] إلى قاضيه بِقُمّ: «أيها القاضي بقُمّ قد عزلناك فقُمْ، يدك في الكتاب ورجلك في الرّكاب» فقيل للقاضي: لِمَ عَزَلَكَ؟ قال: لا أرى لي ذنباً إلّا مُوَافقةَ السَّجْعَة.

❀ ❀ ❀

● لمع تاريخية سنة 1268هـ:

1 ـ ● دُكّان فيه بعض بَدَائع الزمان في بَيَان ما في هذا الدّكّان من حوادث الزمان، من سنة 1268هـ إلى نهاية خمس وسبعين ومائتين وألف هجرية، فمنها:

ما جرى في عصرنا من الحوادث الواقعة في هذه السنة، وهي سنة الثمانية وستين بعد الألف ومائتين من هجرة سيد المرسلينﷺ في أوائلها، وأظنه شهر ربيع:

جاء مصطفى باشا إلى تبنين وغيرها من الألوية في بلادنا، وجمع الناس وأخذ في العشرة أنفس، من السنّ خمس وعشرين، واحداً للنظام[2]، بعد أن كانت الأنفس حُسبت بأوامر سلطانية، وبعد أن أخذ مثل ذلك من الشام ونواحيها، والحال في شرح ذلك يطول.

2 ـ ● **وفيها:** كسفت الشمس عند العصر، وفيها، في شهر ذي القعدة، شاع الخبر في سائر الأقطار الشّامية بذبح الدّجاج البالغ من العمر سنة أو حولها، مُعلّلاً ذلك بأن ماء نيسان في تلك السنة فاسد ويتولّد عنه في بطون الدجاج حيّات، وقد نظرنا في الدّجاج فوجدنا في بطون كثير منه، في الأمعاء، شبه الدّود ما يبلغ الشّبر أو أقلّ طُولاً، وفيه صغير وكبير، ولم يظهر لنا إلى الآن عاقبته، ولا ندري أن هذا هل كان يوجد في غير هذه السنة أم لا؟

❀ ❀ ❀

(1) **الصاحب بن عبّاد** (326 ـ 385هـ)، ولد في بلدة طالقان من أعمال قزوين. أخذ في شبابه عن ابن العميد واشتدت صحبته له فسمي الصاحب لذلك ثم وزر لمؤيد الدولة البويهي. كان عنده ولع بالكتب وامتلاكها ومطالعتها وكان مجلسه ندوة للأدب والمناظرة.

(2) **النظام**: نظام الجندية المعمول به في العهد العثماني أو نظام السخرة.

3 ـ ● وفيها، اشتدّ الحرب في العراق بين أهلها وبين الوزير وجيه باشا، وقبض على جملة من مشايخ العرب، مثل كريدي بن ذرب آل شلال الخزاعي، وابن عمّه محمد آل عباس وغصب العجّة، من بني حسن، وعلوان الطفيلي، وحجيل شيخ جليحة، وأرسلهم إلى السلطان في القسطنطينية بعد أن كان صدر منهم حروب كثيرة في السنتين السابقتين.

4 ـ ● وفيها، خرجت حوران واللّجا وجملة من طائفة الدروز في اللّجا، وتوجّه رئيس العساكر الشامية لحربهم، وأنفذ أمراً إلى رئيس عشائر بلادنا، حمد البيك ابن محمد النّصّار في ملاقاتهم، فوجّه الأوامر إلى البلاد بتجهيز العساكر، وامتنع عليه جملة من أولاد العشائر خوفاً على بلادهم من أنهم إذا خرجوا منها، يأتيها العدوّ.

5 ـ ● وفي أثناء ذلك دخلت سنة التسع وستين، وكان ابتداؤها يوم الجمعة، فإنه كان أوّل محرّم، وما مضت منه أيام، حتى غزا جملة من العرب البلاد، فجاءوا إلى الخيام، وساقوا جملةً من الغنم ووقعت الغلبة على أهل الخيام، وجاء الصوت إلى تامر بيك فلم يقدر على اللحوق بهم.

6 ـ ● وفي اليوم الثامن من المحرّم، غَزَا جماعة من العرب طَرَفَ البلاد من جهة مقام نبيّ اللّه يوشع، فاستاقوا جملة من الغنم التي لزبيد، طائفة من العرب، وكانوا قد نزلوا مرج قدس وأخذوا ثلاثة حمير لأهل قدس، فجاءهم أهل عثرون وبعض المغاربة النّازلين بديشوم وأهل قدس، ووقع بينهم وبين الغزو حرب، فقُتل ستة من الغزو[1] ورجل فارسي، وجُرح من أهل البلاد اثنان ومن المغاربة اثنان.

وجاء الخبر إلى حمد البيك، وكان قد عَسْكَر في سهل سوق الخان من أرض تبنين، فأمر بنقل المعسكر إلى عين قَدَس، ثم مضى بعد إلى أرض الخيط وخيّم على جسر المجامع، وانتهب جملة من جياد خيل عرب (آل قيس)، ولما انقادوا له، ردّها إليهم وبقي على الجسر أياماً ثم كرّ راجعاً إلى قدس.

(1) الغزاة.

وجاء الخبر من رئيس العساكر بوقوع الصلح بينه وبين اللّجا، بعد أن وقع بينهم حرب في بلدة تسمّى (أذرع)[1].

7 ـ ● وفي تلك السنة، كان توجُّهنا إلى الحجاز قصداً للحجّ الشريف، في سابع شوال على طريق البحر، فمررت على غزّة هاشم ولقيت جملة من فُضلائها، وجرى بيني وبينهم مكالمة ومناشدة أشعار، فحفظوا عنّي وحفظت عنهم، وشاهدت من أُنسهم ما لا يسع المقام بسطه.

8 ـ ● وفي أواخر ذي القعدة، دخلنا مكّة المشرّفة وشاهدنا أنوارها، ومما وقع فيها تلك السنة من الغرائب، أنَّا كنّا في الحرم الشريف، فهبّت ريح عاصفة لم يُسمع مثلها، حتى أن الرجل لم يملك نفسه من الجلوس فضلاً عن الوقوف، ثم اشتدّت حتى أنها عبثت في قناديل الحرم الشريف فتكسّرت حتى لم يبقَ منها إلّا القليل، وكنا نرى الحُصُر والبواري تتطاير في الهواء كأنها ريش الطيور وانقلب صفيح الرصاص من المقام الحَنفي حتى تعجّب منه أهل مكة. وحكوا جميعاً أنه لم يُسمع مثل ذلك في سالف الزمان، ثم تعقّب ذلك بسيل عظيم.

9 ـ ● ووقع في تلك السنة في بلاد الحجاز من السيول ما لَمْ يُسمع مثله، مع أن الزمن كان في الصيف، ومن جملة تلك السيول أن الحاج الشامي والعراقي، خرج في سابع وعشرين ذي الحجّة على الطريق الشرقي، فلما وصل إلى وادي الليمون عن مكة ثلاث مَراحل وهو واد عظيم فيه أنهار ومزارع، فنزل الحاج فيه للرّاحة والتأهبّ، حتى إذا كان بعد زوال الشمس بساعة أو أكثر، هبّت ريح عظيمة أثارت القَتام حتى امتلأ الوادي، ثم جاء السيل كالبحر، فلم نرَ إلّا خياماً منكوسة وأمتعة مقلوبة، وأخذ أكثر ما في بطن الوادي من الإبل والخيام والأمتعة وغيرها.

قالوا إنه أُحصي ما ذهب من الإبل في السيل، فكان خمسمائة وأزيد، ومن الأمتعة ما لا يحصى حتى صار بعد ذهاب السيل غنيمة للعرب من أهل الوادي، وأخذ من الحُجّاج ما يزيد عن ثلاثين نفساً، منهم من أُخرج بعد السيل ودُفن ومنهم

(1) **أذرع**: بلدة سورية وهي اليوم مركز (محافظة درعا).

من بقي، وأكثر ما وقع التلف في الحاج العراقي، فإنه كان في بطن الوادي من أعلاه، فلم يشعر الناس إلّا والماء قد فاض عليه.

وكنتُ مع أهل بلادنا على تَلْعة في بطن الوادي، فكان الماء محيطاً بخيامنا كأنّا في جزيرة، ولم يُصبنا بحمد اللّٰه شيء إلّا خيمة واحدة كانت أسفل، تسابقنا إلى نَقْلها ونَقْل أمتعتها، فلم يذهب إلّا شيء قليل. وكان فيها رجل ومعه زوجته، وهو مريض، فأخذه الماء، فَسَارعت المرأة فأخرجته والحمد للّٰه.

10 ـ ● وفاة حمد البيك: وفي تلك السنة، في غيبة الحجّاج، تُوفي رئيس العشائر حمد البيك، فعظم مصابه في البلاد وتولّى بعده ابن أخيه علي بيك الأسعد، زاد اللّٰه في توفيقه وتأييده، فأحسن السيرة وخلع على بني عمه وعلى وجوه أهل البلاد من الخُلع السنّية والهدايا والألطاف من خيل وسلاح وساعات وغيرها، ما أرضى الخاصة والعامّة، واشتهر ذكره ومشى صيته حتى قال الناس: إن عمّه لم يمت.

حرب الترك:

1 ـ ● وفي تلك السنة، نشبت الحرب بين ملك الإسلام سلطان السلاطين عبد المجيد وبين ملك المسكوب[1] من بني الأصفر، وتفاقم الأمر وعظم، وتجهّز الفريقان بجندهم وجهدهم، وقد صار بينهم جملة من وقائع عقيمة، وإلى الآن من مضيّ سنة ونصف (السنة) لم تنتهِ الحرب ولن تنتهي، نسأل اللّٰه تعالى أن يمدّ المسلمين بالنصر ويحفظ ديارهم من مكائد العدوّ، فإن هذه الحرب لم يجرِ مثلها من مُضيّ خمسمائة سنة، لا سيما مع تخاذل المسلمين وضعف الدين وكثرة الفاسقين والمُعاندين والغادرين والمُنافقين وهَتْك حرم الإسلام وكثرة المحرّمات كالزّنى واللّواط وشرب الخمور وجور العمّال[2] والقضاة وحيرة العلماء وقلّة الحياء والمعروف في الرجال والنساء، حتى لم يبقَ منَ القرآن إلّا اسمه ومن الدين إلّا رسمه، نسأله تعالى بتعجيل الفَرَج بأهله.

2 ـ ● وفي أثناء ذلك دخلت سنة السبعين 1270هـ، ووقع فيها من الأمطار ما

(1) **المسكوب** روسيا القيصرية.

(2) **العمال**: الولاة والحكّام.

أنعش البلاد والعباد وكثرت الخيرات، إلّا أن كثرة المطر أفسد كثيراً من الأشجار كاللوز والكمثرى والخوخ وغيره، حتى آل الأمر إلى أن فسد العنب وأتى عليه ضريبة بعد أن حَصْرَم اسودّ ويبس وتهَرَّى على وجه لم نسمع مثله، والتين والزيتون حَملا حملاً عظيماً، إلّا أن التين في آخره وقع عليه نقيصة، وصحّ العَسَل في تلك السنة جداً على وجه سَدَّ مَسَدَّ دبس العنب كثرة.

3 ـ ● وفي تلك السنة توفي رئيس العلماء في العراق شيخنا الأكبر الشيخ محسن بن خنفر، وقد كنت قرأت عليه جملة من الأصول والفقه على طريق الاستدلال، فلقيتُ منه بحراً زاخراً وسحاباً هامراً، بل لم أرَ مثله، قدس سرّه، في جمع العلوم وحفظ الدقائق من الأصولين والعربية والحديث والرجال والاطلاع على علوم الأوائل، وكانت وفاته في زمن الوباء في العراق، ورثاه جميع الشعراء في العراق بالمَراثي الجيّدة.

ومات من العلماء في العراق أيضاً تلك السنة، شيخنا المرتضى الرضي زين العابدين، وكان بحاثاً حضرت بحثه جملة من الزمان.

4 ـ ● وفي تلك السنة، ورد رفيقنا في التدريس العالم العابد الشيخ سلمان عسيلي من العراق إلى جبل عامل.

5 ـ ● غزوة علي بك:

وفي تلك السنة، في شهر ذي الحجّة، غَزا علي البيك طائفة من عرب اللّهيب بيتهم وصبحُهم بُكرةً، فنهب جملة من أموالهم وأسر بعض الرجال وهرب الباقون، والسبب في ذلك أنهم بغوا في البلاد وتَلَصَّصوا حتى سرقوا جملة من الأموال وهم متحصّنون في بلاد صفد، إلى أن غزاهم، أيّده اللّه، فانقطعت مادة فسادهم وعرف بعض الناس ما سُرِقَ له، فأخذه بعد أن جاء الأمر من المشير وامق باشا بتحقيق ذلك، وأنّ كل من عرف شيئاً من المنْهوبات فهو له.

6 ـ ● قتل الشيخ إبراهيم يحيى:

وفي أثناء ذلك، دخلت سنة الواحدة والسبعين 1271هـ، وكان مطرها في الغالب غير عام، وبسبب ذلك حصل الإقبال في مزروعات الجبال دون السّواحل.

وفيها، غزا بعض عرب الفضل البلاد وقتلوا أحد شعرائها وهو الشيخ إبراهيم ابن الشيخ نصر اللّه ابن الشيخ إبراهيم يحيى الشاعر العالم المشهور، ذو اليد الطولى في تخميس الشعر، فكم له من فضيلة في ذلك، يكشف عنها من نظر تخميسه لقصائد أبي فراس والتّترية وغيرها[1]. ثم بعد أن قُتل المذكور ووصل الخبر إلى أميرهم، وهو حسن آل فاعور، أمر بالرحيل إلى حوران والجولان خوفاً من الغيلة وطلب الثّأر.

7 ـ ● وفي تلك السنة، في سادس عشر رمضان، حدث حرٌّ عظيم وأرياح شرقية وشمالية على خلاف المُعتاد، أثّرت في العالم أثراً عظيماً. ثم دخلت السنة الثانية والسبعون وحصل في أوائلها قلّة أمطار وكثر في الآخر حتى حَسُن الزرع جداً، لا سيما نحو العدس والفول والكرسنّ والشعير، ومع ذلك كانت السواحل أحسن من الجبال.

8 ـ ● تامر بيك وابن عمه:

وفيها رجع تامر بيك إلى محلّه حاكماً على عادته، بعد أن عُزل وذهب إلى مصر ثم إلى القسطنطينية، ولما رجع لاقاه أخوه وأبناء عمّه مُحاربين له مُجَرّدين كثيراً من أهل البلاد، وجرى بنيهم حرب في أرض الخيام وإبل السقي ووقْعة أخرى في تبنين، ثم جرى الصلح.

9 ـ ● وفي هذه السنة، وقعت الهدنة بين المسلمين ومن تبعهم من الدّول وبين المسكوب، بعد أن جرى بينهم حروب كثيرة على ما تقدّم الإشارة إليه.

10 ـ ● وفيها صار وباء عظيم في العراق، مات فيه عالم كثير، وكان من جملة المفقودين، شيخنا الشيخ مشكور الحولاوي، وكان من الفضل والوَرَع والنّباهة بمكان عظيم، وقد حضرت درسه مدة من الزمان.

---

(1) **الشيخ إبراهيم يحيى**: شاعر فحل مدح آل نصّار وآل الفارس الصعبي، وله في علي الفارس الصعبي القصائد «المحبوكات» التي عارض فيها الشاعر صفيّ الدين الحلّي. له ديوان مخطوط قدرت أبياته بأربعين ألف بيت جلّها مفقود. انظر: **أعيان الشيعة**، المجلد الخامس طبعة أولى، أيضاً مخطوطة ديوانه النجفية وهي قيد التحقيق موجودة صورتها في حوزتنا.

11 ـ ● وفاة الأمير عسّلف الحرفوشي:

وفيها توفي الأمير عسّاف الحرفوشي[1] بعد أن كان محبوساً في القسطنطينية وهرب ورجع إلى بلاده، وأظهر المُباعدة للدولة فآمنه الوزير وجعله من جملة القُوّاد، ولما مات وبلغ الخبر إلى أخيه الأمير خليل، وَجَدَ عليه كثيراً وقتل نفسه وَجْداً بالسلاح، عفى اللّه عن المؤمنين.

12 ـ ● وفيها وقع مطر عظيم وسيْل شديد في أيّام الربيع وتَعاظم في بلاد أَرُبا (أوروبا) حتى أهلك جملة من زروعها ومواشيها، وأغرق جملة من بلاد فرنسية حتى أن الأخبار من قبل الدولة جازمة بأنه هلك من تلك البلاد نحو الثلث من جميع الموجودات، وطغى الماء عليها حتى أن بعض المدن صارت كالبحر يُسرى فيها بالسفن، وسمّوا ذلك: الطوفان الصغير، إذ لم يُعهد مثله بعد طوفان نوح إلى زماننا هذا.

13 ـ ● وباء في مِنَى ومكة:

وفيها وقع بالحاجّ وباءٌ عظيم أهلك ما يزيد على النصف، وأكثر ما حلّ في مِنَى ومكة المشرّفة.

14 ـ ● حرب في مكة:

وفيها رجع الشريف محمد بن عون من القسطنطينية إلى منصبه وعصى عليه الشريف الذي في مكة، وهو عبد المطلب بن غالب، وحصل بينهما حرب في مكة وفي المسجد الحرام، وكانت الغلبة لمحمد وهرب عبد المطلب إلى الطّائف.

● سنة 1273هـ:

ثم دخلت السنة الثالثة والسبعون، وبها وقع قَحْطٌ عظيم في أوّل السنة، ثم كثر المطر بعد الإياس[2] ووقع الثلج على وجه قلّما وقع مثله كثرةً، وقويت نُبوع الماء بعد ضعفها ممّا يزيد على أربع سنين.

---

(1) انظر نسب الحرافشة وبدء إمارتهم في «**تاريخ الشيعة السياسي**»، للشيخ سليمان ظاهر، مجلد 3، صفحة 5 ـ 9، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات.

(2) **إياس**: القنوط، اليأس، مصدر الفعل آيس.

1 ـ ● حرب الإنكليز والعجم:

وبها ابتدأت الحرب بين الإنكليز والعجم، بعد أن كان العجم قد استولوا في السنة الماضية على هَرَات، وهي وإن لم تكن للإنكليز، ولكن صيرورتها في يد العجم مضرّة على الإنكليز، لأنها كالحاجز، والآن قد جَهّز الإنكليز جيشاً يقرب من عشرين ألفاً وحطّوا على بندر أبو شهر، ثم استولوا على البلد وأخذوها عنوةً بعد وقوع حرب عظيم ونُهبت البلد وسُبيَتْ، وكان مُحارِبةُ العجم فيها قليلون، نحو ألف نفس فقط، واللّه المسؤول نَصره للإسلام.

2 ـ ● محمد الأسعد والي صفد:

وفيها تولّى محمد بك الأسعد مقاطعة صفد من قبل وامق باشا مُشير بيروت.

3 ـ ● زلزال مصر القوي والجدري في لبنان:

وبها صارت زلزلة وقعت قويّة في بلاد مصر، وأقوى ما كانت في جزيرة جريد[1]، هدمت منها دوراً كثيرة وأهلكت عالماً كثيراً. وبها كثر مرض الأطفال في بلادنا بالجدري والدّشيشة ونحوها، وحصل فيهم موت ذريع[2]، وقد وقع ذلك في مرْبَعَانية الشتاء، فكان هو المعين على شدّته، واللّه الفاعل لما يشاء.

4 ـ ● غزوة الحبشة:

وفيها تجَهّزت العساكر المصرية بهمّة واليها سعيد باشا على بلاد الحبشة، بعد أن كان التعدّي قد حصل في الحبشة واستخلصوا من بلادهم التي في يد المصريين، مَمْشى عشرين يوماً[3].

5 ـ ● عجيبة خَلقية:

وفيها وُلدت في رامية، قرية من قرى بلادنا، بنت بأربع أيدي وحقوين وعينين عظيمين وخلقة عجيبة، إلّا أنها وُلدت ميتةً والحمد للّه.

---

(1) **جزيرة جريد**: جزيرة كريت اليونانية.
(2) **ذريع**: لها معنى واحد في اللغة هو سريع.
(3) **مَمْشى**: مسيرة عشرين يوماً.

• حرب بني الغائر

وفيها في شهر شعبان، في فصل الربيع، وقع حرب بين عقيل آغا الحاسي، رئيس الهوّارة وبين محمد سعيد آغا، أحد رؤساء الأكراد قرب طبريّا، واستقام الحرب قرب ساعتين، وكان ذلك عند الصباح، وكانت الهزيمة على محمد سعيد بعد أن قُتل أخوه وما ينوف عن مائة من أتباعه غير الجرحى.

سنة 1274هـ:

1 ـ • ثم دخلت سنة الأربع والسبعين، وبها وقعت بين العجم والإنكليز الهدنة، بعد أن استرجع العجم البندر وقتلوا من فيها من مُقاتلة الإنكليز.

2 ـ • وبها كثرت الأمطار جداً، على خلاف العادة في السنين التي تقدمت، وصلحت الأشجار والأثمار ورخصت الأسعار حتى بيْعَ الخيار ثماني أُقق قسطنطينية، بقرش، والمشمش عشر أُققٍ بقرش وهكذا، بعد أن كانت الأسعار منذ اثنتي عشرة سنة في غَلاء زائد، وبيْعَ مدُّ الحنطة بقرشين والذّرة بقرش ونصف القرش وبها وقعت الفتنة بين طائفتي غزة، ورئيسهم إذْ ذاك محمد بن سمير وبين الرّوَلة ورئيسهم فيصل بن نايف الشّعلان، وجرت بينهم وقعات عدّة في الجولان وحوران، وآخر وقعة منها كانت الهزيمة على محمد ونُهبت أمواله، إلّا أن المقتولين من رجال فيصل أكثر، وقُتل معهم جملة من رؤساء الدروز منهم ابن إسماعيل الأطرش، كبير دروز اللّجا، والتجأ محمد إلى تبنين إلى حضرة علي بيك الأسعد، فأخذ في التجهيز معه وإعمال الآراء في انحلال الدروز عن فيصل، فانحلّوا وألقى عليه الرعب فضرب في البرِّ.

3 ـ • وبها دخل عمر باشا رئيس العساكر العثمانية بغداد، بعد أن كان مرّ على دير الشعّار فأوقع فيه، وجرى بينه وبين أهل الدير حروب كانت الغلبة عليهم، وألقي الرّعب في قلوب أهل العراق، ولما وصل إليها أخذ منها أشخاصاً للعسكر بالقُرعة، من بغداد وبلد الحسين ومشهد عليّ عليه السلام. واضطربت عليّة العراق وهي إلى الآن في اضطراب وأكثرها خارج عن الطاعة.

1 ـ ● سنة 1275هـ:

ثم دخلت السنة الخامسة والسبعون، وبها خرج النجم العظيم[1] له شعاع طويل يزيد عن طول رُمْحين، خرج من جهة الشمال مما يقرب من بنات العشى، ثم أخذ في الانحراف إلى القِبْلة وهو الآن في العقرب قد صار له من يوم طلوعه نحو شهرين، وحدث في تلك البرهة أمراضٌ عظيمة في كثير من الأقطار.

2 ـ ● وفيها وقعت فتنة بين الشّقران رؤساء نابلس وبين الصقر، وكانت الغلبة على الصقر، قُتل رئيسهم رباح السعيد وما ينوف عن ألف نفس من الفريقين.

● ووقعت حروب عدّة في العراق بين عمر باشا وبين أهلها. ووقع في أواخر جمادى الثانية ثلج وبرد في غالب البلاد وحصل قبله ليلاً ريحٌ عاصفة اقتلعت جملةً من الأشجار حتى أن شجرة الزيتون الكبيرة نقلتها الريح بأصلها وجميع ما فيها عن مكانها سبع أذْرُع، وتكسّر في البحر في بيروت وصور وعكّا وصيدا وغيرها أكثر المراكب، مشحونة وغير مشحونة، وبعد ذلك بأيام حصل زلزلة، إلّا أنها كانت خفيفة قليلة الضرر والحمد للّه.

● وفيها حصل نقص كثير في الدّواب لا سيما الغنم والماعز والبقر، فربّما أن بعض القطعان لم يبق منها شيء، وبعضها تلف النصف والثلث والربع ونحو ذلك، وكثير من تلك الدّواب كان سبب موتها الجوع والبرد، حيث إن الأرض كانت خالية من العشب لعدم المطر في أوّل السنة، وإن كثُر في آخرها، مع ما حصل من الغلاء في التبن والشعير، فقد بلغ ثمن زنبيل التبن تسعة قروش، وهذا شيء ما رأيناه ولا سمعنا بمثله ولا حُكي لنا، وكذلك سعر السّمن فإنه ارتفع حتى بيعت الأُقّة بسنَّةٍ وثلاثين قرشاً، ووردت علينا الأخبار من العراق أنها بلغت حساب الأربعين.

ومن العجائب أن الحوادث في هذه الأزمنة، غالباً عامةً كائنة ما كانت وكان ذلك لعموم المعاصي في سائر الأقطار.

❀ ❀ ❀

---

(1) المذنب هالي.

رسالة الشقندي في تفضيل بر الأندلس على بر العدوة: «حقيبة تاجر فيها جملة جواهر»

رسالة الشَّقَنْدي[1] في تفضيل برّ الأندلس على برّ العُدْوَة[2]:

ذكر أحمد بن محمد المقري الأندلسي في كتابه «نفح الطيب في أخبار الأندلس الرطيب»، رسالة «في تفضيل الأندلس، أحببتُ ذكرها لما فيها من الاستشهادات اللّائقة والأشعار الرّائقة، وقد نقلها ابن سعيد المؤرخ المعروف وهو من ولد عمّار بن ياسر، وقد نقلتها بلفظها بتمامها.

قال في «الطيب»: قال ابن سعيد: أخبرني والدي قال: كنتُ يوماً في مجلس صاحب سبتة أبي يحيى بن أبي زكريا صهر ناصر بن عبد المؤمن فجرى بين أبي الوليد الشّقَنْدي وبين أبي يحيى ابن المعلم الطنجي نزاع في التفضيل بين البَرَّيْن، فقال الشقندي: لولا الأندلس لم يُذكر برّ العُدْوَة، ولا سارت عنه فضيلة، ولولا التّوقير للمجلس، لقُلْت ما تعلم.

فقال الأمير أبو يحيى: تُريد أن تقول: أهل بَرِّنا عرباً وأهل برّكم بربر فقال: حاشا اللّه، فقال الأمير: وللّه ما أردتَ غير هذا، فظهر في وجهه أنه أراد ذلك، فقال ابن المعلم: تقول هذا وما الملك والفضل إلّا من برّ العُدوة، فقال الأمير: الرأي عندي أن يعمل كل واحدٍ منكما رسالة في تفضيل بَرِّه، فالكلام هنا يطول ويمرّ ضياعاً، وأرجو إذا خليتما له فكركما، صدر عنكما ما يحسن تخليده، ففعلا ذلك.

---

(1) **رسالة الشقندي**: ذكرها في «**نفح الطيب من غصن الأندلس الرّطيب**»، م3، ص 222
الشقندي: هو أبو الوليد إسماعيل بن محمد، وشقندة المنسوب إليها قرية مُطلّة على نهر قرطبة بالأندلس (إسبانيا اليوم)، **معجم البلدان**، م1، ص 262.

(2) **العُدْوَة** (بضم العين): بلاد البربر في شمال أفريقيا، لم يذكرها ياقوت في «**معجم البلدان**»، بل قال: **العَدْوة**: بفتح العين: مدّ البصر، وهي اسم موضع، **معجم البلدان**، م4، ص 90.

نصُّ رسالة الشقندي[1]

«الحمد للّه الذي جعل لمنْ نفخر بحبره بجزيرة الأندلس أن يتكلّم ملءَ فيه، ويُطنب ما شاء فلا يجد من يعترض عليه ولا من يَثنيه، إذ لا يُقال للنهار يا مظلم ولا لوجه النعيم يا قبيح.

وقد وجدْتُ مَكانَ القَوْل ذا سِعَةٍ فإن وَجدتَ لِساناً قائلاً فَقُل أحمدُ اللّه على أن جعلني ممّن أنشأته وحَباني بأن كنت ممّن أظهرته، فامتدّ في الفخر باعي وأعانني على الفضائل كريم طباعي، وأُصلّي على سيدنا محمد نبيّه الكريم وعلى آله وصحبه الطاهرين[2] وأسلّم تسليماً.

أمّا بعد:

فإنه حرّك منّي ساكناً وملأ مني فارغاً، فخرجت عن سجيّتي في الإغضاء مُكرهاً إلى الحميّة والإباء، مُنازعٌ في فضل الأندلس أراد أن يخرق الإجماع ويأتي بما لا تقبله النَواظر والأسماع، إذ من رأى ومن سمع لا يجوز عنده ذلك ولا يُضلّه منْ تاه في تلك المسالك، رام أن يُفضّل بَرَّ العُدوة على بَرّ الأندلس، فرام أن يُفضل على اليمين اليَسار، ويقول: الليل أضوأ من النهار، فيا عجباً كيف قَابَل العوالي بالزُّجاج، وصادم الصَّفاة بالزِّجاج[3]، فيا من نفَخَ في غير ضَرَم، ورام صَيد البُزاة بالرَّخَم، كيف تتكثّر بما جعله اللّه قليلاً، وتتَعَزّز بما حكم اللّه أن يكون ذليلاً؟ ما هذه المُباهتة التي لا تجوز؟ وكيف تبدي أمام الفتاة العجوز؟ سَلِ العيون إلى وجه من تميل؟ واستخبر الأسماع إلى حديث من تصْغي؟

(1) يقضي التحقيق أن نذكر ترجمات الأعلام الأندلسيين من شعراء وأدباء وكتّاب وعلماء وفلاسفة وردت أسماؤهم في هذه الرسالة، وكذلك الأمر بالنسبة إلى حواضر الأندلس ومناطقها، وفي ذلك استحالة لأن هذا الأمر يتطلّب منا تأليف كتابين: الأول أدبي **كالأغاني** أو غيره والثاني جغرافي **كمعجم البلدان** لذلك نحيل القارئ على كتاب «**نفح الطيب**» للمقري وعلى «**الذخيرة**» لابن بسّام حيث فيهما ما ينقع الغُلّة ويسدّ الفجوة.

(2) **الطاهرين**: في نفح الطيب: الأكرمين.

(3) **الزُّجاج**: جمع مفردها: الزّج وهي الحديدة في أسفل الرمح. **والصفاة**: الحجر والصخر، **الزُجاج**: المادة الشفافة المعروفة وهي سهلة الكسر.

لَشَتَّان ما بيْنَ اليزيدين في النَّدى   يَزيدِ سُلَيْمٍ والأغرِّ ابْنِ حَاتمِ[1]

أَقرنْ حياءك أيها المفرد بالنحيب، المتزيّن بالخُلقِ المتحبِّب إلى الغواني بالشيب الخضيب، أين غَرَبَ عقلُك؟ وكيف نكص على عَقِبه فهمُك ولُبُّك؟ أبلغتِ العصبية من قلبك، أن تطمس على نورَيْ بصرك ولُبِّك؟

أما قولك: الملوك منّا، فقد كان الملوك منّا أيضاً، وما نحن إلّا كما قال الشاعر:

وإنّيَ من قومٍ كرامٍ أغِرَّةٍ   لأقْدامهم صيغَتْ رؤوس المنابرِ
خلائفُ في الإسلام في الشرك قادةٌ   بهم وإليهم فخرُ كلّ مُفاخِرِ

ويقول مغربيهم[2]:

ألَسنا بني مروان كيف تَبَدَّلَتْ   بنا الحالُ أو دارتْ علينا الدَّوائرُ
إذا وُلد المولودُ منّا تَهلّلتْ   له الأرض واهتزَّت إليه المَنَابرُ

وقد نشأ في مدّتهم من الفضلاء والشعراء ما اشتهر في الآفاق وصار أثبت في صحائف[3] الأيام، من الأطواق في أعناق الحمام:

وسَارَ مسيرَ الشمس في كلّ بلدة   وهبَّ هبوبَ الريح في البرّ والبحرِ

ولم تزل ملوكهم في الاتّساق كما قيل:

إنّ الخلافة فيكم لم تزلْ نَسَقاً   كالعِقْد مَنْظومةٌ فيه فَرائدُهُ

إلى أن حكم اللّه بنثر سلكهم، وذهاب ملكهم، فذهبوا وذهبت أخبارهم، ودَرَسوا ودرست آثارهم:

جَمَالُ ذي الأرض كانوا في الحياة وهمْ   بعد المَمَاتِ جَمَالُ الكُتْبِ والسِّيَرِ

---

(1) البيت لربيعة الرقي، انظر: **الأغاني**، 16/ 189، وفيه هجاء ليزيد بن أسيد السلمي وكان جليلاً عند المنصور والمهدي، وتفضيل ليزيد بن حاتم الأزدي.

(2) البيتان من شعر محمد بن عبد الملك حفيد عبد الرحمن الناصر، قال ابن الأبار: وقد أنشد أبو منصور الثعالبي في «**اليتيمة**» من تأليفه هذا الشعر ونسبه إلى الحكم المستنصر باللّه. . . وهذا من أغلاط أبي منصور وأوهامه الفاحشة.

(3) على صحائف، في **نفح الطيب**.

فكم مكرمة أنالوها، وكم عَثْرةً أقالوها:

وإنما المرء حديثٌ بعدَهُ فكُنْ حديثاً حَسَناً لمَنْ وعى

وكان من حسنات ملِكهم المنصور بن أبي عامر، وما أدراك، الذي بلغ في بلاد النصارى غازياً إلى البحر الأخضر، ولم يترك أسيراً في بلادهم من المسلمين، ولم يبرح في جيش الهرقل وعزْمة الإسكندر، ولما قضى نَحْبَهُ كُتب على قبره:

آثاره تُنْبيكَ عن أوْصَافِهِ حتى كأنّكَ بالعَيان تَرَاهُ[1]

تَا اللّه لا يأتي الزمانُ بمثلِهِ أبداً ولا يحمي الثغور سواهُ

وقد قيل فيه من الأمداح، وأُلّف له من الكتب، ما سمعتَ وعلمتَ حتى قُصد من بغداد، وعمَّ خيرُهُ وشرُّهُ أقاصي البلاد، ولمّا ثار بعد انتشار هذا النظام، ملوك الطوائف، وتفرّقوا في البلاد، كان في تفرُّقهم اجتماعٌ على النِّعَم لفُضلاء العباد، إذ نفعوا سوق العلوم، وتَباروا في المَثُوبة على المنثور والمنظوم، فما كان أعظم مُباهاتهم إلّا قول: العالم الفلاني عند الملك الفلاني، والشاعر الفلاني مُختصّ بالملك الفُلاني، وليس منهم إلّا من بذل وُسْعَهُ في المَكَارم، ونبَّهت الأمداحُ مِنْ مآثرهُ ما ليس طول الدهر بنائم، وقد سمعتَ ما كان من الفتيان العامرية مجاهد ومُنْذر وخيران، وسمعت عن الملوك العربية: بنو عباد وبنو صُمادح وبنو الأفطس وبنو ذي النون وبنو هود، وكلّ منهم قد خُلّد فيه من الأمداح، ما لو مُدح به الليل لَصَارَ أضوأ من الصباح ولم تزلْ الشعراء تتهادى بينهم تَهَادي النَّواسِم بين الرّياض، وتفتك في أموالهم فتكة البرَّاض، حتى أن أحد شعرائهم بلغ به ما رآه من منافستهم في أمداحه أن حلف أن لا يمدح أحداً منهم بقصيدة إلّا بمائة دينار، وأن المعتضد بن عبّاد على ما اشتهر من سطوته وإفراط هيبته كلّفه أن يمدحه بقصيدة فأبى حتى يُعطيه ما شرطه في قَسمه.

ومن أعظم ما يُحكى من المكارم التي لم نسمع لَهَا أُختاً أنَّ أبا غالب اللُغوي ألّف كتاباً، فبذل له مجاهد العامري مَلِكُ دانية ألف دينار ومركوباً وكُسىً على أن يجعل له الكتاب باسمه، فلم يقبل ذلك أبو غالب، وقال: كتاب ألّفته لينتفع به

(1) انظر الجزء الأول من «**نفح الطيب**»، ص 398.

الناس، وأُخلد فيه همّتي، أجعل في صدره اسم غيري، وأصرف الفخر له، لا أفعل ذلك، فلما بلغ هذا مجاهداً استحسن أَنَفَتهُ وهمّتهُ، وأضعف له العطاء، وقال: هو في حلّ من أن يذكرني فيه، لا نصدُّه عن غرضه.

وإن كان كل ملوك الأندلس المعروفين بملوك الطوائف قد تنازعوا في مُلاءة الخُضْر، فإني أخصّ منهم بني عبّاد، كما قال اللّه تعالى ﴿فِيهِمَا فَٰكِهَةٌ وَنَخْلٌ وَرُمَّانٌ﴾[1] فإن الأيام لم تزل بهم كأعياد، وكان لهم من الحنوّ على الأدب، ما لم يَقم به بنو حمدان في حلب، وكانوا هم وبنوهم ووزراؤهم صدوراً في بلاغتيْ النظم والنثر، مشاركين في فنون العلم، وآثارهم مذكورة، وأخبارهم مشهورة، وقد خلّدوا من المكارم التامة، ما هو مُتردِّدٌ في أَلْسُن الخاصة والعامة، وباللّه إلّا ما سمّيتَ لي بمنْ تفخرون قبل هذه الدعوة المهدية، أبسقمون[2] الحاجب؟ أم بصالح البرغواطي[3]؟ أم بيوسف بن تاشفين[4] الذي لولا توسّط ابن عباد لشعراء الأندلس في مدحه ما أجروا له ذكراً، ولا رفعوا لملكه قدراً؟ وبعدما ذكروه بوساطة المعتمد بن عبّاد فإن المعتمد قال له، وقد أنشدوه: أيعلم أمير المسلمين ما قالوه؟ قال: لا أعلم ولكنهم الخير، ولما انصرف عن المعتمد إلى حضرة ملكه كتب له المعتمد رسالة فيها:

بِنْتُم وبنّا فما ابتلّتْ جَوَانحُنا ... شوقاً إليكم ولا جَفَّتْ مآقينا

حالت لفقدكُمُ أَيامنا فغدَت ... سوداً وكانت بكم بيضاً ليالينا

فلما قُرِئا عليه هذا البيتان قال للقارئ:

يطلب منا جواريَ سوداً وبيضاً، قال: لا يا مولانا، ما أراد إلّا أن ليلهُ بقرب أمير المسلمين نهاراً لأن ليالي السرور بيضاء فعاد نهارهُ ببعده ليلاً لأن أيام الحزن

---

(1) سورة الرحمن، الآية: 68.

(2) هو سقوط البرغواطي المتغلب على مدينة سبتة ومنه أخذها يوسف بن تاشفين، (عن مفاخر البربر).

(3) هو صالح بن طريف الذي استحدث لبرغواطة مذهباً مستقلاً، حوالى سنة 123، (عن **«الاستبصار»**، ص 198 ـ 200، في بعض الأخبار عنه وعن مذهبه).

(4) **يوسف بن تاشفين** (1019 ـ 1106)، أكبر سلاطين المرابطين، أسس مدينة مراكش، انتصر على ألفونس السادس ملك قشتالة وليون في الزلاقة 1086، وقضى على حكم بني الأحمر بخلع المعتمد بن عباد.

ليالٍ سود، فقال: واللّه جيّد، أُكتبْ له في جوابه: إن دموعنا تجري عليه، ورؤوسنا توجعنا من بعده، فليت العباس بن الأحنف قد عاش حتى يتعلم من هذا الفاضل رقّة الشوق:

وَلا تُنكِرَنْ مهما رأيتَ مُقَدَّماً ... على حُمُرٍ بَغْلاً فثَمَّ تَناسُبُ

فاسكتوا [يا أهل العُدوة]، فلولا هذه الدولة، لما كان لكم على الناس صَوْلة:

وإنَّ الوردَ يُقْطَفُ من قَتَادٍ ... وإنّ النار تُقبس من رَمَاد

وإنك إنْ تعرّضت للمفاضلة بالعلماء، فأخبرني: هل لكم في الفقه مثلُ عبد الملك بن حبيب الذي يُعمل بأقواله إلى الآن، ومثل أبي الوليد الباجي، ومثل أبي بكر العربي، ومثل أبي الوليد بن رشد الأكبر، ومثل أبي الوليد بن رشد الأصغر؟ وهو ابن لأكبر، نجوم الإسلام، ومصابيح شريعة محمدﷺ، وهل لكم في الحفظ مثل أبي محمد بن حزم الذي نشأ في الوزارة والمال ومال إلى رُتبة العلم، ورآها فوق كل رتبة، وقال وقد أُحرقت كتبه:

دعونيَ من إحراق رَقٍّ وكاغدٍ ... وقولوا بعلمٍ كي يرى الناسَ مَنْ يدري
فإن تحرقوا القرطاس لا تحرقوا الذي ... تضمّنه القرطاس، إذْ هو في صدري

ومثل أبي عمر بن عبد البر صاحب «الإستيعاب و«التمهيد» ومثل أبي بكر بن المجد حافظ الأندلس في هذه الدول، وهل لكم في حُفّاظ اللغة كابن سيده صاحب كتاب «المُحكم» وكتاب «السماء والعالم» الذي أعمى اللّه بصره فما أعمى بصيرته، وهل لكم في النجوم مثل أبي محمد بن السيّد وتَصانيفه؟ ومثل ابن الطراوة، ومثل أبي علي الشلوبين الذي بين أظهرنا الآن، وقد سار في المغارب والمشارق ذكره، وهل لكم في علوم اللحون والفلسفة كابن باجه، وهل لكم في علم النجوم والفلسفة والهندسة ملك كالمُقتدر بن هود صاحب سرقسطة، فإنه كان في ذلك آية؟ وهل لكم في الطبّ مثل ابن طفيل صاحب رسالة «حيّ بن يقظان» المقدم في علم الفلسفة، ومثل بني زُهْر أبي العلاء ثم ابنه عبد الملك ثم ابنه أبي بكر ثلاثة على نَسَق؟ وهل لكم في علم التاريخ كابن حيّان صاحب «المتين» و «المقتبس»؟ وهل عندكم في رؤساء علم الأدب مثل أبي عمر بن عبد ربه صاحب «العقد»؟ وهل لكم في الاعتناء بتخليد مآثر فضلاء إقليمه والاجتهاد في حشد محاسنهم مثل ابن بسّام صاحب

«الذخيرة»، وهبْ أنه كان يكون لكم مثله، فما تصنع المِكنسَة في البيت الفارغ؟ وهل لكم في بلاغة النثر كالفتح بن عُبَيْد اللّه الذي إن مدح رفع، وإن ذمّ وضع، وقد ظهر له من ذلك في كتاب «القَلائد» ما هو أعدل شاهِد، ومثل أبي الخِصال في ترسيله، ومثل أبي الحسن سَهْل بن مالك بين أظهرنا الآن في خُطبه، وهل لكم في الشعر مثل المعتمد بن عبّاد في قوله:

وليلٍ يسهد النهر أُنساً قطعتُه ... بذات سِوارٍ مثل منعطف النهرِ
نَضَتْ بُردها عن غصنِ بانٍ منعَّم ... فَيَا حُسن ما انشقّ الكمام عن الزهرِ

وقوله في أبيه؟

سُمَيْدَعٌ يَهبُ الآلاف مُبتدئاً ... وبعد ذلك يُلْقى وهو يعتذرُ
له يدٌ كلُّ جبَّارٍ يُقبّلَها ... لولا نَدَاها لقُلنا إنّها الحَجرُ

ومثل ابن الرّاضي في قوله:

مَرّوا بنا أُصُلاً من غير ميعادِ ... فاوقدوا نارَ قلبي أيّ إيقَادِ
لا غرو أن زاد في وجدي مرورُهمُ ... فرُؤْيةُ الماء تُذكي غُلّةَ الصّادي

وهل لكم ملك ألّف في فنون الآداب كتاباً في نحو مائة مجلّدة مثل المظفر بن الأفطس ملك بطليوس ولم تشغله الحروب ولا المملكة عن همّة الأدب؟ وهل لكم من الوزراء مثل ابن عمار في قصيدته التي صارَتْ أشردَ من مَثَل، وأحبّ إلى الأسماع من لقاء حبيب وصل؟ التي منها:

أثْمَرتَ رُمْحَكَ من رؤوس ملوكهم ... لما رأيتَ الغُصنَ يُعْشَقُ مُثْمِرا
وصبغت دِرْعَك من دماءكُماتِهِمْ ... لما رأيتَ الحسْنَ يلبس أحمرا

ومثل ابن زيدون في قصيدته التي لم يُقلْ مع طولها في التشبيب أرق منها، وهي التي يقول فيها:

كأنّنا لم نبِتْ والوصلُ ثالثنا ... والسعد قد غضّ من أجفان واشينا
سِرّان في خاطر الظلماء يكتمنا ... حتى يكاد لسانُ الصبح يُفشينا

وهل لكم من الشعراء مثل ابن وهبون في بديهته بين يدي المعتمد بن عبّاد وإصابته الغرضَ حين استحسن المعتمد قول المتنبي:

إذا ظفرتْ منك المَطيُّ بنظرةٍ أثاب لها مُعىَ المطيّ وَرازِمُهْ

فارتجل:

لئن جاد شعر ابن الحسين فإنما نُجيد العطايا واللُّهى تفتح اللَّها[1]
تَنبّا عُجْباً بالقريض ولو دَرَى بأنّك تروي شعرهُ لَتألَّها

وهل لكم مثل شاعر الأندلس ابن درّاج الذي قال فيه الثعالبي «هو بالصقع الأندلسي كالمُتنبي بصقع الشام، الذي إن مدح الملوك قال مثل قوله:

ألمْ تَعْلمي أن الثَّواءَ هو النَّوى وأنَّ بيوتَ العَاجزينَ قُبورُ
وأنّ حظيراتِ المَهالكِ ضُمَّنٌ لِرَاكبِها أنَّ الجَزاءَ خطيرُ
تُخوِّفني طولَ السَّفار وإنه بتَقْبيل كفِّ العامريّ جديرُ[2]
يُجيرُ الهدى والدين من كل مُلْحدٍ وليس عليه للضَّلال مُجيرُ
تلاقت عليه من تَميمٍ ويَعربٍ شمُوسٌ تَلاقتْ في العُلا وبدورُ
هُمُ يستقلّون الحياةَ لراغبٍ ويستصغرون الخَطْبَ وهو كبيرُ
ولمّا توافت للسلام ورُفّعَتْ عن الشمس في أُفْق الشروق ستورُ
وقد قام من زُرْق الأَسنّة دونها صُفوفٌ ومن بيض السيوف سطورُ
رأوا طاعَة الرحمن كيف اعتزازُها وآياتِ صُنعِ اللّه كيف تُنيرُ
وكيف استوى بالبرِّ والبَحر مَجلسٌ وقام بِعِبْءِ الرَّاسياتِ سريرُ
فجاؤوا عِجالاً والقلوبُ خَوافقٌ وولّوا بِطاءً والنّواظرُ صُورُ[3]
يقولون والإجْلال يُخرسُ ألسناً وحارت عيونٌ ملؤها وصدورُ
لقد حاط أعلامَ الهدى بك حَائطٌ وقدّر فيك المكرماتِ قدِيرُ

وأنا أُقسم بما حازته هذه الأبيات، من غرائب الآيات، لو سمع هذا المدح سيد بني حمدان[4] لسَلا به عن مدح شاعره الذي ساد كل شاعر، ورأى أن هذه

(1) **اللُّهى**: العطايا، **اللَّها**: مفردها: لَهاة: اللحمة المشرفةعلى الحلقوم، فتح اللَّها: الشهية مجازاً.
(2) لقد جاء هذا الشطر بيتيمة الدهر كما يلي: لتقبيل كف العامري سفير.
(3) **صُور**: مفردها أصور: صفة المعوَجِّ والمائلُ والناظر الأصور: الأحول.
(4) يعني بسيد بني حمدان سيف الدولة الحمداني.

الطريقة أولى بمدح الملوك من كل ما تفنّن فيه كل ناظم وناثر[1].

وإن ذَكَر الغربة عن الأوطان، ومُكابدة نَوائب الزمان، قال:

قالتْ وقد مَزَجَ الفراقُ مدامعاً ... بمدامعٍ وتَرائِباً يتَرائبِ
أتَفَرُّقٌ حتى بمنزلِ غُربةٍ ... كم نحن للأيامِ نَهبةُ ناهبِ
ولئنْ جنيتُ عليكَ تَرْحةَ راحلٍ ... فأنا الزعيم لها بفَرْحَة آيبِ
هل أبصرتْ عيناك بدراً طالعاً ... في الأفق إلاّ من هلالٍ غاربِ

وإن شبّه قال:

لَمَعاقِلٌ من سَوسنٍ قد شَيّدتْ ... أيدي الربيعِ بنَاءَها فَوْقَ القُضُبْ
شُرُفَاتُها مِنْ فضّة وحُماتُها ... حولَ الأمير لهم سُيوفٌ من ذَهَبْ

وهل من شعرائكم من تعرّض لذكر العفّة فاستنبط ما يسحر به السِّحْر، ويطيب به الدهر، وهو أبو عمرو بن فرج في قوله:

وطائعةِ الوصال عَفَفْتُ عَنْها ... وما الشيطانُ عنها بالمُطاعِ
بَدَتْ في الليل سَافرةً فَبَانَتْ ... دَيَاجي الليل سَافِرةَ القِنَاعِ
وما منْ لحظةٍ إلاّ وفيها ... إلى فِتَنِ القلوب لها دَوَاعي
فَمَلَّكْتُ النّهى لجِماح شوقي ... لأجري في العَفَاف على طباعي
وبتُّ بها مبيتَ الريم[2] يَظمَا ... فيمنعه الكِعامُ[3] من الرِّضاعِ
كذاك الرّوض ما فيه لمثلي ... سوى نظرٍ وشمٍّ من مَتَاعِ
ولستُ من السَّوائم مُهملاتٍ ... فأتّخذ الرياضَ من المَرَاعي

وهل بلغ أحدٌ من مُشَبِّهي شعرائكم أن يقول مثل قول أبي جعفر اللحائي:

عارضٌ أقبل في جُنح الدّجى ... يتهادى كتَهادي ذي الوَجى
بدّدت ريحُ الصَّبا لؤلؤَهُ ... فانْبَرى يُوقدُ عنها سُرُجَا

ومثل قول أبي جعفر بن مبرد:

(1) انظر: **الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة**، لابن بسّام.

(2) **الريم**: الظبي الخالص البياض.

(3) **كعام**: ما يربط به فم الحيوان لمنعه من الأكل. والمعنى: نمت نوم الجائع الذي كُمَّ فوه عما يشتهي تناوله وهو بجانبه.

وكـأنَّ اللّـيـل حـيـن لـوى ذاهـبـاً والـصـبـحُ قـد لاحَـا
كِـلّـةٌ سـوداء أحـرقـهـا عـامـداً أَسْـرجَ مـصْـبـاحـا

وهل منكم من وصف ما تُحْدثُهُ الخمرة من الحُمْرَة على الوَجْنَة بمثل قول الشريف الطليق[1]:

أصـبـحـتْ شـمـسـاً وفُـوه مَـغْـرِبـاً وبـدا الـسـاقـي الـحـبـيُّ مَـشْـرِقـا
وإذا مـا غـربـتْ فـي فـمـه تـركـتْ فـي الـخَـدِّ مـنـه شَـفَـقـا

بمثل هذا الشعر فليطلق اللسان ويفخر كل إنسان.

وهل منكم من عمد إلى قول امرئ القيس:

سَـمَـوْتُ إلـيـهـا بـعـدمـا نـام أهْـلُـهـا سُـمُـوَّ حَـبَـاب الـمـاء حـالاً عـلـى حـالِ

فاختلسه اختلاس النسيم لنفحة الأزهار، واستلبه بلطف استلاب ثغر الشمس لرُضاب طلِّ الأسحار، فلطفه تلطيفاً يمتزج بالأرواح، ويُغْني في الارتياح عن شُرْب الرّاح وهو ابن شُهَيد في قوله[2]:

ولـمـا تَـمـلّـى مـنْ سُـكْـرِهِ ونَـامَ ونَـامـتْ عُـيـونُ الـعَـسَـسْ
دَنَـوْتُ إلـيـه عـلـى قـربـةٍ دُنُـوَّ رفـيـق دَرَى مـا الـتـمـسْ
أدبّ إلـيـه دَبـيـبَ الـكَـرَى وأَسْـمـو إلـيـه سُـمـوَّ الـنَّـفَـسْ
أقـبّـلُ مـنـه بَـيَـاض الـطُّـلَـى وأرشـف مـنـه سَـوَادَ الـلَّـعَـسْ
فـبـتُّ بـه لَـيْـلَـتـي نَـاعـمـاً إلـى أنْ تـبـسَّـم ثـغـرُ الـغَـلَـسْ

وقد تناول هذا المعنى ابن أبي ربيعة على عظم قدره وتقدّمه فعارض الصهيل بالنُّهاق، وقابل العَذبَ بالزُّعاق، فقال وليته سكت:

وأنـا أُقسـم لـو زار جملٌ محبوبةً لـه لكان ألطف في الزيارة من هذا الأزور

الركن المُنْقص للعيون، لكنه إن أساء هنا فقد أحسن في قوله:

قـالـت لـقـد أَعْـيَـيْـتَـنـا حُـجَّـةً فَـأْتِ إذا مـا هَـجَـع الـسَّـاهـرُ

(1) من قصيدة أوردها ابن بسّام في «الذخيرة».

(2) انظر ترجمته في «نفح الطيب».

واسْقُطْ علينا كسُقوط النَّدى لـيـلـةَ لا نـاهٍ ولا زاجـرُ

ولِلَّه درّ محمد بن سفر[1] أحد شعرائنا المتأخرين عصراً، المتقدمين قدراً، حيث نقل السعي إلى محبوبته فقال وليته لم يزل يقول مثل هذا، فمثله ينبغي أن يتكلم، ومثله يليق أن يُدوَّن:

وواعدتها والشمس تَجْنَحُ للنَّوى بَزَوْرتها شمساً وبدر الدجى يَسْري
فجاءت كما يمشي سنا الصبح في الدجى وطوراً كما مرّ النسيمُ على النهرِ
فعطّرت الآفاق حولي فأشعرت بِمَقْدمها والعَرْف يُشْعِرُ بالزهرِ
فتابعْتُ بالتقبيل آثار سَعْيِها كما يتقصّى قارىءُ أَحرُفَ السطرِ
فبتُّ بها والليلُ قد نام والهوى تنبَّه بين الغصنِ والحِقْفِ والبدْرِ
أُعانقُها طَوْراً وألثم تارَةً إلى أنْ دَعَتنا للنوى رَايةُ الفجرِ
فَفَضَتْ عقوداً للتعانق بيننا فيا ليلةَ القدرِ اتركي ساعة النَّفْرِ

وهل منكم من قُيّد بالإحسان فأطلق لسانُه الشكر، فقال وهو ابن اللّبانة:

بنفسي وأهلي جيرةٌ ما اسْتَعَنْتُهم على الدهرِ إلاّ وانثنيتُ مُعانا
أَراشوا جَنَاحي ثمّ بَلُّوهُ بالندى فلم أستطعْ من أرضهم طَيَرانا

ومن يقول وقد قطع عنه ممدوحه الإحسان، فقابل ذلك بقطع مدحه له، فبلغه عتبه على ذلك وهو ابن وضّاح:

هل كنتُ إلاّ طائعاً بثَنائكم في دَوْح مجدكُمُ أقومُ وأقعدُ
إن تسلبوني ريشكم وتُقَلّصوا عني ظلالكمُ فكيف أُغرِّدُ

وهل منكم شاعر رأى الناس قد ضجّوا من سماع تشبيه الثغر بالأقاح، وتشبيه الزهر بالنجوم، وتشبيه الخدود بالشقائق فتلطّف لذلك في أن يأتي به في منزع بصيّر خِلْقَةً في الأسماع جديداً، وكليلَةً في الأفكار حديداً، وأغرب أحسن إغراب، وأعرب عن فهمه بحُسْن تخيّله أنبل إعراب، وهو الزقاق:

وأغيد طاف بالكؤوس ضحىً وحثّها والصباحُ قد وضحا

(1) أبو الحسن محمد بن سفر (أو صفر)، شاعر المَريّة في عصره. **نفح الطيب**، ج1، ص 479.

والروض أهدى لنا شَقَائقهُ وآسُهُ العنبريّ قد نَفَحا
قلنا: وأين الأَقاح؟ قال لنا: أودعته ثغر من سقي القدَحا
فظلّ سقى المُدام يجحد ما قال فلمّا تبَسّم افْتَضحا

وقال:

أديراها على الرّوض المُنَدَّى وحكمُ الصبح في الظّلماء ماضي
وكأسُ الرّاح تنظر عن حَبَابٍ ينوبُ لنا عن الحَدَقِ المراضِ
وما غربت نجوم الأفق لكن نُقلنَ من السماء إلى الرّياضِ

وقال:

ورياضٍ من الشّقائق أضحتْ يَتَهادى بها نسيمُ الرياحِ
زرتها والغمامُ يجلد منها زَهِراتٍ تروقُ لونَ الرّاحِ
قلتُ: ما ذنبها؟ فقال مُجيباً: سَرقتْ حُمرةَ الخدودِ الملاحِ

فانظر كيف زاحم بهذا الاختيال المخترعين؟ وكيف سابق بهذا اللفظ المبتدعين؟

وهل منكم من أبدع في أوصاف الرياض والمياه وما يتعلّق بذلك فانتهى إلى غاية السباق، وفضح كل من طمع بعده في اللّحاق، وهو أبو إسحاق بن خفاجة القائل:

وعشيٍّ أُنسٍ أضجعتنا نشوةٌ فيها يُمهِّدُ مضجعي ويُدَمِّثُ
خَلَعَتْ على تلك الأراكةِ ظلَّها والغُصنُ يُصغي والحمامُ يُحَدِّثُ
والشمسُ تجنح للغروبِ مريضةً والرعدُ يرقب والغمامة تَنْفُثُ

والقائل:

لله نهرٌ سال في بطحاء أشهى وروداً من لمى الحسناءِ
مُتعطّفٌ مثل السّوار كأنه والزهرُ يكنفُهُ مَجَرُّ سماءِ
قد رقّ حتى ظُنّ قرصاً مفرغاً من فضّةٍ في بُرْدةٍ خضراءِ
وغَدَتْ تحفّ به الغصونُ كأنها هُدبٌ تحفُّ بمقلةٍ زرقاءِ
ولطالما عادَيْتُ فيه مُدَامةً صفراءَ تخضبُ أيديَ النُّدماءِ

والريحُ تعبثُ بالغصونِ وقد جرى ... ذَهَبُ الأصيل على لُجَيْنِ الماءِ

والقائل:

حَثَّ المُدامةَ والنسيمُ عليلُ ... والظلُّ خَفَّاقُ الرواقِ ظليلُ

والروْضُ مهتزُّ المَعَاطف نَغْمَةً ... نشوانَ تعطفه الصَّبا فيميلُ

ريّان فضَّضهُ الندى ثم انجلى ... عنه فَذَهَّبَ صفحتيه أصيلُ

والقائل:

أذِنَ الغمامُ بِدِيمةٍ وعُقارِ ... فامزجْ لُجيناً منهما بنُضارِ

واربعْ على حكمِ الربيع بِأجْرَعٍ ... هَزِجِ النّدامى مُفْصَحِ الأطْيارِ[1]

مُتَقسَّمُ الألحاظِ بين مَحَاسنٍ ... من رِدْفِ رابيةٍ وخَصْرِ قرارِ

نَثَرتْ بحِجْرِ الروضِ فيه يدُ الصَّبا ... دُرَرَ الندى ودَراهمَ الأنوارِ

وهفتْ بتغريدٍ هنالك أيكَةٌ ... خفَّاقةٌ بمهبّ ريحٍ عَرارِ

هزّت لَهُ أعطافَها ولربّما ... خلعتْ عليه مُلاءَة النُّوّارِ

والقائل:

سَقياً لها منْ بطاحِ خَزٍّ ... ونَهْدِ دَوْحٍ بها مُطلٌّ

إذْ لا ترى غيرَ وجهِ شَمسٍ ... أَظَلَّ فيها عِذاراً طَلُّ

والقائل:

نهرٌ كما سامي اللّمى سَلْسالُ ... وصَباً بَليلٌ ذيلُها مِكْسالُ

ومهبّ نفحةِ روضةٍ مَطلولةٍ ... في جانبيها للنسيم مَجَالُ

غازلتُها والأقْحُوانُ مُبَسَّمٌ ... والآسُ صُدغٌ والبنفسِجُ خالُ

والقائل:

وساقٍ كحيل اللحظِ في شأوِ حُسنهِ ... جماحٌ وبالصبر الجميل حِرانُ

ترى للصِّبا ناراً بخدّيْه لم يَثُرْ ... لها من سوادَيْ عَارِضيه دُخانُ

سَقَاها وقد لاح الهلالُ عشيّةً ... كما أعوجَّ في دِرْع الكَميّ سِنانُ

(1) الأَجْرَع: رملة مستوية لاتُنبت شيئاً.

عُقاراً نماها الكرمُ فهي كريمةٌ ولم تَزنِ بابنِ المُزْنِ فهي حَصَانُ
وقد جال من جَوْنِ الغمامة أدهمٌ له البرقُ صوتٌ والعَنانُ عِنانُ
وضمَّخ دِرْعُ الشمس نحرَ حديقةٍ عليه من الطَّلِّ السّقيط جُمانُ
ونمَتْ باسرارِ الرياضِ خميلةٌ لها النَّوْرُ ثغرٌ والنسيمُ لسانُ

والقائل في وصف فرس ولم يخرج عن طريقته:

وأشْقر تُضرمُ منه الوغى بشُعْلَةٍ من شُعلِ الباسِ
من جلَّنارٍ ناضرٍ لونُهُ وأُذنه من وَرَقِ الآسِ
يَطلعُ للغرّةِ في شقرةٍ حَبَابُهُ تضحكُ في كاسِ

وهل منكم من يقول منادماً لنديمه وقد باكر روضاً بمحبوب وكأس، فألفاه قد غطى محاسنه ضباب، فخاف أن يكسل نديمه عن الوصول إذا رأى ذلك، وهو أبو الحسن بن بسّام:

ألا بَادِرْ فلا ثانٍ سوى ما عهدتَ الكأسُ والبدرُ التّمامُ
ولا تكسَلْ برؤيته ضباباً تغُصُّ بهِ الحديقةُ والمُدامُ
فإنَّ الروضَ مُلتثمٌ إلى أن تُوافيَهُ فَيَنحطُّ اللِثامُ

وهل منكم من تَغَزَّل في غلام حائك بمثل قول الرُّصافي شعراً:

قالوا وقد أكثروا في حُبّه عَذلي لو لم تهِمْ بمُذالِ القَدْرِ مبتذَلِ
فقلتُ: لو كان أمري في الصَّبابة لي لاخْترتُ ذاك، ولكن ليس ذلك لي
عُلقتهُ حَبِيَّ الثّغر عاطِرَه حُلوَ اللمى ساحرَ الأجفانِ والمُقَلِ
غُزَيِّلٌ لم تزلْ في الغَزْلِ جَائلةً بَنَانُهُ جَوَلانَ الفكر في الغَزَلِ
جذلانَ تلعب بالمحواك أنْمُلُهُ على السَّدى لَعِبَ الأيّامِ بالأملِ
ضماً بكفّيه أو فحصاً بأخْمصه تخبُّطَ الظبي في أشراكِ مُحتَبِلِ

ومثل قوله في تغلُّب مسكة الظلام على خلوق الأصيل:

وعَشِيٍّ رائقٍ منظرُهُ قد قطعناه على صِرْفِ الشَّمولِ
وكأنّ الشمسَ في أثنائه أَلصقتْ بالأرض خداً للنزولِ
والصَّبا ترفعُ أذيالَ الرُّبى ومُحيّا الجوّ كالنهرِ الصقيلِ

حــبّــذا مَــنْــزِلُــنــا مُــغْــتَــبِــقــاً حــيــثُ لا يُطْــلِــقُــنــا غــيــرُ الــهــديــلِ
طــائــرٌ شــادٍ وغــصــنٌ مُــنْــثَــنِ والــدّجــى تــشــرب صَــهْــبــاءَ الأصــيــلِ

وهل منكم من يقول في مُوشّح فيما يجرُّه هذا المعنى:

وَرَدَ الأصيلُ تطويه كفُّ الظلامِ وهو أبو القاسم بن الفرس:

وهل منكم من وصف غلاماً جميلَ الصورة راقصاً بمثل قول ابن خروف[1]:

ومُلَعَّبِ الحركات يلعبُ بالنُّهى لبسَ المحاسنَ عند خَلْعِ لباسِهِ
مُتَاوّداً كالغُصنِ وسْطَ رياضِهِ مُتلاعباً كالظبي عند كُناسِهِ
بالعقل يلعب مُقبلاً أو مُدْبراً كالدهر يلعبُ كيف شاءَ بناسِهِ
ويضمُّ للقدمين منه رأسَهُ كالسيف ضَمَّ ذُبَابَهُ لرئاسِهِ

وهل منكم من وصف خالاً بأحسن من قول النشار[2]:

أَلُوّامي على كَلَفي بحبي متى مِنْ حبّه أرجو سَرَاحا
وبين الخدّ والشفتين خالٌ كزُنجيّ أتى روضاً صَباحا
تحيّر في جَنَاه فليسَ يدري أَيَجني الوردَ أم يجني الأقَاحا

وهل منكم مَنْ هجا الذي اهتدى إلى معنى في لَثْم وردةِ الخدّ ورَشْف رُضاب الثغر لم يهتدِ إليه أحدٌ غيره، وهو أبو الحسن سلام بن سلام المالَقي[3] في قوله:

لما ظَفرتُ بلَيلةٍ من وَصْلهِ والصَّبُّ غيرُ الوَصْلِ لا يَشْفيهِ
أَنْضجتُ وردةَ خدّهِ بتَنَفّسي وطفقتُ أرشفُ ماءها من فيهِ

وهل منكم من هجا من غير النطق بإقذاع فبلغ ما لم يبلغه المقذع، وهو المخزومي في قوله:

---

(1) **ابن خروف**: هو علي بن محمد بن يوسف بن خروف القيسي الرّاحل إلى المشرق، توفي بحلب حوالى سنة 620هـ. **نفح الطيب**، 2/ 640، رقم 267، رئاس السيف: غمده.

(2) **النشار**: أبو علي النشار شاعر بلنسي.

(3) صاحب **المقامات السبع**، وكتاب «**الذخائر والاعلاق في أدب النفوس ومكارم الأخلاق**»، (ت سنة 544هـ)، وجعله ابن عبد الملك إشبيلياً.

يــودُّ عـيـسـي نــزولَ عـيـسـى عَـسَـاهُ مــنْ دائــه يــريــحُ
ومـوضــعُ الــدّاء مــنــه عُـضْــوٌ لا يَـرتـضـي مـسَّـه الـمـسـيـحُ

ولما أقذع أتى أيضاً بأبدع، فقال:

يــا فــارسَ الــخـيـل ولا فــارسٌ إلاّ عــلــى مــتــنِ جــوادِ الـخِـصـا
زدتَ عــلــى مــوســى وآيــاتِــهِ تُـفـجّـر الـمـاءَ وتُـخـفـي الـعـصـا

وهل منكم من مدح بمعنى فبلغ النهاية من المدح، ثم نقله إلى الهجاء فبلغ به النهاية من الذمّ، وهو اليكيُّ[1] في قوله مادحاً:

قـومٌ لـهـم شـرفُ الـعُـلا فـي حِـمْـيرٍ وإذا انـتـمـوا لـمَـثـوبَـةٍ فَـهُـمُ هُـمُ
لـمـا حَـوَوْا إحـراز كـلّ فـضـيـلـةٍ غَـلـب الـحَـيـاءُ عـلـيـهُـمُ فـتـلـثّـمـوا

وقال هاجياً:

إنّ الـمُـرَابـط بـاخـلٌ بـنَـوالـه لـكـنـه بـعـيـالِـهِ يـتـكَـرَّمُ
أَلـوجـهُ مـنـه مُـخـلَّـقٌ بـقـبـيـح مـا يـأتـيـه فـهـو لِأَجْـلِـهِ يـتـلـثَّـمُ

وهل منكم من هجا أَشْتَرَ العين بمثل قول أبي العباس بن حَنون الإشبيلي[2]:

يـا طـلـعـةً أبـدتْ قَـبَـائـحَ جَـمَّـةً فـالـكـلّ مـنـهـا إنْ نـظـرتَ قـبـيـحُ
أَبـعـيـنِـكَ الـشَّـتـراءِ عـيـنٌ ثَـرَّةٌ مـنـهـا تـرقـرَقَ دمـعُـهـا الـمَـسْـفـوحُ
شُـتِـرَتْ فـقـلـنـا: زورقٌ فـي لُـجَّـةٍ مـالـت بـإحـدى دفّـتـيـهِ الـريـحُ
وكـأنّـمـا إنـسـانُـهـا مَـلاّحُـهـا قـد خـاف مـن غَـرَقٍ فـظَـلَّ يَـمـيـحُ

وهل منكم من حضر مع عدوّ له جاحدٍ لما فعله معه من الخير، وأمامهما زُجاجة سوداء فيها خمر، فقال له الحسود المذكور: إن كنت شاعراً فقلْ في هذه، فقال ارتجالاً، وهو ابن مُجبر[3]:

---

(1) **اليكي**: هو المخزومي الأعمى، انظر قصته في «**نفح الطيب**» 1/ 190. مع نزهون.

(2) **أشتر العين**: مَنْ كان جفن عينه مقلوباً أو متهدلاً، أبو عباس أحمد بن حنون الإشبيلي، أهله من أغنياء إشبيلية، اتهم بالقيام على الموحّدين، ثم عفي عنه في مدة منصور بني عبد المؤمن. **نفح الطيب**، 3/ 206.

(3) يحيى بن مجبر أبو بكر من بلش (مالقة) توفي سنة 588هـ بمراكش، له شعر كثير، **نفح الطيب**، 3/ 206.

سأشكو إلى النّدمان أمرَ زجاجةٍ ... تردّتْ بلونٍ حالك اللّون أسْحمِ
نصبُّ بها شمس المُدامةِ بيننا ... فتغرب في جُنحٍ من الليل مُظلمِ
وتجحدُ أنوارَ الحُميّا بلونها ... كقلبِ حسودٍ جاحدٍ يَدَ مُنْعمِ

وهل منكم من قال لفاضل جمع بينه وبين فاضل آخر، وهو أبو جعفر الذهبي[1] في قوله:

أيها الفاضلُ الذي قد هَدَاني ... نحو مَنْ قَدْ حَمدتُهُ باختيارِ
شكر اللّه ما أتيت وجازا ... كَ ولا زلتَ نجمَ هدىً لساري
أي برقٍ أفادَ أيُّ غمامٍ ... وصباحٍ أدى لضوْءِ نهارِ
وإذا ما غدا النسيم دليلي ... لم يجدْني إلاّ على الأزهارِ

وهل منكم أعمى قال في ذهاب بصره وسواد شعره، وهو الصطيلي:؟

أما اشْتَفَتْ منيَّ الأيامُ في وطني ... حتى تَضَايق في ما عنَّ مِنْ وَطَري
ولا قضتْ منْ سَواد العين حاجتها ... حتى تكرَّ على ما طُلَّ من شَعَري

وهل منكم الذي طار في مشارق الأرض ومغاربها قوله، وهو أبو القاسم محمد بن هانئ الألبيري:

فتقت لكم ريحُ الجلادِ بعنبرٍ ... وأمدَّكُمْ فَلَقُ الصَّباح المُسْفِرِ
وجَنيتُمُ ثَمرَ الوقائع يانعاً ... بالنصرِ من وُرْقِ الحديد الأَخْضَرِ

وقد سمعت فائيته في النجوم، ولولا طولها لأنشدتها هنا، فإنها من أحسن ما قيل في معناها.

وهل منكم من قال في الزهد مثل قول أبي وهب العَبَّاسي القُرطبي وهو هذا:

أنا في حالتي التي قد تراني ... إنْ تَأمَلْتَ أحسنَ الناس حالا
منزلي حيث شئتُ من مستقرّ ... الأرْضِ أُسقى منَ المياه زُلالا
ليس لي كسوةٌ أخافُ عليها ... من مُغيرٍ ولا ترى ليَ مالا

---

(1) أبو جعفر أحمد بن عتيق بن جرج المعروف بابن الذهبي، من أعيان بلنسية غلبت عليه الفلسفة، وهو من أصحاب ابن رشد، إلّا أنه اختفى حين طُلب أستاذُه إلى أن صدر العفو عنه. **نفخ الطيب**، 3/ 206

أَجْمَعُ السَّاعدَ اليمين وسادي ثم أثني إذا انقلبتُ الشمالا
ليس لي والدٌ ولا لي مولودٌ ولا حزتُ مُذْ عَقَلتُ عِيالا
قد تَلَذَّذتُ حقبةً بامورٍ فَتأمّلتُها فكانت خَيالا

ومثل قول أبي بن عبد اللّه بن العسّال الصطيلي:

أنْظرِ الدنيا فإن أبصرتها شيئاً يدومُ
فَاغْدُ منها في أمانٍ إنْ يساعدْكَ النعيمُ
وإذا أبصرتها مِنْكَ على كُرهٍ تَهيمُ
فاسْلُ عنها واطَّرِحْها وارْتحلْ حيثُ تُقيمُ

وهل نشأ عندكم في النساء مثل وَلّادة المروانية التي تقول مداعبةً للوزير ابن زيدون، وكان له غلام اسمه «علي»:

ما لابن زيدونَ على فضله يغتابني شتْماً ولا ذنبَ لي
ينظرني شَزْراً إذا جئتُهُ كأنما جئتُ لأخصي «علي»

ومثل زينب بنت زياد المؤدب الوادي آشية التي تقول:

ولما أبى الواشون إلاّ فراقنا وما لهمُ عندي وعندكَ من ثارِ
وشنّوا على أسماعنا كلّ غارةٍ وقلَّ حُمَاتي عند ذاكَ وأنصاري
غزوتُهُمُ من مُقلتيك وأدمعي ومن نَفسي بالسيف والماء والنارِ

وأنا أختم هذه القطع المتخيرة بقول أبي بكر بن بقي ليكونَ الخِتامُ مسكاً:

عاطيتُه والليل يَسحبُ ذَيلَهُ صهباء كالمسك الفتيق النَّاشقِ
وضممتُه ضمَّ الكَميّ لِسَيْفه وذُؤَابتاهُ حَمَائلٌ في عاتقي
حتى إذا مالت به سِنَةُ الكرى زَحْزحتُه شيئاً وكان مُعَانقي
أبعدتُه عنْ أضْلعٍ تَشْتَاقُهُ كَيلا ينامَ على وَسادٍ خَافِقِ

ويقول القاضي أبي حفص بن عمر القرطبي[1]:

---

(1) هو القاضي الأديب أبو حفص عمر بن عبد اللّه بن محمد بن عبد اللّه بن عمر السلمي، كان من أهل الفُتيا بمدينة فاس ثم ترَقّى إلى الخطابة والقضاء، ولّاه المنصور الموحّدي قضاء إشبيلية ومات بها وهو قاضٍ سنة 603هـ. **نفح الطيب**، م3، ص 209.

هُمُ نظروا لَوَاحِظَها فهاموا ... وتشرب لُبَّ شاربها المُدامُ
يخافُ الناس مُقلتها سواها ... أيُذْعِرُ قلبَ حامله الحسامُ؟
سما طرفي إليها وهو باكٍ ... وتحت الشمس ينسكب الغَمامُ
وأذكر قدَّها فانوح وجداً ... على الأغصان يَنتدب الحمامُ
وأعقبَ بينُها في الصدر غمّاً ... إذا غربَتْ ذُكاء أتى الظلامُ[1]

وقال أيضاً:

لَهَا رِدْفٌ تعلّق في لطيف ... وذاك الرِّدْفُ لي ولها ظلومُ
يُعذّبني إذا فكّرتُ فيه ... ويتعبها إذا رامتْ تقومُ[2]

❀ ❀ ❀

(1) وقد وقفت على هذه الأبيات في مخطوطة، تاريخ 1300هـ، للشاعر علي طالب الصعبي العاملي المُعاصر للمؤلف، وفيها هذه المقدمة لهذه الأبيات قال: «وللقاضي أبي حفص بن عمر القرطبي، فإني لم أسمع أعذب في السمع ولا أخف في الذوق والطبع أبدع منه ولا ألطف حيث يقول: وفيه نوع من البديع المذهّب الكلامي، وهو الإتيان بالدعوى ودليلها، فإنه جعل الشطر الأول عين الدعوى والثاني دليلها». وقد شطّرها الشاعر علي طالب الصعبي فأحسن وأجاد:

هُمُ نظروا لَواحظها فهاموا ... وتُولي جسمَ ناظرها السُّقامُ
وضَنَّتْ بالوصال وليس تروي ... وتشربُ لبُّ شاربَها المُدامُ
يخاف الناس مقلتها سواها ... وهل للسَّفْر إنْ خطرت قِوامُ
ويُخشى من لواحظها عليها ... أيذعر قلبَ حامله الحسامُ
سما طرفي إليها وهو باكٍ ... ونارُ جَوانحي زادت ضَرَامُ
أرى شمساً أضاءتْ في ظلام ... وتحت الشمس ينسكب الغَمَامُ
واذكر قدَّها فانوح وجداً ... وصار النوم في عيني حَرامُ
واندبُ حبُّها في كل حينٍ ... على الأغصان تنتدب الحَمَامُ
واعقبَ بَيْنُها في الصدر غمّاً ... وأطرد من بها في الحبّ لاموا
وإني صابرٌ في الحبّ عمري ... إذا غربت ذُكاء أتى الظلامُ

(2) [وقد شَطّرهما الشاعر علي طالب الصعبي المارّ ذكره، قال:

لها رِدْفٌ تعلّق في لطيفِ ... ولي قلبٌ على البلوى كتومُ
ويُمهلها إذا قامت لنحوي ... وذاك الرّدف لي ولَها ظلومُ
يُعذّبني إذا فكّرتُ فيه ... كلانا ضاحكٌ منه كظومُ
سيُضنيني ويوليها دلالاً ... ويُتعبها إذا رامت تقومُ]

وقد أطلتُ عنان النظم، على أنني اكتفيت عن الاستدلال على النهار بالصباح، فباللّه إلّا ما أخبرتني عن شاعركم الذي تقابلون به شاعراً ممّن ذكرت؟ لا أعرف لكم أشهر ذكراً، ولا أضخم شعراً، من أبي العباس الجرادي، وأولى لكم أن تجحدوا فخره، وتنسوا ذكره، فقد كفاكم ما جرى من الفضيحة عليكم في قوله من قصيدة يمدح بها خليفة:

إذا كان أملاك الزّمان أراقماً فإنّك فيهم دائم الدهر ثُعْبَانُ

فما أقبح ما وقع «ثعبان» وما أضعف ما جاء «دائمَ الدهر»، ولقد أنشدت أحد ظرفاء الأندلس هذا البيت، فقال: لا يُنكر هذا على مثل الجرادي، فسبحان من جعل نسبه وروحه وشعره تتناسب في الثّقالة.

وإن أردتُ التفاخر والتفاضل بالشجعان، فمن كان قبلنا منهم في مدة المنصور بن أبي عامر ومدة ملوك الطوائف أخبارهم مشهورةٌ، وآثارهم مذكورة، وكفاك من أبطال عصرنا ما سمعت عن الأمير أبي عبد اللّه بن مَردَنيش وأنه كان يدفع في المواكب ويشقها يميناً ويساراً منشداً:

أكرُّ على الكتيبة لا أُبالي أَحَتْفي كان فيها أمْ سواها

حتى أنه دفع يوماً في موكب من النصارى فصَرع وقَتَل، وظهر منه ما أُعجبتْ به نفسه، فقال لشيخ من خواصِّهِ، عالم بأمور الحرب مشهور بها: كيف رأيت؟ فقال له: لو رآك السلطان زاد في ما لك في بيت المال، وأعلى مرتبتك، أمن يكون رأس جيش يُقدم هذا الإقدام، ويتعرض بهلاك نفسه إلى هلاك جيشه؟ فقال له: دَعْني فإني لا أموت مرتين، وإذا مت أنا فلا عاش أثر من بعدي.

والقائد أبو عبد اللّه بن قادوس الذي اشتهر من شجاعته ومواقعه في النصارى وحسن بلائه ما صيّر النصارى من رعبه والإقرار بفضله في هذا الشأن أن يقول أحدهم لفرسه إذا سقاه فلم يُقبل على الماء: ما لك؟ أرأيت ابن قادوس في الماء؟ وهذه مرتبة عظيمة الفضل ما شهدتْ به الأعداءُ:

ولقد أخبرني من أثق به أنه خرج من عسكر في كتيبة مُجرّدة برسم الغارة على بلاد النصارى، فوقع في جمع كبير منهم، فجهد جهده في الخلاص منهم والرجوع إلى عسكره، فجعل يُقاتل مع أصحابه في حالة الفرار، إلى أن كبا بأحد جنده فرسُه،

وفرّ عنه، فناداه مُستغيثاً، فقال: اصبر، ثم نظر إلى فارس من النصارى وقد طرف من النصارى فقال: اجْرِ إلى هذا النصراني فَخُذْ فرسَه، وركض نحوه فأسقطه، وقال لصاحبه: اركبْ، فركب ونجا معه سالماً، وأمثال هذا كثير، وإنما جئتُ بحصاةٍ من بئر.

وأما كرم النفس وشمائل الرسالة، فأنا أحكي لك حكاية تتعجّب منها، وهي مما جرى في عصرنا، وذلك أن أبا بكر بن زُهر نشأت بينه وبين الحافظ أبي بكر بن الجد عداوة مفرطة للاشتراك في العلم والرئاسة وكثرة المال والبلدية، فأجرى ابن زُهْر يوماً ذكره في جماعة من أصحابه، وقال: لقد آذانا هذا الرجل أشدّ أذيّة، ولم يقصر في القول عند أمير المؤمنين وعند خواص الناس وعوامهم، فقال له أحد عوامهم: إني أذكر لك عليه عقداً فيه مخاصمة في موضع مما يعزّ عليه من مواضعه، ومتى خاصمته في ذلك بلغت منه النكاية أشدّ مبلغ، فخرج ابن زُهْر، وأظهر الغضب الشديد، والإنكار لذلك، وقال لوكيله: أمثلي يُجازى على العداوة بما يُجازى به السَّفَل والأوباش؟ وإني أجعل ابن الجد في حلّ من موضع الخصام، وأمر بأن يُحمل له العقد، ثم قال: وإني واللّه ما أروم بذلك أن أصالحه، فإن عَدَاوته من حَسَد، وأنا أسأل اللّه تعالى أن يُديمها لأنها مُقترنة بدوام نعمة اللّه عليّ.

❀ ❀ ❀

وإن تعرّضت إلى ذكر البلاد، وتفسير محاسنها، وما خصّها اللّه تعالى به ممّا حرمها غيرها، فاسمعْ ما يُميت الحسود كمداً.



«محاسن إشبيلية»

أما إشبيلية فمن محاسنها اعتدال الهواء، وحسن المباني، وتزيين الخارج والداخل، وتمكن التمصّر، حتى أن العامة تقول: لو طُلب لبن الطير في إشبيلية وجد، ونهرها الأعظم الذي يصعد المدّ فيه اثنين وسبعين ميلاً ثم يحسر، وفيه يقول ابن مسعر:

شقَّ النسيمُ عليه جيبَ قميصهِ فانسابَ منْ شَطَّيهِ يطلبُ ثارَهُ
فتَضاحكت وُرْقُ الحَمَام بدَوْحها هُزءاً فضمَّ من الحَيَاء إزارَهُ

وريادته على الأنهار كون ضفّتيه مطرّزتين بالمَنَازة والبساتين والكروم والأنشام[1] متّصلٌ ذلك اتصالاً لا يوجد على غيره.

وأخبرني شخص من الأكياس دخل مصر وقد سألتُه عن نيلها (فذكر) أنه لا تتصل بشطيه البساتين والمنازة اتصالها بنهر إشبيلية، وكذلك أخبرني شخص آخر دخل بغداد، وقد سعد هذا الوادي بكونه لا يخلو من مَسَرّة، وأن جميع أدوات الطرب وشرب الخمر فيه غير منكر، لا ناه عن ذلك ولا منتقد، ما لم يؤدّ السكرُ إلى شرّ وعربدة، وقد رام من وُليها من الولاة المُظهرين للدين قطعَ ذلك، فلم يستطيعوا إزالته، وأهله أخفّ الناس أرواحاً، وأطبعهم نوادر، وأحملهم لمزاح بأقبح ما يكون من السَّبّ، قد مرَنوا على ذلك، فصار لهم دَيْدَناً حتى صار عندهم مَنْ لا يبتذل فيه ولا يتلاعن ممقوتاً ثقيلاً.

وقد سمعت عن شرف إشبيلية الذي ذكره أحد الوشّاحين في موشحة مدح بها المعتضد بن عباد:

إشـبـيـلـيـا عـروسـاً وبـعـلـهـا عـبّـاد

---

(1) **الأنشام**: نوع من الشجر.

وتاجها الشرف وسلكها الواد

أي شرف قد حاز من الشرف إذ عمّ أقطار الأرض خيره، وسَفَر[1] ما يُعصر من زيتونه من الزيت حتى بلغ الإسكندرية، وتزيد قراه على غيرها من القرى بانتخاب مَبانيها، وتهمُّ سكانها فيها داخلاً وخارجاً، إذ هي من تَبييضهم لها نجوم في سماء الزيتون.

وقيل لأحد مَنْ رأى مصر أو الشام: أيّها رأيتَ أحسن هذان أم إشبيلية؟ فقال بعد تفضيل إشبيلية وشرفها: «غابة بلا أُسْد، ونهرها نيلٌ بلا تمساح».

وقد سمعت عن جبال الرحمة بخارجها، وكثرة ما فيها من التين القوطي والشعري، وهذان الصنفان أجمع المتجوّلون في أقطار الأرض أن ليس في غير إشبيلية مثلٌ لهما.

وقد سمعت في هذا البلد من أصناف أدوات الطرب كالخيال والكريخ والعود والروطة والرّباب والقانون والمؤنس والكثيرة والقنار والزلامي والشقرة والنورة - وهما مزماران الواحد غليظ الصوت والآخر رقيقه - والبوق، وإن كان جميع هذا موجوداً في غيرها من بلاد الأندلس فإنه فيها أكثر وأوجد، وليس في برّ العُدوة من هذا شيء إلّا ما جُلب إليه من الأندلس وحسبهم الدفّ وأقوال واليرا وأبو قرون ودبدبة السودان وحماقي البَرابر، وأما جواريها ومراكبها برّاً وبحراً ومطابخها وفواكهها الخضراء واليابسة فأصناف أخذت من التفضيل بأوفر نصيب، وأما مبانيها فقد سمعت عن اتقانها واهتمام أصحابها بها وكون أكثر ديارها لا تخلو من الماء الجاري والأشجار المتكاثفة كالنارنج واللّيم والليمون والزنبوع وغير ذلك، وأما علماؤها في كل صنف رفيع أو وضيع، جداً أو هزلاً، فأكثر من أن يُعدّوا، وأشهر من أن يُذكروا، وأما ما فيها من الشعراء والوشّاحين والزجالين فما لَوْ قُسموا على بَرّ العُدوة ضاق بهم، والكلّ ينالون خير رؤسائها ورِفْدَهم، وما من جميع ما ذكرت في هذه البلدة الشريفة إلّا وقصدي به العبارة عن فضائل جميع الأندلس، فلا تخلو بلادها من ذلك، ولكن جعلتُ إشبيلية، بل اللّه جعلها أمّ قُراها، ومركز فخرها وعُلاها، إذ هي أكبر مدنها، وأعظم أمصارها.

(1) **سَفَر الزيتَ**: نقله من مكان إلى آخر لبيعه.

● **وأما قرطبة** فكرسيّ المملكة في القديم، ومركز العلم ومَنَار التقى ومحل التعظيم والتقديم، بها استقرّت ملوك الفتح وعظماؤه، ثم الملوك المَروانية، وبها كان يحيى بن يحيى راوية عن مالك، وعبد الملك بن حبيب، وقد سمعت من تعظيم أهلها للشريعة ومنافستهم في السؤدد بعلمها، وبملوكها الذين كانوا يتواضعون لعلمائها، ويرفعون أقدارهم، ويصدرون عن آرائهم، وأنهم كانوا لا يقيمون وزيراً ولا مشاوراً ما لم يكن عالماً، حتى أن الحَكَم المستنصر لمَّا كره له العلماء شرب الخمر همَّ بقطع شجرة العنب من الأندلس، فقيل له: فإنها تُعصر من سواها، فأمسك عن ذلك، وأنهم كانوا لا يقدّمون أحداً للفتوى ولا لقبول الشهادة حتى يطول اختباره، وتُعقد له مجالس المذاكرة، ويكون ذا مال في غالب الحال خوفاً من أن يميل به الفقر إلى الطمع في ما في أيدي الناس فيبيع به حقوق الدين، ولقد أُخبرت أن الحكم الربضي أراد تقديم شخص يختصّ به للشهادة، فأخذ في ذلك مع يحيى ابن يحيى وعبد الملك وغيرهما من أعلام العلماء، فقالوا له: هو أهل، ولكنه شديد الفقر، ومن كان في هذه الحالة لا نؤمِّنه على حقوق المسلمين، لا سيما وأنت تريد انتفاعه وظهوره في الدخول في المواريث والوصايا وأشباه ذلك، فسكت ولم يَرَ منازعتهم، وبقي مهموماً من كونهم لم يقبلوا قوله، فنظر إلى ولده عبد الرحمن وليِّ الملك بعده، وعلى وجهه أثر ذلك، فقال: ما بالك يا مولاي؟ فقال: ألا ترى هؤلاء الذين نُقدّمهم ونُنَوّه عند الناس بمكانهم حتى إذا كلّفناهم ما ليس فيه شطط يعيبهم، ولا هو ممّا يرداهم شيئاً صَدُّونا عنه، وغلقوا أبواب الشفاعة، وذكر له ما كان منهم، فقال: يا مولاي، أنت أولى بالإنْصاف، إن هؤلاء ما قدمتهم أنت ولا نوَّهت بهم، وإنما قدّمهم ونوّه بهم علمهم، أَوَكُنْتَ تأخذ قوماً جهّالاً فتضعهم في مواضعهم؟

قال: لا، قال: فأنصفهم في ما تعبوا فيه من العلم لينالوا به لذّة الدنيا وراحة الآخرة، قال: صدقتَ، ثم قال: وأمّا كونهم لم يقبلوا هذا الرجل لشدّة فقره فالعلّة في ذلك تنحسم بما بقي لك في الصالحات ذكراً، قال: وما هو؟ قال: تعطيه من مالك قَدْرَ ما يلحق به من الغنى ما يؤهّله لتلك المنزلة، ويزيل عنك هذا خجل ردّهم لك، وتكون هذه مكرمة ما سبقك إليها أحد، فَتَهَلَّلَ وجه الحكم وقال: إليَّ إليَّ، إنها واللّه شنشنة عبشمية وإن الذي قال فينا لَصَادق:

وَإِنَّ مـلـو كـاً مِـنْ خَـضَـارمَ سَـادَةٌ صَـغـيـرُهُـمُ عـنـدَ الأنَـام كـبـيـرُ

ثم استدعى عبد الملك بن حبيب وسأله عن قدر ما يؤهّله لتلك المرتبة من الغنى، فذكر له عدداً، فأمر له به في الحين، ونَبَّهَ قدره بأنْ أعطاهُ من اصطبله مركوباً، وكانت هذه أكرومة لا خفاء بعظمها:

يـفـنـى الـزمـان ومـا بَـنَـيْـتَ مُـخـلَّـداً

ثمّ إنه إذا كان له من الغنى ما يكفُّهُ عن أموال الناس، ومن الدين ما يصدّه عن محارم اللَّه تعالى، ومن العلم ما لا يجهل به التصرّف في الشريعة، أباحوا له الفتوى والشهادة، وجعلوا علامة لذلك بين الناس القالسَ والرّداء.

وأهل قرطبة أشدّ الناس محافظة على العمل بأصح الأقوال المالكية، حتى أنهم كانوا لا يُولّون حاكماً إلّا بشرط أن لا يعدل في الحكم عن مذهب أبي القاسم.

وقال ابن سارة لما دخل قرطبة:

الـحـمـدُ لـلَّـه قـد وافـيـتُ قـرطـبـةً دَارَ الـعـلـوم وكـرسـيَّ الـسَّـلاطـيـنِ

وهي كانت مجمع جيوش ملك البرين وتوفرت الجيوش والآمال وخيلُه ورَجِّلُه وهي عرضِ ظاهر قرطبة وقد جمع من أقطار البلاد ما ينهض به إلى قتال العدو وتدويخ بلاده فنيَّف الفرسان على مائتَيْ ألف والرجال على ستمائة ألف وبها من صناديد المسلمين وقوادهم من لا يفتر عن محاربة ولا يمل عن مضاربة أسماؤهم بأقاصي بلاد النصارى مشهورة وآثارهم فيها مأثورة وقلوبهم على البعد بخوفهم معمورة.

ويُحكى أن العمارة في مباني قرطبة والزاهرة والزهراء اتصلت إلى أن كان يُمشى فيها بضوء السُّرُج المتصلة عشرة أميال، وأما جامعها الأعظم فقد سمعت أن ثُريّاته من نواقيس النصارى، وأن الزيادة التي زاد في بنائه ابن أبي عامر من تُرابٍ نَقَلهُ النصارى على رؤوسهم ممّا هُدم من كنائس بلادهم، وقد سمعت أيضاً عن قنطرتها العظمى وكثرة دحي[1] واديها، يقال إنها تنوف على خمسة آلاف حجر، وقد

(1) دحي، مصدر الفعل دحى: انبسط، اتسع.

سمعت عن قاعدتها. وما فضّل اللّه تعالى به تربها من بركة وما ينبت فيها من القمح وطيبه، وفيها جبال الورد الذي بلغ الربع منه عدة مرات ربع درهم، وصار أصحابه يرون الفضل لمن يقطف بيده ما يمنحونه منه، ونهرها إن صغر عندها عن عِظَمِهِ عند إشبيلية فإن التفاوت بِرَيِّهِ هنالك وتقطّع غُدُره ومروجه معنى آخر وحلاوة أخرى، وزيادة أنس وكثرة أمان من الغرق، وفي جوانبه من البساتين والمروج ما زاده نضارةً وبهجة.

جيّان قلعة الأندلس

● **وأمّا جَيّان** فإنها لبلاد الأندلس قلعة، إذ هي أكثرها زرعاً، وأصرمها أبطالاً، وأعظمها مِنْعة، وكم رامتها عساكر النصارى عند فترات الفتن فرأوها أبعدَ من العيّوق، وأعزّ منالاً من بيض النوق[1]، ولا خَلَت من علماء ولا من شعراء، ويقال لها: «جَيَّان الحرير» لكثرة اعتناء باديتها وحاضرتها بدود الحرير.

وممّا يُعد في مفاخرها ملبِيَّاسة أحد بلاد أعمالها من الزعفران الذي يصفرُّ برّاً وبحراً، وما في أيدة من الكروم التي كاد العنب فيها لا يُباع ولا يُشرى كثرةً، وما كان بأيدة من أصناف الملاهي والرّواقص المشهورات بحسن الانطباع والصنعة، فإنهنَّ أحذق خلق اللّه تعالى باللّعب بالسيوف والدّل، وإخراج القروي والمرابط والمتوجه.

غرناطة دمشق الأندلس

● وأما غرناطة فإنها دمشق بلاد الأندلس، ومسرح الأبصار، ومطمح الأنفس، لها القصبة المنيعة ذات الأسوار الشامخة، والمباني الرفيعة، وقد اختصت بكون النهر يتوزع على ديارها وحمّاماتها وأسواقها وأرحاها الداخلة والخارجة من بساتينها، وزانها اللّه تعالى بأن جعلها مرتبة على بسيطها الممتدّ الذي تفرّعت فيه سبائك الأنهار بين زبرجد الأشجار، ولنسيم نَجْدها وبهجة منظر حورها في القلوب والأبصار، استلطاف يروق الطباع، ويحدث فيها ما شاءه الإحسان من الاختراع

(1) **النوق**: طائر أسود مثل طائر الرخمة يبعد لوضع بيضه.

والابتداع، ولم تَخْلُ من أشراف أصائل وعلماء أكابر، وشعراء أفاضل، ولو لم يكن لها إلّا ما خصَّها اللّه تعالى به من كونها قد نبغ فيها من الشواعر مثل نَزهُون القلاعية وزينب بنت زياد، وقد تقدّم شعرهما، وحفصة بنت الحجاج، وناهيك في الظرف والأدب، فهل ترى أظرف منها في جوابها لوزير الحسيب الناظم الثائر أبي جعفر ابن القائد الأجلّ أبي مروان بن سعيد، وذلك أنهما باتا بحَوْرٍ مؤمّل على ما يبيت به الرّوض والنسيم، من طيب النفحة ونضارة النعيم، فلما حان الانفصال قال أبو جعفر:

رَعَى اللّه يوماً لم يَرُحْ بِمُذمَّم ... عشية وارانا بحَوْرٍ مُؤَمَّلِ
وقد خفقت من نحو نجدٍ أريحةٌ ... إذا نفحتْ هبَّت بريّا القَرَنفُلِ
وغرَّد قُمريٌّ على الدّوح وانْثَنَى ... قضيبٌ منَ الريحان من فوق جَدولِ
ترى الرّوضَ مسروراً بما قد بَدَا لَهُ ... عناقٌ وضمٌّ وارتشافُ مُقَبَّلِ

وكتب إليها بعد الافتراق، لتجاوبه على عادتها في ذلك، فكتبت له ما لا يخفى فيه قيمتها:

لَعمركَ ما سُرَّ الرياضُ بوصلنا ... ولكنه أبدى لنا الغُلَّ والحسدْ
ولا صفّق النهرُ ارتياحاً لقربنا ... ولا صَدَح القُمْريّ إلاّ بما وجدْ
فلا تُحْسِنِ الظنَّ الذي أنتَ أهلُه ... فما هو في كلّ المَوَاطن بالرَّشدْ
فما خلتُ هذا الأفق أبدى نجومَه ... لأمرٍ سوى كيما تكون لنا رَصَدْ

مالقة كرومٌ متصلة

● **وأما مالَقَة** فإنها قد جمعت بين منظر البر والبحر بالكروم المتصلة التي لا تكاد يرى فيها فرجة لموضع غامر، والبروج التي شابهت نجوم السماء كثرةَ عددٍ وبهجة ضياء، وتخلّل الوادي الزائر لها في فصلي الشتاء والربيع في سُرُرٍ بطحائها، وتوشيحه لخصور أرجائها، وممّا اختصّت به من بين سائر البلاد، التين الريني المنسوب إليها، لأن اسمها في القديم رَيَّة، ولقد أخبرت أنه يُباع في بغداد على جهة الاستظراف، وأما ما يسفر منه المسلمون والنصارى في المراكب البحرية فأكثر من أن يُعبر عنه بما يحصره، ولقد اجتزتُ بها مرةً، وأخذت بها على طريق الساحل من سُهيل إلى أن بلغت إلى بليش قدر ثلاثة أيام متعجباً فيما حَوَتْهُ هذه المسافة من شجر

التين، وإن بعضها يَجتني ثمرَها الطفل الصغير من لزوقها بالأرض، وقد حَوَتْ ما يُتعب الجماعة كثرة، وتين بليش هو الذي قيل فيه للبربري: كيف رأيته؟ قال: لا تسألني عنه، وصُبَّ في حلقي بالقفّة، وهو لَعمري واللَّهِ معذور، لأنها نعمة حُرمت بلاده منها.

وقد خُصَّت بطيب الشراب الحلال والحرام، حتى سار المثل بالشراب المَالقي، وقيل لأحد الخلفاء، وقد أشرف على الموت: اسألْ ربّك المغفرة، فرفع يديه وقال: يا رب، أسألك من جميع ما في الجنّة خمر مَالَقَة وزبيب إشبيلية وفيها تُنسج الحُلل الموشاة التي تجاوز أثمانها الآلاف ذات الصور العجيبة المنتخبة برسم الخلفاء فَمنْ دونهم، وساحلها محط تجارة لمراكب المسلمين والنصارى.

المريَّة عظيمة القدر

● **وأمّا المريّة**[1] فإنها البلد المشهور الذكر، العظيم القدر، الذي خُصَّ أهلُه باعتدال المزاج، ورونق الديباج، ورقّة البشرة، وحسن الوجوه والأخلاق، وكَرَم المعاشرة والصحبة، وساحلها ألطف السواحل وأشرحها وأملحها منظراً، وفيها الحصى الملوّن العجيب الذي يجعله رؤساء مراكش في البراريد[2] والرخام الصقيل الملوكي، وواديها المعروف بوادي بجانّة من أفرج الأودية، ضفّتاه بالرياض كالعِذَارين حول الثغر، فحق أن يُنشد فيها:

أرضٌ وطئت الدُّرَّ رَضْراضاً بها ... والتربُ مسْكاً والرّياض جِنانا

وفيها كان ابن ميمون القائد الذي قهر النصارى في البحر، وقطع سفرهم فيه، وضرب على بلاد (الرماتية)، فقتل وسبى، وملأ صدور أهلها رعباً، حتى كان منه كما قال أشجع[3]:

فإذا تَنَبَّه رُعْتَهُ وإذا غَفَا ... سَلَّتْ عليه سيوفَك الأحلامُ

وبها كن محط مراكب النصارى، ومجتمع ديوانهم، ومنها كانت تسفَّر، لسائر

---

(1) **المرية**: بلدة تنسب إلى بني مرين ملوك البربر في المغرب الأقصى بين القرنَيْن 13 ـ 15.

(2) **البراريد**، في **نفح الطيب**: البواريد.

(3) **أشجع**: هو أشجع السُلمي، وبيته من قصيدة يمدح بها الرشيد.

البلاد بضائعهم، ومنها كانوا يوسقون جميع البضائع التي تصلح لهم، وقصد بضبط ذلك بها حَصر ما يجتمع في أعشارهم، ولم يوجد لهذا الشأن مثلها، لكونها متوسطة ومتسعة وقائمة بالوارد والصادر، وهي أيضاً مصنع للحلل الموشاة النفيسة.

مرسيّة حاضرة شرق الأندلس

● **وأما مُرسيّة** فإنها حاضرة شرق الأندلس، ولأهلها من الصرامة والإباء ما هو معروف مشهور، وواديها قسيم وادي إشبيلية، كلاهما ينبع من شَقُورة وعليه من البساتين المتهذّبة الأغصان، والنواعير المطربة الألحان، والأطيار المغرّدة، والأزهار المتنضدة، ما قد سمعت، وهي من أكثر البلاد فواكه وريحاناً، وأهلها أكثر الناس راحةً وفرجاً لكون خارجها معيناً على ذلك بحسن منظره. وهي بلدة تجهز منها العروس التي لا تفتقر في شيء من ذلك إلى سواها، وهي للمَريَّة ومَالَقة في صنعة الوشي ثالثة، وقد اختصّتْ بالبُسط التنتلية التي تُسفّر لبلاد المشرق، وبالحُصْر التي تُغلَّف بها الحيطان المبهجة للبصر، إلى غير ذلك ممّا يطول ذكره ولم تخلُ من علماء وشعراء وأبطال.

بلنسية طيب الأندلس

● **وأما بَلَنْسِيَةُ** فإنها لكثرة بساتينها تعرف بمطيب الأندلس، ورُصافتها من أحسن منفرجات الأرض، وفيها البحيرة المشهورة الكثيرة الضوء والرونق، ويُقال أَنه لمواجهة الشمس لتلك البحيرة يكثر ضوء بَلَنْسِيَة إذ هي موصوفة بذلك، وممّا خُصَّت به النسيج البلنسي الذي يُسفَّر لأقطار المغرب، ولم تخلُ من علماء ولا شعراء، ولا فرسان يكابدون مصاقبةَ[1] الأعداء، ويتجرعون فيها النعماء ممزوجة بالضرّاء، وأهلها أصلح الناس مذهباً وأمتنهم ديناً، وأحسنهم صحبة، وأرفقهم بالغريب.

جزيرة مَيُورقة

● **وأمّا جزيرة مَيُورقة** فمن أخصب بلاد اللّه تعالى أرجاء، وأكثرها زرعاً ورزقاً وماشية، وهي على انقطاعها من البلاد مستغنية عنها، يصل فاضل خيرها إلى

(1) **مصاقبة**: مصادمة، في نفح الطيب.

غيرها، إذ فيها من الحضارة والتمكّن والتمصّر وعظم البادية ما يُغنيها، وفيها من الفوائد ما فيها، ولها فضلاء وأبطال اقتصروا على حمايتها من الأعداء المحدقة بها:

ما كلٌّ مَنْ جَعَلَ الحُسَامَ خَليلَه لا يبتغي أبداً سِواهُ مُعينَا

هذا ـ وإن اللّه تعالى فضّلك بالإنصاف وشرّف كرمك بالاعتراف ـ ما حضرني الآن في فضل جزيرة الأندلس، ولم أذكر من بلادها إلّا ما كلُّ بلد منها مملكة مستقلة يليها ملوك بني عبد المؤمن على انفراد، وغيرها في حكم التبع.

وأما علماؤها وشعراؤها فإنني لم أعرض منهم إلّا من هو في الشهرة كالمصباح، وفي مسير الذكر كالرياح، وأنا أحكي لك حكاية جرت لي في مجلس الفقيه الرئيس أبي بكر ابن زُهْر، وذلك أنني كنتُ يوماً بين يديه، فدخل علينا رجل عجميّ من فضلاء خراسان، وكان ابن زُهر يكرمه، فقلتُ له: ما تقول في علماء الأندلس وكتّابهم وشعرائهم؟ فقال: كبُرتُ، فلم أفهم مقصده واستزدت ما أتى به.

وفهم مني أبو بكر بن زُهْر أني نظرته نظرتُ المستزيد المنكر فقال لي: أقرأت شعر المتنبي؟ فقلتُ: نعم وحفظت جميعه. قال: فعلى نفسك إذن فلتنكر، وخاطرك بِقِلَّة الفهم فلتَّتَّهم، فذكّرني بقول المتنبي:

كَبُرتُ حَولَ ديارهم لمّا بَدَتْ منها الشموسُ وليس فيها المشرقُ

فاعتذرت للخراساني، وقلت له: واللّهِ قدْ كبرت في عيني بقدر ما صَغُرتْ نفسي عندي، لما لم أفهم نُبْلَ مقصدك، فالحمد للّه الذي أطلع من المغرب هذه الشموس، وجعلها بين جميع أهله بمنزلة الرؤوس، وصلى اللّه على سيدنا محمد نبيّه المختار من صفوة العرب، وعلى آله وصحبه، صلاة متّصلةً إلى غابر الحُقب.

كملت رسالة الشقندي[1] وهو أبو الوليد إسماعيل بن محمد، وشقندة المنسوب إليها، قرية مُطِلَّة على نهر قرطبة والحمد لله رب العالمين.

❀ ❀ ❀

---

(1) انظر: **نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب**، ج3، ص 186، وص 222، دار صادر، بيروت.



جواهر بديعية مُلحقة

1 ـ ● ولبعضهم بتكرار الإشارة على اختلاف المُشَار إليه، ولعلّه نوع من البديع:

حبيبي منَ الأسْقَام جِسْميَ هكذا[1] ... وظهري لما لاقيتُ بعدك هكذا[2]

وعَيناايَ من فَيْض الدموع تَفجَّرتْ ... وقلبيَ من ذكراك يخفق هكذا[3]

أَبيتُ على فرش الضَّنَى مُتلفِّعاً ... وأنتَ على فرش الأرائك هكذا[4]

بَتْنَا وقد بتناوبات مُضاجعي ... وقد تركَتْكَ الخمر تنعس هكذا[5]

وأدنو إلى التقبيل في كلّ ساعةٍ ... فتهوي إلى نحري بثغرك هكذا[6]

وبتنا وما بيني وبينك حاجز ... كزوج حَمَام أو كغُصنين هكذا[7]

وتبخل عني بالسلام وعندما ... تراني قد أقبلتُ تُعرضُ هكذا[8]

فمِنْ بعد ذاك الوصل والودّ كلّهِ ... فكان جميلاً منك تنفر هكذا[9]

❀ ❀ ❀

2 ـ ● ولابن خطَّاب في الزهد وقد أجاد:

يأسفُ المرْءُ على ما فاتَهُ ... من لُبَاناتٍ إذا لم يَقْضها

(1) هكذا: فسرها المؤلف بقوله: أصفر اللّون.
(2) فسَّرها الشاعر بقوله: منحنٍ.
(3) هكذا: يضطرب.
(4) هكذا: مُتكئٌ.
(5) هكذا: منحني الرأس.
(6) هكذا: تدينه.
(7) هكذا: مقترنَيْنِ.
(8) هكذا: تميل بوجهك.
(9) هكذا: تبعد عني.

وتـراهُ ضـاحـكـاً مُـسْـتـبـشـراً بـالـتـي أمـضـى كـأنْ لـم يُـمْـضـهـا
إنــهـا عــنـدي كَـأحْـلام كَـرىً لَـقَـريـبٌ بـعـضُـهـا مـن بـعـضـهـا

❀ ❀ ❀

● ولمنذر بن سعيد البلوطيّ:

الـمـوتُ حـوضٌ وكُـلّـنـا نَـرِدُ لـمْ يَـنْـجُ مـمّـا نَـخـافُـه أحـدُ
فـلا تـكـنْ مُـغـرمـاً بـرِزق غَـدٍ فَـلَـسـتَ تـدري بـمـا يـجـيء غَـدُ
وخُـذْ مـنَ الـدهـرِ مـا أَتَـاكَ بـهِ ويَـسْـلـمُ الـرّوحُ مـنـكَ والـجَـسَـدُ

❀ ❀ ❀

3 ـ ● وللمصحّفي حاجب الناصر المرواني أحد سلاطين بني أميّة في الأندلس، لمّا غضب عليه وزيره ابن عامر الملقّب بالمنصور، بعد وفاة النّاصر، وقد كان ابن أبي عامر في أوّل أمره خادماً للمصحّفي، وله قصة طويلة:

لـي مُـدَّةٌ لا بُـدَّ أَبـلُـغُـهـا فـإذا انْـقَـضَـتْ أَيّـامُـهـا مُـتُّ
لـو قـابـلـتـنـي الأُسْـدُ ضـاريـةً والـمـوتُ لـم يـقـرب، لـمـا خِـفْـتُ
فـانـظـرْ إلـيَّ وكُـنْ عـلـى حَـذَرٍ فـي مـثـل حـالـك أمـسِ قـد كُـنْـتُ

❀ ❀ ❀

4 ـ ● وللوزير أبي الفضل محمد بن عبد الواحد التميمي البغدادي الدَّاري:

يَـزْرَعُ ورداً نـاضـراً نـاظـري فـي وجـنـةٍ كـالـقَـمـر الـطّـالِـعِ
أُمْـنَـعُ أَنْ أقـطـفَ أزْهـارَه فـي سُـنَّـة الـمـتـبـوع والـتّـابـعِ
فَـلَـوْ مـنـعـتـمْ شـفـتـي قَـطْـفَـهـا والـشـرعُ: إنَّ الـزرعَ لـلـزّارعِ

❀ ❀ ❀

وله:

ومُـعَـذِّرٍ نـقـش الـجـمـال بـمـسْـكِـهِ خـدّاً لـه بِـدَم الـقـلـوب مُـضـرَّجـا
لـمّـا تَـيَـقّـن أنّ سـيـفَ جُـفـونـه مـنْ نَـرْجِـسٍ جـعـل الـعِـذَارَ بـنـفـسـجـا

❀ ❀ ❀

وله في جارية تبخّرت بالنّد:

ومخطوطةِ المتنين مهضومةِ الحَشَا　　مُنعَّمةِ الأرْداف تدمى من اللّمسِ
إذا ما دخانُ النّد من جيبها عَلا　　على وجهها أبصرتَ غيماً على شمسِ

وله:

أينفعُ قولي إنني لا أُحبُّه　　ودَمعي بما يُمليه وجديَ يكتبُ
إذا قلتُ للواشين لستُ بعاشقٍ　　يَقولُ لهمْ فيضُ المَدَامع يكذِبُ

❀ ❀ ❀

5 - ● ولأبي بكر محمد بن أحمد الإشبيلي المعروف بالأبيض[1] في تهنئته بمولود، ولم أرَ أبدعَ منها ولا أحسن:

أصاختِ الخيلُ آذاناً لصرختهِ　　واهتزَّ كلُّ هِزَبْرٍ عندما عَطَسَا
تعشّق الدّرْعَ مُذْ شُدَّت لَفَائفُهُ　　وأبغضَ المهر لمّا أبصر الفَرَسَا
تعلّمَ الرّكضَ أيّامَ المَخَاضِ بِهِ　　فما امتطى الخيلَ إلاّ وهو قد فَرُتا[2]

❀ ❀ ❀

6 - ● ولابن الزقاق الأندلسي[3]:

بأبي وغيرِ أبي أغنُّ مهفهفٌ　　مهضومُ ما خَلْف الوشاح خَميصُهُ
لبس السّوادَ ومَزّقتْهُ جُفونُهُ　　فأتى كَيوسُفَ حينَ قُدَّ قميصُهُ

❀ ❀ ❀

وله أيضاً:

سقتني بيُمناها وفيها فلمْ أزلْ　　يُجاذبني من ذا ومن هذه سُكْرُ
تَرَشّفْتُ فَاها إذ تَرَشّفْتُ كاسَها　　فَلا والهوى لم أدْرِ أيُّهما الخمرُ

❀ ❀ ❀

(1) انظر: **نفح الطيب**، م3، ص 287.
(2) **فرُسَ**: صار حاذقاً في أمر الخيل، صار فارساً
(3) المرجع السابق نفسه، ص 289.

وله:

تَضَوَّعنَ أنفاساً وأَشْرَقنَ أوجُهاً ... فهنَّ مُنيراتُ الصباح بِرَاسمُ
لئن كنَّ زُهراً فالجوانحُ أَبْرُجٌ ... وإنْ كنَّ زهراً فالقلوب كَمائمُ

❀ ❀ ❀

7 ـ ● ولأحمد الأندلسي المعروف بالكساد، في رثاء موسى بن عبد الصّمد، وكان جميلَ الصورة، ولشعراء الأندلس فيه من التغزّل والرّثاء ما لا يُحصى كثرةً وقد أبدع وأغرب:

فرَّ إلى الجنّة حُوريّها ... وارتفع الحسنُ منَ الأرضِ
وأصبح العشّاقُ في مأتمٍ ... بَعضُهُمُ يبكي على بعضِ

❀ ❀ ❀

وله أيضاً فيه:

هتَفَ النّاعي بِشَجْوِ الأبدِ ... إذْ نَعَى موسى بْنَ عبد الصّمدِ
ما عليهم ويحهم لَوْ دَفنوا ... في فؤادي قطعةً من كَبِدي

❀ ❀ ❀

8 ـ ● ولابن الزقاق متغزّلاً:

بأبي مَنْ لم يَدَعْ لي لحظُهُ ... في الهوى منْ رَمَقٍ[1] حينَ رمقْ[2]
جمعت نكهتهُ في ثغره ... عَبقاً في نَسَقٍ يَسْبي الحَدَقْ
وبدتْ خجلتُه في خدّه ... شَفقاً في فَلَقٍ تحتَ غَسَقْ

❀ ❀ ❀

9 ـ ● المسعودي:

هو أبو الحسن عليّ بن الحسين صاحب التواريخ والتصانيف المشهورة التي منها كتاب «مروج الذهب ومعادن الجوهر» وكتاب «الأمانة عن أصول الدّيانة» وكتاب

(1) الرَمَقِ: آخر الروح، بقية الحياة.
(2) رَمَقْ الشيْ: نظر إليه.

«المقادير في أصول الديانات» وكتاب «سرّ الحياة» وكتاب «نظم الأدلّة في أصول الملّة» وكتاب «الاستبصار في الإمامة ووصف أقاويل الناس في ذلك من أصحاب النص والإختيار» وكتاب «الصفوة في الإمامة».

ولم أطّلع على شيء من كتبه إلّا على «مروج الذهب»، وقد جرى فيه مجرى أهل التاريخ من نقل الأخبار وعدم التعرّض لمذهب من المذاهب، ومع ذلك تفوح منه رائحة التَّشَيّع، مثل نقله لخطبة أمير المؤمنين عليه السلام التي فيها: «وانتخب محمداً وآله وأراهم أن الهداية معهم والنور له والإمامة في آله»، ومثل قوله: وعند كثير من أهل الدراية أن سعد الكوفة والحيرة يعود في آخر الزمان بالعمران، ومثل ذلك كثير في كلامه، وقد ذكره أصحابنا في «رجالهم» وأوضحنا حقيقة حاله في كتابنا الرّجال، الموسوم بـ «ضوء المشكاة في أحوال الرواية والرواة».

❀ ❀ ❀

10 ـ مسألة مقدار الصاع:

الصّاع الشرعي أربعة أمْداد، والمُدُّ رطلان وربع بالعراق، والرطل العراقي مائة وثلاثون درهماً، والدرهم ستّة دَوَانيق، والدّانق ثماني حبّات من أوسط حبّ الشعير.

❀ ❀ ❀

11 ـ ● لبعضهم، وما أجود ما جاء به:

غَدا خالُه ربَّ الجمال لأنّهُ … على عَرش خدّ فوق كُرسيه استوى
وأرسل بالألحاظ رُسْلاً أعِزَّةً … على فترةٍ تدعوا الأنامَ إلى الهوى

❀ ❀ ❀

12 ـ ● ولبعضهم بالفارسية وأجاد:

مراكشتي وتكبير لي نكفتي … عجب سنكين دلّي اللّه أكبر

يعني: ذبحتني ولم تكبر، عجباً من قلبك الذي كالحجر قساوة اللّه أكبر.

13 ـ ● غيره، ملمّع فارسي وعربي وتركي:

لي شادنٌ أضنى الحَشَا … بالغمز من جشمانه

أصمى الفؤاد وصابني من عاشقم سان رحم دن
خنديد مني معجبا فاجابني بزبانه
بوعشق در صحتة لر كثر حسن ما أنت من مردانه
قسماً بخوب خدَّيه وبحُسْن منطق رويه
وبجمر اللهباء إذ هـ تفتر عن دندانه
فَلأبكيَنَّ عليه حتى معلوم هركس ميشود
وأقول هذا جان من قد زاد في هجرانه

❀ ❀ ❀

14 ـ ● ولِعَبد علي بن ناصر الحويزي، وهو ممّا يُتغنّى به:

لا تطلعي في قمر إنّني أخافُ أن يغلط السَّفَرْ
أو طلعت شمس فلا تطلعي أخاف أن تعمى عيونُ البشرْ

❀ ❀ ❀

15 ـ ● ملمّع فارسي وعربي في ذمّ القهوة، قهوة البُنّ:

أون سياه رواسمها قهوه مانع النوم قاطع الشهوه

❀ ❀ ❀

16 ـ ● ولكاتبه ابن المؤلف، دام ظلّه، في ذمّها والمراد القهوة الأصلية، وهي الخمر:

لا أشربُ القهوة لا أشربُ إنما يشربها المذنبُ
أذنب إذْ يسعى إلى شربها فكيف إذ يشربُ أو يطربُ

❀ ❀ ❀

في مدح قهوة البُنّ مُجنّساً، ذكره السيد علي خان في «السلافة»[1]

هاتِ اسقني قهوةً قشريّةً فضحتْ بكرَ المُدامِ وشَنِّفْ لي الفناجينا[2]

---

(1) السُّلافة: أي كتاب «سلافة العصر» لمؤلفة علي خان.

(2) شنِّفْ: فعل أمر من شَنَّفَ الكلام: زيَّنه.

تدعو إلى نحو ما فيه البقاءُ ولو دعتْ إلى نحو ما فيه الفنا، جينا[1]
لو أن ألفاً أناخوا حول ساحتها قصدَ النَّجاةِ رأيت الألف ناجينا[2]
يا ربَّةَ الحسن حِلّينا حِماكِ فإن نطلبْ فجودي وإنْ نسالْ فَنَاجينا[3]

17 - ● وللسيد، على الإطلاق، (الشريف) الرضي الموسوي:

أَيَا جَبَلَيْ نجدٍ أَبِيَنا سُقيتُما متى زالت الأظعان يا جَبَلانِ
أُناديكما شوْقاً وأعلمُ أنّه وإنْ طالَ رَجْعُ القول لا تَعِيانِ
أقول وقد مَدَّ الظلام رِوَاقَهُ وألقى على هام الرُّبى بِجِرَانِ
نَشَدتُكما أن تُضمرا لي ساعةً لعلّي أرى النارَ التي تَرَيانِ
وألقى على بُعدٍ من الدّار نَفْحةً تذمّ على عيني من الهَمَلانِ
قِفَا صاحبيَّ اليومَ أسال ساعةً ولا تُرجِعَا سمعي بغير بَيَانِ
هل الربعُ بعد الظاعنين كعهدِنا وهلْ راجعٌ فيه عليَّ زَماني
وهلْ مسَّ ذاك الشِّيحُ عِرنينَ ناشقٍ وهلْ ذاق ماءً باللّوى شَفَتَانِ
لقد غَدَرَ الأظعان يوم سُوَيْقَةٍ ويدمى لذكر الغادرين بَنَاني[4]
ولا عجبٌ قلبي كما هُنَّ غادرٌ كما أنَّ أضلاعي عليه حَواني
لك اللّه هل بعد الصدود تعطّفٌ وهلْ بعد رَيْعان البُعادِ تَدَاني
وما غَرَضي أني أَسُومُكِ خُطّةً كَفَاني قليلٌ منْ رضاكِ كفاني
وعَاذِلتي قِرْطٌ لأُذنيَّ عَذْلُها تَلوم وما لي بالسّلوّ يَدانِ
أَعاذلَةٍ لو أن قلبكِ كان لي شَكوْتُ ولكن غير قلبكِ عاني
أَعاذلتي لو أَنَّ قلبَكِ كانَ لي شكَوْتُ ولكنْ غَيْرُ قلبكِ عاني
ألا ليتَ لي من ماء يبرين شُربةً ألذَّ لقلبي من غريض لُبانِ[5]
أُداري بها قلباً على النّأي لم تَدَعْ بهِ فتكات الشوق غَيْرَ جنانِ
ولولا الجوى لم أَبغِ إلاّ مُدامةً بطَعْن القنا إبريقها الوَدَجانِ

(1) **جينا**: من المجيء ليَّنها الشاعر لضرورة القافية.
(2) **ناجون**: اسم فاعل من النجاة: سلموا من أي خطر محدق بهم.
(3) **ناجينا**، فعل أمر للمخاطبة المؤنثة: من المناجاة: كلام الإنسان مع نفسه.
(4) يعني أنه لذكرهم يعضّ على بنانه فيدمّيها تأسّفاً عليهم.
(5) **الغريض**: الحليب النيء، يريد الشاعر حليب أمّه ويبرين: موضع بحذاء الاحساء.

إذا سكر العسّالُ من قَطَراتها — سقيتُ حمَيّاها أغرَّ يَمانِ
ولي أملٌ لا بدّ أحملُ عِبْئَهُ — على الجُرد من خيفاته وحصانِ
وكلّ رعود الشقربين كأنه — سَنا البرقِ إمّا جَدَّ في اللّمعانِ
وأسمر هَزْهاز الكعوب كأنه — قِرى الذئبِ مجبولٌ على العَسَلان[1]
فإن أنا لم أركب عظيماً فلا مضى — حُسامي ولا روَّى الطِّعَانَ سِناني

❀ ❀ ❀

وله أيضاً:

تحمّل جيرانُنا عن مِنَى — وقالوا النَّقا بيننا موعدُ
وهلْ نافع قولُ ذي غُلَّةٍ — وقد بَعُد الركبُ، لا تَبعدوا
تَنَادوا بأَنَّ التَّنَائي غداً — لك السوء من طالعٍ يا غدُ
فللَّه ما جمع المازمان — وجمْعٌ لقلبيَ والمسجدُ
يُضاع فَيَنْشُد قعبَ الغبوق — وقلبي يُضاع فلا يُنشدُ
وغيداءَ من ماطِلاتِ الدُّيون — لَهَا بالحمى زَمنٌ أغْيَدُ
تَريَّعَ كما التفتَتْ ظَبْيَةٌ — بذي البان عنَّ لَهَا الموردُ
نظرتَ وهيهات منْ ناظريكَ — ظِبَاءُ تَهَامةَ يا مُنجِدُ
وَيَا رُبَّما والهوى ظلّةٌ — ترى العينُ ما لا تَنَالُ اليدُ

❀ ❀ ❀

18 ـ ● لبعضهم وأجاد، فارسي:

وي كهْ ست وكف دست كهْ حنا — حل شداير ورق نقر يطلا[2]
تامراد يد خنجرز بهلو كشيد — مثل ايرويش بلا أندر بلا[3]

❀ ❀ ❀

(1) العَسَلان: مصدر الفعل عَسَل الماءُ أو الرمح: اضطرب، اهتزَّ.
(2) يعني كحل الذهب يُطلى به الفضة.
(3) أي: حواجبه كالخناجر، بلا أندر بلا: بلاء فوق بلاء.

18 ـ ● غيره، لبعض نساء فتح علي شاه:

أم شُبزِ كلستي دنم دستي بدار ميشكداز برك كلراب أنار[1]
أم شُبزِ كلستي دنت عندي رميار ميخرت خون شير در وقت شكار[2]

جوابه: تقول إنها معذورة بالدم في البيت الأول

❀ ❀ ❀

19 ـ ● لبعضهم، وهو من كتاب الحماسة لأبي تمام:

وممّا شجاني أنّها يومَ أعرضتْ تولَّتْ وماءُ العين في الجفن حائرُ
فلما أعادتْ من بعيدٍ بنظرةٍ إليّ التفاتاً أسْلمتْه المَحَاجرُ

❀ ❀ ❀

20 ـ ● ولبعضهم:

إذا لمْ يُسَالمْكَ الزّمان فَحَاربِ وقاربْ إذا لم تنتفعْ بالأقارِبِ
ولا تحتقرْ كيدَ الضعيف فربّما تموتُ الأفاعي من سُموم العَقَاربِ
فقد هدَّ قِدْماً عرشَ بلقيسَ هُدْهُدٌ وخرّب فأرٌ قبلُ سَدَّة مأْرب[3]
إذا كان رأسُ المال عُمْرَك فاحْتَرِزْ عليه منَ الإنفاقِ في غير واجبِ

21 ـ ● لبعضهم وأظنّه أبو العتاهية:

فَوَا عجباً كيف يُعصى الإله أمْ كيف يَجْحَدُه الجَاحدُ
وكلُّ شيءٍ له آيةٌ تدلُّ على أنه واحدُ

❀ ❀ ❀

(1) يعني أنها معذورة من الدم.

(2) يعني الأسد مطلوبه الدّم.

(3) إشارة إلى خراب سد مأرب من جرّاء حفر الفئران وإلى قصة بلقيس ملكة سبأ. انظر: **مروج الذهب**، سَدّ مأرب والكاهنة ظريفة.

في التوحيد والعدل

أحسنُ وأوجزُ وأجمعُ ما سمعته في التوحيد والعدل قول أمير المؤمنين عليه السلام: «نهايةُ التوحيد أن لا تتوهّمهُ والعدل أن لا تتهمه».

❀ ❀ ❀

لبعض العارفين:

عجبتُ لمنْ يقول نسيتُ ربّي ... وهلْ أنسى فأذكر ما نَسيتُ
شربتُ الحبَّ كاساً بعد كاسٍ ... فما نفدَ الشراب ولا رَويتُ

أقول أما الأولى فمرتبة بعيدة المنال، وأما الثانية فنعمة الحال.

❀ ❀ ❀

ولعبد الحميد بن أبي الحديد، وأجاد:

نَاديته ودَعوتُهُ أكْشُفْ عن عَشَى ... قلبي وعن بصري فانت النورُ
وارفعْ حجاباً قد سدلتَ ستورَهُ ... عنّي وهلْ دونَ المُحِبِّ ستورُ
فاجابني: صَهْ يا ضعيفُ فبعضُ ذا ... قد رَامَهُ موسى فَدُكَّ الطّورُ

❀ ❀ ❀

حِكَمٌ من كلام أمير المؤمنين عليه السلام:

1 ـ «احتجْ إلى من شئتَ تكنْ أسيرَه، واستغْنِ عمّن شئْت تكن نظيره، وأحسنْ إلى من شئتَ تكنْ أميرَه».

2 ـ ومنه: «إذا خُبِّرْتَ أن جبلاً زال عن موضعه فَصَدِّقْ، وإذا خُبِّرتَ أن رجلاً زال عن طبعه فلا تصدّق».

ومنه: «تخفَّفوا تَلحقوا».

❀ ❀ ❀

4 ـ لبعضهم:

أخافُ عليكِ من غيري ومنّي ... ومنكِ ومنْ مَكَانِكِ والزَّمانِ
فلو أنّي وضعتُكِ في عيوني ... إلى يوم القيامة ما كفاني

حُلل دمشقية وطراز مصري:
الآب والابن والروح القدوس

وأرسل إليّ بعض الأعيان صورة جواب يُنسب للشيخ محمد العطّار من بعض علماء النصارى، يسألني الجواب عنه، فكتبت ما صورته: «سألت، أيدك اللّه، عن هذا الجواب المنسوب إلى المرحوم العالم الفاضل الشيخ محمد العطّار الدمشقي، عن سؤال تقدم له في قضية وجود الباري تعالى، في ثلاثة أقانيم، وعن انبثاق الروح القُدس في الأب والابن، وعن سرّ التجسّد، وأن بعض علماء الملّة المسيحية مستندٌ إليه ومعوِّلٌ عليه، زاعماً أنَّ اللازم من هذا الجواب، إما توحيد النصارى وإمَّا تثليث المسلمين.

ولم نَرَ السؤال حتى نعلم كيفية الجواب، والذي أظنه أن الشيخ رحمه اللّه، على تقدير صحة هذا الجواب عنه، كشف الحقيقة عن مذهب النصارى، وبيان أن ما ذكره لهم أقرب إلى الصحة مما يزعمه عامتهم من التعدّد الصريح، والحلول الحقيقي، وإلّا فلفظ الأُقنوم والابن والأب، بالنسبة إلى واجب الوجود، مما لا يوجد في كلام أحد من المسلمين: علمائهم وجُهَّالهم، قديمهم وحديثهم، فكيف يدّعيه أو يَتَفَوَّه به مثل حضرة الشيخ المومَأ إليه؟ ولقد كان مُرادي عدم التعرّض لهذا الكلام إلّا بعد الإطلاع على السؤال ومبناه، لكن إجابةً لالتماس الجناب، تكلمت بهذه العُجالة.

قال (ره) أقول: اعلمْ أنك إذا حملتَ على الذَّات العليّة ما تعرفه من صفات الكمال جميعها واحدة بعد واحدة، فما كان قياسه قياس الذاتي المعلوم بأن كان لا ينفكّ عن الذات بوجه من الوجوه، فهو أُقنوم وما كان قياسه قياس العرضي، بأن كان خلاف ما تقدم في الذاتي، فهو غير أُقنوم.

أقول: الأُقنوم، لفظة روميّة أو سريانية بمعنى الأصل، ولم نجد استعمالها إلّا عند النصارى، ويريدون بها الصفات الذاتيّة، والشيخ جرى على هذا الاصطلاح، وفرّق بينها وبين غيرها من الصفات بأنها التي لا تنفكّ عن الذات، وهو كذلك، فإن الصفات الذّاتية دائمة، لا بداية لها ولا نهاية.

وأما صفات الفعل التي جعل قياسها قياس العرضي، فإن الذات تتصف بها، باعتبار وجود مفعولها كالخالقيّة والرازقيّة، وأحسن ما يقال في الفرق بين صفات الذّات وصفات الفعل، إن ما كان نسبة الذات إليه بثبوته أبداً أو سلبه أبداً، فهو من صفات الذات، كالقدرة مثلاً، فإنك إذا نظرت إلى أيّ مُقدْر، وكان يصف الذات المقدّسة بالقدرة عليه، فلا يسوغ أن تقول إنه سبحانه وتعالى، قادر على الشيء الفلاني وليس بقادر على الشيء الفلاني، إلّا أن يكون القصور في المقدور، كجعل الدنيا في بيضة، والدنيا لا تصغر والبيضة لا تكبر، أو تقول بتناول القدرة لأمثال هذا، مع تصرف آخر لا يعلمه ولا يقدر عليه إلّا القادر المختار، كسعة إنسان العين الذي هو بمقدار فَلقة العدسة لما يراه من دُور وقصور وأرض وسماء، وهكذا بقية صفات الذات الثبوتية، وكعدم الجسمية، فانتفى عن الذات سائر الأجسام، فلا يسوغ أن تقول إنه تعالى جسم لطيف مثلاً، وليس بجسم كثيف، بل تنفي عنه سائر الأجسام، وهكذا سائر صفات الذّات السلبية وما جاز من الصفات نسبته إلى الذات على طريقة الثبوت تارةً، وعلى طريقة السلب أخرى، فهو من صفات الفعل كالإرادة، فإنك تثبتها للذات على وجه، وتنفيها على وجه آخر، فتقول: اللّه يريد الخير ولا يريد الشرّ، ويريد الإحسان ولا يريد الظلم، وكالخالقية، فإنك تقول: خلق رأس الإنسان أعلاه ولم يخلقه أسفله، وخلق ثدييه بين يديه ولم يخلقهما بين رجليه، وهكذا سائر صفات الفعل، كالرّازق والمُعطي والمانع وغيرها، قوله إذا تمهّد هذا، فاعلمْ أن الأُقنوم هو الصفة الجوهرية الذاتية، فالحياة والنطق، بهذا الاعتبار، أمران جوهريّان، ضرورة كونهما ذاتيين، وباعتبار أنهما وصفان لا بدّ لهما من جوهر يقومان به، فكان لهما جوهر وحياة ونطق، وكل واحد من الوصفين قائم بالجوهر الأوّل، فهذه ثلاثة أقانيم هي شيء واحد.

أقول: لا يخفى ما في هذا الكلام، فإنه لا يتمّ إلّا بعد إدخال الواجب تعالى في الجوهر، وهو خلاف الحق، وخلاف ما عليه المحقّقون من الحكماء والعلماء،

لأن الجوهر، على ما عرّفوه، ماهية، إذا وُجدت كانت لا في موضوع، وليس للواجب تعالى ماهية، ولا وجود زائد عليها.

والبحث في ذلك يضيق عنه المقام، وعلى ما فيه فنقول: تعدّد الصفات على مذهب المسلمين لا يُنافي التوحيد، لا سيما على مذهب العدلية من الشيعة والمعتزلة، فإنهم يقولون: إن صفات الباري عين ذاته، فإنه تعالى واحدٌ أحد فرد صمد متّحد من جميع الوجوه، وتعدّد الصفات لا يقضي بتعدّد الموصوف، لا لغةً ولا عُرفاً، ولا سيما في صفات الذات المقدّسة، فإن الفرق بينها وبين صفات المخلوقين واضح، إذ المخلوق يسمع بجارحة سمع، ويبصر بآلة أخرى وهكذا، والخالق تعالى سميع لا بجارحة سمع، وبصير لا بجارحة بصر، يعلم بذاته ويسمع بذاته لذاته، ويُبصر بذاته لذاته، وهكذا سائر صفاته، فلا محالة كان واحداً بالذّات والصفات، وتعدّد الصفات والأسماء إنما هو لتعدّد الآثار، فيوصف بالخالق لإيجاده المخلوق وبالرّازق لإيجاد المرزوق وهكذا.

وإن أردت كشف الحجاب عن هذا الباب فاعلمْ أن معرفة الحقيقة، على الكُنْه والحقيقة، أمرٌ تعالى عن الأنظار، وارتفع عن مطارح الأفكار، مَنْ حاوله تَاهَ وضلَّ، وغيَّر مقدوره:

ما للتراب وللعلوم وإنّما ... يسعى ليعلمَ أنّه لا يعلمُ

ولما أراد سبحانه إظهار قدرته وكَمالاته، لِحكَم يعلمها، وربما علمها، أو بعضها الرّاسخون في العلم، خلق العالم وكونه ودبّره، وأجرى فيه ما أجراه من عِلَل ومعلومات، وأسباب ومسبّبات، وكلّف من كلفه، من أولي العلم، الإنس والجن والملائكة، وأمر وزجر، إلى غير ذلك مما أظهر من قدرته وعجائب صنعه.

فبوجود المقدورات، علّمنا أنه قادر، وبإيجاده المعلومات علّمنا أنه عالم، وبحكمته في صُنعه علّمنا أنه حكيم، وهكذا سائر الصفات، ذاتيّها وفعْليّها، ولَوْلا ما عَرفنا بذلك من صفاته، لاستحالت علينا معرفة الصفات، كما استحالت معرفة الذات.

قوله: وهذه الحياة الجوهرية لما ألقت شعاعها على الناس، حصل من

اتحادها بذلك الناسوت، رونق عجيب وحال غريب، يسمى ذلك الشأن العجيب بالكلمة وقد يُسمّى نطقاً، والنطق والحياة لم يزالا عن الذات العليّة، والجوهر الإلهي لم يزل متصفاً بهذين الوصفين الجوهريين، لكن مطرح الرونق العجيب، وشعاع الحياة اللّاهوتية، وحصول ذلك الرونق العجيب سُمّي نطقاً وكلمة وابناً، والحياة اللاهوتية، بقطع النظر عن شعاعها، تسمّى روح القدس، ويجمع الجميع: بسم الأب والابن وروح القدس.

أقول:

لا شك في أن هذا الكلام على معتقد النصارى، وإلّا متى كان المسلمون يعبّرون عن الذات المقدّسة: باسم الأب وعن الصفة مجردة: بروح القدس ومتحدة مع الناسوت باسم الابن ومتى زعموا اتحاد الحياة اللاهوتية بالناسوت؟

والذي يلوح لي من هذا الكلام، أن صاحبه يحاول التوحيد لأهل التّثليث وهو بعيد من وجوه:

أولها: في قوله: لما ألقت شعاعها على الناس، حصل من اتحادها إلخ... فإنه تشبيه للحياة اللاهوتية بنور الشمس وما أشبهها من ذوات النور، ولاتصالها بالناس بإلقاء شعاع الشمس على الأرض وما عليها، ولا ريب أن الفرق بين المشبّه والمشبَّه به واضح، فإن الذات المقدّسة متحدة مع صفاتها، والشمس ليست بهذه المَثَابة، فإنها شيء ونورها شيء آخر، واتصال شعاعها شيء آخر، وبذلك يختلف وجه الشّبه، فيبطل التشبيه لاشتراط اتحاد وجه الشبه عند كافة أهل العلم.

ثانيها: إن الاتحاد في المشبّه به غير مُسلَّم، فإن شعاع الشمس، ونور النار ونحوها، غير متّحد مع ما أُلقي عليه عَياناً، وأيّ اتحاد يحصل للنور والضوء مع ما أصابه، ومن تقدير أن يُعبَّر عن الأرض التي أصابتها الشمس، بلفظ الشمس أو نور الشمس.

ثالثها: بطلان دعوى الاتحاد في الحياة اللاهوتية مع الناسوت، لأن ذلك يستلزم الحلول والتحيّز، وهما يستلزمان المكان، والمكان يجب قِدَمه على الكائن، فيلزم إما حدوث القديم، أو قِدَم الحادث، وكلاهما مُحال.

فإن قلتَ: إن هذا الحلول حادث، فالمكان حادث، والقديم باقٍ على قدمه، قلتُ: متى جاز المكان في البداية، جاز في النهاية، بل هذا من باب: متى جاز وجب.

فإن قلتَ إن الباري تعالى بذاته لم يحلّ، وإنما حلّ شعاع الصفة، قلتُ: شعاع الصفة على هذا الحال غير الصفة، لأنه جاز عليه ما لا يجوز على الصفة، فبطل الاتحاد المدّعى وهو المطلوب.

رابعها: في قوله: ولكن مطرح شعاع الحياة اللاهوتية، وحصول ذلك الرونق العجيب، يسمى نطقاً وكلمةً وابناً إلخ. . . فإنه صريح بأن الابن هو مطرح الشعاع، ولا ريب أن مطرح الشيء غير ذلك الشيء، فكيف يجتمع هذا مع قولهم: الأب والابن وروح القدس إله واحد.

خامسها: إن طرح الشعاع بهذا التقريب المذكور، كيف يختصّ بشخص خاص؟ وأي موجب لاتحاد الحياة اللاهوتية في جسمه الناسوتي؟ فإن كان هو ظهور المعاجز على يده، من إبراء الأكمه والأبرص، وإحياء الموتى، فقد ظهر على يد الأنبياء ما هو مثل ذلك وأعظم منه.

وإن كان ولادته من دون أب، فهذا آدم أبو البشر وُلِدَ بلا أب ولا أمّ. وإذا لم يثبت المخصّص، فلمن يقول بوحدة الوجود أنه يدّعي هذه الدعوى في كل إنسان، بل في كل حيوان، بل في كل نامٍ، بل في كل قائم في الوجود.

قوله: وباعتبار تجرّده عن الناسوت، يصحّ أن يكون منبثقاً من الأب والابن إلخ. . .

أقول: الضمير في تجرّده راجع إلى روح القدس، وكأنه لما كشف عن اتحاد الأب والابن، يطرح الشعاع على الناسوت، أراد أن يبني اتحاد روح القدس، الذي هو ثالث، الآلهة مع الأب والابن، بدعوى أنه منبثق منهما، فمن الأب لأنه الأصل، ومن الابن لاتحاده مع الأب، ويرجع ملخّص الاستدلال إلى أن روح القدس منبثق من الأب والابن، متحد مع الأب، والمنبثق من أحد المتّحدين منبثق

من الآخر، وإلّا لبطل الاتحاد، والمفروض صحته، وإذا ثبت انبثاقه منهما، ثبت اتحاده معهما، ولا يخفى ما فيه لما عرفت من بطلان الاتحاد المدَّعى بين الأب والابن.

وقوله: إن الابن لا يُفارق الأب إلّا في معنى الأبوّة، إن أراد به ذلك في كل أب وابن، فقد أحال عياناً، وإن أراد به في خصوص هذا الأب، الذي هو الذات المقدسة، والابن الذي هو الجسم الناسوتي ومطرح شعاع الحياة اللاهوتية، فكذلك لما لا يخفاك أنّ مطرح الشيء غير ذلك الشيء، وكما هو واضح في كل مطرح ومطروح، فضلاً عمّا هو ظاهر من الفرق بين الأب، الذي هو مُتعالٍ عن الحواس والأنظار والتحديد والتخيّر وغير ذلك من صفات الربوبية، والابن الذي هو مُدرك، متخيّر موصوف بسائر صفات المربوبين، فأين الاتحاد بين الأب والابن؟ وإذا بطل الاتحاد بين الأولين، بطل الثالث، لتفرّع اتحاده معهما على صحة اتحادهما.

فإن قلتَ: إن الابن هو الحياة المُقترنة بالناسوت لا الجسم الناسوتي ولا مطرح الشعاع، قلتُ: هذا التفسير غير ما أفاده أولاً: بأن مطرح الشعاع يسمى كلمةً وابناً، ومع ذلك فنرجع ونقول: الحياة المقترنة بالناسوت، إن كانت هي الحياة اللاهوتية بعينها، فقد حيَّزتها وقرنتها وجوّزت عليها صفات الحدوث، وبه يبطل القِدم، ولا يدّعونها، وإن كانت غيرها فقد بطل الاتحاد. فإن قلت: دَعْنا من هذا كله، عرفنا ما الفرق بين قولنا: باسم الأب والابن وروح القدس، وبين قولكم: بسم اللّه الرحمن الرحيم، نحن عددنا ثلاثة، وأنتم عددتم ثلاثة، فكيف تُدعون موحّدين، ونُدعى مُثَلّثين؟

قلتُ: الفرق غير خافٍ لفظاً ومعنىً، أمّا لفظاً، فإن قولنا بسم اللّه الرحمن الرحيم، كل أحد، يفهم منه موصوف واحد له صفات، ويترك لك منزلة قول القائل: جاء زيد الظريف العاقل الكامل، بل مُسمًّى واحد له أسماء متعدّدة فينزل منزلة: جاء زيد جمال الدين أبو الحسن مثلاً، وقولكم يفهم منه ثلاث مُسميّات وينزل منزلة جاء زيد وأبوه وأمه، ويؤيد ذلك، إنكم لا تجوّزون إخلاء اللفظ من (واو) العطف، الدّالة على المغايرة تنبيهاً من وهلة الأمر على التثليث، ونحن نوجب إخلاؤه منها، تنبيهاً من وهلة الأمر على التوحيد.

وأما معنىً، فلأنّا نقول: الذات المقدسة وصفاتها واحدة متحدة من جميع الوجوه، لم تقترن في جسم حتى تُوصف بصفاته، وتتعدّد بتعدّده، ولم يلحقها التغيير ولا جائز عليها الحدوث، فكنا موحّدين، وأنتم تقولون: اقترنت بالجسم وتحيَّزت وتغيّرت عما كانت، وكانت الذات وحدها أباً واحداً لصفات مقترنة بالجسم مع الجسم ابناً ومجرّدة أو صفة أخرى مقترنة بالجسم روح القدس، فاعترفتم بالتثليث ولم يمكنكم الخلاص منه، وإن ادعيتم التوحيد.

نسأل اللّه سبحانه أن يوفّق بيننا وبينكم ويسلك بنا جميعاً سبيل الهداية، إنه عليم خبير وعلى ما شاء قدير، وصلّى اللّه على محمد وآله وصحبه.

تمت بعون اللّه



«بَضَائع فيها بَدَائع»:
عبيد بن الأبرص وامرؤ القيس

عن «بدائع البداية» لابن ظافر، أخبرني الشيخ الفقيه الأجل أبو محمد عبد الخالق بن صالح بن زيدان المسكي، وكتبها لي بخطّه، قال:

أملى عليّ الشيخ العلّامة أبو محمد بن بري قال: لقي عبيد بن الأبرص[1] امرأ القيس، فقال له عَبيد: كيف معرفتك بالأوابد؟ فقال: ألقِ ما أحببت، فقال عبيد:

ما حَيَّةٌ ميتةٌ أَحيتْ بِمِيتتها ... دَرْداءُ ما أَنبتتْ ناباً وأضْراسَا

فقال امرؤ القيس:

تلك الشعيرة تُسقى في سَنَابلَها ... فاخرجت بعد طولِ المكْسِ أكْداسَا

فقال عبيد:

ما السودُ والبيضُ والأسماءُ واحدةٌ ... لا تستطيع لهنَّ الناسُ تَمْسَاسَا

فقال امرؤ القيس:

تلك السحاب إذا الرحمن أَنْشَاها ... روى بها من مُحول الأرض أَنْفَاسَا

فقال عبيد:

ما مُرعباتٌ على هَوْلٍ مَرَاكبُها ... يقطعن بُعدَ المدى سيراً وأَمْرَاسَا

فقال امرؤ القيس:

تلكَ النجوم إذا حَاكَتْ مطالعها ... شبَّهْتُها في سواد الليل أَقْبَاسَا

---

(1) عبيد بن الأبرص بن عوف... بن دودان من بني أسد، شاعر جاهلي قديم من المعمّرين، وشهد مقتل حُجر أبي امرئ القيس، قتله النعمان بن المنذر يوم بؤسه. **الشعر والشعراء**، ص 166.

فقال عبيد:

ما القاطعات لأرضٍ لا أنيس بها ... تأتي سراعاً وما يرجعن أنكاسَا

فقال امرىء القيس:

تلك الرياح إذا هبّت عواصفها ... كفى بأذيالها للترب كَنّاسَا

فقال عبيد:

ما الفاجعات جَهاراً في عَلانِيةٍ ... أشدُّ من فَيْلقٍ ملمومةٍ بَاسَا

فقال امرؤ القيس:

تلك المنايا فلا يُبقينَ من أحدٍ ... يكفينَ حمقى وما يكفين أكياسَا

فقال عبيد:

ما السابقاتُ سراع الطير في مَهلٍ ... لا تشتكين ولو ألجمتها فَاسَا

فقال امرؤ القيس:

تلك الجياد عليها القوم قد سَحَبوا ... كانوا لَهنَّ غَدَاة الرّوع أَحْلاسَا

فقال عبيد:

ما القاطعاتُ لأرض الجوّ في فَلَقٍ ... قبل الصباح وما تَسْوَيْنَ قِرطَاسَا

فقال امرؤ القيس:

تلك الأمانيُّ يتركنَ الفتى ملكاً ... دون السماء ولم تَرْفعْ به رَاسَا

فقال عبيد:

ما الحاكمون بلا سمعٍ وَلا بَصَرٍ ... ولا لسانٍ فصيحٍ يُعجب النّاسَا

فقال امرؤ القيس:

تلك الموازينُ والرحمن أنزلها ... ربّ البريّة بين الناس مقْياسَا

التحذير من الدنيا

قال ابن أبي الحديد في شرح «النهج»: ومن النظم الجيّد الروحاني في صفة الدنيا والتحذير منها، والوصاة بترك الاغترار بها، والعمل لما بعدها، ما أورده أبو حيَّان في كتاب «الإشارات الإلهية»، ولم يُسَمِّ قائلَه:

دَارُ الفَجَائع والهموم ودارُ البثّ والأحزان والبلوى
مُرٌّ مَذَاقاً غبَّ ما احتلبت ... منها يَدَاك وبيتة المرعى[1]
بَيْنَا الفتى منها بمنزلةٍ ... إذْ صار تحتَ تُرابها مُلْقى
تقفو مساوِئُها مَحَاسِنَها ... لا شيءَ بين النَّعْي والبُشْرى
ولَقلَّ يومٌ ذرَّ شَارِقُهُ ... إلاّ سمعتَ بِهَالكٍ يُنعى
لا تعتبنَّ على الزمان لِمَا ... ياتي به فَلَقَلَّما يرضى
للمرءِ رزْقٌ لا يفوت ولوْ ... جهد الخلائق دون أن يفنى
يا عَامِرَ الدنيا المُعَدَّ لَهَا ... ماذا عَمِلَت لدارِكَ الأخرى
ومُمَهِّدَ الفُرُشِ الوطيَّةِ لا ... تُغْفِلْ فِراشَ الرَّقْدةِ الكبرى
لَوْ قد وعيتَ لقد أجبتَ لِمَا ... تُدعى له فانظرْ متى تُدعى
أَتُراكَ تُحصي كم رأيت من الأحياء ثمَّ رأيتَهم موتى
من أصبحت دُنياهُ هِمَّتَهُ ... فمتى ينالُ الغايةَ القُصوى
سُبحانَ من لا شيء يَعْدِلُهُ ... كم مِنْ بصيرٍ قَلبُهُ أعمى
والموتُ لا يخفى على أحدٍ ... مِمَّن أرى وكأنَّه يَخفى
والليلُ يذهبُ والنَّهار بأَحْبابي وليس عليهما عدوى

❀ ❀ ❀

● لأبي نواس[2]:

أَيَا رُبّ وَجْهٍ في التراب عتيقِ ... وَيَا رُبَّ حُسْنٍ في التراب رقيقِ
وَيَا رُب حَزْمٍ في التراب ونجدةٍ ... وَيَا رُبَّ رأيٍ في التراب وثيقِ
ومَا النَّاسُ إلاّ هَالِكٌ وابنُ هالكٍ ... وذو نَسَبٍ في الهالكين عريقِ
إذا اختبر الدنيا لبيبٌ تكشَّفَتْ ... لَهُ عن عدوّ في ثياب صديقِ
فَقُلْ لقريبِ الدَّار إنك نازحٌ ... إلى منزلٍ نائي المحلّ سَحيقِ

❀ ❀ ❀

(1) وبيَّة المرعى: أصلها وبيئة المرعى: مرعاها أصابه الوباء.
(2) انظر: ديوان أبي نواس، دار صادر.

ولَهُ مُتغزّلاً وأجاد:

لا تـقُلْ لـي لا فـمـكـتـوب عـلـى وجـهـكَ الـوِضـاحِ نـوراً نَـعَـمُ
بـحـروفٍ سُـطِّـرَتْ مـن قـدمٍ مـا بَـرَاهـا قَـطّ يـومـاً قَـلَـمُ
نُـونُـهـا الـحـاجـب والـعـينُ لَـهَـا طَـرْفُـكَ الـفَـتَّـان والـمـيـم الـفَـمُ

❀ ❀ ❀

وله وقد عُوتب على ترك مدح الرضاؑ يوم ولّاه المأمون عَهدَه[1]:

قِيلَ لـي: أنـت أوسـعُ الـنـاسُ طُـرّاً فـي فـنـون الـكـلام الـبـديـه الـنّـبـيـهِ
لـك مـن جـوهـر الـكـلام فـنـونٌ يُـخـجـلُ الـدُّرَّ فـي يَـدَيْ مُـجـتـنـيـهِ
فَـعَـلامَ تـركـتَ مَـدْحَ ابـنِ مـوسـى والـخـصـالَ الـتـي تَـجَـمَّـعـنَ فـيـهِ
قـلـتُ: لا أهـتـدي لِـمَـدْحِ إمـامٍ كـان جـبـريـلُ خـادِمـاً لِأبـيـهِ

❀ ❀ ❀

وله وقد أقبل الرّضاؑ، فقال جماعة: هذا أبو الحسن، وقال آخرون: ليس هو، فلما أقبل أنشد أبو نوّاس:

إذا أبصرتكَ العينُ من بعد غايةٍ وعَارَضَ فيكَ الشّكُّ أثبتكَ القلبُ
ولـو أنّ قـومـاً يَـمَّـمُـوكَ لَـقَـادهـمْ نَـسِـيمُك حـتـى يَـسْـتَـدِلَّ بِـهِ الـرَّكْـبُ

❀ ❀ ❀

• حُلَّةٌ ساترة:

ورد عليّ اعتراض من الفقيه الجليل، ابن خالي وابن أُخْتي الشيخ حسن سبيتي ما صورته[2]:

«إن جنابكم مُفتٍ بأن الرجل إذا شرط في متن عقد النكاح للزوجة، أن لا

---

(1) لم أقف على هذه الأبيات ولا التي بعدها في ديوانه، طبعة صادر.

(2) كتب محمد جواد سبيتي (أبو موسى)، قال:
الشيخ حسن سبيتي: بلفظ التصغير، أصله السّبْتي نسبة إلى سبتة من بلاد المغرب لأن أصلهم منها، جاؤوا في عهد غير بعيد إلى بلاد صفد ثم انتقلوا منها إلى خَرائب أرزية ثم إلى كفرة وتوطّنوها إلى اليوم. =

يُخرجها من بلدها، واتفق أنها خرجت، غير مُسقطة للشرط، فإنَ الشرط يسقط، والحال أنه، مع إسقاطها الشرط، فالفقيه الفقيه لا يتردّد في عدم سقوط الشرط، إذ هو بالضرورة من الحقوق المتجدّدة آناً فآناً، فكيف يسقط بمجرَّد الخروج؟ فهذا من الأوهام، إنْ يكن فيه قول، ولذا لم أحفل بنقل المذكور، وكيف كان الأمر، نأمل الجواب عن نفس الخطاب، ودام بقاكم.

= كان الشيخ حسن عالماً فاضلاً أديباً شاعراً يتعاطى الطب كما جاء في كتاب «**جواهر الحكم**» للشيخ محمد آل مغنية، قرأ مع أخيه الشيخ علي وخاله الشيخ محمد علي عزّ الدين في جبل عاملة عند الشيخ حسن مروّة ثم عند السيد علي آل إبراهيم ثم توجه إلى العراق فأقام مدة طويلة يشتغل وأخوه الشيخ علي بعاملة يمدّه بالدراهم ثم عاد إلى بلاده عالماً فاضلاً مُحققاً مدقّقاً من العلماء المبرزين لم يُلْقَ مثله في عاملة في جودة القريحة وحدّة الفطنة وشدّة الذكاء، وكان في النحو سيبويه. وكان يتعاطى الطّبابة وظهرت له فيها إصابات غريبة دلّت على معرفته وجودة قريحته وشفى جماعة من الدّاء العضال. (انتهى قول مغنية).

سافر إلى العراق مع خاله الشيخ محمد علي عز الدين (انتهى قول صاحب «الأعيان») وإيضاحاً للّبس الذي اعترى علاقة القرابة التي تربط بين المؤلف (عز الدين) وابن أخته الشيخ حسن سبيتي فقد ورد في «الأعيان» نقلاً عن الشيخ مغنية في ترجمة الشيخ حسن سبيتي في كتاب «جواهر الحكم» ما مفاده أنه قرأ مع أخيه الشيخ علي السبيتي وخاله الشيخ محمد علي عزّ الدين صاحب «سوق المعادن».

فالمؤلف عزّ الدين يدعو السبيتي (خاله وابن أخته)، يقول صاحب «جواهر الحكم» أن مؤلف «سوق المعادن» هو خال الشيخ حسن السبيتي يوافقه على ذلك صاحب «الأعيان» حيث يقول: «سافر الشيخ السبيتي إلى العراق مع خاله الشيخ محمد علي عزّ الدين، غير أن الشيخ علي سبيتي يحسم هذا الأمر ويوضح الالتباس فيما كتبه في أحد مجاميعه التاريخية فقد جاء في مجلة «العرفان» المجلد 30، جزء 6و7 ما نصّه: توفي جدي الحاج علي ابن الحاج محمد عزّ الدين والد صاحب «سوق المعادن» الشامي العاملي الدمشقي ثم الكفراوي سنة 1257هـ في شهر رمضان يوم 14 منه فقلت راثياً له معزّياً ولده الحبر الفهَّامة والنحرير العلّامة الشيخ محمد علي (انتهى كلام الشيخ علي السبيتي).

وبهذا يزول كل لَبْس في أن الشيخ محمد علي عزّ الدين هو سبط الشيخ محمد السبيتي وابنا شقيقتهما الشيخ حسن سبيتي والشيخ علي السبيتي، والشيخ حسن السبيتي لم يزل ضريحه ظاهراً بجانب ضريح والده الشيخ محمد السبيتي في بلدة كفرا وقد يكون الشيخ محمد السبيتي متزوجاً من أخت للشيخ محمد علي عزّ الدين غير شقيقته، أنجبت الشيخ حسن، ويصح معها دعوة الشيخ محمد علي عزّ الدين للشيخ حسن السبيتي بالخال وابن الأخت في نفس الوقت، واللّهم أعلم.

محمد جواد السبيتي (أبو موسى)

فأجبته ما لفظه:

«سيدي، أنت تعلم أن خالك فقيه، فكيف تظنّ به هذا الظنّ، ولا شغل له غير الفقه على وجه لم يبق بيده متاعٌ غيره، وغير ما يتعلق به؟

والذي أقول: إنها إذا لم تُسقط حقّها المشروط، لا يسقط، ولا يختلف في ذلك اثنان، ولا يَدْعُ إلى إسقاطه داعٍ، ولا يحكم به إلّا عاقلٌ أو مخطئ.

وأما إذا أسقطته، فالأقوى عندي أنه يسقط.

قولكم: إنه من الحقوق المتجدّدة التي تُجدّد آناً فآناً، قلنا ذاك في مجرّد السكنى، وفي مجرّد النفقة التي هي مستحقة في مقابل استدامة الزوجية، والتمكين يوماً فيوماً.

وأمّا اشتراط أن لا يُخرجها من بلدها ولا من بيتها، فلم تستحق مضمونه إلّا بالشرط في متن العقد، فيكون كغيره من الحقوق وكالمهر يسقط بالإسقاط ولا يعود، وكذا لو اشترطت عليه بالنفقة مأكولاً خاصاً أو ملبوساً خاصاً، فإنه يسقط بالسقوط من قِبَلها ولا يعود، كذلك لو أسقطت أصل النفقة كالكسوة والمؤونة والسّكنى، ثم رجعت بعد ذلك، فإنه يسقط ما مضى على ذلك بلا نفقة، لأنها استحقته ثم أسقطته، ولا يقضى، لأنه لم يبقَ لها فيه حق، ولا يسقط ما بقي لأنها حين الإسقاط لم تكن مالكة، فيكون كالإبراء قبل الحق لم يصادف موضوعاً.

وليس كذلك ما استحقته بالشرط في سائر المواضيع، فإنه حق واحد استحقّ بالشرط مجرّداً، لا مدخل للأوقات فيه، ولا هو مقابل لبضع ولا تمكين، ولا وقت واحد، ولم يأتِ به إلّا الشرط.

فإن قلتَ: إنه لازم أو ملزوم للسكنى، فيجري فيه ما يجري فيها، وإلّا لكان فيه تفرقة بين اللازم والملزوم. قلنا: لازم بالعارض، وهَبْ أنه من اللوازم الأصلية، فكم وكم يجري من الأحكام على اللازم ما لا يجري على الملزوم، وبالعكس.

فإن قلتَ: إن السكنى المشروطة فَرْدٌ في السكنى المستحقّة، قلت: يستحق الجزئي ما لا يستحق الكلّي.

فتأمّل سيدي في ما قرّرت، وإن بقي عليه شيء، فَشَرِّفْ به فإنه ليس بيني وبين الحق عَداوة، وأدام اللّه إفادتكم.

وقلادة لابن سينا: درة من الدرر

في «الدُّرر والغرر»، للمرتضى علم الهدى: روى أحمد بن فارس المنبجي عن ابن أبي نصر النحوي، قال: «سمعت بعض أهل الأدب يقول للزّجّاج: قد كنت تعرف أبا العباس المبرّد وكبره، وإنه كان لا يقوم لأحد ولا يَتطاول له، وينشد إذا أقبل إليه الرجل: «ثهلان ذو الهضبات لا يتحلحل» وقد رأيته يوماً، وقد دخل عليه رجل متدرّع، فقام إليه أبو العباس فاعتنقه وتنحّى عن موضعه، فجعل الرجل يستعفيه من ذلك، فلما أكثر عليه، أنشده أبو العباس:

أَتُنكر أنْ أقومَ وقد بَدَا لي ... لأكرمه وأعظمه هشامُ
فَلا تُنكر مبادَرَتي إليه ... فإنَّ لمثْله خُلقَ القيامُ

فسأل عنه؟ فقيل: البحتري.

❀ ❀ ❀

قصيدة للسهروردي منسوبةٌ لابن سينا

● رأيت في بعض الكتب، منسوباً لأبي علي بن سينا، هذه القصيدة[1]:

بربّكَ أيّها الفَلَك المُدارُ ... أقصْدٌ ذا المسيرُ أم اضطرارُ
مَدارُك قُلْ لَنَا في أيّ شيءٍ ... ففي أفهامنا منه انبهارُ
وفيكَ يُرى القضاء، فَهَل قضاءٌ ... سوى هذا القضاء به مَدَارُ
وعندَك تُرفع الأرواحُ أمْ هَلْ ... مع الأجساد يُدركها البَوَارُ
على هذا مضى وعليه نمضي ... طِوَالٌ منىً وأعمارٌ قِصَارُ
ودهرٌ ينثُر الأعمارَ نَثْراً ... كما للغصنِ بالوَرَق انتشارُ
ودنيا كلما وضعتْ جنيناً ... غَذَتْه من نَوَائبها ظُؤارُ[1]

---

(1) هذه القصيدة نسبها الشيخ أحمد رضا العاملي للسَّهروردي، انظر كتابه: **«طريقة الطرائف وزبدة المعارف»** من منشورات المجلس الثقافي للبنان الجنوبي.

هَبِ العشواءَ ما خبطت هشيمٌ ... هَبِ العجماء ما جرحت جُبَارُ

فمن يومٍ بلا أمسٍ ليومٍ ... بغير غَدٍ إليه بنا يُسارُ

ومن نَفَسين في أخذٍ وردٍّ ... لروح المرء في الجسم انتشارُ

فَلِمْ من بعدما ألفتْ نفوس ... جِسوماً من محاسنها نُضَارُ

ألمْ تكُ بالجوانح آنساتٌ ... فلِمْ بالقرب عاد لها نِفَارُ

فإنْ يكُ آدمٌ أشقى بنيه ... بذنبٍ ما لَهُ منه اعتذارُ

ولمْ ينفعْه بالأسماء اسمٌ ... وَلا نَفَعَ السجودُ ولا الجوارُ

فأُخرج ثمَّ أُهْبِطَ ثمّ أوري ... فتُرْبُ السافياتِ له شعارُ

لقد بلغ العدوُّ بنا مُناهُ ... وحلَّ بآدمٍ وبنا الصَّغَارُ

وتِهْنا ضائعين كقوم موسى ... ولا عِجْلٌ أضلَّ ولا خُوارُ

فَيَا لَكِ أكلةٌ ما زال منها ... علينا نِقْمَةٌ وعليه عَارُ

تَعَاقبَ في الظهور وما ولدنا ... ويذبح في جَنَى الأمِّ الحوارُ

وننتظر البَلايا والرّزايا ... وبعدُ فبالوعيد لَنَا انتظارُ

ونخرج كارهين كما دخلنا ... خروجَ الضَّبِّ أخرجه الوِجارُ

فماذا الامتنانُ على وجودٍ ... لِغَيرِ المُوجدين به الخَيَارُ

وكانت أنْعُمٌ لو أنَّ كُنَّا ... نُخَيَّرُ قبلها أو نُستَشَارُ

أهذا الدّاء ليس له دواءٌ ... وهذا الكَسْرُ ليس له انجبارُ

تَحَيَّرَ فيه كلُّ دقيقِ فَهْمٍ ... وليس لعُمْقِ جُرحهمُ سَبَارُ

إذا التكوير غَالَ الشمس عنّاَ ... وغَالَ كَواكبَ اللّيل انتشارُ

وبدِّلْنا بهذي الأرض أرضاً ... فَطوَّح بالسَّمَاوات انفطارُ

وأذهلتِ المَرَاضعُ عن بنيها ... لِحيرتِها وعُطِّلَتِ العُشارُ

وأين يغيب لبٌّ كان فينا ... ضياؤكَ من سَنَاهُ مُسْتَعَارُ

فَأَيْنَ ثَبَاتُ ذوي الألبابِ فينا ... وأينَ مَعَ الوجودِ لنا اصطبارُ

وأينَ عقولُ ذوي الأفهامِ ... يُرادُ بنا وأينَ الإعتبارُ

ولا أرضٌ عَصَتْهُ ولا سماءٌ ... ففيمَ غَالَ أَنْجُمَها انكدَارُ

ولكن كلَّ ذا التهويل فيه ... لذي التهويل وَعظٌ وانْزِجارُ

❀ ❀ ❀

● لآلىء مُذَهَّبة في ما يُستحسن ويُسْكِتُ منَ الأجْوبة

1 ـ ● فمنها:

ما حكاه اللَّه تعالى عن نبيّه إبراهيم عليه السلام لما قال لنمرود: ﴿رَبِّيَ ٱلَّذِي يُحۡيِۦ وَيُمِيتُ﴾[1]، فقال نمرود: أنا أحيي وأميت، فقال له إبراهيم عليه السلام: كيف ذلك؟ قال: أنظر الذي يكون حيّاً فأقتله، وانظر الذي يكون مستحقاً للقتل، وأعفو عنه، فأكون قد أحييته، فكان جواب إبراهيم عليه السلام: ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ يَأۡتِي بِٱلشَّمۡسِ مِنَ ٱلۡمَشۡرِقِ فَأۡتِ بِهَا مِنَ ٱلۡمَغۡرِبِ﴾[2] فبُهت الذي كفر.

❀ ❀ ❀

2 ـ ● ومنها قوله تعالى: ﴿أَءِذَا كُنَّا عِظَٰمٗا وَرُفَٰتًا أَءِنَّا لَمَبۡعُوثُونَ خَلۡقٗا جَدِيدٗا ﴿٤٩﴾ ۞ قُلۡ كُونُواْ حِجَارَةً أَوۡ حَدِيدًا ﴿٥٠﴾ أَوۡ خَلۡقٗا مِّمَّا يَكۡبُرُ فِي صُدُورِكُمۡۚ فَسَيَقُولُونَ مَن يُعِيدُنَاۖ قُلِ ٱلَّذِي فَطَرَكُمۡ أَوَّلَ مَرَّةٖۚ فَسَيُنۡغِضُونَ إِلَيۡكَ رُءُوسَهُمۡ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هُوَۖ قُلۡ عَسَىٰٓ أَن يَكُونَ قَرِيبٗا﴾[3].

فقد أخذت هاتان الآيتان من الأجوبة المقنعة على ما يزيد عليه، وذلك غنيّ عن البَيَان.

❀ ❀ ❀

3 ـ ● ومنها: ما حكاه الكُليني في «الكافي» عن علي بن إبراهيم أو غيره رفعه، قال: خرج عبد الصمد بن علي ومعه جماعة، فبصر بأبي الحسن موسى بن جعفر عليه السلام مقبلاً راكباً بغلاً، فقال لمن معه: مكانكم حتى أُضحككم من موسى بن جعفر، فلما دنا منه، قال له: ما هذه الدّابة التي لا يُدرك عليها الثأر ولا تصلح عند النزال؟ فقال له أبو الحسن عليه السلام: تطأطأت عن سموّ الخيل وتجاوزت قمو العير[4]، فأُفحم عبد الصمد وما أحار جواباً.

❀ ❀ ❀

(1) سورة البقرة، الآية: 258.

(2) سورة البقرة، الآية: 258.

(3) سورة الإسراء، الآيات: 49 ـ 51.

(4) **القمو**: الذلُّ: العير: من أسماء الحمار.

4 ـ ● وفي «الكافي» أيضاً في الصحيح عن زرارة عن أبي جعفر عليه السلام قال: سأله الأبرش الكلبي عن قول اللّه عزّ وجلّ: ﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ ٱلْأَرْضُ غَيْرَ ٱلْأَرْضِ﴾[1] قال: تبدّل خبزة نقية يأكل الناس منها حتى يفرغ من الحساب، فقال الأبرش: فقلت إن الناس يومئذٍ لفي شغل عن الأكل، فقال أبو جعفر عليه السلام: في النار لا يشغلون عن أكل الضريع وشرب الحميم وهم في عذاب، فكيف يشغلون عنه وهم في الحساب؟

❁ ❁ ❁

● ورُوي أن بعض أزواج النبيّ صلى الله عليه وآله سألته: متى يعرف الإنسان ربّه؟ فقال صلى الله عليه وآله: إذا عرف نفسه.

❁ ❁ ❁

5 ـ ● وقال يهودي لأمير المؤمنين عليه السلام[2]: ما دفنتم نبيّكم حتى اختلفتم فيه، فقال عليه السلام: اختلفنا عنه لا فيه، ولكن ما جفَتْ أقدامُكم من البحر حتى قلتم لنبيّكم: اجعلْ لنا إلهاً كما لهم آلهة، قال: إنكم قوم تجهلون.

❁ ❁ ❁

6 ـ ● ورُوي أنه عليه السلام لما فرغ من دفن الرسول صلى الله عليه وآله، سأل عن خبر السقيفة؟ فقيل له: قالت الأنصار: منا أمير ومنكم أمير، فقال عليه السلام: هلّا ذكرت الأنصار قول النبي صلى الله عليه وآله: تقبّل من مُحسنهم وتجاوز عن مُسيئهم، فكيف يكون الأمر فيهم والوُصاة بهم[3]؟

وقال له عليه السلام ابن الكوّى: يا أمير المؤمنين، كم بين السماء والأرض؟ قال: «دعوة مُسْتَجابة».

وقيل له: ما طعم الماء؟ قال: «طعم الحياة».

وقيل له: كم بين المشرق والمغرب؟ قال: مسيرة يوم للشمس[4].

---

(1) سورة إبراهيم، الآية: 48.

(2) **شرح النهج**، للموسوي، ص 813، رقم 317.

(3) **شرح النهج**، للموسوي، ص 810، رقم 295.

(4) **شرح النهج**، للموسوي، ص 130.

وأثنى عليه رجل وكان له مُتهماً فقال: أنا دون ما تقول وفوق ما في نفسك.

7 ـ ● وفي «الدُّرر والغرر» للأجلّ علم الهدى السيد المرتضى:

أخبرنا أبو عبد اللّه المرزباني قال: حدثني عبد الواحد بن محمد الحصيني قال: حدّثني أبو علي أحمد بن إسماعيل، قال: حدثني أيوب بن الحسين الهاشمي قال: قدم على الرشيد رجل من الأنصار يقال له نفيع، وكان عريضاً، فحضر باب الرشيد يوماً ومعه عبد العزيز بن عمر، وحضر موسى بن جعفر عليه السلام على حمار، فَتَلقّاه الحاجب بالإكرام، وأعظمه من كان هناك، وعجّل له الإذن، فقال نفيع لعبد العزيز: من هذا الشيخ؟ قال: أوَ ما تعرفه؟ قال: لا، قال: هذا شيخ آل أبي طالب، هذا موسى بن جعفر، قال: ما رأيت أعجز من هؤلاء القوم، يفعلون هذا برجل يقدر أن يزيلهم عن السرير! أما إن خرج لَأسوأنّه، فقال له عبد العزيز: لا تفعلنْ، فإن هؤلاء أهل بيت مَنْ تعرّض لهم في الخطاب إلّا وَسَموُه في الجواب بِسِمَةٍ يبقى عارها الدهر.

قال: وخرج موسى عليه السلام، فقام إليه نفيع فأخذ بِلجام حماره ثم قال: من أنت؟ قال: يا هذا، إن كنت تريد النّسب فأنا ابن محمد حبيب اللّه ابن إسماعيل ذبيح اللّه ابن إبراهيم خليل اللّه، وإن كنت تريد البلد، فهو الذي فَرَضَ اللّه على المسلمين وعليك، إن كنت منهم، الحجّ إليه، وإن كنت تريد المفاخرة، فواللّه ما رضي مشركو قومي مسلمي قومك أكفاء حتى قالوا: يا محمد اخرج لنا أكفاءنا من قريش، فخلّ عن الحمار، فخلّى عنه ويده ترتعد، وانصرف مخزياً، فقال له عبد العزيز: ألمْ أقلْ لك؟

❀ ❀ ❀

8 ـ ● ويقال: أنَّ معاوية استشار الأحنف بن قيس في عقد البيعة لابنه يزيد، فقال له: أنتَ أعلم بليله ونَهاره!

❀ ❀ ❀

9 ـ ● وقال أحمد بن يوسف الخزيمي: مدحك لمحمد بن منصور أَجْوَدْ من مراثيك فيه، فقال: كنا نعمل للرجاء واليوم نعمل للوفاء، وبينهما بون.

❀ ❀ ❀

10 ـ ● ودخل مطيع بن إياس على الهادي في حياة المهدي، فَدُهش، فقال: السلام عليك يا أمير المؤمنين، فقِيلَ له: مَهْ، فقال: بعد أمير المؤمنين!

❁ ❁ ❁

11 ـ ● وقال معاوية بن أبي سفيان لعقيل بن أبي طالب (ره)، وكان جيّد الجواب حاضره: أنا خير لك من أخيك، فقال عقيل: إن أخي آثر دينه على دنياه، وأنت آثرت دنياك على آخرتك، فأخي خير لنفسه منك، وأنت خير لي منه.

12 ـ ● وقال له يوماً: إنّ فيكم لَشَبَقاً يا بني هاشم، فقال: هُوَ مِنّا في الرجال ومنكم في النساء.

13 ـ ● وقال له معاوية، وقد دخل عليه: هذا عقيل عمُّه أبو لَهَب، فقال عقيل: هذا معاوية عمّتُه حَمّالةُ الحطب.

❁ ❁ ❁

14 ـ ● وفي تاريخ ابن خلّكان، أنّ عقيلاً هاجر أخاه عَلِيّاً عليه السلام والتحق بمعاوية، فبالغ معاوية في بِرّه وإكرامه، فلما استقلّ معاوية بالأمر بعد علي عليه السلام، ثَقُل عليه أمر عقيل فكان يُسمعه ما يكره لينصرف عنه. فبينما هو في مجلس حفل بأهل الشام، فقال له معاوية: أتعرفون أبا لَهَب الذي أنزل اللّه في حقّه ﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِي لَهَبٍ﴾[1] من هو؟ فقالوا: لا، فقال معاوية: هو عمّ هذا، وأشار إلى عقيل، فقال عقيل في الحال: أتعرفُون امرأته التي قال اللّه في حقها: ﴿وَٱمْرَأَتُهُۥ حَمَّالَةَ ٱلْحَطَبِ ۝٤﴾[2] من هي؟ قالوا: لا، قال هي عمة هذا وأشار إلى معاوية.

15 ـ ● وقال له يوماً: يا أبا يزيد، أين ترى عمّك أبا لهب؟ فقال عقيل: إذا دخلت النار فانظرْ عن يَسَارك تجدْه مُفْتَرِشاً عمّتك حمالة الحطب، فانظر أيهما أسوأ حالاً، الناكح أم المنكوح.

---

(1) سورة المسد، الآية: 1.

(2) سورة المسد، الآية: 4.

● وقال له يوماً بصفين: أنتَ معنا يا أبا يزيد؟ فقال له: ويوم بدرٍ كنت معكم.

❁ ❁ ❁

16 ـ ● ودخل معن بن زائدة[1] على المنصور فقال: كبرت يا معن! فقال: في طاعتك، فقال له: وإنك لتَتَجلَّد، فقال: على أعدائك، فقال: إن فيك لبَقيّة، قال: هي لك.

❁ ❁ ❁

17 ـ ● وقال عبيد اللَّه بن زياد لمسلم بن عقيل: لَأَقتُلنَّك قتلةً يتحدث به من كان بعدك، فقال مسلم (رَه): أشهد أنك لا تدع سوء القَتَلة ولؤم المعذرة لأحد أولى بها منك.

❁ ❁ ❁

18 ـ ● وقال رجل لعمرو بن العاص لأتفرغنّ لك فقال: أنا وقعت في الشغل.

وقال معاوية لعمرو بن سعيد بن العاص الملقب بالأشدق: إلى من أوصى أبوك؟ فقال: إن أبي أوصى إليّ ولم يوصِ بي.

❁ ❁ ❁

19 ـ ● وقال عبيد اللَّه بن زياد بن ظبيان لابنه وقد حضرته الوفاة: أوصيتُ بك إلى فلان، فالْقَهُ بعدي، فقال: يا أَبَهْ إذا لم يكن للحيّ إلّا وصيّة الميت، فالحيّ هو الميّت.

20 ـ ● وقال الوليد بن يزيد لابن الرّقاع العاملي[2]: أنْشِدْني بعض قولك في الخمرة، فأنشده:

بكيتُ إذا شَجَت وفي الكاس وردةٌ ... لَهَا في عظام الشاربَين دَبيبُ

---

(1) معن بن زائدة الشيباني، من أجواد العرب.

(2) **عديّ ابن الرقاع العاملي**، شاعر بني أمية، انظر: **الأغاني**.

فقال: شربتَها وربِّ الكعبة، فقال ابن الرقاع: لَئِنْ قد رَابك نعْتي لها، فقد رابتني معرفتك بها.

❀ ❀ ❀

21 ـ ● ولما أتى معاوية نعيُ الحسن بن علي عليه السلام، بعث إلى ابن عباس، وهو لا يعلم الخبر، فقال له: عندكَ خبرٌ من المدينة؟ قال: لا، قال: أتانا نعيُ الحسن، وأظهر سروراً، فقال الحسن بن عباس: إذاً لا يُنسيء اللَّه في أَجَلك ولا يسدُّ حفرتك، قال: أحسبه قد ترك صِبْية صِغاراً، قال: كلنا كان صغيراً وكبر، قال: فأحسبه بلغ سناً، قال: مثلُ مولده لا يُجهل، قال معاوية: لو قال قائل إنك أصبحتَ سيدَ قومك، قال: أما وأبو عبد اللَّه الحسين بن علي حيّ، فَلا.

❀ ❀ ❀

22 ـ ● ورُويَ أن وفوداً دخلت على عمر بن عبد العزيز، فأراد فتى منهم الكلام، فقال عمر: ليتكلّم أكبركم، فقال الفتى: إن قريشاً لَترى فيها من هو أَسَنّ منك، فقال له: تكلّمْ يا فتى.

❀ ❀ ❀

23 ـ ● **وفي «الدرر والغرور»**، روى محمد بن سلام الجمحي قال: أنشد كُثَيِّر[1] عبد الملك بن مروان:

على ابنِ أبي العاصي دِلاَصٌ حصينةٌ[2] أجاد المُسَدِّي نَسْجَها فأذابها[3]

فقال: هلّا قلتَ كما قال الأعشى:

وإذا تكون كتيبةٌ ملمومةٌ شهباءُ يَخشى الذائدون نِصَالَها
كنتَ المقدمَ غيرَ لابس جُنة بالسيف تضرب مُعْلماً أبطالَها

(1) **كُثَيِّر عَزَّة**: شاعر من خُزاعة كان شيعيّاً. انظر: **الشعر والشعراء**، ص 340، أيضاً **أعيان الشيعة**.

(2) **دِلاصٌ**: دروعٌ **حصينة**: من صفة الدرع.

(3) **المُسدي**: اسم فاعل من سَدَّى الثوب: نسجه، يقول: إن ابن أبي العاص يختال في درعه التي أجاد صانع الدروع حَبْكها وكأنها قطعة حديد واحدة.

فقال: إنه وصفك بالخرْق ووصفتُك بالحزم.

قال المرتضى: ويشبه ذلك ما رُوي عن أبي عمرو بن العلاء أنه لقي ذي الرِّمَّة[1]، فقال له: أنشدني قصيدتك:

ما بالُ عينكِ منها الماء ينسكبُ

فأنشده إيّاها، فلما انتهى إلى قوله:

تُصغي إلى شدوها في الكور جامحةً ... حتى إذا ما استوى في غرزها تَثِبُ

فقال له أبو عمرو: وقول عمّك الرّاعي أحسن ممّا قلت، وهو:

تَرَاها إذا قام في غرزها ... كمثل السفينة أوْ أوْقَرُ

ولا تعجل المرء عند البروك ... وهي بركْبَتِه أبصرُ

قال ذو الرّمّة: إن الراعي[2] وصف ناقة ملك وأنا وصفت ناقة سُوقة.

24 ـ ● قال مؤلف الكتاب: ويُشبه ما حكاه المرتضى ما حكاه جماعة أنه قيل لابن الرومي: لِمَ لا تُشَبِّه كتشبيهات ابن المعتزْ؟ قال: وما ذلك؟ قيل له: مثل قوله في القَمَر:

وانظرْ إليه كزَوْرقٍ من فضّةٍ ... قد أَثْقلَتهُ حُمولةٌ من عَنْبَرِ

فصاح: وا ويلاه! ذاك ملك، وإنما يصف ماعون بيته، ولكن انظر إذا وصفت أين يقع قولي في قالي زَلابية:

ومستقِرٌّ على كُرسَيْهِ تَعِبِ ... رُوحي الفداءُ لَهُ من مَنْصبٍ تَعِبِ

رأيتُه سَحَراً يَقْلي زَلَابيةً ... في رقَّةِ القِشْرِ والتجويف كالقَصَبِ

كانما زَيتُه المَغْليُّ حين بَدَا ... كالكيمياء التي قالوا ولم تُصِبِ

يُلقي العجين لُجَيْناً من أنامله ... فَتَسْتَحيلُ شَبابيكاً مِنَ الذهبِ

● وقولي في قوس الغمام:

وساقٍ صَبيحٍ للصَّبوح دعيتُه ... فقام وفي أجفانه سِنَةُ الغَمْضِ

---

(1) **ذو الرِّمّة**: أبو الحارث غَيْلان بن عقبة من بني صعب. انظر: **الشعر والشعراء**، ص 356.

(2) **الراعي**: حُصي بن معاوية من بني نُمير كنيته: أبو جندل. **الشعر والشعراء**، ص 270.

وقد نـشـرَتْ أيـدي الـجـنـوب مَـطَـارفـاً على الجوّ كنٍّ والحواشي على الأرضِ
يَـطـوفُ بـكـاسـات الـعُـقـار كـانْـجُـمِ فمنْ بيـن مُـنْـقَـضّ عليـنـا ومُـنْـفَـضّ
يُـطـرّزهـا قـوسُ الـغـمـام بـاخْـضَـرِ عـلـى أحـمـرٍ فـي أصـفـرٍ إثـرَ مُـبْـيَـضّ
كـاثـواب خَـوْدٍ أقْـبَـلـتْ فـي غَـلائـلٍ مُـصَـبَّـغـةٍ والـبـعـضُ أقْـصـرُ مِنْ بـعـضِ

❀ ❀ ❀

25 ـ ● ورُوي أن رجلاً نظر إلى كُثَيِّر الشاعر، وأبو جعفر محمد بن علي عليه السلام يمشي، فقال له: أتركب وأبو جعفر يمشي؟ فقال: هو أمرني بذلك، وأنا بطاعتي له في الركوب أفضل مني في عِصْياني له بالمشي.

❀ ❀ ❀

26 ـ ● ورُوي أن دُعاة خراسان صاروا إلى أبي عبد اللّه الصّادق عليه السلام فقالوا له: أردنا محمد ابن عليّ، قال: أولئك بالسَّراة ولَسْتُ بصاحبكم، فقالوا: لو أراد اللّه بنا خيراً كنت صاحَبنا، فقال المنصور بعد ذلك لأبي عبد اللّه عليه السلام: أردتَ الخروجَ علينا؟ فقال: نحن ندلّ عليكم في دولة غيركم، فكيف نخرج عليكم في دولتكم؟

❀ ❀ ❀

27 ـ ● وقال عبد الملك بن مروان لنُصَيب[1] (الشاعر): هل لك في الشَّراب؟ فقال له نُصَيْب: «الشعر مُغلغل واللون مُرمَّد، وإنما قَرَّبني إليك عقلي، فَهَبْهُ لي.

❀ ❀ ❀

28 ـ ● وقال مروان بن محمد، الملقب بالحمار[2]، لحاجبه وقد ولّى منهزماً:

---

(1) **نُصَيْب** الشاعر: كان عبداً أسود لرجل من أهل وادي القُرى أو هو عبد بني كعب بن ضَمْرة من كنانة. أتى عبد العزيز بن مروان، بعد مكاتبته على نفسه، فمدحه فوصَلَهُ واشترى ولاءه. كانت أمّه أَمَة سوداء فوقع بها سيّدها فأولدها نُصَيْباً، كنيته أبو الحجناء. انظر: **الشعر والشعراء**، ص 265.

(2) مروان بن محمد (72 ـ 137هـ) (692 ـ 750م)، آخر الخلفاء الأمويين في الشام، وُلد في الجزيرة، أوقع بالخوارج وقضى على خليفتهم الضَّبِّي بن قيس الشيباني، يُعرف بمروان الحمار لجرأته في الحروب، ويعرف بالجعدي نسبة إلى مؤدّبه الجعد بن درهم.

كُرَّ عليهم بالسيف، فقال: لا طاقة لي بذلك، فقال: واللّه لَئِنْ لم تفعلْ لَأَسُوءنَّك، فقال: وددتُ أنك تقدر على ذلك.

❁ ❁ ❁

29 ـ ● وقال يحيى بن خالد لشريك:

عَلّمْنا ممّا علّمك اللّه يا أبا عبد اللّه، قال: قال: إذا عملتم بما تعلمون عَلَّمْتكم ما تجهلون.

❁ ❁ ❁

30 ـ ● وقال المأمون لمحمد بن عمر: بَلغني أنّك بخيل، فقال: ما أجمدُ في حقّ ولا أذوبُ في باطل.

❁ ❁ ❁

31 ـ ● وقيل لابن أبي داود الإيادي، ونظر إلى بنته تسوس فرسه: وأهنتها يا أبا داود؟ فقال: أهنتها بكرامتي كما أكرمتها بِهَوَاني.

32 ـ ● ودخل عمارة بن حمزة على المنصور، فجلس مجلسه الذي كان يجلس فيه، فقام رجل إلى المنصور فقال: مظلوم يا أمير المؤمنين! فقال: من ظلمك؟ فقال: عمارة غَصَبني ضيعتي، فقال المنصور: قُمْ يا عمارة فاقعدْ مع خصمك، فقال عمارة: ما هو لي بخصم، فقال له: كيف؟ فقال: إن كانت الضيعة له، فهي له، وإن كانت الضيعة لي فهي له، ولا أقوم من مجلسٍ شرّفني فيه أمير المؤمنين لأقعد بأدنى منه بسَبَب ضيعة.!

❁ ❁ ❁

33 ـ ● وقال هشام بن عبد الملك لرجلٍ في الكعبة: سَلْني حاجتك، قال: لا أسأل في بيت اللّه غير اللّه!

❁ ❁ ❁

34 ـ ● قال مؤلّف الكتاب: أحسن ما سمعنا مثل هذا، ما رُوي أنّ

إبراهيمﷺ، لما دفع بالمنجنيق، اعترضه جبرائيلﷺ في الهواء، فقال له: أَلَكَ حاجة؟ فقال: أمّا إليك فَلَا، ولكن إلى اللَّه تعالى.

❀ ❀ ❀

35 ـ ● وهرب سليمان بن عبد الملك من الطاعون، فقيل له، إن اللَّه تعالى يقول: ﴿قُل لَّن يَنفَعَكُمُ ٱلْفِرَارُ إِن فَرَرْتُم مِّنَ ٱلْمَوْتِ أَوِ ٱلْقَتْلِ وَإِذًا لَّا تُمَتَّعُونَ إِلَّا قَلِيلًا﴾[1] فقال: ذلك القليل نطلب.

❀ ❀ ❀

36 ـ ● وقيل إن الجعد بن درهم جعل في قارورة تُراباً وماءً، فاسْتحال دوداً وهواماً، فقال لأصحابه: أنا خلقت ذلك لأنني كنت سبب كونه، فبلغ ذلك جعفر بن محمدﷺ فقال: لِيَقُلْ كم هو وكم الذكران فيه والإناث، إن كان خلقه، وكم وزن كلّ واحدة منهنّ، وَلْيَأْمر الذي يسعى إلى هذا الوجه أن يرجع إلى غيره، فانقطع وهرب.

❀ ❀ ❀

37 ـ ● وقال المأمون للفضل بن سهل: إني أخاف عليك قوماً يعادونك، فلا تركب إلّا في جيش، فقال الفضل: ما أخاف غيرك، فإن أمنتني نفسك لم يضرّني إنسان.

❀ ❀ ❀

38 ـ ● وقيل لأبي ثور: ما تقول في حمّاد بن زيد بن درهم وحمّاد بن سلمة بن دينار؟ فقال: بينهما في العلم كقيمة ما بين أبويهما في الصرف.

❀ ❀ ❀

39 ـ ● وأراد المأمون تقبيل السواد[2]، وجلس يُناظر العمال في ذلك، فقام إليه رجل من الدّهاقين فقال: يا أمير المؤمنين، إن اللَّه ولّاك علينا بالأمانة، فلا تقبلنا، فاضرب عن ذلك.

❀ ❀ ❀

(1) سورة الأحزاب، الآية: 16.

(2) تقبيل مصدر قبَّل: لَثَمُ، والسواد: يطلق على أرض العراق الدهاقين مفردها الدهقان: مالك أرض.

40 ـ ● وأرسل عمر بن عبد العزيز رجلاً من أهل الشام، وأمره أن يجمع بين إياس بن معاوية المُزني وبين القاسم بن ربيعة الحوشي من بني عبد اللّه بن غطفان، فيُوَلّي القضاء أنفذَهما، فقدم البصرة، فجمِع بينهما، فقال إياس للشامي: أيّها الرجل، سَلْ عني وعن القاسم فقيهَيّ المِصر، الحسن وابن سيرين، فمن أشارا عليك بتوليته فَوَلِّه، وكان القاسم يأتي الحسن وابن سيرين ولم يكنْ إياس يأتيهما، فعلم القاسم إن سألهما، أشارا به، فقال للشامي: لا تسأل عنّي ولا عنه، فَوَاللّه الذي لا إله إلّا هو إن إياساً أفقه منّي وأفضل وأعلم بالقضاء، فإن كنتُ عندك ممّن يُصدِّق، إنه لَيَنْبغي أن تقبل مني، وإن كنتُ كاذباً، فلا يحلُّ لك أن تُولّيني وأنا كاذب، فقال إياس للشامي: إنك جئت برجل فأقمته على شفير جهنم فافتدى نَفسَه من النار أن تقذفه فيها بيمين كاذبة، يستغفر اللّه منها وينجو من النار، فقال الشامي: أما إذا فطنت لهذا، فإني أولّيك، فاستقضاه.

❀ ❀ ❀

41 ـ ● ولما أمضى معاوية بَيعة ابنه يزيد (لع)، فقال يزيد لأبيه: «ما ندري أنخدع الناس أم يخدعوننا» فقال معاوية: «يا بنيّ، من تَخَادَع لك لِيَخدعك فقد خدعته».

❀ ❀ ❀

42 ـ ● وسُمع عبد الملك بن مروان ليلة قُبض وهو يجود بنفسه: ليتني كنت غسّالاً أعيش بما أكسب يوماً بيوم، فبلغ ذلك أبا حازم فقال: الحمد للّه الذي جعلهم عند الموت يتمنّون ما نحن فيه ولا نتمنى في الحياة ما هُمْ فيه».

❀ ❀ ❀

43 ـ ● وقال الواثق للجاحظ يوماً: يا مَنَاني[1]، فقال لو كان الذي أضفتني إليه عبدك، ما قدرت على بيعه لكثرة عيوبه، فكيف أكون على دينه؟

❀ ❀ ❀

---

(1) مناني: نسبة إلى ماني، ومذهبه المانوية. قال المؤلف في الهامش: إن ماني مخترع الزندقة، ويُقال لأتباعه المانوية. قال أبو الطيب المتنبي:

وكم لظلام اللّيل عندي من يدٍ … تُخبّر أنّ المانويةَ تكذبُ

44 ـ ● وقال ابن عباس للخوارج، وقد أرسله أمير المؤمنين عليه السلام إليهم: أنشدتكم اللّه، أيّهما أعلم بالتنزيل والتأويل، عليٌّ أمْ أنتم؟ قالوا: عليّ، قال: أليس تدرون لعلَّ الذي حكم به فيكم، بفضل علمه، على ما تعلمون؟ فرجع أكثرهم.

❀ ❀ ❀

45 ـ ● وقال عُتبة بن أبي سفيان لعبد اللّه بن العبّاس: ما منع عليّ بن أبي طالب أن يجعلك أحد الحَكَمَيْنِ؟ فقال: «أما واللّه لو بعثني لاعترضت مَدَارج أنفاسه، أطيرُ إذا أسَفّ وأسِفّ إذا طار، ولَعَقَدْتُ له عَقداً لا تنقضُ مريرته ولا يُدرك طرفاه، ولكنه سيق قَدَرٌ ومضى، أجل والآخرة خير لأمير المؤمنين من الدنيا».

❀ ❀ ❀

46 ـ ● وقال أبو جعفر بن محمد بن علي عليه السلام، لِكُثَيِّر: امتدحتَ عبد الملك بن مروان؟ فقال: لم أقُلْ: يا إمام الهدى كما قلتُ له: يا شُجاع، والشُجاع: حيّة، ويا أسد: والأسد كلب ويا غيث: والغيث مَوَات، فتبسّم أبو جعفر عليه السلام.

❀ ❀ ❀

47 ـ ● وقالت بنت عبد اللّه بن مطيع لزوجها يحيى بن طلحة: ما رأيتُ أحسنَ من أصحابك، إذا يَسِرتَ لزموك وإذا أعسرتَ تركوك، فقال: هذا من كرمهم، يأتوننا حالة القوّة منّا عليهم، ويُفارقوننا حالة الضعف منّا عليهم.

❀ ❀ ❀

48 ـ ● وقيل لإبراهيم النخعي: متى كنتَ؟ قال: حيثُ احتيجَ إليّ.

❀ ❀ ❀

49 ـ ● ورأى رجلٌ رجلاً يصلّي صلاة خفيفة فقال له: ما هذه الصلاة؟ قال: هذه صلاة ليس فيها رِيَاء.

50 ـ ● وفي «الدُّرر والغرر»، أخبرنا أبو عبد اللّه المرزباني قال: حدثني محمد بن أبي الأزهر قال: حدّثنا محمد بن يزيد النحوي قال: تزعم الرواة أن قتيبة بن مسلم لما فتح سمرقند، أفضى إلى أثاث لم يُرَ مثله، وآلات لم يُسمع مثلها، فأراد

أن يُري الناس عظيم ما فتح اللّه، ويعرّفهم أقدار القوم الذين طهر عليهم، فأمر بدار، فَفُرشت وفي صحنها قِدْرٌ يُرتقى إليها بسلاليم، وإذا الحصين بن المنذر بن الحارث بن وعلة الرّقاشي قد أقبل، والناس جلوس على مَرَاتبهم، والحُصين شيخٌ كبير، فلما رآه عبد اللّه بن مسلم، أخو قتيبة، قال لقُتيبة: أتأذن لي في معاتبته؟ فقال: لا تَرده فإنه خبيثُ الجواب، فأبى عبد اللّه إلّا أن يأذن له، وكان عبد اللّه يضعف، وكان قد تَسَوَّر حائطاً إلى امرأة قبل ذلك، فأقبل على الحُصين فقال: أمِنَ الباب دخلت يا أبا ساسان؟ فقال: أجل عمك من تَسَوّر الحيطان، قال: رأيت هذه القدور؟ قال: هي أعظم من أن لا تُرى، قال: ما أحسب بكْر بن وائل رأى مثلها، قال: أجل ولا غيلان، ولو رآها سمين شبعان، قال: يا أبا ساسان، من الذي يقول:

عزلنا وأمَّرْنا، وبكر بن وائلِ ... تَجُرُّ خِصَاها تبتغي مَنْ يُخالِفُ

قال: أعرفه، وأعرف الذي يقول:

وخَيْبة من يخيب على غنيّ ... وباهلة بن يَعصُر والرّباب

قال: فمن الذي يقول:

كأنَّ فِقاحَ الأَسْد حول ابنِ مسمعٍ ... وقد عرقت أفواه بكر بن وائل

قال: أعرفه، وأعرف الذي يقول:

قومٌ قُتَيْبَةُ أمّهم وأبوهمُ ... لولا قُتيبة أصبحوا في مَجْهلِ

قال: أمّا الشعر فأراك ترويه، ولكن هل تقرأ شيئاً من القرآن؟ قال: نعم، أقرأ منه الكثير الطيّب: ﴿هَلْ أَتَىٰ عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ حِينٌ مِّنَ ٱلدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْـًٔا مَّذْكُورًا ﴿١﴾﴾[1] فأغضبه، فقال: واللّه لقد بلغني أن امرأة الحصين حُملت إليه وهي حبلى حَمَلتْ من غيره. قال: فما تحرك الشيخ عن حالته الأولى، ثم قال: على رَسْلِكَ وما يكون؟ تَلِدُ غلاماً على فراشي، فيُقال: ابن الحُصين كما يُقال عبد اللّه بن مسلم، فأقبَل قُتيبة على عبد اللّه فقال: لا يُبعد اللّه غيرك.

❀ ❀ ❀

(1) سورة الإنسان، الآية: 1.

51 ـ ● ولقي شريك النّميري رجلاً من تميم، فقال له التميمي: يُعجبني من الجوارح البازي، فقال شريك: لا سيّما إذا صاد القَطَا، أشار التميمي بذلك إلى قول جرير الشاعر:

أنا البَازي المُطِلُّ على نميرٍ أُتيحَ منَ السَّماء لَهُ نِصَابا

وأشار شريك إلى قول الطرُمَّاح:

تميمٌ بطُرْقِ اللّؤم أهدى من القطا
وإنْ سَلَكتْ سُبلَ المَكَارِمِ ضَلَّتِ

❀ ❀ ❀

52 ـ ● وساير شريك النميري عمر بن هَبيرة الفَزَاري على بغلة، فجاوزت بغلته برذون عمر، فقال عمر: أُغضُضْ من لِجَامها، فقال شريك: إنها مكتوبة، فقال ما أردتُ ذلك، فقال شريك: ولا أنا أردته، ظنّ شريك أن عُمَرَ أراد بقوله: أغضُضْ من لجامها، قول جرير:

فَغُضّ الطَّرْفَ إنّكَ من نُميْرٍ فَلاَ كَعْباً بَلَغْتَ ولا كِلاَبا

وظنّ عمر أن شريكاً عنى بقوله:

لا تأمنَنَّ فَزَاريّاً خَلوتَ به على قلوصك واكتبها بأسْيَارِ

[وكان الفَزَاريّون يُرْمون بإتيان الإبل][1].

❀ ❀ ❀

53 ـ ● وذكر جماعة، منهم المرتضى في «الدُّرَر» والصَّفدي في «شَرْح اللّامية، أن أبا تمّام، حبيب بن أوس الطائي، أنشد أحمد بن المعتصم قصيدته السّينيّة التي يمدحه فيها، فلما بلغ إلى قوله:

في حِلْمِ أَحْنَفَ في شَجاعة عامرٍ في جُود حاتمَ في ذَكاء إياسِ

قال له الكندي، وكان حاضراً، ما صنعتَ شيئاً، قال: وكيف؟ قال: لأن

(1) القول للشيخ أحمد رضا العاملي في كتابه الصادر حديثاً، «**طرفة الطّرائف وزُبدة المعارف**»، عن دار الانتشار العربي والمجلس الثقافي للبنان الجنوبي.

شعراء دهرنا قد تجاوزوا بالممدوح من كان قبله، ألا ترى إلى قول العكّوك في أبي دُلَف؟

رَجُلٌ أبرَّ على شجاعة عامرٍ باساً وغبَّرَ في مُحيًّا حاتمِ

فأطرق الطائي ثم رفع رأسه وأنشد:

لا تُنكروا ضَربي له من دُونَه مثلاً شَرُوداً في النَّدى والبَاسِ
فاللَّه قد ضَربَ الأقلَّ بنورِهِ مَثَلاً من المِشْكاةِ والنِّبْراسِ

54 ـ ● ويُقال أنَّ أبا تمّام سُئلَ: ما صنعتَ منذ أطرقتَ؟ فقال: نظرتُ فيما أحفظ من كلام العرب فلم أجد في ما أنا فيه شيئاً فعرَّجت على كتاب اللّه، إلى أن وصلت إلى قوله: ﴿ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ مَثَلُ نُورِهِۦ كَمِشْكَوٰةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ﴾[1].

فيقال أنَّ الممدوح، قال لأبي تمام: احتكمْ، فقال له: أريد ولاية الموصل، فاستكبر ذلك ثم استشار بعض حاشيته، فأشار عليه بتوليته وقال له: إنه لا يُقيم فيها إلّا أيّاماً قَلائلَ، لأنّ دماغه قد سال من إطراقه وشدّة فكره، فولّاه إياها، فما مضت عليه إلّا مدّة قليلة إلّا وقد مات.

واستبعد صِحَّة هذه الحكاية، وكأنه لمّا ذكر المؤرّخون أن أبا تمّام تولى الموصل سنتين، ولكن هذا غير ضائر كما لا يخفى.

❀ ❀ ❀

55 ـ ● وفي «الدّرر» قال ابن هبيرة لأبي دلامة[2]، وكان مولىً لبني أميّة: ظهرت المسوّدة[3]، لَأَتخِذَنَّ لك منهم مولىً صالحاً يخدمك، فلما عَلَتْ كلمتهم وفَشَتْ دعوتهم، قال أبو دُلامة: ليت اللّه قيَّض لي منهم مولىً صالحاً أخدمه.

❀ ❀ ❀

56 ـ ● وقال يحيى بن خالد لعبد الملك بن صالح الهاشمي: إنَّ خِصَالِكَ

---

(1) سورة النور، الآية: 35.
(2) **أبو دلامة**: هو زند بن الجَوْن مولى بني أسد وكان منقطعاً إلى أبي العباس السّفّاح وليس كما ذكر المؤلف بأنه مولى لبني أميّة. انظر: **الشعر والشعراء**، ص 526.
(3) المسوّدة يشير بها إلى بني العباس حيث كانت رايتهم سوداء.

كاملة سوى حِقْدٍ فيك، فقال: أنا خِزَانة تحفظ الخير والشرّ.

❀ ❀ ❀

57 ـ ● وقال الحجّاج لحطيط الخارجي: ما تقول في عبد الملك؟ قال: ما أقول في رجلٍ أنتَ خطيئة من خَطَاياه؟ فقال: فهلْ هَمَمْتَ بي قط؟ قال: نعم، ولكن حال بيننا قَدَر، وقد أعطيتُ اللّه عهداً، إن سألتني لَأَصدقنَّك، وإن خليت عني لَأَطلبنّك، وإن عذَّبتني لَأصبر على ذلك، فأمر بقتله.

❀ ❀ ❀

58 ـ ● وقيل لأبي العتاهية[1] لما قال:

عَـــتْـــبُ مـــا الـــخـــيـــالُ خـــبّـــريـــنـــي ومـــالـــي

خرجت من العَروض، فقال: أنا أكبر من العروض.

❀ ❀ ❀

59 ـ ● وقال عبد الملك للهيثم بن الأسود: مَا مالُكَ؟ قال: قوامٌ من العيش وغِنَىً عن الناس، فقيل له: لِمَ لَمْ تخبرُه؟ فقال: إن كان كثيراً حَسَدني، وإن كان قليلاً ازْدَرَاني.

❀ ❀ ❀

60 ـ ● واغتاب الأعمش رجلاً من أصحابه، فطلع الرجل عليه بَغْتَةً، فقال له رجل: قُلْ له ما قلتَه حتى لا يكون غَيْبة، فقال له الأعمش: بل قُلْ أنتَ حتى لا يكون نميمة.

❀ ❀ ❀

61 ـ ● وقال معاوية لعمرو بن العاص: هَلْ غَشَشْتَني منذ نصحتني؟ قال: لا، قال: بلى، يوم أشرت عليّ بمُبارزة عليّ بن أبي طالب، وأنت تعلم من هو، قال عمرو: دعَاكَ رجلٌ عظيمُ الخَطَر إلى المبارزة، فكنتَ من مبارزته على إحدى

---

(1) **أبو العتاهية**: هو إسماعيل بن القاسم مولى لعنترة ويكنّى أبا إسحاق وأبو العتاهية لقب. انظر: **الشعر والشعراء**، ص 538.

الحُسْنين: أما إن قتلته، فقد قتلت قتال الأقران، وازددت شرفاً إلى شرفك وخلوتَ بملكك، وأما إن قتلك، فتعجَل إلى مرافقة الشهداء والصدّيقين والصالحين، فقال معاوية: لهذه أشدُّ من الأولى، فقال عمرو: كنتُ من جهادك في شكّ فأتوب منه الآن، فقال: دَعْني منك.

❀ ❀ ❀

62 ـ ● وقيل للأحنف، وقد رأى مُسيلمة الكذّاب، كيف وجدتَه؟ فقال: ما هو نبيّ صادق ولا مُتَنَبٍّ حاذق.

❀ ❀ ❀

63 ـ ● وفي «الدُّرر» روى المبرّد قال: قال زياد لأبي الأسود الدّؤلي: لولا أنك قد كبرتَ لاستعنّا بك في بعض أمورنا، فقال: إن كنت تريدني للصّراع فليس عندي، وإن كنت تريد عقلي ورأيي فَهما أوفر ما كان.

وقال له معاوية: أكنتَ ذُكرت للحكومة يا أبا الأسود؟ قال: نعم، قال: فما كنتَ صانعاً؟ قال: كنت أجمع ألفاً من المهاجرين وأبنائهم وألفاً من الأنصار، ثم أقول: يا معْشر من حضر، أرَجلٌ من المهاجرين أحقّ أم رجلٌ من الطلقاء؟

❀ ❀ ❀

64 ـ ● وروى محمد بن يزيد النحوي أنّ أبا الأسود كان نازلاً في بني قُشير، وكانوا ليخالفونه في المذهب، وكان شيعياً، فكانوا يرمونه بالليل، فإذا أصبح شَكَا ذلك، فَشَكا مرّة، فقالوا: ما نحن نرميك ولكنّ اللّه يرميك، فقال: كذبتم، لو أنّ اللّه يرميني ما أخطأني.

وقال لهم يوماً: يا بني قُشير، ما في العرب أحبّ إلى طول بقاء منكم، قالوا: ولِمَ ذلك؟ قال: لأنكم إذا ركبتم أمراً، علمت أنه غيّ فاجتنبه، وإذا اجتنبتم أمراً، علمتُ أنه رُشد فارتكبته، فنازعوه الكلام، فأنشأ يقول:

يقولُ الأرذلونَ بَنو قُشيرٍ ... طِوالَ الدهر لا تنسى عَلِيّا
نقلتُ لهمْ وكيفَ يكونُ تَرْكي ... من الأعمال ما يقضي علَيّا

أُحِبُّ محمداً حُبّاً شديداً وعَبّاساً وحمزة والوصِيّا
أحبّهم لِحُبّ اللّه حتى أجيءَ إذا بُعثتُ على هَويّا
بنو عمّ النبيّ وأقربُوهُ أحبُّ الناس كلهم إليَّ
فإنْ يكُ حُبُّهم رُشداً أُصِبْهُ ولستُ بمُخطِئٍ إنْ كان غَيًّا[1]

فقالوا: شككتَ يا أبا الأسود، فقال: أَلَمْ تسمعوا إلى قولِ اللّه تعالى: ﴿وَإِنَّآ أَوۡ إِيَّاكُمۡ لَعَلَىٰ هُدًى أَوۡ فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ﴾[2] أفترون اللّه عزّ وجلّ قد شكّ؟

❀ ❀ ❀

65 ـ ● ورُوي أنّ أبا الأسود دخل على معاوية فقال له: أصبحت جميلاً يا أبا الأسود، فَلَوْ عَلَّقتَ تميمةً تدفع عنك العين؟ فقال:

أفْنى الشَّبابَ الذي فارقت بهجته كرُّ الجَديدين من آتٍ ومُنطلقِ
لم يَتركا ليَّ في طُول اختلافهما شيئاً أخافُ عليه لَذْغةَ الحَدَقِ

ورُوي أنه دخل السوق يوماً يشتري ثوباً، فقال له رجل: هَلُمَّ أُقاربُك في هذا الثوب، فقال: إنْ لمْ تُقاربني بَاعدتُك، ثمّ قال له: بِكَم؟ فقال: أُعطيتُ به كذا وكذا، قال: إنّما تُخبرني عمّا فَاتَكَ.

ورُوي أنه كان ماشياً في طريق، فقال له راكب: الطريق الطريق، فقال له: عن الطريق تعدلني؟

ومرض أبو الأسود، فقيل له: هُوَ أمرُ اللّه، فقال: ذاك أشدّ!

❀ ❀ ❀

66 ـ ● وقيل: أنَّ امرأة خاصمته إلى زياد في ولدها، فقالت: أيها الأمير، هذا يريد أن يغلبني على ولدي، وقد كان بطني له وعاءً وثدْيي سِقاءً وحِجري فِنَاءً، فقال: بهذا تُريدين أن تغلبيني على ابني؟ فَوَاللّهِ، لقد حملته قبل أن تحمليه ووضعته

(1) الغَيّ: الضلال.
(2) سورة سبأ، الآية: 24.

قبل أن تضعيه، قالت: ولا سَواء، إنك حملتَه خَفّاً وحملتُه ثِقْلاً ووضعته شهوةً ووضعته كُرهاً، فقال له زياد: إنها امرأة عاقلة يا أبا الأسود، فادفعْ ابنها إليها، فأخلق أن يَحْسُنَ أَدَبُه.

❀ ❀ ❀

67 ـ ● وقال رجل لأبي الأسود: أنتَ واللّه ظريفُ لَفْظٍ وظَرْفُ علمٍ ووعاء حِلْم، غير أنك بخيل[1]، فقال: وما خيرٌ في ظرفٍ لا يُمسك ما فيه!

❀ ❀ ❀

68 ـ ● وسلّم عليه أعرابي يوماً فقال: كلمةٌ مَقُولة، فقال: أتأذنُ لي في النزول؟ قال: وراءك أوسعُ لك، قال: فهل عندكَ شيء؟ قال: نعم، فقال: أطعمني، قال: عِيالي أحقّ منك، قال: ما رأيت ألأمَ منك، قال: نسيتَ نفَسَك.

❀ ❀ ❀

69 ـ ● وسأله رجل شيئاً فقال له: ما أصبحتُ حاتمياً، قال: بلى واللّه، لقد أصبحت من حيث لا تدري، أليس حاتم الذي يقول:

أماويَ إمّا مانعٌ فَمُبينٌ ... وإمّا عطاءٌ لا يُنَهْنِهُه الزَّجْرُ[2]

❀ ❀ ❀

70 ـ ● وفي «الدُّرر» عن المرزباني عن إبراهيم بن محمد بن عرفة النحوي، قال: لما وُلِّي سليمان بن عبد الملك، أتى بيزيد بن مُسلم مولى الحجاج في جامعه، وكان رجلاً ذميماً تُقبحه العين، فلما رآه سليمان قال: لعن اللّه من أجّرك رسَنه وولّى مثلك، فقال: يا أمير المؤمنين: رأيتَني والأمرُ عني مُدْبر، ولو رأيتني والأمر عليَّ مُقْبل لاستعظمت ما استصْغرتَ ولا استَجللتَ ما استحقرتَ، فقال سليمان: أين ترى

---

(1) أبو الأسود الدؤلي من المشهورين بالبخل.

(2) انظر حاتم الطائي في **الشعر والشعراء**، ص 147، ماوية بنت عَفْزَر يوم أتى حاتم يخطبها ووجد عندها النابغة ورجلاً في البيت. والبيت من أبيات قالها حاتم. انظر المرجع المذكور.

الحجّاج يهوي، في النار أم قد استقرّ في سَقَر؟ فقال: يا أمير المؤمنين لا تقلْ كذا، فإن الحجّاج قمع لكم الأعداء ووطأ لكم المنابر وزرع لكم الهيبة في قلوب الناس، وبعد فإنه يأتي يوم القيامة عن يمين أبيك عبد الملك وشمال أخيك الوليد، فَضَعْهُ حيثُ شِئْتَ.

❀ ❀ ❀

71 ـ ● ورُوي أن خالد بن صفوان فاخَرَ رجلاً من عبد الدّار الذين يسكنون اليمامة، فقال له العبدري: من أنتَ؟ قال: أنا خالد بن صفوان بن الأهتم، فقال له العبدري: أنتَ خالدٌ كَمَنْ هو خالد في النار، وأنت ابن صفوان، وقال اللّه: ﴿كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ﴾[1]، وأنت ابن الأهتم والصحيح خير من الأهتم، فقال له خالد: يا أخا بَني عبد الدّار، تتكلّم وقد هشّمتك هاشم، وأمّتك بنو أميّة، وخزمتك بنو مخزوم، وجمحتك بنو أجمح، فأنت عبدُ دارهم، تُفتح إذا دخلوا وتُغلق إذا خرجوا، فقام العبدري محموماً.

● ودخل الفرزدق[2] إلى سعيد بن العاص، وعنده الحُطيئة[3]، فلما مثل بين يديه قال:

إليكَ فَرَرْتُ منكَ ومن زيادٍ	ولمْ أحسبْ دَمي لكما حَلالا
فإنْ يكن الهجاءُ أحلَّ قَتْلي	فقد قُلنا لِشَاعركم وقَالا
ترى الغرَّ الجحاجح[4] من قُريشٍ	إذا ما الأمرُ في الحَدَثانِ غالا
قياماً ينظرون إلى سعيدٍ	كأنّهمُ يَرونَ به الهِلالا

---

(1) سورة البقرة، الآية: 264.

(2) **الفرزدق**: هو همّام بن غالب الدارمي، لقِّب بالفرزدق لِغَلظه وقصره، شبّه بالفتيتة التي تشربها النساء وهي الفرزدقة، كنيته أبو فراس. انظر أخباره في: **الشعر والشعراء**، ص 315.

(3) **الحُطَيْئة**: هو جرول بن أوس من بني قطيعة بن عبس، لُقّب بالحطيئة لقصره وقربه من الأرض، كنيته أبو مليكة. وكان راوية الشاعر زهير، وهو جاهلي إسلامي، أسلم بعد وفاة الرسول ﷺ. انظر: **الشعر والشعراء**، ص 203.

(4) **الجحاجح**: ذوو البرهان القاطع.

فقال له الحطيئة: هذا واللَّه، أيها الأمير، الشعر، لا ما كنا نتحلّل به في الأمس، يا غلام: أقَدِمَتْ أمُّك الحجاز؟ قال: لا، ولكن قدمها أبي!

أراد الحطيئة بقوله: أقدمتْ أمّك الحجاز، إنْ كانت قدمت، فقد وقعتُ بها وكنتَ مني، وأراد الفرزدق بقوله: لكن قدمها أبي، أي وقع بأمّك فكنتَ أخي.

❁ ❁ ❁

72 ـ ● ونظير هذه القضية، ما رُوي أن الفرزدق كان يُنشد شعرَه يوماً، والناس حوله، إذ مرّ به الكُميت بن يزيد، فقال له الفرزدق: كيف ترى شعري؟ فقال الكُميت: حَسَن بَسَنٌ[1]، فقال له الفرزدق: أيَسُرُّك أني أبوك؟ فقال: أبي لا أُريد به بَدَلاً، ولكن يَسُرُّني أن تكون أمّي، فقال له الفرزدق: أكتمْ هذا على عمّك يا ابن أخي، فما مرّ بي مثلُها.

❁ ❁ ❁

73 ـ ● وقيل أنَّ عبد الملك ظفر برجل من بني مخزوم، زُبَيْريّ الرأي، فقال له لما أُحضر مجلسه: أليس قد رَدَّك اللَّه على عَقِبك؟ فقال له الرجل: أوَمَنْ رُدَّ عليك يا أمير المؤمنين قد رُدَّ على عَقبه؟ فوجم عبد الملك.

❁ ❁ ❁

74 ـ ● وقال موسى بن عيسى لِشَريك: يا أبا عبد اللَّه، عزلوك عن القضاء؟ وما رأينا قاضياً عُزِل، فقال شريك: همُ الملوك يعزلون ويخلعون، يُعَرِّض بأن أباه خُلع من ولاية العهد.

❁ ❁ ❁

75 ـ ● وعن أبي عُبيدة معمّر بن المثنّى، أن المُفَضَّل الضَّبي، الرَّاوية، وهب لبعض جيرانه أُضحية، فلما لقيه قال: كيف وجدت ضحيّتك؟ قال: ما وجدتُ لها دماً، يعرّض بقول الشاعر:

---

(1) بَسَنٌ: إتباعٌ في قولهم: «حسَنٌ بَسَنٌ»: كامل الملاحة والجمال

ولَوْ ذُبحَ الضَّبْيّ بالسيف لم تجدْ   من اللّؤمِ للضَّبْيّ لحماً ولا دَما

❀ ❀ ❀

76 ـ ● ورُوي عن المأمون أنه قال: ما أعياني إلّا جواب ثلاث، أحدهم أمّ الفضل بن سهل، عزّيتُها عن ابنها وقلتُ لها: لئن جزعتِ على الفضل لأنه وَلَدك، فها أنا ذا ابنُكِ مكانه، فقالت: وكيف أجزع وقد جعل مثلك ولداً.

والآخر، أحضرته وقد زعم أنه نبيّ اللّه موسى، فقلتُ: إنّ اللّه عزّ وجلّ، أخبرنا أنه يُدخل يَدَه في جيبه فيخرجها بيضاء من غير سوء، فقال: متى فعل ذلك موسى؟ أليس بعد ما لَقِيَ فرعون؟ فاعْملْ كما عمل فرعون حتى أعمل كما عمل موسى.

والثالث، أن جماعة من أهل الكوفة، يشكون عاملها، فقلت: ارضوا بواحد أسمعُ منه، فرضوا برجل منهم، فقال في العامل وأكثر، فقلت له: كذبتَ، بل هو العفيف الورع العَدل، فذهب أصحابه يتكلّمون، فَسكَّتَهم وقال: صدقتَ يا أمير المؤمنين، هو كما تقول، فَوَاسِ بين رعيّتك بالعدل، فصرفته عنهم.

❀ ❀ ❀

77 ـ ● ودخل عديّ بن حاتم بن عبد اللّه الطائي على معاوية، فقال له معاوية: ما فعَلَ الطَّرَفات؟ يعني طريفاً وطرّافاً وطرفة، قال: قُتلوا مع عليّ عليه السلام، قال ما أنصفك ابن أبي طالب، قدّم بنيك وأخر بنيه، فقال عدي: بل ما أنصفته أنا أنْ قُتل وبقيتُ.

❀ ❀ ❀

78 ـ ● وكتب رجل إلى صديق يقترض منه شيئاً، فأجابه يشكو ضيق حاله، فكتب إليه: إن كنت صادقاً فقد جعلك اللّه كاذباً، وإن كنت كاذباً فجعلك اللّه صادقاً، وإن كنت معذوراً فَجَعلك مَلُوماً، وإن كنت ملوماً، فجَعلك اللّه معذوراً.

❀ ❀ ❀

79 ـ ● وسمع الأحنف رجلاً يقول: ما أَحْلَم معاوية! فقال: لو كان حليماً ما سَفَّه الحق.

❀ ❀ ❀

ووصف معاوية رجلٌ عند الشّعبي بالحلم، فقال له: ويحك، وهل أغمد سيفه وفي قلبه على أحدٍ شيئاً؟

80 ـ ● وقال زياد لرجل حضره: أين منزلك؟ قال: وسط البصرة، قال: فَمَا لَكَ من الوُلد؟ قال: تسعة، فقيل لزياد: إن داره أقصى البصرة عند المقابر، وله ابن واحد، فقال الرجل: داري بين أهل الدنيا والآخرة، وكان لي عشر بنين، فقدَّمت تسعة فهم لي، وبقي واحد لا أدري هو لي أم لا؟

81 ـ ● وقال رجل لابن سيرين: إني وقعتُ فيك، فاجعلني في حِلّ، فقال: ما أحسبُ أن أُحلّك ممّا حرَّم اللَّه عليك.

82 ـ ● وخَطَبَ الحجّاج يوم الجمعة، فأطال، فقال له رجل: إنّ الصلاة تنتظرك واللَّه لا يعذرك، فأمر به فحبس فجاء أهله فشهدوا أنه مجنون، فقال: إنْ أقرَّ بالجنون أطلقته، فقيل له: اعترف بذلك وتخلّصْ، فقال: واللَّه لا أقول إنه ابتلاني وعافاني.

❀ ❀ ❀

83 ـ ● وحدَّث الحسن البصري[1] بحديث، فقيل له: عمَّن؟ فقال: وما تصنع بعَنْ منْ، أمّا أنت فقد نالتك عظته وقامت عليك حُجّته.

❀ ❀ ❀

84 ـ ● وقيل لعبد اللَّه بن جعفر، ونُظر إليه يُماكس في درهم: أتُماكس في

(1) **الحسن البَصْري**: وُلد في المدينة لسنتين بقيتا من خلافة عمر، من أبوين غير عربيين من الموالي، كان ربيب زوج النبي أم سلمة، انتقل من المدينة إلى البصرة وجعلها دار إقامة فَنُسِبَ إليها وُصف بالفصاحة والعلم والتقوى، كانت له حَلقة في مسجد البصرة من رُوّادها واصل بن عطاء الذي ما أن أثبت المنزلة بين المنزلتين أمره الحسن البصري باعتزال مجلسه، فأطلق الناس عليهم اسم المعتزلة، أدرك نيّفاً ومائة من الصحابة. توفي ودُفن في البصرة.

سأله أحدهم: كيف تقول: قال رسول اللَّه وإنك لم تدركه؟ فأجاب بقوله: كل شيء سمعتني أقول: قال رسول اللَّه، فهو عن علي بن أبي طالب، غير أني في زمان لا أستطيع أن أذكر عليّاً، خوفاً من الحَجّاج. والعجيب أن الشاعر الرصافي قد عدَّه من الشخصيات المريبة!! انظر: «**السير الحلبية**» 2/ 89، أيضاً: «**الشخصية المحمدية أو حلّ اللغز المقدس**» للشاعر الرصافي، ص 748، منشورات الجمل.

درهم وأنت تجود بما تجود به؟ فقال: ذاك مالي جُدْتُ به، وهذا عقلي بَخِلْتُ به.

❀ ❀ ❀

85 ـ ● ورُوي أن أبا العيناء[1] محمد بن القاسم اليَماني حدَّث بعض الزبيريين بحديث في فضائل أهله، فقال له الزبيريّ: أتجلب التّمر إلى هُجر؟ فقال الزبيريّ: نعم، إذا أجدب أرضُها وعاوم[2] نخلُها.

وعن أبي العيناء قال: لمّا دخلتُ إلى المتوكل، دعوتُ له وكلّمته، فاستحسن خطابي وقال لي: يا أبا محمد، بلغني أن فيك شرّاً، فقلت: يا أمير المؤمنين، إن يكن الشّر ذكرُ المُحسن بإحسانه والمُسيء بإساءته، فقد زكّى اللّه تعالى وذمّ، فقال في التزكية: ﴿نِعْمَ ٱلْعَبْدُ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ﴾[3]، وقال في الذمّ: ﴿هَمَّازٍ مَّشَّآءٍ بِنَمِيمٍ ۝١١ مَّنَّاعٍ لِّلْخَيْرِ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ ۝١٢ عُتُلٍّ بَعْدَ ذَٰلِكَ زَنِيمٍ﴾[4]. فذَمّه اللّه تعالى حتى قذفه. قال الشاعر:

إذا أنا بالمعروف لم أُثْنِ دائباً ... ولم أشتم الخِسَّ اللّئيم المُذمّما

ففيم عرفتُ الخيرَ والشّرَّ باسمه ... وشقّ لي اللّه المَسَامع والفَمَا

وإذا كان الشرّ كفعل العقرب التي تلسع، والذي يُطيع لا يتميّز، فقد صانَ اللّه عبدك منه.

❀ ❀ ❀

ورُوي أنه قال له يوماً: كمْ تمدح الناس؟ فقال: ما أحسنوا وأساءوا.

❀ ❀ ❀

---

(1) **أبو العيناء محمد بن القاسم الهاشميّ** (807 ـ 896) وُلد ونشأ في الأهواز وتوفي في البصرة، أديب وشاعر، تلقى العلم على أبي عُبيدة والأصمعي، انتقل إلى بغداد واتصل بالمتوكل في سامرّاء، له أخبار ونوادر في قصر الخليفة ومجالس الأمراء حفلت بها كتب الأدب.

(2) **عاومَ الكَرْم**: كثر حمله عاماً وقَلَّ آخر.

(3) إثارة إلى سورة ص، الآية: 30.

(4) سورة القلم، الآية: 11.

وقال له يوماً، وقد دخل عليه: قد اشتقتك واللّه يا أبا العيناء، فقال: يا سيدي إنما يشتدّ الشوق على العبد لأنه لا يصل إلى مولاه، فأمّا السيد فمتى أراد عبده دعاه.

❁ ❁ ❁

ورُوي أنه قال له: ما بقي أحد إلّا وقد اغْتابك وذَمَّك غيري، فقال له أبو العيناء:

إذا رَضيَتْ عنّي كرامُ عَشيرتي فَلاَ زَالَ غَضْباناً عليَّ لِئَامُها

❁ ❁ ❁

وقال له المتوكّل: كيف ترى داري هذه؟ فقال له: رأيتُ الناس بَنُوا دارهم في الدنيا، وأنتَ بنيتَ الدنيا في دارك.

❁ ❁ ❁

وقال له: ما أشدّ عليك في ذَهَاب البصر؟ فقال: فَقْدُ رُؤيتك مع إجماع الناس على جَمَالِك.

❁ ❁ ❁

وقال له يوماً: أُريدك لمُجالستي، فقال: لا أُطيق ذلك، وما أقول هذا جهلاً بما لِيَ في هذا المجلس من الشرف، ولكن أنا رجل محجوب والمحجوب تختلف إشاراته ويخفى عليه إيماؤه، ويجوز أن يتكلّم بكلام غضبان ووجهُك راضٍ، وبكلام راضٍ ووجهك غضبان، ومتى لم أُمَيِّزْ بين هذين هلكت، فقال: صدقت.

ورُوي أنه قال له: لولا أنّك ضرير لَنَادمتُك، فقال له: إنْ أعفيتني من رؤية الأَهِلَّة وقراءة نَقْش الخَواتيم، فإنّي أَصْلُحُ.

❁ ❁ ❁

وقال له المتوكل: ما تقول في ابن مكرم والعبّاس بن رُسْتم؟

فقال: هما الخمر والميسر، وإثمهما أكبر من نفعهما، قال له: بلغني أنّك

تودّهما، فقال: لقد ابتعت الضلالة بالهدى والعذاب بالمغفرة[1].

❀ ❀ ❀

وقال له يوماً: إنّ سعيد بن عبد الملك يضحك منك، فقال: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ أَجْرَمُوا۟ كَانُوا۟ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يَضْحَكُونَ ﴿٢٩﴾﴾[2].

❀ ❀ ❀

وقال أبو العيناء: قال لي المنتصر: ما أحسنُ الجواب؟ قال: فقلت: ما أسْكتَ المُبْطل وحيَّر المُحِقّ.

❀ ❀ ❀

وقيل لأبي العيناء: إبراهيم بن نوح النصراني عاتب عليك، فقال: ﴿وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ ٱلْيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ﴾[3].

ورآه زرقان وهو يُضاحك نصرانياً، فقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ ٱلْيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوْلِيَآءَ﴾[4] فقال أبو العيناء: ﴿لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ﴾[5].

❀ ❀ ❀

86 ـ ● وفي «الدُّرر»، أخبرنا الحسن علي بن محمد الكارمي قال: أخبرني محمد بن يحيى الصولي قال: أخبرني أبو العيناء قال: كان سبب اتصالي بأحمد بن أبي داود، أن قوماً من أهل البصرة عادوني وادّعوا عليّ دَعَاوى كثيرة منها، أنني أقضي، فاحتجت إلى أن خرجت عن البصرة إلى سُرَّ من رأى، وألقيت على ابن أبي داود، وكنت نازلاً في داره أُجالسه في كل يوم، وبلغ القوم خبري، فشخصوا نحوي

(1) إشارة إلى معنى الآية: 16 ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشْتَرَوُا۟ ٱلضَّلَٰلَةَ بِٱلْهُدَىٰ وَٱلْعَذَابَ بِٱلْمَغْفِرَةِ﴾ من سورة البقرة.
(2) سورة المطففين، الآية: 29.
(3) سورة البقرة، الآية: 120.
(4) سورة المائدة، الآية: 51.
(5) سورة الممتحنة، الآية: 8.

إلى سُرَّ من رأى، فقلت له: إن القوم قدموا من البصرة يَدَاً علي، فقال: ﴿يَدُ ٱللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْۚ﴾[1]. فقلت: لهمْ مكر، فقال: ﴿وَيَمْكُرُ ٱللَّهُۖ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ﴾[2] فقلت: هم كثيرون، فقال: ﴿كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةًۢ بِإِذْنِ ٱللَّهِۗ﴾[3] فقلت: للّه درّك أيها القاضي، فأنت واللّه، كما قال الصموتي الكلامي:

لـلّـه درّكَ أيُّ جُـنَّـةِ خـائـفٍ ... ومَـتَـاعُ دنـيـا أنـت لـلـحَـدَثَـانِ
مُـتَـخَـبِّـطٌ يَـطـأُ الـفُـحُـولَ غُـلُـبَّـةً[4] ... وطْـأَ الـفـنـيـق دَوَارِج الأقـران
ويـكـتـبـهـم حـتـى كـأن رؤوسَـهـم ... مـأمُـومَـةٌ تـنـحَـطُّ لـلـغـربـان
ويُـفـرِّجُ الـبـابَ الـشـديـد رِتـاجُـهُ ... حـتـى يَـصـيـرَ كـأنـه بـابـان

فقال لابنه الوليد: اكتبْ هذه الأبيات، فكتبها.

❁ ❁ ❁

ودخل أبو العيناء على الحسن بن سهل فأثنى عليه، فأمر له بعشرة آلاف درهم، فقال واللّه ما استكثرت كثيرك أيها الأمير ولا أَسْتَقلُّ قليلك، قال: وكيف ذلك؟ قال: لا أستكثر كثيرك لأنك أكثر منه، ولا أستقلُّ قليلك لأنه أكثر من كثير غيرك.

وقال له عبد اللّه بن يحيى بن خاقان: اعذرني فإني مشغول، فقال له: إذا فرغت لم أحتج إليك.

وقال له يوماً: قد تبيّنتُ فيك الغضب يا أبا عبد اللّه، فقال له: قد أجلَّ اللّه قدرك من غضبي، إنما يغضب الرجل على من دونه، وأمّا على من فوقه فلا، ولكن أحزنني تقصيرك فسمّيتَ حزني غضباً.

❁ ❁ ❁

(1) سورة الفتح، الآية: 10.
(2) سورة الأنفال، الآية: 30.
(3) سورة البقرة، الآية: 249.
(4) **الغُلبَّةُ من الرجال**: مَنْ يَغلب سريعاً.

ويُقال إن صاعد بن مخلد كان من أحسن من أسْلم، فصار إليه أبو العيناء مرّاتٍ كثيرة، فَحُجب، فقيل له: إنه مشغول بصلاته، فقال: لكلّ جديدة لذّة.

❁ ❁ ❁

ودخل يوماً على أبي الصقر ابن بليل في وزارته، قال له: ما أغفلك عنّا يا أبا عبد اللّه؟ فقال: سُرق حماري، قال: كيف سُرق؟ فقال له: لم أكن مع الذي سرقه حتى أخبر بما كان، فقال: هلّا أكتريتَ أو استعرت أو اشتريت؟ فقال: أقعدني عن الشراء قلّة شيء وكرهت منَّةَ العَوَاري وذِلَّةَ المكاري، فوهب له حماراً وواصله.

❁ ❁ ❁

وأدناه يوماً أبو الصقر ورفعه، قال: تُدنيني حتى كأني بعضك وتُبعدني حتى كأني ضدّك.

❁ ❁ ❁

ويُقال أنَّ أبا علي الضرير قال لأبي العيناء، وكان بينهما ملاحاة: في أي وقت وُلدت؟ قال: قبل طلوع الشمس، قال له: خرجت شحّاذاً سائلاً لأنه الوقت الذي يُنشر فيه السؤال.

❁ ❁ ❁

وفي «الدُّرر»، أخبرنا أبو عبد اللّه المرزباني قال: أخبرني محمد بن يحيى الصّولي قال: حدّثنا أبو العيناء قال: ما رأيتُ قطّ أحسن عند حاجة من ابن عائشة، قلت له يوماً: كان أبو معمّر المخزومي يصلك، ثم جفاك، فأنشد:

فإنْ تَنْأى عَنَّا لا تَضُرْنا وإنْ تعدْ تَجِدْنا على العَهْد الذي أنتَ تَعْلَمُ

❁ ❁ ❁

87 ـ ● وفي «الكافي» بسنده إلى محمد بن علي رَفَعه قال: مرَّ سُفيان الثوري في المسجد الحرام فرأى أبا عبد اللّه عليه السلام وعليه ثياب كثيرة القيمة حِسَان، فقال له: يا ابن رسول اللّه، ما لبس رسول اللّه صلى الله عليه وآله قبل هذا اللّباس، ولا أحدٌ من آبائك، فقال أبو عبد اللّه عليه السلام: كان رسول اللّه في زمان قتْر مُقْتر، وإن الدنيا بعد ذلك

أرخت عزاليها[1]، فأحقّ بها أبرارُها، ثم تَلا: ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِيٓ أَخْرَجَ لِعِبَادِهِۦ﴾[2].

88 ـ ● [قال المؤلّف: وقد كان الأئمة عليهم السلام يتربّص لهم النَّواصب فيعترضون عليهم ظناً منهم أنهم يقطعونهم، وهيهات أين الثريا عن يَدِ المُتناول].

❀ ❀ ❀

89 ـ ● رُوي أن عبّاد البصري لقي أبا عبد اللّه عليه السلام في الطَّوَاف فقال له: يا جعفر بن محمد، تلبس مثل هذه الثياب وأنت في هذا الموضع، مع المكان الذي أنت فيه من عليّ؟ فقال عليه السلام: ثوبي فَرُقبى[3] بدينار. وكان عليه السلام في زمان يَستقيم له ما لبس فيه، ولو لبست مثل هذا اللباس في زماننا، لَقالوا: هذا مُرائي مثل عبّاد، وقد تقدّم أمثال هذه القصة معهم عليهم السلام.

❀ ❀ ❀

90 ـ ● ومنْ مُسْكِت ما حُكي،أن هند بنت عُتبة بن ربيعة وقفت بالموسم وقالت: يا بَني هاشم، أين أبي، أين أخي أين ابن عمي الذين كانت وجوههم تُضيء للسَّائر في الليل، ويفتق بمدحهم لسان الذاكر؟ فقال لها عقيل: «إذا دخلتِ النّار فخُذي عن شمالك تجدينهم هناك».

91 ـ ● ودخل شاب على المنصور فسأله عن وفاة والده؟ فقال: مَرِض رحمه اللّه بكذا، وترك رحمه اللّه من المال كذا، فانتهره الربيعَ وقال: بين يدي أمير المؤمنين تُوالي بالدعاء لأبيك؟ فقال الشّاب: لا ألومُك يا ربيع، لأنك لم تذقْ حَلاوة الآباء، فضحك المنصور وخجل الربيع.

❀ ❀ ❀

92 ـ ● وافتخر قوم منَ اليمن عند هشام بن عبد الملك، فقال لخالد بن

---

(1) عزالي: مفردها عزلاء: مصبُّ الماء من القربة، ويقال: أرسلت السماء عزاليها: إشارة إلى شدة المطرو غزارته.

(2) سورة الأعراف، الآية: 32.

(3) رُقبى: هبة مشروطة بين واهبٍ وموهوب له على أن تكون للحيِّ فيهما بعد موت الآخر.

صفوان: أجبْهمْ، فقال: ما عسى أن أقول لقوم هم بين ناسج بُرْد ودابغ جلْد وسائس قِرْد، ملكتهم امرأة ودلَّ عليهم هُدْهدْ وغرّقتهم فارة[1]؟

93 ـ ● ووُجدت امرأة في زِنى، فَطِيفَ بها على جمل، فقال لها بعض المُجّان: كيف خلّفت الحاجَ؟ قالت: بخير، وكانت أمّك في الرعيل الأول.

❀ ❀ ❀

94 ـ ● وقال رجل للفرزدق: متى عهدكَ بالحِرّ؟ فقال: منذ ماتت عجوزك.

❀ ❀ ❀

وقال عبد اللّه بن طاهر لرجل: ما بالُ شِدْقك معوّجاً؟ فقال: عقوبة عاقبني اللّه بها من طول ثنائي عليك.

❀ ❀ ❀

95 ـ ● وحُكي أن المتوكّل مازَح أبا العيناء فقال له: أبصرت طالبيّاً حسنَ الوجه؟ فقال: يا أمير المؤمنين، وهل يُسْأل أعمى عن مثل هذا؟ قال: إنما أسألك عمَّ سلف يوم كنت بصيراً، قال: نعم، رأيت منهم ببغداد فتىً حسن الوجه، ما رأيتُ أجملَ منه ولا ألطف بشمائل، قال المتوكل: تجده كان مؤجراً وكنتَ قوّاداً عليه؟ قال أبو العيناء: وتفرّغت لهذا يا أمير المؤمنين؟ أتراني كنتُ أدَعُ مواليّ وأُقوّد على الغرباء؟ قال: اسكتْ يا مأبون. قال مولى القوم منهم، قال المتوكل: أردتُ أن أشتفي منهم به، فاشتفى لهم منّي.

96 ـ ● وقال رجل لِقَيْنة: أريدُ أن أقتلك، قالت: ولِمَ؟ قال: لأنك زانية، قالت: وكلّ زانية تقتل؟ قال: نعم، قالت: ابدأ بمن تَعُول.

❀ ❀ ❀

97 ـ ● ولقي خالد بن صفوان الفرزدق، وكان ذميماً، وكان خالد كثيراً ما يُمازحه، فقال له: يا أبا فراس: ما أنت والذي لمّا رأينَهُ أكبرنَهُ وقطّعنَ أيديهنَّ.

---

(1) إشارة إلى سيل العرم الذي هدّم سد مأرب وإلى أن صناعة أهل الجن دبغ الجلود وأن ملكتهم بلقيس. انظر: **مروج الذهب**، للمسعودي، باب الكهانة وخبر الكاهنة ظريفة.

فقال الفرزدق: ولا أنت والذي قالت الفتاة في حقّه: يا أبتِ، استأجره، إن خير من استأجرت القويّ الأمين.

❀ ❀ ❀

98 ـ ● وحُكي أن أبا نواس لقي غلاماً جميلاً يمشي بين السكك، فقال له: ما تصنع الحور بين الدور؟ فقال الغلام: ما يصنع الشيطان بين الحيطان.

❀ ❀ ❀

99 ـ ● وحَبَس عمرو بن العاص العطاء عن جُنده، فقام إليه رجل فقال: إذا لم تُعطنا فاتخذْ جنداً لا يأكلون ولا يشربون، فقال له: اخْسَأْ يا كلب، فقال الرجل: إذن أنت أمير الكلاب.

❀ ❀ ❀

100 ـ ● وممّا يُعدّ في الأجوبة المُسكِتَة، ما حَكَاه المقّري الأندلسي في كتاب «نفح الطيب» وغيره، أن أبا عثمان المازني سأل عن حروف الزيادة، فأنشد:

هَويتُ السِّمانَ فَشَيَّبْنَني وقد كنتُ قبلاً هَويتُ السِّمَانا

فقال له: نسألك عن حروف الزيادة وأنت تنشد الشعر، فقال: سألتمونيها فأجبتكم ثلاث مرات.

❀ ❀ ❀

101 ـ ● ومنها ما حكاه أيضاً، وهو أن الرشيد هارون حضر بين يديه بعض أهل المغرب، فقال الرشيد: يُقال إن الدنيا هي طائر ذنبُه المغرب، فقال الرجل: صدقوا يا أمير المؤمنين وأنه طاووس، فضحك الرشيد وتعجّب من سرعة جَوَابه.

❀ ❀ ❀

102 ـ ● وممّا يُعدّ في الأجوبة المستظرفة، ما حكاه المسعودي في «مروج الذهب» قال: حُكي أن محمد بن سليمان[1] ركب يوماً بالبصرة، وسِوَار[2] القاضي

---

(1) محمد بن سليمان بن عبد اللّه، كان والياً للمتوكل على البصرة.

(2) سوار بن عبد اللّه القاضي، وليّ القضاء غربي بغداد ليحيى بن أكثم وكان أعورَ، توفي سنة 248. انظر: **الكامل**، لابن الأثير.

يُسايره، فاعترضه مجنون كان بالبصرة يُعرف بـ «رأس النّعجة»، فقال له: يا محمد، أَمِنَ العَدْل أن تكون غلّتك في كل يوم مائة ألف درهم وأنا أطلب نصف درهم فلا أجدهُ؟ ثم التفت إلى سِوَار فقال: إن كان هذا عَدْلاً فأنا أكفر به، فأسرع إليه غلمان محمد فكفّهم عنه وأمر له بمائة درهم، فلما انصرف محمد وسِوَار معه، اعترضه «رأس النعجة» فقال: لقد كرّم اللَّه منصبك وشرَّف أُبُوَّتك وحسَّن وجهك وعظّم قدرك، وأرجو أن يكون ذلك لخير يُريده بك ولأن يجمع لك الدَّاريْن، فَدَنا منه سوار فقال: يا خبيث، ما كان هذا قولك في البَداه، فقال له: سألتك باللَّه وبحقّ الأمير إلّا ما أخبرتني في أيّ سورة هذه الآية؟ ﴿فَإِنْ أُعْطُواْ مِنْهَا رَضُواْ وَإِن لَّمْ يُعْطَوْاْ مِنْهَآ إِذَا هُمْ يَسْخَطُونَ﴾[1] قال: في سورة براءة، قال: صدقت تبرّأ اللَّه منك، فضحك محمد بن سليمان حتى كاد يسقط عن دابته.

❀ ❀ ❀

103 ـ ● ومن الأجوبة المُسكتة القتَّالة، ما حكاه الصّفدي في «التذكرة» ما ملخّصه أن المتنبي دخل على بعض الملوك، وعنده الشيخ أبو علي الآمدي[2]، فقام له الملك وأجلَّه وأجلسه إلى جانبه، ولم يلتفت المتنبي إلى الآمدي، فقال الملك: هذا الشيخ الآمدي، فقال المتنبي: لا أعرفه، فأسرّها الآمدي في نفسه، ثم إن المتنبي أخذ في قراءة قصيدة قد أتى بها فوصل في أثنائها إلى بيت فيه لفظ التهاني والتعازي، فاغتنم الآمدي الفرصة فقال: كيف جمعت التهنئة والتعزية وهما مصدران؟ فلم يلتفت إليه المتنبي، بل التفت إلى من بجانبه فقال له: أوَ مسلمٌ الرجل؟ فضجّ أهل المجلس بأنه الشيخ المعظّم أبو علي الآمدي، فقال المتنبي: التحيات المباركات الطيّبات[3] للَّه، فخجل جميع من كان في المجلس.

❀ ❀ ❀

(1) سورة التوبة، الآية 58.

(2) أبو علي الآمدي أبو الفضائل علي بن يوسف بن أحمد الآمدي، كان قاضياً على واسط، توفي سنة 608هـ، وهناك الآمدي الآخر وهو من أعيان الشعراء، توفي سنة 550هـ. انظر: **الكامل**، لابن الأثير، 12/ 498 و11/ 217.

(3) **الطيّبات**: وردت في آيات قرآنية كثيرة، انظر: **سورة يونس**، الآية 93، **وسورة الإسراء**، الآية 70، وغيرهما كثير.

104 ـ ● ومنها ما ذكره ابن أبي الحديد في «شرح النهج» قال: دخل خالد بن عبد الرحمن بن خالد بن الوليد بن المُغيرة المخزومي مسجد الكوفة، فانتهى إلى حلقة فيها أبو الصقعب التيمي، من تيم الرّباب، والمخزومي لا يعرفه، وكان أبو الصقعب من أعلم الناس، فلما سمع علمه وحديثه حسَدَه، فقال له: ممّن الرجل؟ فقال: من تَيم الرّباب، فظنَّ المخزومي أنه وجد فرصتَه فقال: واللَّه ما أنت من سعد الأكثرين ولا من حنظلة الأكرمين ولا من عمر الأشدّين، فقال أبو الصقعب: فمِمَّنْ أنت؟ قال: من بني مخزوم، قال: واللَّه ما أنت من هاشم المنتجبين ولا من أمية المستخلفين ولا عن عبد الدّار المستحجبين، فَبِمَ تفتخر؟ قال: نحن ريحانة قيش، قال أبو الصقعب: قُبْحاً لما جئتَ به، وهل تدري لِمَ شمِّيت مخزوم ريحانة قريش؟ سُمِّيت لحظوة نسائها عند الرجال، فأفحمه.

❀ ❀ ❀

105 ـ ● ومن الأجوبة الموجزة المُسْكتة ما رُوي عن أمير المؤمنينعليه السلام وقيل له: لِمَ لَمْ تخضب ورسول اللَّهصلى الله عليه وآله لم يترك الخضاب؟ فقالعليه السلام أنا في حزنٍ بعده.

وقال لسائلٍ آخر: إن رسول اللَّهصلى الله عليه وآله وعدني بخضابها[1] وأنا أنتظر وعده.

وصدق في الجوابين، وآية ذلك أن كلًّا منهما (كان) جواباً كافياً، ولو اجتمعا لكانا جواباً وافياً.

❀ ❀ ❀

106 ـ ● ومن الأجوبة المسكتة، ما حكاه في «الأغاني» عن ذي الرّمة[2]، أنّ رجلاً عارضه وأراد أن يهزأ به فقال له: يا أعرابي أتشهّد بما لا ترى؟ قال: نعم أشهد أن أباك نَاكَ أمَّك.

107 ـ ● ومن الأجوبة المقنعة ما نقله إليَّ الأستاذ أبو الحسن شيخنا الشيخ

---

(1) إشارة إلى أنه سيقتل وتخضب الدماء شعر رأسه.

(2) **ذو الرِّمَّة**: هو غيلان بن عقبة، كنيته أبو الحارث من بني صعب، كان أحد عشّاق العرب المشهورين وصاحبته ميّة، لما حضرته الوفاة قال: أنا نصف الهرم، أي أنا ابن أربعين. انظر: **الشعر والشعراء**، ص 356.

عبد اللّه نعمة العاملي[1] عن «زهر الربيع» للسيد نعمة اللّه الجزائري[2] قال: كنت أقرأ يوم الجمعة في حضرة مولانا الرّضا عليه السلام دعاء السّمات، فوصلت إلى لفظة «الكرّوبيين»[3] فقرأتها بتخفيف الرّاء، فإذا سيد جليل على رأسي يقول: اقرأ جيداً يا سيّد: الكرّوبيين بتشديد الرّاء، فقلت له: لا يوجد فُعُّولٌ في لغة العرب، فقال بلا توقف: يا حيّ يا قيّوم، ثم لم أره.

❁ ❁ ❁

108 ـ ● ومنها ما حكاه لي، أيّده اللّه، عن نفسه أنه عرض على بعض علماء العجم أبياتاً له منها:

فَلاَ رجعت ركابي خائباتٍ وفي قَصْد النبيّ لقيتُ هَوْني

فقال: أطال اللّه بقاه، ليس في العربية هَوْن، فقال: ﴿أَيُمْسِكُهُ عَلَىٰ هُونٍ﴾[4]، فتعجب في سرعة الجواب مع صحّته.

❁ ❁ ❁

109 ـ ● وحكى لي، أدامه اللّه، أنه اعترض العلّامة المجلسي[5]، الماهر مُلّا محمد باقر، بعض علماء الصوفية، وكان اسمه طاهر، فقال له: باقر، ممَّ يُشتقُّ؟ فقال المجلسي: من اسم حيوان بوله وخَرَاؤه طاهران! فكان ذلك منه رضي الله عنه، أعظم جواب وأنكاه لخصم.

❁ ❁ ❁

110 ـ ● قال المؤلف: وممّا يُعدّ في هذا الحساب ما اتفق لي أن جمعني

---

(1) **الشيخ عبد اللّه نعمة الجُبعي** (1219 ـ 1303) مؤسّس مدرسة جُبَع، قرأ عليه فيها العديد من العلماء الأعلام، منهم السيد محسن الأمين صاحب «**أعيان الشيعة**» وكان أديباً شاعراً وعالماً. انظر: «**أعيان الشيعة**» مجلد 8، ص 60.

(2) **نعمة اللّه الجزائري**: الشهير بالسيّد أغاتي (ت: 1151)، كان على معرفة شاملة بالعلوم الهندسية والرياضية وشاعراً مجيداً، له ديوان شعر. انظر كتابه: «**زهر الربيع**».

(3) **الكرّوبيون**: سادة الملائكة أو المُقَرّبون منهم وهي عبرية.

(4) **الهَوْن**: الخزيُ والذُّلُّ، ﴿أَيُمْسِكُهُ عَلَىٰ هُونٍ﴾، سورة النحل، الآية: 59.

(5) صاحب كتاب بحار الأنوار.

الطريق مع بعض علماء النصارى، فأخذنا في الحديث إلى أن قلت له: ما دليلك على ربوبية عيسى؟ فتلا آية من الإنجيل، فقلت له: شاهدُ الثعلب ذَنَبُه، فقال: عيسى أحيا الميت، فقلت له: موسى أحيا الجماد وهو العصا. فقال: عيسى وُلد من غير أب، فقلت له: عَدِّ بنا عن آدم، ولكن قُلْ لي أوّل فرس خلقت وأوّل كلب خلق وأول حمار خُلق، وهكذا بقية الحيوانات، فإنها كلها، في بدء الأمر، بلا أم ولا أب، فأُفحم وسكت ثم افترقنا.

111 ـ ● ومنه أنه كُنّا يوماً في النجف الأشرف، في دعوة عند بعض العلماء (ره)، فلما قدمنا، وكُنّا جماعة من عاملة، قال (ره): قَدِمَ العَوَامل، وظنَّ أنّا لا نفطن له «قدم العوامل»[1] فقلت له: إن كان، فعلى السَّوائم، فاستظرف ذلك.

❀ ❀ ❀

112 ـ ● وسايرتُ بعض مشايخي يوماً فقال: تَقدَّمْ، فقلتُ له: لا أتقدم حتى أسمع ما تقول، فقال لي مُتلطّفاً: أنت لا تسمع إلّا من وَراء، فقلتُ له: أنا فلاح، فسكت ولم يُراجعني، فما أدري لم يسمعها أم سمعها ولم يفهمها، أم فهمها ورآها النهاية.

❀ ❀ ❀

113 ـ ● وممّا يُعدّ ويدرج في هذا الحساب، أني وفدتُ على (الزريرية)[2] سنة 1288هـ، قرية من قرى عاملة، بلادنا، فقرَّب لي الأديب النجيب محمد نجيب ابن المرحوم علي بك الأسعد النصَّاري الوائلي، وهو غلام ما طرّ شاربه، شقة[3] بليغة المراد، يعترض فيها على الزمان وأهله، ويخصّ العلماء بتركهم الوعظ للعامة ورَدْعهم عن الفساد، فأجبته على ظهرها ما هذا لفظه:

«ليس هذا بعجيب من نجيب، وكم وليد سبق الشُّيبَ بآراء وتهذيب، لا سيما

(1) **العوامل**: أي الثيران العاملة في حراثة الأرض. **والسَّوَائم**: البهائم.
(2) **الزريرية**: بلدة من قضاء الزهراني اليوم، كانت ملكاً لآل الأسعد في تلك الأيام.
(3) **شقّة**: مَقَالة.

إن كان من بيت مجد وبحبوحة شرف وقاعدة جلالة، فأُمّ الصّقر لا تقوم إلّا عن صقر، وأبُ اللّيث لا يَلِدُ إلّا ليثاً، فأحمد اللَّه سبحانه على تنبّهك، وأرجو من اللَّه تعالى أن لا تكون ممّن لا يقال له:

يـا أيّـهـا الـرجـلُ الـمـعـلـم غـيـره   هـلاّ لِـنَـفْـسـكَ كـان ذا الـتـعـلـيـمُ

وما ذكرته من العتب على الزمان وأهله، هو في محلّه، فإنّ الزمان قد حان وخلا المكان من الخلّان، والناس ليست بناس، وأهل الحق في أضيق من دائرة الفأس.

كأنْ لم يكنْ بين الحُجون إلى الصّفا   أنـيـسٌ ولَـمْ يَـسْـمَـرْ بـمـكّـة سـامـرُ[1]

ولكن ما ذكرته من العتب على رؤساء المذاهب والاعتراض عليهم بما هو واجب، لا يخلو عن تحمّل عليهم وظلمهم. فإن الحجّة البالغة، إن شاء اللَّه، لهم لا عليهم، حيث بلغ الحال في زمانك هذا إلى هجْرهم وعدم طاعة نَهْيهم وأمرهم، فهم أحد الثلاثة التي تشكو إلى ربّها يوم القيامة، وهي مصحفٌ مهجور ومسجد مهجور وعالِمٌ مهجور، واعلمْ يا بُنيّ زاد اللَّه في رشدك، أنّ مثل العالم كمثل الشجرة المثمرة، إن هَزَزْتها وقع لك من ثمرها، وإن تركتها بقي ثمرها عليها، فهل توجب على الثمرة، أن تُنادي المارّة وتقذفهم بالأثمار؟ وأبيكَ، لا سيما وأكثر من تفتح عليه عينَك من الناس يَعدّون العلماء بمنزلة شجرة خلاف لا ثمر فيها بل شجرة حنظل ثمرها مُرّ، فكيف تُكلّفهم مع هذا الحال بصعود المنابر، ووعظ الناس؟ ولئن فعلها أحدهم فيجعلونه أُضحوكة، بل يُخشى عليه أن يُقذف بالحجارة، وعلى رسلك يا بني فإن اللَّه ما كلّف العباد حتى عضَدهم بالعقل وجعله مَحطّ الثواب ومحكّ العقاب، فإذا لم يكفِ لِزَجْرهم لم ينتفع بنهيهم وأمرهم.

من لم يكن له من نفسه واعظ لم تنفَعْهُ المَوَاعظ، ومع هذا فالبلوى عامّة والأمر مُتفاقم، وللَّه سِرٌّ هو بالغُه، أقول قولي هذا واستغفر اللَّه لي ولَكَ ولجميع أهل الإيمان، واسأله المعونة على هذا الزمان».

---

(1) البيت مرّ ذكره في مقدمة المؤلف (باب العلم) فراجعها.

114 ـ ● ومن الأجوبة القاطعة للحجة ما في قوله تعالى رداً على اليهود حيث قالوا: ﴿لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ إِلَّآ أَيَّامًا مَّعْدُودَةً﴾[1] يعنون أربعين يوماً عدد أيام عبادة العجل فكان الجواب من اللّه خطاباً لنبيه: ﴿قُلْ أَتَّخَذْتُمْ عِندَ ٱللَّهِ عَهْدًا فَلَن يُخْلِفَ ٱللَّهُ عَهْدَهُۥٓ أَمْ تَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾[2].

❁ ❁ ❁

115 ـ ● ومن المُسْكِتَات المُجُونية، ما حدثني به جماعة من المعاصرين في صور، قالوا: كان عندنا قاضٍ يُسمَّى الشيخ حسن بشير، وكان في البلد رجل مصريّ يُسمّى الحاج مصطفى، وكان دأبُهُ شهادة الزور بالرشوة، وكان له امرأة غاضَبَتْهُ فطلّقها، فما مضت عليه الأيام حتى غضب عليه القاضي لسبب، فتربّص به حتى شهد شهادة أثبتَ عليه القاضي تزويرها، فأمر بطَوافه في البلد راكباً على حمار ووجهه مصبّغ بالنيل والكرش على رأسه، والحذاء مربوط على آذانه، والناس خلقٌ لا يُحصى خلفه للفرجة، فلما مرّ على زوجته المطلقة ونظرته، اشتفت به وأرادت تَبكيتَهُ وتُعلمه أنها ممن رأته بتلك الحالة، فقالت له: دَه دَه يا حكٍّ (يا حاج) مصطفى! فأجابها بلا توقف: تزوجتك بلا زفاف فأخرّوها إلى الوقت دَهْ!

116 ـ ● ومنها أنه كان في عصرنا تاجر مسيحي مُعْتَبر في صيدا، اسمه يوسف ويُلقَّب بالذّبانة، وخرج في سنة حادثة الجبل إلى الإسكندرية وأقام بها، فوقع بينه وبين إحدى الخالعات عِذَارَها مُبايَنَة، وكان اسمها ساكنة، فمرّت يوماً بمخزن ذلك التاجر وعلى الباب مُكارٍ معه حماره فأرادت تبكيت التاجِر، فقالت: يا مَكاري نِشّ الذّبانة عن دبر الحمار، فأجابها التاجر بلا مهلة: إنها «ساكنة» يا ستّ.

❁ ❁ ❁

117 ـ ● ومنها أن رجلاً من الناصبة قال لرجل من الرَّافضة: أتدري ما يقول الحمار في نهيقه؟ قال: لا، قال: إنه يترضّى عن فلان وفلان، فقال له: كشفت عنّي

---

(1) سورة البقرة، الآية 80.

(2) تتمة الآية 80 من سورة البقرة.

غُمَّة، فإني لم أزلْ مُتَفكّراً في ذنب هذا الحيوان الصامت، بأيّ شيءٍ استحقّ الذّمّ، فكتاب اللّه تعالى يقول فيه: ﴿إِنَّ أَنكَرَ ٱلْأَصْوَٰتِ لَصَوْتُ ٱلْحَمِيرِ﴾(1).

❀ ❀ ❀

118 ـ □ وحيث كان ابتداء هذا الفصل بالحُجج القاطعة والأجوبة المسكتة من الكتاب العزيز، فَلنختمه بمثلها.

فمنها قوله تعالى حكاية عن إبراهيمﷺ جَواباً لِمُشْركي قومه: ﴿وَكَيْفَ أَخَافُ مَآ أَشْرَكْتُمْ وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُم بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ عَلَيْكُمْ سُلْطَٰنًا﴾(2) فأيّ الفريقين أحق بالأمن؟

❀ ❀ ❀

119 ـ ● ومنها حكاية عن موسى، لما قال فرعون له ولِهَارون: من ربّكما يا موسى؟ قال: ربنا الذي أعطى كلَّ شيءٍ خلقه ثم هدى، قال: فما بال القرون الأولى؟ قال: ﴿عِلْمُهَا عِندَ رَبِّى فِى كِتَٰبٍ لَّا يَضِلُّ رَبِّى وَلَا يَنسَى﴾(3).

❀ ❀ ❀

120 ـ ● ومنها حكاية الاعتراض عن بعض المنافقين الذين قالوا لإخوانهم: وقعدوا ولو أطاعونا ما قُتلوا، فأمر اللّه تعالى نبيّه بالجواب: ﴿قُلْ فَٱدْرَءُوا۟ عَنْ أَنفُسِكُمُ ٱلْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾(4).

❀ ❀ ❀

121 ـ ● ومنها جواب لمُنكري البعث حيث قالوا: ﴿مَن يُحْىِ ٱلْعِظَٰمَ وَهِىَ رَمِيمٌ﴾ ﴿قُلْ يُحْيِيهَا ٱلَّذِىٓ أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ﴾(5).

(1) سورة لقمان، الآية: 19.
(2) سورة الأنعام، الآية: 81.
(3) سورة طه، الآية: 52.
(4) سورة آل عمران، الآية: 168.
(5) سورة يس، الآيتان: 78 ـ 79.

من تاريخ جبل عامل في سنة 1281هـ

1 ـ □ في سنة إحدى وثمانين، وفد إلى الدّيار الشّامية جَرادٌ كثير، دفعات متعددة حتى ملأ البلاد وباضَ وفَرَّخ وأكل كثيراً من الزروع الشتوية، ولم يدع من الصيفية إلّا القليل، وفعل بالأشجار ما لا تفعله النار بيابس الحطب، وهو باقٍ إلى الآن وقد صار له ما ينوف عن تسعة أشهر، وقد صار له في الدّيار الحلبيّة والعراق نحواً من أربع سنين، وأظنّه هذه السنة فارقهم ورافقنا، نسأل اللّه أن يُعجّل فراقه، فإن بلادنا لا تحمله أكثر من هذا.

ونقل لي من كان في بلاد العجم أنه موجود في تلك البلاد، واشتهر النقل أنه كثير في أطراف الدّيار المصرية.

❀ ❀ ❀

2 ـ □ وفيها كثر الهدلان[1] في البقر ومات كثير في جملةٍ من القُرى من بلادنا، وزاد في نواحي غزة والقدس ونابلس حتى أفنى البقر في جملة من تلك النواحي، وكان قبلها حلَّ في الدّيار المصرية فلم يُبقِ ولم يذر حتى خَلَتْ من الحيوان، وبقي فيها نحو سنتين، ثم جُلبتْ إليها الحيوانات من سائر الأقطار، وبيعَتْ بأغلى الأثمان لاحتياجهم إليها، حتى أن الجاموسة بِيْعَتْ بعشرة آلاف وأَزْيَد، وكذا الخيل والإبل ونحوها بِيْعَتْ بأثمان بليغة، نسأل اللّه الدّفع عن جميع المؤمنين.

❀ ❀ ❀

3 ـ □ وفيها حصل وباء عظيم في الحاج بمكّة ومنى حتى هلك خَلْق كثير.

❀ ❀ ❀

(1) **الهدلان**: مرض من ظواهره ارتخاء الشفاه ويُسمّى (الحافور) عند العامة.

4 ـ □ وفيها كثر القرّاد على الحيوانات حتى أنك لتجد على عضو الدّابة الصغيرة ما لا يُكال، وإذا أُزيل عنه جدَّ غيره، وبالجملة وجدنا آفات هذه السنة من العَجَائب كثرةً وغرابةً، ونظرنا في تاريخها فوجدناه موافقاً لفظ: ظهر الفَسَاد.

❀ ❀ ❀

5 ـ □ وفيها جاء خورشيد باشا إلى بيروت وإلى صيدا، واعتقل رئيسيّ بلادنا علي بك الأسعد وابن عمّه محمد بك الأسعد[1] وأخذهما إلى بيروت ووضعهما في القشلة، وأغرى أهل البلاد بهما، فأقاموا عليها دعاوى كثيرة، وبقيا في اعتقاله إلى أن عُزل، نحو ستة أشهر.

1 ـ □ **ثم دخلت سنة الاثنين وثمانين**، وكان تاريخها الفساد ظاهر بزيادة الألف في ظهر، وهو مناسب لبقاء تلك البلاوي السابقة، وزيادة فإن فيها انتقل

(1) إشارة إلى الآية 133 من سورة الأعراف ونصُّها: ﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلطُّوفَانَ وَٱلْجَرَادَ وَٱلْقُمَّلَ وَٱلضَّفَادِعَ وَٱلدَّمَ ءَايَٰتٍ مُّفَصَّلَٰتٍ فَٱسْتَكْبَرُواْ وَكَانُواْ قَوْمًا مُّجْرِمِينَ﴾.

(2) **علي بك الأسعد** (1821 ـ 1865): علي بن أسعد النصّار، تولى أمر الحكومة الإقطاعية من قبل السلطنة العثمانية بعد وفاة عمّه حمد البيك وحمل لقب شيخ مشايخ بلاد بشارة عُرف بحبّه لأهل الأدب والعلم وتقريبه لهم منه، وأجزل العطاء لهم وكان شاعراً ومن أشهر شعره قصيدته العينية التي مطلعها:

خَليليَّ ما هذا الجفا والتقاطعُ ... وماذا التَّنائي والدموعُ هَوَامِعُ

هذه القصيدة شرحها العلّامة اللّغوي الشيخ علي السبيتي في كتابه المشهور «**الجوهر المجرّد في شرح قصيدة علي بك الأسعد**». وله ترجمة وافية في موسوعة «**أعيان الشيعة**» للسيد محسن الأمين العاملي.

ومن الطرق الشعرية التي وقفت عليها في أوراق للشاعر المؤرخ العلّامة، الشيخ سليمان ظاهر، يقول العلّامة ظاهر أن مفتي بيروت الشيخ أحمد الأغرّ كتب إلى علي بك:

في باب كلّ صَنعةٍ تَدخلُها بوَّابُها ... يا طَالبَ الخيراتِ فُزْ إنّ عَليّاً بَابُها

فأجابه علي بك:

هذا الأغَرّ أخو التقي ... نورُ الهداية مِنْهُ يَصعدْ
يا طَالبَ العلمِ النفيسِ ... مَدينةٌ للعلم أحمدْ

وفي هذا تضمين للحديث النبوي الشريف: «أنا مدينة العلم وعليّ بابُها».

أما الرئيس الثاني الذي ذكره المؤلف هو محمد بك الأسعد ابن عم علي بك الأسعد ورئيس فرسانه ومعاونه في إدارة البلاد وتوفي معه بالشام وبالدّاء نفسه بعيدين عن الأوطان.

الوباء إلى مصر وأفرط في هَلاك الأنفس، وكثرت الضّفادع في جملة من المواضع، فأشبه عصرنا عصر قوم فرعون بالجراد والضفادع والقمل والدّم آيات مفصّلات[1]، ثم فشا الوباء في بيروت والشام، وغالبَ البلاد، وبه مات علي بيك وابن عمه المذكوران بالشام، وكانا قد نُقلا من بيروت بعد عَزْل خورشيد باشا ومجيء رُشدي باشا حكمَداراً على بلاد الشام كلها من اللاذقية إلى غزّة، فأخذهما معه إلى الشام، فأقاما شهراً، فحصل الوباء وكانا من أوّل مَنْ مات به، عفا اللّٰه عنهما بِمَنّهِ وكرمه، فلعمري لقد انهدّ بموتهما ركنٌ عظيم طالما كان المجد بأكتافه يُقيم، لكنه الموت لا مفرَّ منه، فإنّا للّٰه وإنّا إليه راجعون.

❁ ❁ ❁

2 - ☐ وبها رجع الجراد مرّةً ثانية إلى البلاد، فأظهر في الأرض الفَسَاد، وأكل جملة من أرزاق العباد، وبواسطة وجوده في تلك السنة والتي قبلها، حصل غلاء عظيم، لكن تَدَارك اللّٰه باللّطف مجيء الحنطة والشعير والذرة والدّقيق من بلاد الترك وغيرها من بلاد أرُبا (أوروبا)، إيطاليا وغيرها.

❁ ❁ ❁

3 - ☐ وفي تلك السنة حصل خُلْف بين أهل بنت جبيل، الذين هم مسلمون شيعة وأهل عينبل (عين إبل) نصارى كاثوليك وروم، وصار فيه قَتْل وبعض السّلب، فحضر الحكمدار واعتقل جملة من أهل بنت جبيل ونَفَاهم إلى بيروت وطرابلس وقلعة الحُصْن، وأحرق بعض البلد وأحرق (طربيخا) بأسرها لِقَضية وقعت بين رجل من أهلها يُسمى جولان، وبين واحد من النصارى من بعض قُرى صفد، فقتله جولان وهرب، وكان جولان فاتكاً قد دوّخ الناس بالسرقات والقتل، فشدّد الوالي في طلبه، فقبض عليه وأرسله إلى حبس عكا، فهرب في الطريق، بعد أن فتك في من كان معه من قِبَل الوالي، وكاد أن يُجهز عليه، ثم قُبض عليه بعد ذلك، وأُحرقت البلاد لأجله ونُهبت، ثم إن الوالي أمر باعتقال أحد الوجوه،

---

(1) إشارة إلى الآية 133 من سورة الأعراف ونصُها: ﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الطُّوفَانَ وَالْجَرَادَ وَالْقُمَّلَ وَالضَّفَادِعَ وَالدَّمَ ءَايَٰتٍ مُّفَصَّلَٰتٍ فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا مُّجْرِمِينَ﴾.

الحاج حسين فرحات ومحمود بزّة وأحد العلماء: ابن خالي الشيخ حسن سبيتي والسيد محمد أمين، فأخذهم إلى بيروت وبقوا في الاعتقال نحو عشرة أشهر، وكان خروجهم بعد الوالي المذكور ومجيء مُخْلص باشا مكانه، وكان مُخْلصاً كاسمه، وقد واجهته وجرى بيني وبينه مُسامرات ومذاكرات، وكان حليماً حكيماً، أقام في بلاد الشام أقلّ من سنة وعُزل ولم يصنع في مدّة حكومته شيئاً مع أحد، زوّده اللّه التوفيق أينما توجّه.

❀ ❀ ❀

1 ـ □ **ثم دخلت سنة الثلاث وثمانين**، وفيها، في خامس رجب ليلة الأربعاء، لِسِتّ ساعاتٍ خَلَوْنَ منها، كثر وقوع الشّهب على خلاف العادة، حتى ما بقي نجم إلّا وتخيّل أنه وقع منه شهاب، واستمر ذلك إلى الساعة الحادية عشرة في تلك الليلة، ولم نَرَ ولم نسمع ولم يُنقل لنا مثل ذلك، إلّا ليلة ولادة نبيّنا ﷺ، وما أظن وقوع هذا الحادث مثل ذلك أو قريب منه.

فَتَفَطّن ولا تغفل ولا تعتبر بكلام من يزعم من النصارى أنه يحدث في كل أربعين سنة مرّة، فإنّا قد تجاوزنا الأربعين من السنّ، ورأينا من تجاوز الستين والسبعين والمائة، ولم يذكر لنا ذاكر ولا تكلّم به مُتكلّم ولا رواه راوٍ ولا أرّخه مؤرخ ولا حدّث به حكيم ولا منجّم، وكأن هذا الزاعم يُريد الرّدّ على المسلمين، حيث يحكمون بأن الشهب ترمي بها الشياطين، وأنهم ليلة ولادة عيسى حُجبوا عن السماء الرّابعة وليلة ولادة نبيّنا محمدﷺ حُجبوا عن سماء الدنيا، والكتاب العزيز صدع بما حكموه من رمي الشياطين بتلك الشّهب، قال تعالى في سورة الصّافات: ﴿إِنَّا زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنۡيَا بِزِينَةٍ ٱلۡكَوَاكِبِ ۝٦ وَحِفۡظٗا مِّن كُلِّ شَيۡطَٰنٖ مَّارِدٖ ۝٧ لَّا يَسَّمَّعُونَ إِلَى ٱلۡمَلَإِ ٱلۡأَعۡلَىٰ وَيُقۡذَفُونَ مِن كُلِّ جَانِبٖ ۝٨ دُحُورٗاۖ﴾[1] وقال في سورة تبارك: ﴿وَلَقَدۡ زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنۡيَا بِمَصَٰبِيحَ وَجَعَلۡنَٰهَا رُجُومٗا لِّلشَّيَٰطِينِۖ وَأَعۡتَدۡنَا لَهُمۡ عَذَابَ ٱلسَّعِيرِ﴾[2]. ونحن نسأل اللّه سبحانه أن لا يُزيغ قلوبنا عن شيء ممّا دلّنا عليه في كتابه. فإن قلتَ: ما تقول في

(1) سورة الصّافات، الآيات: 6 ـ 7 ـ 8 ـ 9.
(2) سورة تبارك (الملك)، الآية: 4.

ما ذكره الحكماء أن الشّهبَ تحدث في الطبقة الثالثة من الهواء، بواسطة قرب الأبخرة من كُرة النار؟

قلتُ: لا يُلتفت إلى كلامهم، حيث إنهم يتكلمون عن تخمين وظنون لا تُفيد علماً ولا عملاً، كما يرتاب فيه من كان له خبرة بكلامهم، ومع ذلك فلا مانع من أن يكون اللّه بحكمته يُحدثُ هذه الشّهب في كُرة الهواء بواسطة حرارة الأثير التي هي كُرة النار الحادثة من الأفلاك والكواكب، فتصحّ نسبة الشهب إلى كلّ من الكواكب كما في الكتاب، وإلى كرة الأثير كما يقوله الحكماء، ويكون اللّه سبحانه قد علم بدقائق حكمه وحكمته، الوقت الذي تسترق فيه الشياطين السَّمْع، فتُرمى بذلك الشهاب على النحو المذكور(1).

❀ ❀ ❀

2 ـ ☐ وفيها، في شهر رجب الموافق تشرين الثاني في الحساب الرّومي، وقعت سيول عظيمة في أماكن متعددة، أفسدت جملة من الطرق والمزروعات في جملة من الأماكن في بلادنا، وجاءت الأخبار بمثلها عن القسطنطينية حتى قيل أنّ الناس كادت أن تغرق في الأزقّة، وكذلك وقع في جمادى الآخرة في حلب ونواحيها وديار بكر واستصحبه ثمة صَوَاعق وبُروق أهلكت جملة من الحيوانات والعمارات.

❀ ❀ ❀

3 ـ ☐ وفيها كثر المطر في أوائل السنة، قبل فصل الشتاء، وتقدّم عن عادته أكثر من ثلاثين يوماً وصار الربيع في بلادنا في الخريف قبل أوانه، وهي سنة يظهر عليها الخصب، نسأله تعالى أن يوافق خاتمتها الفاتحة.

❀ ❀ ❀

(1) إن قول المؤلف إنه لم يَر ولم يسمع ولم ينقل إليه إلخ. . . لا يعني بالضرورة أن هذه الظاهرة الكونية ليست مستمرة. فعندما تقترب الأرض من منطقة ما يسمى بـ «الكوكبيات» وبفعل الجاذبية تدخل أجزاء من هذه الأجسام المتناثرة في جوّ الأرض وتحترق. وقد يحدث هذا في أي مكان من العالم وتُشاهد في مكان دون آخر.

عصيان في كسروان

4 ـ □ وفيها بل كان ابتداؤه في سابقتها، عَصَا جبل كسروان، وهو قطعة من جبل لبنان، وأهله نصارى، على الدولة، وتوجّه إليه جملة من عساكر الدولة، ووقع بينهم حروب جمّة، وكانت الغلبة أكثرها لعساكر الدولة، ولم تزل الحرب حتى استولوا على الجبل واختفى رئيسه يوسف كرم[1]، وإلى الآن لم يُظفر به، وكان قد انضمّ إليه الأمير سليمان الحرفوشي، وأصيب في بعض الوقعات واختفى في كهف فدُلَّ عليه، فأخذ حياً بعد أن كاد يسلم ممّا أصابه، وأُتي به إلى الشام ومات في ليلة قدومه بعد أن واجه الوالي، وكان الأمير سلمان هذا قد صار له عاصياً نحو أربع سنين، وكان فاتكاً شجاعاً لا يقوم له أحد، وقد حصل له وقعات كثيرة مع الدولة والأكراد والعرب، وفي كلها أو جلّها يكون الظفر له، وربما كان يفرّ أصحابه ويبقى وحده فيحارب السريّة أو الجيش الذي يبلغ ألفاً وأكثر، وينتصف، وبالجملة قلّما أو ما سمعنا بمثله في أعصارنا، عفا اللّه عنه.

❀ ❀ ❀

5 ـ □ وفيها خرج نصارى جزيرة جريد على الدولة ولم يُؤدّوا التكاليف المفروضة عليهم من السلطان، فقصدتهم العساكر السلطانية وأعانها مسلحو الجزيرة، وجرت بينهم وقائع كانت أوائلها سجالاً ثم ظهرت الغَلَبة للعساكر السلطانية.

❀ ❀ ❀

6 ـ □ وفيها طلب السلطان من سائر مَمَالكه مالاً غير الموظّف معونةً بلغت مبالغَ من المال، وظهر بواسطة ذلك وما هو حاصل من الجراد والكساد الضعف على الرعية، وصار للدرهم والدينار مكانة عظيمة عند سائر الناس، وزاد الحرص عليهما لقلّتهما **سنة 1287 هـ**

❀ ❀ ❀

---

(1) **يوسف بك كرم** (1822 ـ 1889): لبناني ماروني اشتهر ببسالته في مقاومته العثمانيين.

سنة 1287هـ

7 ـ □ وفي سنة سبع وثمانين، في أواخر آب الرّومي، طلبت الدولة عسكر الرّديف[1] للتعليم، فأخذت من كان أعطي تذكرة، من سنة ثمانين وسنة واحد وثمانين.

وفي هذه الأيام كانت نار الحرب مضطرمة بين دولة بروسيا ودولة فرنسا والأخبار ترد في الغازطّات (الصحف) والتلغرافات بالعجائب من شدّة الحرب وكثرة المقتولين على وجه المبالغة، نسأله تعالى أن يسلّم المسلمين من الأذى والدخول في هكذا حروب.

لم تزل الحرب إلى أن أسر البروسيون نابليون ملك فرنسا في قلعة سيدان، وأسروا معه مائة ألف نفس، فاستولوا عليهم بأمتعتهم وأسلحتهم وخيلهم وذخائرهم، بعد أن كان جرى لهم جملة حروب على نهر الرّين وغيره، وهلك خلْق لا يُحصى، وغبّ أسره، أخذوه والأسرى إلى بلادهم، وأوغلوا في بلاد فرنسا يفتحون البلاد إلى أن وصلوا إلى باريس، قاعدة مملكة فرنسا، فلم يزالوا حتى فتحوها في أوائل شباط من تلك السنة.

❀ ❀ ❀

□ **قصيدة للشاعر الأديب الحاج محمد رضا الأزْري[2]، قدّس الله روحه:**

أمن المعرّف مكة فمقامُها ... بذخت على الشُّمّ الرعان أكامُها

من أَرْبَع عَرَكت بمنكبِها السُّهى ... فخراً وأَزْرَتْ بالجُمان سِلامُها[3]

سرعان ما صَاحَ الغُدَاف بشَمْلِهَا ... فتفرّقت أيدي سبا أعلامُها

وأنا الفِدَاءُ لظَاعنين تحمّلوا ... والمكْرُمات فاين منك مَرَامُها

ساروا بآذيّ[4] السَّرَاب تُقِلُّهمْ ... فكانّهمْ فُلْكٌ طغى قَمقامُها[5]

---

(1) **الرّديف**: الخدمة العسكرية الإجبارية، عسكري احتياط.

(2) **الحاج محمد رضا الأزْري** (1162هـ ـ 1240): ولد وتوفي في بغداد، كان حافظاً للشعر الجاهلي والإسلامي. شاعر وجلّ أشعاره في مدح أهل البيت. انظر: **أعيان الشيعة**.

(3) **السّلامُ**، مفردها **السَّلِمَة**: الحجارة.

(4) **الآذيّ**: الموج.

(5) **قمقامٌ**: من معانيه البحر أو معظمه.

تِلكمْ منازلُهُمْ يَرنُّ بها الصَّدى   غُفْلٌ يُجاوبُ غُولَها ضِرْغامُها
عصفتْ بها هوجُ الرِّياح ومُوْرُها   نشراً فصوَّح شِيحُها وخُزَامُها
ما كان أسرعَ ما تقلَّصَ ظِلُّها   وخَلَتْ مَشَاهدُها وأَمحلَ عامُها
من ظاعنين نَبَتْ بهم صِرْف النَّوى   فَتَحمَّلوا ظعناً تَصِرُّ[1] خِيَامُها
ظَعنوا برغم المكرمات وغادروا   كبِداً يُجاذبُها الحياةَ حِمَامُها
تلوي فتعطفُها نَوازِعُ صَبوةٍ   عُذْرِيَّةٍ بيد الغَرام زِمَامُها
وجرى القضاءُ بما جرى وتَصرَّمتْ   حُججٌ حَلَونَ حَلالُها وحَرَامُها
فطفقتُ أستسقي الدموعَ لدَارِهمْ   لو كان يُروى بالدموع أُوامُها
فَمن المُعيدُ بها لَيَاليّ التي   برحت وما بَرَحَ الفؤادَ هِيامُها
أيّامَ تُشرِقُ بالنَّعيم وجوهُها   ومَسَارحُ الوادي يَرقّ بَشَامُها
هيهات قد صَدَعَ النَّوى فتصدّعتْ   أركانُ بيتِ عَزَائِمي ومُقَامُها
فثنيتُ نَفْساً ما هناك تَجَشَّمتْ   خططاً كما يُثني الجموحَ لِجَامُها
فصبرتُ إذْ قَلَبَ الزمانُ مِجَنَّهُ   صَبْرَ الهجان البُزْل غُصَّ خِطامُها
يا لَلرّجال لحادثٍ مُتَفَاقِمٍ   لَوْ حَلَّ هابِطَهُ لَدُكَّ شَمامُها[2]
وكذلك الدنيا متى تُحسنْ تُسِيءْ   وبمثل ذلك تَنْقضي أيَّامُها
فانهضْ إلى الذكر الجميل مُشَمِّراً   فالذكرُ أَبْقَى ما قَنَتْهُ كِرَامُها
أَوَمَا أَتَاكَ حديثُ وقعةِ كربلا   أنّى وقد بَلغ السماءَ قَتَامُها
يومٌ أبو الفضل استجار به الهدى   والشمسُ من كَدَر العَجَاج لِثَامُها
والبيضُ فوق البيضِ تحسبُ وَقْعَها   زَجْل الرعود إذا اكْفهرَّ غَمَامُها[3]
فَحَمى عَرينته ودَمْدَمَ دُونَها   ويذبُّ من دون الشَّرى ضِرْغَامُها
من باسلٍ يَلقى الكتيبَة باسماً   والشَّوسُ يَرْشَحُ بالمَنيّةِ هامُها
وأشمَّ لا يحتلُّ دارَ هضيمةٍ   أوْ يستقلُّ على النجوم رَغامُها
أو لم تكنْ تدري قُريشٌ أَنَّهُ   طَلاّعُ كلِّ ثنيّةٍ مِقْدامُها
بطلٌ أطلَّ على العراق مُجَلّياً   فاعصوصبتْ فَرَقاً تَمورُ شآمُها

(1) تَصِرُّ: ماضيه صَرَّ صريراً الشيءُ: صوَّت شديداً.
(2) شَمام: اسم جبل.
(3) زَجْل الرعود: دويُّها.

ولكم له من غَضْبَةٍ مُضَرِيَّةٍ ... قد كاد يَلحقُ بالسماء ضِرَامُها

أغوى به عَضْبُ ابنِ حربٍ فانْثنتْ ... كلمى الجباه مُطاشةٌ أحلامُها

ثمّ انْبرى نحو الفرات ودُونه ... حَلَباتُ عاديةٍ يَصِلُ لجامُها

فكأنه صَقْرٌ بأعلى جَوِّها ... جَلَّى فحلَّقَ ما هناك حَمَامُها

وقد اسْتَطال عليهم مُتطلّعاً ... كالأيْن يقذفُ بالشَّوّاظ سِمَامُها[1]

حَسمتْ يَدَيْهِ يدُ القضاء فأبرمتْ ... ويدُ القضا لم ينتقضْ إبرامُها

واعتاقَهُ شَرَك الرّدى دون الشرى ... إنّ المَنَايا لا تَطيشُ سِهَامُها

اللَّه أكبرُ أيُّ بدْرٍ خَرَّ من ... أُفُقِ الهِدَاية واسْتشاط ظَلامُها

فمن المُعزّي السبط سِبْطَ محمدٍ ... بفتىً له الأشرافُ طَأْطَأ هَامُها

وأخٍ كريمٍ لم يَخُنْه بِمَشْهدٍ ... حيثُ السُّراة كَبا بِها إقْدامُها

تاللَّه لا أنسى ابن فاطمَ إذْ جَلا ... عنه العَجاجةَ يَسبكرُّ قَتَامُها

حتى إذا حُمَّ البلاءُ وإنما ... أَيْدي القضاء جرتْ به أقلامُها

وافى به نحو المخيِّم حاملاً ... من شاهقٍ علياءَ عزَّ مَرامُها

وهوى عليه ما هنالك قائلاً ... اليوم بَانَ عن اليمين حُسَامُها

اليومَ سارَ عن الكَتَائب كَبْشُها ... اليومَ غاب عن الهُداةِ إمَامُها

اليومَ آل إلى التفرّق جَمْعُنا ... اليومَ حُلَّ من البنودِ نظَامُها

اليومَ نَامتْ أَعْينٌ بك لم تَنَمْ ... وتَسَهَّدَتْ أُخرى فَعَزَّ مَنَامُها

أَشَقيقَ روحي هل تراك علمت إذ ... غُودرْتَ وَانْثَالَتْ عليك لِئَامُها

أنْ خِلْتُ طُبِّقَتِ السَّماءُ على الثرى ... أو دُكْدِكَتْ فَوقَ الرّبى أعلامُها

لكن أَهَان الخطبُ عندي أنني؟ ... بكَ لاحقٌ، أمرٌ قضى عَلَّامُها

مَنْ مُبلِغٌ أَشياخَ مكة أنه ... قد شُلَّ سَاعدُها وفُلَّ حُسَامُها

اللَّه أكبر أيّ جُلّى أُنزلَتْ ... بِمُحمَّدٍ فَلْيَنْتَبِهْ إسلامُها

اللَّه أكبر أي قارعة علت ... بيت الرسالة واستمر دوامُها

اللَّه أكبر ما أجلَّ رَزيّةً ... مَضَتْ الدهور وَمَا مَضَتْ أيَّامُها

يومٌ به وُترَ النبيُّ وحيدرٌ ... وبنو العَوَائل شيخُها وغُلامُها

أَوَ لم تكنْ هُتكتْ حقائقهم ضحىً ... لو لم يَصُنْها هيبةً إعْظامُها

---

(1) **الأَيْنُ**: الحيَّةُ الذَكَر، **سِمامها**: مفرده سُمٌّ: مادة قاتلة.

ورجالُهم جَزْرٌ على وجه الثرى فكأنهمْ هديٌ حوى إهظامُها
قَتْلى تَسيلُ على الصِّعاد نفوسُهم للّه أدمية يُباح حَرَامُها
وقلوبُ صِبْيتهم يُقلّبُها الظّما والماءُ عابثةٌ به أنْعَامُها
وبَنوهمُ أسْرى يعضُّ متونَها ثِقْلُ السَّلاسِل تارةً وسَقَامُها
ورُؤوسُهم فوق الرِّماح شَوارعٌ وعلى البِطاح خَوَاشعٌ أجسامُها
هاتي المصائب لا مَصَائب آليعـ قوبِ وإن صَدع الهُدى إلمامُها
هذا جزاء محمدٍ منْ قومهِ فَلَبِئْسَ ما قَدْ أخلفته طُغامُها
جَلَلٌ عَرَى ففزعتُ منهُ إلى الردى وقُصارُ وجْد الواجدين حِمامُها[1]
سمعاً أبا الفضل الشهيد قصيدةً أُزْريّةً مِسْكٌ يَضوعُ خِتَامُها

❀ ❀ ❀

□ قصيدة للشريف المرتضى علم الهدى قَدَّس اللّه روحَه:

مولايَ يا بَدْرَ كلّ داجيةٍ خُذْ بيدي قَدْ غَرِقْتُ في اللُّججِ
حُسْنُك لا تنقضي عَجَائبُهُ كالبحر حَدِّثْ عنه بلا حَرَجِ
بحقّ من خطَّ عارضيك ومَنْ سَلَّطَ سُلطَانَها على المُهَجِ
إلاّ مَدَدْت يديكَ الكريمتين معي ثم دعوتَ لي منْ هواكَ بالفَرَجِ

❀ ❀ ❀

□ وله طاب ثراه:

بيني وبين عَوَاذلي في الحبِّ أطرافُ الرِّماحِ
أنَا خارجيٌّ في الهوى لا حُكمَ إلاّ للمِلاحِ

❀ ❀ ❀

□ ولكاتبه مصنفه عفا اللّه عن جرائمه:

تَعَمَّمْ أوْ تَنَقَّبْ أو تَلَثَّمْ فلن تزدادَ حُسناً فوق مأثَمْ
أرى شمساً بوجنتك استنارت وبَدْراً في سماء الحُسن قد تمْ
وغُصناً فوق طُور في سَحَابٍ على صُبْح الجبين ثوى وقَتَّمْ

(1) القُصار: الجهد.

فهل للحُسن بابٌ غير هذا وهَلْ يُلْقى على آتيه مأثمْ

❁ ❁ ❁

□ وله عفا اللّه عنه مُخمِّساً بَيْتَيْ الحيص بيص عفا اللّه عنه[1]

صَبَيْتَ الحُسْنَ في درعيكَ صَبًّا وجئتَ مُشَرئباً تيهاً وعُجْبا
تظنُّ بأنني أزدادُ وَصْبا تَشَرْبش أو تَقَمَّصَ أو تَقَبّا
فلن تزداد عندي قَطّ حُبًّا
وكيف أزيدُ حُبّاً فوقَ حُبّي ومنذُ صَبَوْتُ فيكَ قَضَيْتُ نَحْبي
ويومَ خطرتَ في قِرْطٍ وقلبِ ملكتَ ببعض حبّك كلَّ قلبي
فإنْ تُرِدِ الزيادةَ هاتِ قَلْبا

□ ولعمر بن الفارض، دوبيت:

قلت لجزارٍ عشقتُه لِمْ تشرخنِّي قتلتني قال: ذا شغلي فوبِّخنِّي
وقام إليّ وباس رجلي يرنِّحنِّي يريد ينفخني فيذبحني فيسلخنِّي

❁ ❁ ❁

مقارنة الآية 100 من سورة الإسراء بما قيل شعراً في مضمونها:

□ قال سبحانه: ﴿لَّوْ أَنتُمْ تَمْلِكُونَ خَزَآئِنَ رَحْمَةِ رَبِّيٓ إِذًا لَّأَمْسَكْتُمْ خَشْيَةَ ٱلْإِنفَاقِ﴾[2].

قلت: قد جاء في كلام العرب وأقوال الشعراء بمضمون هذه الآية كثير، وأقربِ ما يكون مع فصاحة ألفاظه وتمام الدّلالة على المطلوب، قول الشاعر:

وَلَوْ سُئلَ الناسُ التراب لأوشكوا إذا قيلَ هَاتوا أن يملّوا ويَمْنَعوا

ومع ذلك فالآية تَفْضل البيت بوجوه:

(1) الحَيْص بَيْص: لقب شهاب الدين الشاعر التميمي، توفي 1179هـ، ومعنى الكلمة في اللغة الحيرة والوسواس.

(2) ﴿قُل لَّوْ أَنتُمْ تَمْلِكُونَ خَزَآئِنَ رَحْمَةِ رَبِّيٓ إِذًا لَّأَمْسَكْتُمْ خَشْيَةَ ٱلْإِنفَاقِ ۚ وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ قَتُورًا ﴿١٠٠﴾﴾. سورة الإسراء، الآية: 100.

الأول: أنها أجزلُ ألفاظاً وأحكم أسلوباً، كما لا يخفى على ذي مسكة.

الثاني: أنَّها أقلُّ حروفاً، فهي أخصر وأوجز، لأن حروفها خمسة وأربعون حرفاً، وحروف البيت تسعة وأربعون، فيزيد أربعة أحرف.

فإن قلتَ: إنّ أوّل الآية: قُلْ، وآخرها: وكان الإنسان قتورا، فإذا ضُمّت إلى المحسوب، زادت عن البيت بكثير.

قلت: هذه الزيادة دالّة على مطالب أخر غير ما في البيت، فلا تُحسب في المقابلة بالمعنى المشترك.

الثالث: إنها خالية من الحَشْو دونه، فإنها ما من لفظةٍ فيها إلّا وهي حاملة المعنى، لا يُستغنى عنه، مفيدٌ فائدة كاملة بخلاف البيت، فإن قوله فيه: إذا قيل هاتوا، لا يحتاج إليه بعد قوله: ولو سُئلَ الناس، فلو قال: ولو سُئلَ الناس التراب لأوشكوا أن يملّوا ويمنعوا، كفى في المطلوب، لا يقال: أنتم، في الآية حشو، لكفاية الضمير المستتر عنها، لأنّا نقول ليس كذلك، لما في فصل الضمير وتقديمه من إفادة الاختصاص والتقوى، كما هو مقرّرٌ في علم البيان.

الرابع: إن كُلّاً من الآية والبيت مَسُوقان للحثّ على الكرم والنهي عن البخل، وتقريع البخلاء، ولا شكّ في أن الآية أبلغ في الدّلالة على ذلك، من حيث إنها بلفظ الخطاب، الذي يحصل به من المطلوب ما لا يحصل بِصَيغ الغيبة، لما في الخطاب من الدّلالة على الحضور وقبول التأثير.

الخامس: إنّ خزائن رحمة الرّب تَسَعُ التراب وغيره، مما لا يحيط به علم ولا يقاربه وهم، فمالكها أعظم ملكاً من مالك التراب بأضعاف مُضاعفة، لا تُعدّ ولا تُحصى، فإذا بخل كان أولى بالتقريع من مالك التراب، لظهور أنه أبخل منه، فكانت الآية في ذلك أدلَّ على المطلوب.

السادس: إنها أدلُّ على المطلوب من وجه آخر، من حيث التعبير بـ (أمسكتم)، فإنه شامل لإمساك الشخص، وإن لم يوجد سائل ولو إمساكه على نفسه، والبيت مفيدٌ البخلَ مع السؤال.

السابع: التعليل بخشية الإنفاق، والبيت لا بَيَان فيه لِعِلّة.

الثامن: إن الآية حاكمة بالإمساك، والبيت آتٍ: بأوشك، بمعنى قارب، فهي أصرح في المطلوب.

التاسع: ما في الآية من المُلك، فإن من مَلَك ما ذُكر فيها وبخل، لا يُتصوّر، أبخل منه، بخلاف البيت، فليس فيه من ذلك شيء.

رسالة الشيخ علي السبيتي إلى علي بيك الأسعد

□ كتب الأديب الأريب الماهر المتفَنّن المِلّي، ابن الخال شيخنا الشيخ علي السبيتي[1] في سنة 1277هـ، أيام الفتنة بين النصارى والدروز وجملة من الإسلام،

(1) **الشيخ علي السبيتي**: ابن الشيخ محمد بن أحمد بن إبراهيم بن علي بن يوسف العاملي الكفراوي، نسبة إلى كفرا من قرى جبل عامل. ولد في كفرا في 25 ذي الحجة سنة1236هـ، وتوفي بها مُستهل رجب سنة 1303هـ، كان عالماً فاضلاً ثقة ثَبْتاً صالحاً زاهداً، عالماً في النحو والبيان واللغة والشعر والتاريخ، قرأ مع أخيه الشيخ حسن وابن أخته الشيخ محمد علي عزّ الدين في جبل عاملة عند الشيخ حسن مروة ثم عند السيد علي آل إبراهيم ثم عند الشيخ الأعظم عبد اللّه آل نعمة في جُبَع، له في البيان والبديع والتاريخ والإنشاء الباع الأطول وكذلك في معرفة العقائد والأديان والآداب وتاريخ العرب في الجاهلية والإسلام قرّبته أمراء عاملة لحاجتها إليه، والتمست إليه الحكومة أن يكون شيخاً للمدرسة الرشدية في صور حيث بقي فيها مدة أربع سنوات.

له من المؤلفات «**الجوهر المجرد في شرح قصيدة علي بك الأسعد** » الذي، يحتوي على الكثير من تاريخ جبل عامل وعلى ترجمة جملة من العلماء، يقول المؤرخ الشيخ علي الزين في كتابه «**مع التاريخ العاملي**»، صفحة 16، مطبعة العرفان 1954، في معرض حديثه عن كتاب «**الجوهر المجرّد في شرح قصيدة علي بك الأسعد**» ما نصه:

«هناك فئة من علمائنا وأدبائنا الثقاة تذهب إلى أن هذا الكتاب كان موجوداً لدى شبيب باشا الأسعد ابن علي بك الأسعد، ثم اختفى أثره بعد أن نشر مقدمة ديوانه التاريخية وأن اسم هذا الكتاب الحقيقي «العقد المنضّد» ولكن الباشا انتحل هذا الاسم لكتابه ثم سمّاه باسم «الجوهر المجرّد» (انتهى كلام الشيخ علي الزين). وللمترجم له «شرح ميمية أبي فراس» ورسالة في ردّ «فتوى» الشيخ نوح التي حلّل فيها دماء الشيعة وأموالهم.

وله كتاب «**الكنوز في النحو**» لم يتم و«**اليواقيت في البيان**» وكتاب «**الرّد على البطريرك مكسيموس**» ورسالة في الرّد على أبي حيان التوحيدي، وهي موجودة عند حفيده محمد جواد السبيتي والتي رواها أبو حامد أحمد بن بشر المروزي عنه، فرغ منها سنة 1273هـ، بقرية كفرا، ورسالة في فضل أمير المؤمنين عليه السلام إلى غير ذلك من الرسائل، كما أن له =

إلى البيك المُعظّم المؤيّد علي بيك الأسعد، وهو في الشام، في صحبة الوزير المُعظّم محمد فؤاد باشا، الموظف من قبل الدولة لإصلاح ذات البين، وإخماد نيّرة الفتنة، ما صورته:

«المقام الذي يُسلّي النفس ويُعيد الأُنس ويَجْلي غمام الشمس، ويقود الأبيّ الشمس[1]، ويولع القعدد بالحلس والقلم بالنقس[2] والنقش بالطِرس[3]، يُباعد بين الوساد والرأس والعيس[4] العَنْس[5] والمُوطئ الحلس[6] والمنهم الجرس[7] والمقضم النهس[8]، إيقاد نادر الفؤاد وشعاع ذلك الإيقاد، المسمى بالشوق عند أهل الخلوص[9] والتوق، نار تَسَعَّر ووجد مكَبَّر، وعظيم بالعظام تَعَظّم خالطُ الروح ومارج[10] اللحم بالدّم، فهو وإن تَنَاكر أهلاً وخفي أصلاً وبخل فضلاً واضمحلّ فعلاً، أجلّ من أن يَبين وأشهر من أن يُعلن، وأوضح من أن يُعرف، شعاعٌ أخذ القلوب برقاً وسَناً ونفى عن الأجفان نوماً وسِناً[11]، هيهات أن يبوخ أبراداً أو تهدأ سَوْرته إيقاداً، إلّا بالمشاهدة الأنسية والمطالعة الجليّة الجسمانية، فهي حجٌ فُرض حقاً ومهيع[12] اتخذ طُرقاً، عليه جرت الأفعال والتكاليف ولهذه كلّفنا بالظاهر الخبير اللّطيف، لأن بها تستجمع الخمس[13] مشاعرها وتقضي الحقوق بَوَاطنها وظَواهرها،

= الكثير من الشعر في أكثر فنونه ذكرها صاحب «الأعيان». ولقد أقطع له علي بك الأسعد ثلاث قرى: مروحين، الرملية وإرزيه في قضاء صور، وقد باعها ورثته بعد وفاته. (المحقق).

(1) **الأبيُّ الشمس**: الصعب القياد.
(2) **النَّقْس**: المداد أو الحبر.
(3) **الطِّرس**: الكتاب أو الصحيفة.
(4) **العيس**: اسم للإبل البيضاء يخالط لونها سواد.
(5) **العنس**: الناقة القوية.
(6) **الحلس**: الرجل الملازم لمكان لا يبرحه.
(7) **الجرس**: اسم بعض الهوام قارضة النبات.
(8) **النهس**: بمعنى النَهَش: أخذ اللحم بمقدم أسنانه.
(9) **الخلوص**: الوفاء والصفاء.
(10) **مارج**: اختلاط، امتزاج.
(11) **سنا البرقِ**: ضوءه، الوَسِنُ: مَن أصابه النُعاس أو النوم الثقيل.
(12) **المهيع**: ج. مهايع، الطريق الوسيع الواضح
(13) **الخمسُ**: كناية عن الحواس الخمس.

فَدَعْ مقالة من ادّعى أن النيّة روح العمل فإن ذلك مفتاح باب الكَسَل، لم يرضَ اللّه من عباده إلّا الشّاق وإعمال هذا الجسد المُجسَّم في هذه المَشاق، ومن قال إن المراسلة قاضية نائبة وحكمة في هذه الأعمال صائبة فما ذاك إلّا تَعِلّة لا تُريح عِلّة ولا تنقعُ غُلّة سوى أن المشوق إذا بعدت شقّته وتمادت مَشَقّته، ظنّ أن المراسلة إبرادٌ، مهلاً ما أراها إلّا إيقاداً، ورُبّ ماقت شيءٍ راغبٌ فيه، خلا العالم اللّسانيّ، فإن القلم حامل سرّه وحقيقة أمره، وعرش ملكوته وإقليم ناسوته، ومُفيض شعاعه وجامع داراته وشعاعه، عليه اجتمعت الأقاويل وإليه أُسندت الحقائق والأباطيل، فهو شعبة من السريرة وفرقة من الذخيرة وإن شئتَ فَقُلْ: هو خيرة الخيرة. بل هداية كل حيرة، ولهذا السّرّ الأعظم المحجّب المكرَّم كان سفير أهل المحبّة وسرير[1] سطوة أهل المودّة، مُفرّجُ كَرْبِهم ونافي ذنبهم، به يتعلّلون وعليه يتّكلون، يجعلون منه مثالاً إليه يحجّون، وتمثالاً له يُخاطبون، وحيث بالدسيسة والمُخاتلة والفضوليّة جعلنا أنفسنا قائلةً، وعروس طِرْسنا حالية وإن كانت عاطلة، نَتَشَبَّه بأشباه الناس بتسوية أنغام تعدّها لنفسها أجراس، أعظم مَراقي مخلص المحبّة والوداد، المثول في طاعة مولاه على أقدام الخضوع في مُزدحم الأنداد، ومنْ لي بها دون مراد يناسبه، والشعرى وقد منعت عميصاها[2] العبور وإن كان نهرها المجرّة الكبرى، سوى أني الآن رافع أيدي الانخضاع لحضرة القدس الجلالية، وماذٌ أثر الانكسار لباب الرحمة الملكوتية مستمداً من الفيوضات القدسية، مترقباً من سوانح القدرة الجبروتية أن يرفع اللّه عزّك ارتفاعاً يلوذ بأخمصه[3] صماخ[4] كل أبيّ وأن يُبقي مجدك مَبْسوقاً يرجع على الورود عليه كل شاردٍ قصيّ، لا يرى من بَلَّة صداه[5] إلّا من رشاش عُبابك ولا بلغة مُناه إلّا من فضول عُطَائك حتى تكون كعبة كل قاصد، وأنت هي، والحمد للّه، وملاذ كل شارد، وهل غيرك لها؟ معاذ اللّه!

❀ ❀ ❀

(1) **سرير**: ملتقى، تجمع، ملاذ.

(2) **الغُميصاء**: أحد الكواكب الفلكلية.

(3) **أخمص**: حفرة باطن القدم التي لا تلمس الأرض.

(4) **الصِّماخ**: خُرق الأُذُن الذي يؤدي إلى داخلها.

(5) **الصَّدى**: العطش.

قصيدة للشيخ علي السبيتي

أَقِمْها حَنَايا تنقل العزَّ والنصرا ... نَجَائبُ قد حَمَّلتَها الأَسَلَ السُّمْرا
قَوافلُ فرسان الطِّعان إلى الوغى ... بكلّ بعيد الهمّ يلحَظها شزْرا
منَ الشدقميّات[1] المُضمّنُ شوطُها ... دَرَاك المعالي أو يُوازرها الغَبْرا
إذا رجّع الحادي أَطَارَبها الهوى ... نَوازع تحجو الموتَ مورِدَها الكدْرا
عليها فُحولُ الموت من آل وائلٍ ... إذا أُلقحتْ حربٌ لها ابتهجت بشْرا
قَمَاقمُ لم تبهج بغير عظيمةٍ ... ولم تنشرح في كلّ ضائقةٍ صَدْرا
أشاوسُ حَرْبٍ أو مَصاليتُ غَارةٍ ... طَلائعُ مجدٍ تحرمُ المجدَ والفخرا
همُ الركبُ ركب الموت إمَّا جَهْلتَهم ... سَلِ العربَ تُعْطيكَ المثقَّفةُ الخُبْرا
تَرافعُ عن دَنْس المَخَازي ذُيولُها ... إذا عَمَّم العير المدنّسةَ النُّكْرا
مَغَاويرُ باسٍ وابنُ أسعدَ سَعْدُها ... إذا أظلمتْ ليلاً يَشقُّ لها بَدْرا
يعيدُ طول الهمّ رَحْبٌ فِنَاؤه ... يُدفِّعهُ جُوداً فيجْلبها شكْرا
أبو زيدها في النائبات وعَمْرُها ... فهل لسواه اليومَ محمَدةٌ ذكرا
سرى صيتُه حتى تقطّعَ تَحتهُ ... من الحافر الخفُّ المُثقْلها ظهرا
فتىً تنظر البدرين سِيماءُ وَجْهه ... أَسَاريرَ شرّ تدفق الخير واليُسْرا
يُعاضِدُه في النّائبات محمدٌ ... فتى القوم يوم الحرب أثْبتُهم صبرا
يُعلّقُ في مثل السَّواري حَمَائِلاً ... تَلامَعُ في شَفْراته الموتَةُ الحمرا
ترى جبلاً بين الفوارس والقَنَا ... وإن طار باساً عزمه قادت الغدرا
من المُقرمين اللأّءِ إمّا ذكرتَهم ... تهلّلَ وجهُ الوَقْدِ أحمدهم ذكرا
أفاتوا المَعَالي دَرْك سَبْقِ خيارهم ... فجاءوا بها بِيْضاً غَطَارفةً زُهرا
على أنهم لو أنصفوا لَتَفاخَروا ... بأبنائهم آباء غيرهم فخرا
بَنوا ما بَنُو للمكرمات ولِلْعُلى ... فشيَّدها مجداً وجاوزها نَشْرا
لهم كلّ فياض اليَدين من النّدى ... إذا قام فيه الأمر أثقلَها شكرا
عليّ المَعَالي وابن أسعدَ جدُّها ... إذا ضاق أمرُ الخطْب أوسعه فكرا
يَضيق على غير ابنِ أسعدَ رأيُه ... ويَعصيه ماضيه فيُرهقهم عُسْرا

---

(1) **الشدقميّات**: مفردها شدقم: واسع الفم.

فتىً فرَّج المَعْقودَ من كلّ مُشكلٍ على حالةٍ قد ضاق مُشكلُها أمرا
له سَيفُ مِقْدامٍ محمَّدُها عُليَّ يُفلّق في الظلماء منْ سيفه فجرا
أبو فائزٍ في النائبات وفائزٌ إلى القَرْمِ يمشي مِشْيَةَ البطة الكدرا
قريبٌ من الدّاعي بعيدٌ من الخَنَا سريعٌ إلى الجلّى بطيءٌ عن الصغرى
ترى حِلْمَه بين الورى غيرَ طائشٍ وبين القنا كالجِنّ يَذعرهم ذَعْرا
إذا ما امتطى ظهر الجواد تَضايقت جبالُ الرُّبى شُوساً وبَيْداؤها شُقرا
بكل مَنار الفخر في رأس شاهقٍ يُقلّبه يُمنى ويُرقصهُ يُسرى
إذا صَالَ أعطاه الزعامةَ بأسُهُ وإن قال أعطتْهُ رياسَتها الكبرى
بُدورُ المعالي والعوالي فلنْ ترى لهم مُنكراً صَعْباً سوى صعدةٍ سَمْرا
تُغالطُ أمُّ الطفل بالسرج طِفلَهُمْ فيصعدُ ظهر المجد تحسبُه مُهرا
يُشاطرُ وفدَ الرّكب أشطارَ مالِهِ رصائعها جُرداً شَداقِمها عُفرا[1]
ويُقري بتهليل الأسارير أشعثاً رَماه المَدى في كل مُعظلة غبرا
فلستَ ترى في ساحهِ غير قُلَّصٍ[2] مقطّعةَ الأنْساع[3] ناقبةً[4] ظهرا
مراجيح[5] أميال الأهلّة شسَّفاً تَلفّتُ خوف السير مرْعَبَةً زجْرا
عليها لطول السير كلُّ شمردَلٍ علا كتفَها جِنّاً وغاربَها نسْرا[6]
يقول لها قرّي فهذا ابنُ أسعدٍ لنا منقذٌ من كل قاصمةٍ ظهرا
وكم مثلها من كل ناقبة الذُرى فذاك ذُراها اليوم تحسبه قصرا
لدى ساحةٍ في ساحها الجرد للوغى رصايع[7] أرغتها شكائمها الحرّا
ودهماء مثل الخُوص يعلو قتارُها بأكدار شحْم يُغلي مرجلها القِدْرا[8]

---

(1) **الرصائع**: السيوف المحلاَّة.
(2) **القُلَّص مفردها قلوص**: الناقة المركوبة.
(3) **الأنْساع**: الحبل الطويل.
(4) **انقب البعير**: رقّتْ أخفافه.
(5) **مراجيح**، مفردها **المرجوحة**: الأرجوحة: آلة دائمة الإهتزاز يركبها الأولاد.
(6) **الشمردلُ**: هنا الفتى القوي، الجنُّ ضد الإنس.
(7) **رصايع مفردها رصيعة**: عقدة في اللجام أو حلية مستديرة في سيف أو سرج وهنا خيلٌ لجُمُها محلاة.
(8) **الدهماء**: الفرس السوداء، الخوُص، الواحدة خوُصة: ورق النخل، القتار: الغبار.

فَيَا حاسِباً عدَّ المكارم في الورى ... فليس لها في إبن أسعدها حصرا
حُصرتُ وإني في الورى ذو بَلاغَةٍ ... فما حيلتي والعجز يُقعدني حصرا
سوى أنني أتلو مديحاً لذكره ... فتُبهجني ذكراً وتشرحُ لي صدرا
له في المعالي كلَّ يوم مُجَدَّدٌ ... من الذكر طولَ الدهر لا يعرف الدهرا
مدائحُ في جَبَهات ذا الدهر غرّةٌ ... عليٌّ عُلاها كيف لا يُحسن القَرَّا
فَخُذْها كافواه الرياض قصيدةً ... يطول على غيري مدى بحرها شعرا

❀ ❀ ❀

وللشيخ علي السبيتي أيضاً هذه القصيدة:

تهيج بلابلي عند السحور ... تذكِّرني خفيات السطورِ
فاغفى حين اغفى باذِّكارِ ... وأصحو حين أصحو عن شعورِ
لياليـنا بذي جَشَمٍ أنيري ... فقد كدَّرتِ لي عيشي النضيرِ
ولو كشفت زُوِيَّاتُ الخبايا ... لأخبرتِ العواذلَ عن عُذوري[1]
ولي همٌّ تداعى بالوصايا ... ينَبِّهُ أن تميل إلى فتورِ
غدوتُ به كُمتبطٍ بِلَيْلٍ ... وقد كنت الدليل لدى المسيرِ
فكم قطَعْتُ حَزْناً بعد سَهْلٍ ... وكم أُنزلْتُ بالماءِ النَّميرِ
وكم أطربْتُ من نَظْم المنايا ... كضرب الرّيح في وجه الغديرِ
وكم هلَّلْت وجهَ الصَّخْبِ حتى ... يفيضَ له المُحيَّا عن منيرِ
وكم أرعشتُ بدراً قام يسقي ... تَخالُ بوجهه كأس المُديرِ[2]
ألا هل تُرجع الأيامُ دهراً ... ولو نفساً تفيض على البشيرِ
ودون مناي ظَنٌّ ليس يصحو ... وجمع الشّمل في كفّ القديرِ
أكوفانٌ فلو صنْوٌ لطاها ... لزُلْزلَتِ الدكادكُ من زفيري[3]
صَرَمْتِ اللّبَّ من قلبي فأضحى ... كفُرقانٍ على مَوْجِ البُحورِ
فهبِّي من كَراكِ لعلَّ يوماً ... أقاضيكِ إلى المولى الخبيرِ

---

(1) **زُوِيَّات مفردها زُوِيٌّ**: مصدر الفعل زوى، يزوي الشيْ: نحَّاهُ جانباً، خبَّأهُ.

(2) **المُدير**: مَنْ ينولّى إدارة جهة ما، وهنا نديم الشراب.

(3) **اكوفانُ**: لعلَّه نداء مرخَّم للكوفة، الدكادك مفردها الدكدك: أرض غليظة.

وأرميكِ بناجيةٍ أمونٍ غِذاها نغمةُ الحادي وسيري[1]
عددت لها ليالي آلَ طيٍّ وجهدَ مهلهلٍ حتّى النشورِ
ويوماً تمضغ الحرباء فاها وليلاً أقتماً داجي الدُّجورِ[2]
أُحمّلُها منايا آل بكرٍ بيومِ «الشعثمين» وفي بجَيرِ
أقلب وقر أصحابي بليلٍ إذا هاجت خبيَّاتُ الصدورِ
ودون ركودها قفرٌ ترامَتْ به الأرياح بالليل المطيرِ
تموت به وتحيا دون قطع مسافته إلى يوم النشورِ
حمته آل «وائل» بالمواضي وبالسِّنْكيِّ والعود الطريرِ[3]
وبالخيل العتاقِ تهبُّ فيه منايا نائفٍ من قلب «زيرِ»[4]
إذا قد رثاني سوف أصحو ففي التقديرِ آيس من أمورِ
فلا أَمِلْتُ بعد اليوم أني أذوق بعزِّها طِيبَ الخمورِ
ولا حدَّثْتُ نفسي بارتقالٍ ولا قرَّعْتُ نِضوي بالمسيرِ[5]
ولا جَهْجَهْتُ عن بالي هموماً جهلتُ بها المساءَ من البكورِ
ولا رسعت انساعي ورحلي ولا مهدت للساري بكورِ
إذا ما أقدرَ الرحمن شيئاً لماذا تَغْبُك الفِكرِ الفكيرِ
فعش رهن الخطوبِ قضاء عَدْلٍ قضاه عليك من قَبْلِ الدهورِ
لعلَّ وعلَّ رَخْماتٍ تقاضَتْ جهلتُ لقدرها حُكْمَ القديرِ
تمسّكَ بالوصيِّ أبي حسين وبالسبطَيْنِ: شَبَرٌ مع شبيرِ[6]
وإجْهَدْ أن تنال يداك حبلاً فإن نالَتْ فلا تالى لخيرِ[7]

---

(1) **ناجية**: صفة الناقة السريعة لأنها تنجو براكبها، أمون: قوية.

(2) **داجي**: مظلم، الدُّجور اسم مفرد، خشبة تُشدُّ عليها حديدة الفدَّان (تاج العروس، مادة دجر).

(3) **آل وائل**: جدود آل الأسعد من قبيلة وائل، السنكيُّ: رمح قصير يُركَّب في رأس البدقية.

(4) **نائف**: مشرف، مرتفع، «زير»: صفة من يحبُّ محادثة النساء لغير شرٍّ.

(5) **ارتقال**: مصدر الفعل ارتقلت الناقة: أسرعت في سيرها، قرع الرجل النِضو: الهزيل من الحيوان وهنا، الناقة الهزيلة.

(6) **شبَرٌ وشَبير**: ابنا النبي هارون(ع) ومعناهما بالعربية: حَسَنٌ وحسين وبهما سمَّى الإمام عليٌّ ولديه السبطين (تاج العروس، الزبيدي، مادة: شبَر) حيث تقرأ تفصيلاً أوسع.

(7) **فلا تالى لخير**: فلا تتأخر عن فعل الخير.

أمَنٌّ عن سكونٍ بالعطايا ... وبالإلحاح يَبْخُلُ باليسيرِ
وقد عوّدتَ عن لُطْفٍ وجودٍ ... فكيف تضنًّ بالأمر الحقيرِ؟
وقلبٌ قد طبَعْتُ على ولاهم ... بيوم الذَّرّ يُحسب للنشورِ[1]
تَخِذْتُ له بذاك اليوم عهداً ... فهل بَدَلٌ بمطويِّ الصدورِ؟!

❁ ❁ ❁

رفع اللَّه مقام مولانا رفعة تتفيّأ الأماجدُ ظلاله، وتكرعُ الوفّاد صُدوراً وإيراداً سلسبيله وزُلاله، حتى لا يُبقي باباً من أبواب الخير والمعروف إلّا أناله، ولا مقاماً يزلق في مزالقه الثابت القدم إلّا قال: أنا له، وأجرى اللَّه سعود التوفيقات الإلهية والنفحات القدسيّة والسبحات بالألطاف مُوافقة أقواله وأفعاله حتى يُثبّت قدمه على مَزالق المجد وسنام الفخر والحمد وهامة العزّ والسعد ويا فوح الشرف والصّد، ثبوت الفحل المصعّب والأشوس المجرّب والهمام المِذرَب، بحيث يكون قِبلة الأنام وكهف الأيتام ومَلاذ المظالم ومنزع الخَصَام ومجمع الكلام وموردَ السلام علم الإسلام ومرجع الكرام، حمداً لك اللّهمّ حمداً فقد أعطيتني مَجْداً وغمرتني رِفداً وخوّلتني نعمك حتى لا أُرى إلّا مُغبطاً حسداً أو عدوّاً كمداً، فيا من شَمَلَتْ نعمته الأنام وعمّت رأفته الخاص والعام، ألْهمنا على تَواتر نِعَمك وتوافر قِسَمك الشكر على الدّوام حتى يتصل الافتتاح بالختام يا ذا الجلال والإكرام، وصلى اللَّه على محمد وآله.

❁ ❁ ❁

رأي في آيتين:

قال تعالى في سورة الحاقة: ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ فَيَقُولُ هَآؤُمُ ٱقْرَءُوا۟ كِتَٰبِيَهْ﴾[2].

وقال في سورة الانشقاق: ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ ﴿٧﴾ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا

(1) الذّر: النَّشر، يقال ذرَّ اللَّهُ الخَلْقِ في الأرض: نشرهم فيها، ويوم الذَر المقصود به يوم القيامة وبعث الناس من جديد. ومنه الذريّة.

(2) سورة الحاقة، الآية: 19.

يَسِيرًا ﴿٨﴾ وَيَنقَلِبُ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ مَسْرُورًا ﴿٩﴾ وَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ كِتَٰبَهُۥ وَرَآءَ ظَهْرِهِۦ ﴿١٠﴾ فَسَوْفَ يَدْعُوا۟ ثُبُورًا﴾[1].

يُسأل عن هاتين الآيتين أنه تعالى عبّر، تارةً بلفظ شِمَاله وأُخرى وراء ظهره، مع أن الكتاب المأتي به واحد، يُؤتى به مرّةً واحدة، فما وجه الجمع بينهما؟

والجواب من وجوه:

أحدها: أنه لا مانع من أن يُؤتى صاحب الشّمال كتابه بشِماله من وراء ظهره حالة واحدة، وبَيَانه أنه تعالى لإكرامه أهل اليمين يأمر الملائكة الموكّلين بذلك، أن يتقدموا إليهم بكتبهم من أمامهم ويُناولوهم إيّاها باحترام واحتشام كما هو مُقتضى الرّضا والكرامة، وأن يتقدموا إلى أهل الشمال من جهة خلفهم فيُناولوهم كتبهم من وراء ظهورهم بشمالهم، إهانةً لهم كما هو الشأن في مَنْ تغضب عليه فلا تُحبّ مواجهته، وحيث تمَّ ذلك، صحّ لك أن تقول: أعطِ فلاناً الشيء الفلاني بشماله وأعطهِ إياه من وراء ظهره.

وآية ذلك أنه يصحّ أن تجمع بينهما فتقول: أعطه إيّاه بشماله من وراء ظهره، فإن قلتَ: لِمَ لَمْ يقلْ في «الإنشقاق» في حقّ أهل اليمين: أوتي كتابه من أمامه أو قُدّامه حتى يحصل الطباق لقوله: من وراء ظهره. قلتُ: لعله لم يعدلْ عن لفظة اليمين في الآيتين ليُمْنها لما في ذلك من كمال الاحترام، فضلاً عن جَزَالة اللّفظ.

فإن قلتَ: لِمَ لمْ يجمع بينهما ولو في آية؟ قلتُ: رَوْماً للإيجاز غير المخلّ، فإن قلتَ: لِمَ لمْ يعكس ويُعبّر بلفظ الشمال في سورة الانشقاق، ويعبّر بوراء ظهره في سورة الحاقّة؟ قلتُ: متى تساوى اللّفظان في المطلوب، فلا يُبالي المتكلم بآيّ لفظٍ عبّر منهما مع إمكان وجود داعٍ آخر.

الثاني: أنه يمكن أنّ أهل الشمال على حالتين: منهم من يؤتى كتابه بشماله ومنهم من وراء ظهره، فَخَالفَ سبحانه بين العبارتين للتنبيه على الحالتين.

الثالث: إن لفظة اليمين كناية عن الرضى عنهم، والشمال ووراء الظهر، كناية

---

(1) سورة الإنشقاق، الآيات: 7 ـ 11.

عن الغضب، وهذا في كلام البُلَغاء شائعٌ ذائع، قال الشاعر[1]:

إذا ما رايـةٌ رُفـعَـتْ لِـمَـجْـدٍ تَـلَـقَّـاهـا عَـرَابـةُ بـالـيـمـيـنِ

وليس المُراد الاقتصار على الرَّاية الحقيقية، ولا بتلقّيها باليمين، التي هي الجارحة الحقيقية، بل هو استعارة بالكناية عن علوّ همّته وبلوغه غايةَ المجد ويُمْنه في أموره.

وقال تعالى: ﴿فَنَبَذُوهُ وَرَآءَ ظُهُورِهِمْ﴾[2]، والمنبوذ ليس بجسم حتى يُراد الحقيقة، بل ذلك كناية عن عدم قبولهم إيّاه، ومثل ذلك كثير، وإذا تمّ ذلك، صحّ التعبير بكلتا العبارتين وتَسَاوى ما في الآيتين.

الرابع: أنه لعل أهلَ النار في المَحْشر تُغَلُّ أيديهم وراء ظهورهم كحالة المكتوف لجناية، أو المغلولة يداه إلى عنقه، نعوذ باللّه من ذلك في الآخرة والأولى، وحينئذٍ تكون شِماله إلى وراء ظهره فيُعطى كتابه بشماله وهي وراء ظهره فبأيّهما عبّر وافق الواقع.

رأي في التوحيد والجنة

□ في «صحيح» مسلم بن الحجّاج القشيري، في باب «من مات على التوحيد، دخل الجنّة».

«حدّثني زهير بن حرب حدّثنا عمر بن يوسف الحَنَفي حدّثنا عكرمة بن عمّار حدثني أبو كثير حدّثني أبو هريرة قال:

«كنا قعوداً حول رسول اللّه ﷺ، معنا أبو بكر وعُمر في نفَر، فقام رسول اللّه ﷺ من بين أظهرنا فأبطأ علينا، وخشينا أن يقتطع دوننا، وفرغنا وقمنا، فكنتُ

---

(1) الشاعر هو الشماخ بن ضرار الغطفاني وعرابة: هو ابن فيض الحارثي الأنصاري، من سادات العرب وأجوادهم في المدينة، توفي سنة 60هـ، حيث يقول الغطفاني:

رأيـت عـرابـة الأوسـيَّ يـسـمـو إلـى الـخـيـرات مـنـقـطـع الـقـريـن

إذا مـا رايـةٌ رفـعـت لـمـجـدٍ تَـلَـقَّـاهـا عَـرَابـةُ بـالـيـمـيـن

انظر: **الأغاني**، 8/ 103، **وبلوغ الأرب**، 3/ 146.

(2) سورة آل عمران، الآية: 178.

أوّل من فزع، فخرجت أبتغي رسول اللّه ﷺ، حتى أتيتُ حائطاً للأنصار لبني النّجار، فدُرْتُ به هل أجد له باباً؟ فلم أجد، فإذا ربيع يدخل في جوف حائط من بئر خارجة، والربيع الجدول، فاحتفزت[1] كما يحتفز الثعلب، فدخلتُ على رسول اللّه ﷺ، فقال أبو هريرة: فقلت نعم يا رسول اللّه، فقال: ما شأنك؟ قلتُ: كنتَ بين أظهرنا فأبطأتَ علينا، فخشينا أن تُقتطع دوننا، ففزعنا، فكنتُ أوّل من فزع، وهؤلاء الناس ورائي. فقال: يا أبا هريرة، وأعطاني نَعْليه وقال: اذهبْ بنعليّ هاتين، فمن لقيتَ من وراء هذا الحائط، يشهد أن لا إله إلّا اللّه، مُسْتَيْقناً بها قلبه، فبشّره بالجنة، فكان أول من لقيت عمر، فقال: ما هاتان النَّعْلان يا أبا هريرة؟ فقلتُ: هاتان نعلا رسول اللّه ﷺ بعثني بهما، من لقيت يشهد ألّا إله إلّا اللّه مُسْتَيْقناً بها قلبه، فبشّره بالجنّة، قال: فضرب عمر بيده بين ثديَيّ فَخَرَرْتُ لِإِسْتي[2]، فقال: ارجع يا أبا هريرة، فرجعتُ إلى رسول اللّه ﷺ، فأجْهَشْتُ بكاءً، وركبني عمر، وإذا هو على أثري، فقال لي رسول اللّه ﷺ ما لك يا أبا هريرة؟ فقلتُ: لقيتُ عُمر فأخبرته بالذي بعثتني به، فضربني بين ثَدْيَيّ ضربةً فخررْتُ فقال رسول اللّه ﷺ: يا عمر ما حملك على ما صنعت؟ قال: يا رسول اللّه بأبي أنتَ وأمّي، أَبَعِثْتَ أبا هريرة بنعليك، من لقي يشهد أن لا إله إلّا اللّه مُسْتَيْقِناً بها قلبه، بشّره بالجنة؟ قال رسول اللّه ﷺ: نعم، قال: فلا تفعل، بأبي أنت وأمّي، فإني أخشى أن يتّكلَ الناس عليها، فَخَلّهِمْ يعملون، فقال رسول اللّه ﷺ: فَخَلّهِمْ.

أقول: لي على هذا الحديث استدراكات، فَأَعِرْني أيها السّامع إنصافك.

أولها: قول أبي هريرة، الرَّاوي للحديث: «فكنتُ أوّل من فزع» ليت شعري، ألم يوجد أشدّ إشفاقاً على رسول اللّه ﷺ من أبي هريرة حتى يكون أوّل من فزع؟

كيف؟ وأكابر الصحابة وفضلاؤهم، مثل أبي بكر وعمر حاضرون؟ فإن قلنا: إنه أشدّ شفقةً عليه منهم، خالفنا إجماع المسلمين، وطعنّا في أكابر الصحابة بتفضيل أبي هريرة عليهم، فإنّ زيادة الفضل بزيادة الحبّ للّه ورسوله والإشفاق عليه والفزع له، وإنْ قلنا: إنّ الإسراع بالفزع لا دلالة فيه على الشفقة، بل قد يكون لقلّة

(1) **احتفزتُ**: تهيّأتُ للوثوب.
(2) **إست**: مؤخرة الإنسان.

المعرفة، قلنا: هذا أيضاً طعنٌ آخر، فإنّ نصَّ الحديث أن الكلّ فزعوا، إلّا أنَّ أبا هريرة كان أوّل من فزع، والأشبه بالسّياق، إرادة الأول.

ألا ترى أنَّ أبا هريرة يكرّرها ويتبجّح بها، فكان في ذلك كثعالة[1] شهيدة ذَنَبه؟

ثانيها: ما نراه من البرودة من إعطاء النعلين، علامةٌ على صحّة شهادته، خبّروني، يرحمكم اللَّه، ما هذه العلامة وما المناسبة بينها وبين المشهود به؟ ولِمَ لمْ يُرسل بُرْدَه أو رداءَه أو خاتمه أو قضيبه؟ وكيف لمْ يصبر رسول اللَّه ﷺ حتى يجتمع الناس ويُخبرهم من فِلْقِ فيه[2] فلا يردّ عليه أحد، مع أنه ذو الأَنَاة، وما أظنّ هذه من أبي هريرة، إن صَحَّتْ عنه، إلّا مثل الأولى، يريد أن يجعل نفسه مُبَلَّغاً من صاحب الرسالة، كما بَلَّغ عنه أمير المؤمنين عليه السلام سورة بَرَاءة، وأين هذا من ذاك؟

ذاك أمرٌ عظيم المكان بعيد، يحتاج إلى مُبَلِّغ، وهذه لا حاجز فيها إلّا حائط البستان.

ثالثها: ما فيه من ضرْب عُمر له بين ثَدْييه حتى خرَّ لإسته، ما هذه الضربة من سيدنا عمر؟ وهل على الرسول إلّا البلاغ المبين؟ ولم يضرب أبا هريرة بتأدية الرسالة عن رسول اللَّه ﷺ، ولا يدعوه إلى القَصَاص نفسه ويُلزم جبلة بن الأيهم[3]

---

(1) **ثعالة**: من أسماء الثعلب.

(2) من فِلْقِ فيه: من فمه، أي أن يخبرهم مباشرة.

(3) **جبلة بن الأيهم**: ورد في «**العقد الفريد**» لمحمد بن عبد ربه الأندلسي، ج2، ص 56، مطبعة صادر في باب (من وفد على الخليفة عمر (رض).

بأنَّ جبلة هو آخر ملوك الغساسنة في الشام حاضرة ملكهم، وكان راغباً في الإسلام، فكاتبه عمر برغبته تلك التي سُرَّ لها، قائلاً: «أن اُقْدِمْ، لك ما لنا وعليك ما علينا» فقدم مع 500 فارس ودخل مكة في موكب مهيب مع ترحيب المسلمين بهم، فدخل الإسلام وحضر موسم الحجّ مع الخليفة، وأثناء الطّواف في الحرم وطئ رجل من قبيلة فَزَارة إزار جبلة فحلّه، فلطمه جبلة على وجهه ما جعل الفزاري يشكوه للخليفة عمر الذي فرض على جبلة إما إرضاء الفَزاري لإسقاط حقه وإلّا جعل الفزاري يستوفي لطمة بلطمة، بالرغم من احتجاج جبلة بأنه ملك وأن الفزاري سوقة، بحجّة أن الإسلام ساوى بينهما، فاستمهل جبلة عُمَراً لليوم التالي ليرى الرأي، ولكنه خرج ليلاً مع أصحابه من مكة والتحق بملك الروم في القسطنطينية حيث أعلن تَنَصُّره. تنتهي الرواية بموته في منفاه وهو مسلم.

بالقصاص من لطمه حتى يؤدي ذلك إلى تَنَصُّره وخروجه عن دينه، وما هذه العجلة والغَلَظة منه؟ هلّا قال له: ارجعْ، قبل أن يضربه هذه الضربة التي عطّل بها إسْتَه، فإذا أَبَى، استحقّ الضرب، ولأي معنى سكت عنه رسول اللّه ﷺ، ولم يقتصّ لأبي هريرة الذي جاءه يشكو وهو مُجهشٌ بكاءً؟

رابعها: ما تضمّنه من الرّد على رسول اللّه ﷺ وتحصيل عمر من الحكم ما لم يحصّله رسول اللّه ﷺ، حتى أنه لمّا هَدَاه إليه وقال له: «إني أخشى أن يتّكل الناسَ عليها فخلِّهمْ يعملون» قال: «فَخَلِّهمْ». هل يقبل هذا عقلُ عاقل؟ لا واللّه، لا يكون ذلك أبداً، اللهمّ إلّا أن رسول اللّه ﷺ غضب من هذا العمل وقال له: فَخَلِّهمْ، تسليماً وغضباً من عدم قبول الحكم.

❀ ❀ ❀

☐ قال النَّوَوي في شرح «صحيح مسلم» في باب «صحة الاحتجاج بالحديث المُعَنْعَن» الذي عليه جماهير المسلمين من الصحابة والتّابعين، فَمَنْ بعدهم من المُحَدِّثين والفقهاء، وأصحاب الأصول، «إن خَبَرَ الواحد الثقة حُجَّة من حُجج الشرع يلزم العمل بها ويُفيد الظّنّ ولا يُفيد العلم، وإنّ وجوب العمل به بالشرع لا بالعقل، وذهبت القَدَريّة والرّافضة وبعض أهل الظاهر إلى أنه لا يجب العمل به، ثمّ منهم من يقول: مَنْع العمل به دليل العقل، ومنهم من يقول: مَنْعُ العمل به دليل الشّرع إلى آخر كلامه».

☐ وفي هذا المقام قلتُ:

يعني بالرّافضة، الشيعة، وهذا النقل الذي نَقَله تَقوُّلٌ عليهم، وقد صنع مثله الحاجبي والعضدي، فَنَقلا المنعَ من العمل به عن الشيعة، والذي دعاهم إلى ذلك، أنه مذهب المرتضى عَلَم الهدى، فظنّوا أنّ إجماع الشيعة عليه، ولم يستقصوا أقوالهم فيه.

وجملةُ القول في الأخبار على مذهب الشيعة، زاد اللّه في إكرامهم: أن الخبر إمّا مُتواتر أو آحاد، والأول حجّة قطعيّة بلا خلاف بينهم، والثاني إمَّا أن يحفّ بقراين تفيد العلم أو لا، والأول حجة أيضاً بلا خلاف، والثاني: إنْ نَقَلَهُ الثّقة الضابط، فلا يُحتجّ به في الأصول، لأنها لا يُقبل فيها إلّا العلم، وأما في الفروع،

فقد ذهب المرتضى وابن قبّة وابن إدريس وقليل، إلى عدم حُجيّته، وذهب الباقون إلى حُجّيّته حتى أنه وقع الإجماع عليه في الأعصار المتأخرة من قرب زمن الشيخ الطوسي إلى عصرنا هذا.

❁ ❁ ❁

☐ وفي «شرح النووي» على «صحيح مسلم» أيضاً، في باب الأمر بالمعروف والنّهي عن المنكر «قد تطابق على وجوب الأمر بالمعروف والنّهي عن المنكر الكتاب والسُّنّة وإجماع الأمّة، ولم يخالف في ذلك إلّا بعض الرافضة». قلتُ: يعني الشيعة كما عرفتَ، وهي فِرية بلا مَريّة، فإنا لم نسمع عن أحدٍ من الشيعة عدم القول بوجوب الأمر بالمعروف والنّهي عن المنكر، على حسب ما يمكن، يداً ولساناً وقلباً، ولا حاجة إلى الإطالة في هذا المقام بَعدّ وضوحه.

❁ ❁ ❁

☐ في «صحيح مسلم» في باب حبّ الأنصار وعليّ‌عليه السلام، «حدّثنا أبو بكر بن أبي شيبة، حدّثنا وكيع وأبو معاوية عن الأعمش، وحدثنا يحيى بن يحيى واللفظ له قال: أخبرنا أبو معاوية عن الأعمش عن عديّ بن ثابت عن أبي ذرّ(ره) قال عليّ‌عليه السلام، «والذي فلق الحبّة وبرأ النسمة، إنه لعهد النبي الأميّ‌صلى الله عليه وآله أنه لا يُحبّني إلّا مؤمن ولا يبغضني إلّا منافق»[1] فلتكفِ في هذا الحديث حجّة على إثبات نفاق مبغضيه من الأوائل، ومحاربيه في البصرة وصفّين وغيرها، ومن الأواخر كعليّ ابن الجهم[2] وغيره.

---

(1) انظر **شرح نهج البلاغة**، للسيد عباس علي الموسوي، في باب مبايعة علي‌عليه السلام، ص 41 - 42، وانظر: **خطبته المشتملة على الملاحم**، ص 225، من المصدر نفسه. ولم أقف على ما أورده المؤلف من عبارة: «إنه لعهد النبيّ الأميّ‌صلى الله عليه وآله إنه لا يحبني إلّا مؤمن ولا يبغضني إلّا منافق».

(2) **علي بن الجهم**: هو أبو الحسن علي بن الجهم بن بدر بن مسعود الشاعر المجيد والعالم بفنون الشعر، ولد سنة 188هـ، وتوفي سنة 249هـ، اختص بالمتوكل فَبَرّه ثم هجاه فنفاه إلى خراسان، له ديوان شعر نشره خليل مردم بك سنة 1948م، مطبوعات المجمع العلمي العربي بدمشق. انظر: **الوافي بالوفيات**، 2/ 642، **والأغاني**، 9/ 99، **وتاريخ بغداد**، 7/ 240، **والأعلام**، 4/ 296، **وتاريخ الأدب العربي**، لبروكلمن، 2/ 12.

«ردّ على السيد حيدر الحِلّي»

☐ طرق مسامعي قصيدة غرّاء للشاعر المُعاصر السيد حيدر الحِلّي[1]، نَدْبَةٌ لصاحب الأمر عليه السلام ورثاءً لسيد الشهداء، إلّا أنه أَقْذَعَ في خطابه، بل أساء الأدب، وتعدّى الطور في عتابه، ولولا أنه من بني عليّ عليه السلام لجاز عقابُه، قال من جملتها:

إنْ ضَاعَ وِتْرِكَ يا بن حامي الدّينِ ... لا قال سَيْفُكَ للمَنَايا كوني
لو لم تُناضِلْ آلَ حربٍ هاشمٌ ... لا بُشِّرتْ عَلَويَّةٌ بجنينِ

وإلى غير ذلك من أمثاله، فقلت وأرسلتها إليه:

قِرُّوا عُيوناً يا بني ياسين ... قَرُب المدى بالفَتْحِ والتمْكينِ
وخُذوا الأنَاةَ فإنّكم أولى بها ... بَدَلاً عن التقريع والتّهجينِ
فَلَقد وَهَى جَلدي مَقَالُ حميّكم ... (لا قال سيفُكَ للمنايا كوني)
وأَضَاعَ فكري آل هاشم قولُه ... (لا بُشِّرَتْ عَلَوية بِجَنينِ)
تستنهضون أَبا المَنَايا والمُنى ... لِأَجَلِّ وِتْرٍ بالهنا مقرونِ
أنّى يضيعُ الوِتْرُ من بعد الذي ... قَدْ خُطَّ في لَوْح القَضَا المكنونِ
والطّالبُ الرحمن جَلَّ جَلالُهُ ... والجُنْد أملاك السّما المَمْتونِ[2]
جبريلُ يَقْدمهمْ وميكالٌ له ... في سوقهم شوق الشّجى المغبونِ
فهنا ترى حيزومَ يَقْدِمُ جهرةً ... كاللّيثِ يخبط في جَآذر عِينِ[3]
وترى لعزْرائيلَ حَمْلاتٍ على ... أَعْدائكم كالمُرزمات الجُونِ
ولِخَيْل هاشمَ حَمْلةٌ عن حَمْلَةٍ ... تُنسي الذي في بَدْرَ أو صِفّينِ
وترى موالي الآل تَرخُصُ أنفساً ... باعتْ لها في اللّه كلَّ ثمينِ

---

(1) **السيد حيدر الحِلّي**: هو أبو سليمان بن سليمان بن داود الحِلّي يرقى بنسبه للإمام علي عليه السلام، ولد في بلدة الحِلّة سنة 1242هـ، وتوفي فيها سنة 1304هـ كان شاعراً مجيداً من أشهر شعراء العراق، وأديباً ناثراً نظم فأكثر ولا سيما في رثاء الحسين عليه السلام، ومدائح ومراثي أهل البيت، اقتصر شعره على المدح والرثاء والتهاني. له ديوان شعر كبير مطبوع، له «**العقد المفصل في قبيلة المجد المؤثل**». انظر: **أعيان الشيعة**، مجلد 6، ص 266، وانظر: **ديوان الحِلّي**، ج1، ص 111.

(2) **الممتون**: اسم مفعول من «مَتُنَ» الشيءُ: صَلُب.

(3) **حيزوم**: وسط الصدر.

لا نارُهُمْ تخبو ولا يَنبو لهم ... سيفٌ ولا يُخطي مَحَزٌّ وتينِ
يُنسونكم أَوْساً وخَزْرج أَسَّسا ... في نُصرة الإسلام أُسَّ الدينِ
قِرّوا عُيوناً آل هاشم إنّه ... لا بُدَّ من نَصْرٍ لكم مَخْزونِ
وذروا وليّ اللّه يقضي حَقَّهُ ... من غَيْبةٍ جلَّتْ عن التخمينِ
للَّه سرٌّ لا يُذَاع فإنْ يحنْ ... إظْهارُه يُجلى لكلِّ فَطينِ
وحِجَاب غيب اللّه لا يُرجى له ... كَشْفٌ بغير عَطَائه الممنونِ
فأنا الفِداءُ لكم ومَنْ تحت السما ... لكمُ الفدى في فرحةٍ وشُجونِ
ما رزءكُمْ في كربلا إلاّ لكيْ ... يَزن الرّزايا عند كلّ حزينِ
وتفوزُ شيعتكم بما يُجْلى لها ... منْ غامضاتِ الدّين يومَ الدّينِ
بأبي وغير أبي نُفوسٌ منكُمُ ... سَالَتْ على زُرْقِ القَنا المسنونِ
لَبستْ ثيابَ الموت حُمْراً بعدما ... دَقّتْ ببيض الهند عِطْر منونِ
فابدي أُميَّةُ أيَّ حِقْدٍ وانظري ... أيَّ القلوب حشَوتِ أيّ حَنينِ
قَلْبَ الأمين صدعتِ أمْ قلبَ الهدى ... أم قلبَ فاطمَ أمَّ كلِّ أمينِ
أم قلبَ حيدرةَ البطينَ يَدَ العلى ... رأسَ المَعَارف عَيْنَ كلِّ يقينِ
بلْ ما سوى الرحمن قد زَعْزَعتِ إذ ... جَعْجَعتِ ظَعْنَ محمَّدِ المأمونِ
أضرمتِ كَبْدَ الدين نارَ مُصيبةٍ ... أَخذَت على المفْروضِ والمسنونِ[1]
وتركتِ دارَ العلم خُلواً من فتى ... يسطو بمعلومٍ على مظنونِ
وتركتِ كفَّ الجود شلّاً بعدما ... هَشَمتْ بهاشِمها مُحولَ سنينِ
وتركتِ غالبَ في غِلابٍ بعدما ... حَكَّتْ مَناطَ عُطاردٍ بقرونِ
وتركتِ خِنْدِفَ[2] لا تجرّ ذيولها ... إلاّ على ذُلٍّ وسَاحة هونِ
للَّه من بَطَلٍ هوى فَتَبَدَّلتْ ... حركاتُ أفلاكِ الوغى بسكونِ
للَّه من جبلٍ تقلَّص ظِلُّهُ ... عن عُرْبِ حَيٍّ بالقَنَا مشحونِ
للَّه أخْبيةٌ تَقوَّض سِتْرُها ... عن كلِّ طاهرة الذيول حَصينِ
تُخفي الرَّنين حَياً فإنْ غَلَبَ الأسى ... غَصَّتْ بزَفرة ثاكِلٍ وأنينِ

---

(1) أخذ على يده: منعه من فعلٍ ما.

(2) خِندِفُ: إحدى قبائل قضاعه وهي: مدركة وطابخة وقِعةَ وخِندف. ولكلٍّ منها قصة من سبب تسميتها، راجعها في تاج العروس، للزبيدي، مادة: خندف، نشر مكتبة الحياة.

لــلّــه أســيــافٌ تــفــلّــل حَــدُّهــا كــانــت لِــفَــلّ مَــعَــاطــفٍ ومُــتُــونِ
لــلّــه أدْمــيــةٌ جَــرَتْ فــي كــربــلا فَـجَـرَتْ لَـهَـا عَـيـنُ الـعُـلـى بـشـؤونِ

❀ ❀ ❀

☐ وللرماح بن أبرد المعروف بابن ميَّادة[1] من قصيدة طويلة أوّلها:

لقد سَبَقَتْكَ اليومَ عَيْناك سَبْقَةً وأبْكاكَ من عهد الشَّباب مَلاعِبُهْ
فَوَاللَّه ما أدري أيَغْلِبني الهوى إذا جَدَّ جَدُّ البينِ أمْ أنا غالبُهْ
فإن أستطع أَغلبْ وإنْ يَغلِب الهوى فَمِثْلُ الذي لاقيتُ يُغلبُ صاحبُهْ

وهذا من أحسن غزلها وفيها يقول في هجاء الخضرمي المُحاربي وهو من أقوى الهجاء وأحكمه:

لقد طَالَ حَبْسُ الوفدِ وَفْدِ مُحاربٍ عن المجد لَمْ يأذنْ لهم بعدُ حاجبُهْ
وقال لهم كُرّوا فلَستُ بآذنٍ لكمْ أبداً أو يُحصِيَ التّربَ حَاسِبُهْ

❀ ❀ ❀

☐ لأبي العتاهية[2]:

ألــنَّــاسُ فــي غَــفَــلاتِــهِــمْ ورَحَــى الــمــنــيّــةِ تَــطْــحَــنُ

❀ ❀ ❀

☐ لبشّار بن بُرد[3] من قصيدة:

نام ليلي وعُيوني لم تَنَمْ ونَفَى عنّي الكَرى طَيْفٌ أَلَمْ
وإذا قُلتُ لها جُودي لَنَا خَرجَتْ بالصّمْت عن لا ونَعَمْ

---

(1) ابن ميادة الرماح بن أبرد، شاعر معروف، توفي في صدر خلافة المنصور. انظر: **الأغاني**، 2/ 85.

(2) **أبو العتاهية**: إسماعيل بن القاسم مولى العنزة، كنيته أبو إسحاق، كان يُرمى بالزندقة. انظر أخباره وبعض أشعاره في **الشعر والشعراء**، ص 538.

(3) **بشار بن برد**: أبو معاذ يُلقّب بالمُرَعَّث، وهو أحد الشعراء المطبوعين لا يتكلف الشعر، وهو من الشعراء المحدثين، هجا المهدي وذكر شغله بالشراب واللّهو فأمر به فقُتل تغريقاً في الماء. انظر: **الشعر والشعراء**، ص 516.

نَفْسي يا عبدُ عني واعلمي ... أنّني يا عبدُ منْ لحم ودَمْ
إنَّ لي يا عبدُ جِسْماً ناحلاً ... لو توكأتِ عليه لانْهَدَمْ
خَتَمَ الحبُّ على قلبي لها ... موضعَ الخاتمِ مِنْ أهلِ الذِّمَمْ

❀ ❀ ❀

بثينة وجميل

☐ في الأغاني لأبي الفرج، عن هيثم وأصحابه ما مُلَخَّصُهُ:

إنّ بثينة واعدتْ جميلاً لبعض المَوَاضع، فأتى لوعدها، ومرّ أعرابي فجاء إلى حيّها وقال: رأيت في بطن الوادي ثلاثة نَفَر مُتوارين في الشجر، فعرفوا أنه جميل، فحرسوها ومنعوها من الخروج لموعده، فلما أسفر الصبح رجع خائباً، فجعل نساءُ الحي يُقرّعْنَهُ ويَقُلْنَ: حصلتَ منها على الباطل والكذب، وغيرُها أولى بوصْلها منك، فقال في ذلك:

أبُثَينُ إنّك قَدْ ملكتِ فاسْجحي ... وخُذي بحظّك من كريمٍ وَاصِلِ
فَلَرُبَّ عارضةٍ علينا وصْلَها ... بالجدّ تخلطهُ بقول الهازِلِ
فأُجيبُها بالقول بعد تَسَتُّرٍ ... حُبّي بُثينة عن وصالك شاغلي
لو كان في قلبي كَقَدْرِ قُلامَةٍ ... فضلاً وصلتك أو أتتك رسائلي
ويَقُلن إنك قد رضيتَ بِبَاطلٍ ... منها فهل لك باجتناب الباطلِ
ولَبَاطلٌ ممّنْ أُحبُّ حَديثَهُ ... أشهى إليّ من البغيض الباذلِ
لِيُزِلْنَ عنكِ هَوايَ ثم يَصلنني ... وإذا هويتُ فَمَا هوايَ بِزَائِلِ

❀ ❀ ❀

سؤال إعراب لطالب

☐ سألتُ بعض الطلبة عن إعراب: بعتُك الحمار بأكافه[1]. فقال: الكاف ضمير، مفعول باع، والحمار عطف بَيان أو بَدَل، فقلتُ: أصبت لأن البَدَل عينُ المُبْدَل منه، وعطف البيان، عين المعطوف، فإذاً أنتَ عينُ الحمار.

❀ ❀ ❀

(1) **الأكاف**: برذعة الحمار.

وسألته آخر فقال: الحمار مفعول ثانٍ، فقلتُ له: من أيّ باب هذه حتى تنصب المفعول الثاني؟ فقال: من باب ظنَّ، فقلتُ له: أصبتَ، فإن قاعدة مفعول ظنَّ أن يكون المفعول الثاني عين الأول، فإذاً أنت أيضاً عين الحمار، نحو: ظننتُ زيداً قائماً، فالقائم هو زيد، والتحقيق أن الحمار مفعول ثانٍ، وأنها من باب أعطى، وقاعدتها أن يكون الثاني غير الأول، نحو أعطيتك درهماً وكسوت زيداً جُبَّةً وهكذا ما تعدّى إلى مفعولين من صيغ العقود أجمع، نحو بعتك الدار ووهبتك البستان وأنكحتُ زيداً هنداً وأسكنتك البيت وأعمرتك الضَّيْعةَ وأجّرتك الفرس وغيرها ممّا يُفيد النقل من شخص إلى آخر من صِيَغ العقود وغيرها إخباراً أو إنشاءً، فاعقلْ ولا تَعْجَلْ.

❀ ❀ ❀

□ للعباس بن الأحنف رحمه اللَّه[1]:

لَوْ كنتِ عاتبةً لَسَكَّنَ عَبْرتي أملي رضاكِ وزرتُ غيرَ مُراقَبِ
لكن مَلَلْتُ فلم يكنْ ليَ حيلةٌ صَدُّ المَلولِ خلافُ صَدّ العاتبِ

❀ ❀ ❀

وله:

لا جزى اللَّه دمعَ عيني خيراً وجزى اللَّه كل خير لساني
نَمَّ دمعي فليس يكتم شيئاً ورأيتُ اللسانَ ذا كتمان
كنتُ مثلَ الكتاب أخفاه طَيٌّ فاستدلوا عليه بالعنوانِ

❀ ❀ ❀

□ في «الأغاني» لأبي فرج الأصبهاني:

أخبرني محمد قال: حدّثني الحسين بن فهم قال: سمعت العطوي[2] يقول:

(1) **العباس بن الأحنف**: من بني حنيفة ويُكنّى أبا الفضل، نشأ في بغداد، كان شاعراً صاحب غزل، ويشبّه من المتقدمين بعمر بن أبي ربيعة، لم يكن يمدح ولا يهجو. انظر مختارات من شعره في «**الشعر والشعراء**».

(2) العطوي محمد بن عبد الرحمن بن أبي عطية، ويكنى أبا عبد الرحمن، بصري المنشأ، كان شاعراً وكاتباً من شعراء الدولة العباسية. انظر: **الأغاني**.

كان العباس ابن الأحنف شاعراً مجيداً غزلاً، وكان أبو هُذيل العلّاف[1] يبغضه ويلعنه لقوله:

إذا أردتُ سُلُواً كان ناصركم قَلْبي وما أنا من قَلبي بِمُنْتَصرِ
فأكْثِروا أوْ أقلُّوا منْ إسَاءَتكم فكل ذلك محمولٌ على القَدَرِ

❁ ❁ ❁

قال: فكان أبو الهذيل يبغضه لهذا ويقول: يعقد الكفرَ والفجورَ في شعره، قال محمد بن يحيى: وأنشدني محمد بن العبّاس اليزيدي شعراً للعباس، أظنه يهجو أبا الهذيل، وما سمعت للعباس هجاءً غيره:

يا من يكذّب أخبارَ الرسول فقد أخطاتَ في كل ما تاتي وما تَذَرُ
كذّبتَ بالقَدَرِ الجاري عليك فقد أتاكَ منّي بما لا أشتهي القَدَرُ

(انتهى ما أردت نقله من الأغاني).

وأقول: إن العباس بن الأحنف رحمه اللّه كان شيعياً لا يقول بالقَدَر على نحو ما يقوله الأشاعرة والمُجَبِّرة، ولما كان أبو الهذيل معتزلياً، والمعتزلة مفوّضة، عاب على العباس ما قاله: ولعمري لقد أخطأ أبو الهذيل، فإن قضاء اللّه وقدره مما لا يكذبه إلّا جاحد، والنّص مصرّح به كتاباً وسُنّة.

تفسير حديث: كل شيءٍ بقدَر

قال اللّه تعالى: إنّا كلّ شيء خَلَقناه بقدر، ومعناه، واللّه أعلم، إنّا خلقنا كل شيء بعلم وتقدير، وكل شيء في العالم مخلوق للّه، أما أفعاله تعالى فعلى وجه

---

(1) **ابو الهُذيل العلاّف** وكان يدعى الهذيل بن مكحول العلّاف، أهله من البصرة، 135هـ سُمّيَ بالعلّاف لأن داره كان في حي العلافي البصري.

من واضعي أُسس الاعتزال تتلمذ على بشر بن سعيد وعثمان الزعفراني تلميذي واصل بن عطاء وأخذ عنهما الاعتزال، كان ملمّاً بالفلسفة اليونانية حيث أدهش النّظام في نقاشه معه، بلغ الذروة أيام المأمون الذي دعاه لقصره في بغداد، ألّف العديد من الكتب فلم يبق منها شيء. ذكره الجاحظ في كتابه «البخلاء» بأنه كان أبخل المعتزلة. انظر: **فلسفة المعتزلة**، ألبير نصري، ج1.

الحقيقة، وأما أفعال عباده فعلى وجه المجاز، لأنه خلق العباد وسَبَّبَ فيهم الأسباب، وخلق سائر المواد وأقدرهم على أعمالهم، فصحَّ نسبة أفعالهم إليه، ولم يلزم من ذلك محذور نسبة الجبر والظلم في نسبة أفعالهم إليه، لأنه ليس على وجه الحقيقة.

وقال رسول اللّه ﷺ: «كل شيء بقضاء وقَدَر حتى العجز والكيس». وقال الصادق عليه السلام: «إن القَدَريّة مجوسُ هذه الأُمّة، وهم الذين أرادوا أن يصفوا اللّه بعدله فأخرجوه من سلطانه». قلتُ: يعني بالقَدَرية، الذين كذّبوا بالقَدَر.

وقال أيضاً: إن اللّه تعالى أنزل هذه الآيات: ﴿إِنَّ ٱلْمُجْرِمِينَ﴾ إلى قوله: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ ﴿٤٩﴾﴾[1] إلّا في القدريّة[2]، يعني الذين كذّبوا بالقَدَر.

وسُئل عن الرُّقى: هل تدفع من القدر شيئاً؟ قال: هي من القدر.

وفي أخبارنا عن أئمة الهدى ما بمعناه كثير، وكلّه بمعنى ما ذكرناه جمعاً بينه وبين غيره من الآيات والأخبار والعقل، اللّواتي تنفي الجبر وتُفيد نسبة أفعال العباد إليهم، فَنتج من ذلك أن الأشياء كلها بتقدير اللّه وعلمه، لكن ما علمه وقَدَّره على العباد لا يوجب الحتم عليهم ولا جبرهم على الأفعال التي يفعلونها فضلاً عن أن يكون هو فاعلها على الحقيقة، إذ العلم لا يؤثر بالمعلوم.

ولا نقول أيضاً: إن اللّه أطلق الزّمام للعباد على وجه لم يكنْ له تعالى قدرة عليهم في أفعالهم، بل الزّمام بيده يوفّق من يشاء ويحرم من يشاء، ولا يشاء إلّا ما يقتضيه الحكمة والعدل والفضل، وهذا كله مَفاد قول أحد الأئمة عليهم السلام «لا جبر ولا تفويض ولكن أمر بين بين» وقول أمير المؤمنين عليه السلام، وقد سأله بعض أصحابه: أكان مسيرنا إلى الشام بقضاء من اللّه[3]؟

---

(1) سورة القمر، من الآية 46 حتى الآية: 49.

(2) **القدرية**: هم الذين يثبتون القَدَر ويُطلق المعتزلة هذا الإسم على الجبرية لأنهم يثبتون القدر للّه دون الإنسان، والقدرية عدّة فرق إسلامية تنفي أن يكون الإنسان خالقاً لأفعاله. انظر: **تيارات الفكر الإسلامي**، محمد عمارة، دار الوحدة، بيروت.

(3) انظر: **الكافي**، للكليني، م1، ص 155، باب الجبر والتفويض، وانظر: **نهج البلاغة**، ص 748.

وقد ردّ عليه السلام ما مضمونه: «ما قطعنا وادياً ولا تحرّكنا حركةً إلّا بقضاء اللّه» فقال السائل: «على اللّه أحتسب عَنَائي»[1]. فقال عليه السلام: «ويحك لعلّك ظننت قضاءً لازماً وقَدَراً حتماً، لو كان ذلك لَبَطل الثواب والعقاب وسقط الوعد والوعيد، إن اللّه أمر عباده تخييراً ونهاهم تحذيراً وكلّف يسيراً ولم يُكلّف عسيراً وأعطى على القليل كثيراً ولم يُعص مغلوباً ولم يُطع مكرهاً ولم يرسل الأنبياء لَعِباً ولم يُنزل الكتاب للعباد عبثاً، ذلك ظنّ الذين كفروا، فويل للذين كفروا من النار».

وقوله عليه السلام أيضاً: «اعلموا علماً يقيناً، أن اللّه عزَّ وجلّ، لم يجعل للعبد أن يسبق ما سمّى له يخله في الذكر الحكيم ولم يخلّه أن يبلغ ما سمى في الذكر الحكيم، أيها الناس إنه لن يزداد امرؤٌ نقيراً بحذقه ولم يتنقّص امرؤٌ نقيراً لحُمْقِهِ، فالعالم بهذا، العامل به، أعظم الناس راحةً في منفعته، والعالم بهذا التّارك له، أعظم الناس شغلاً في مضرَّته، ورُبَّ مُنْعَم عليه مُستدرَجٍ بالإحسان إليه، ورُبَّ مغرورٍ في الناس مصنوع له، فاتّق اللّه أيُّها الساعي من سعيكَ وقصّر من عَجَلتك وانتبهْ من سِنَةِ غفلتك، وتفكّر في ما جاء من عند اللّه، على لسان نبيّه، واحتفظوا بهذه الحروف فإنه من قول أهل الحجى وعزائم اللّه في الذكر الحكيم.

❀ ❀ ❀

□ وللعباس بن الأحنف:

أتـأذنـونَ لِـصَـبٍّ فـي زيـارتـكـمْ ... فَـعِـنْـدكـمْ شَـهَـوَاتُ الـقـلـبِ والـبـصَـرِ

لا يُضمرُ السوءَ إن طالَ الجلوسُ به ... عَـفٌّ الـضـمـيـر ولـكـن فـاسِـقُ الـنّـظـرِ

❀ ❀ ❀

وله:

عَـدْلٌ مـن الـلّـه أَبْـكَـانـي وأَضْـحـكَـهـا ... فـالـحـمـدُ لـلّـه عَـدْلٌ كـلَّ مـا صَـنَـعـا

الـيـومَ أبـكـي عـلـى قـلـبـي وأنـدُبـه ... قَـلْـبٌ ألـحَّ عـلـيـه الـهـمُّ فـانـصَـدَعَـا

❀ ❀ ❀

(1) انظر: **شرح نهج البلاغة**، للموسوي، ص 748.

وله:

أسـاتُ أن أحـسـنـتُ ظـنّـي بـكـمُ والـحـزمُ سُـوءُ الـظّـنّ بـالـنّـاسِ
يُـقـلـقـنـي الـشّـوقُ فـآتـيـكـمُ والـقـلـبُ مـمـلـوءٌ مـن الـيـاسِ

❀ ❀ ❀

وله:

سـلـبـتـنـي مـن الـسـرّور ثـيـابـاً وكَـسَـتْـنـي مـن الـهُـمـوم ثـيـابَـا
كـلّـمـا أغـلـقَـتْ مـن الـوصْـل بـابـاً فـتـحـتْ لـي إلـى الـمـنـيّـة بـابَـا
عَـذّبـيـنـي بـكلّ شـيء سـوى الـصدّ فـمـا ذقـتُ كـالـصـدودِ عَـذَابَـا

وله:

أُحْـرَمُ مـنـكـم بـمـا أقـولُ وقَـدْ نَـالَ بـه الـعَـاشِـقـونَ مـن عَـشـقـوا
صـرْتُ كـانـي ذُبَـالـةٌ نَـضَـبـتْ تُـضـيءُ لـلـنـاسِ وهـي تـحـتـرقُ
أنـتِ لا تـعـلـمـين مـا الـهـمُّ والـحُـزْ نُ ولا تـعـلـمـيـنَ مـا الأرَقُ

وله:

أبكي ومثْلي بكى من حُبّ جاريةٍ لم يخلق اللّه في قلْبي لَهَا لينا
هلْ تذكرين وُقوفي عندَ بابكمُ نصفَ النهَار وأهلُ الدارِ لاهُونا

❀ ❀ ❀

ولبعض السَّالِكين:

إذا كنتَ تَهوى القوم فاسْلكْ سَبيلَهم فَمَا وصلوا إلاّ بقطع العلائقِ
وما حُملَ الهنديُّ وهو حديدةٌ على الكتف إلاّ بعد دَقّ المطَارقِ

❀ ❀ ❀

ولبعضهم: الغزالي

تركتُ هوى ليلى وسعدى بِمَعْزلِ ومِلْتُ إلى محبوب أوّلِ منزلِ
وقَادتْنيَ الأشواقُ دونكَ هذه مَنَازلُ مَنْ تَهوى فدُونك فانزلِ
غَزَلْتُ له غَزْلاً دقيقاً فلم أجدْ له ناسجاً غيري فكسَّرتُ مِغْزَلي

❀ ❀ ❀

لعبد الباقي أفندي البغدادي العُمري، الشاعر المشهور المعاصر، واصفاً الصندوق الشريف العَروي، على مشرّفه التحية والسلام:

أَلا إنّ صُندوقاً حوى قبرَ حَيدرٍ ... وذي العرش قد أرْبى على حضرة القُدسِ

فإن لم يكن للَّه كرسيُّ عرشه ... فإنّ الذي في ضِمْنه آيةُ الكرسي

❁ ❁ ❁

وله رحمه اللَّه مادحاً لصاحب الصندوق وأمير المؤمنين﵇ ويُشير بذلك إلى كُنْيَتِهِ بأبي تُراب، وكانت من أحبّ كُنَاه إليه:

إنَّ للَّه في مَعَانِيْكَ سرّاً ... أكثرُ العالمين ما عَلِمُوهُ

أنتَ ثاني الآباء في منتهى الدَّوْ ... رِ وآباؤُهُ تُعَدُّ بنوهُ

خلق اللَّه آدماً من تُرابٍ ... فهو إبنٌ لَهُ وأنْتَ أَبوهُ

❁ ❁ ❁

وله مُضمّناً حديث، قوله﵇: عند نزول الوحي: كلّميني يا حُمَيْراء وعند حضور الصلاة: أَرِحْنا يا بِلال.

قد قُلْتُ لما أن بدا ... في شَفة المحبوب خَالْ

كلّميني يا حُمَيْرَا ... ءَ أَرِحْنَا يا بلالْ

❁ ❁ ❁

«الجنان»

من الجنان، لبطرس البستاني[1]، كتابةٌ لرضى علي أفندي فاروقي مُترجم جريدة «الزوراء»، جواباً عن تحرير أرسله إليه فتح اللَّه أفندي خيّاط، موظف

(1) **بطرس البستاني** (1819 ـ 1883): من أعظم أركان النهضة، وُلد في الدُّبْيَة (لبنان)، تعلّم في مدرسة عين ورقة، أسهم في ترجمة التوراة إلى العربية، أنشأ المدرسة الوطنية في بيروت 1863، وكان أول من نادى بتعليم المرأة. من آثاره «قاموس محيط المحيط» و«دائرة المعارف» في أجزائها الستة الأولى، عُرف بالمعلم، يعتبر من رُوّاد الصحافة العربية الأولين، فقد أنشأ منفرداً أو مع ابنه سليم أربع صحف شهيرة: نفير سوريا 1860، والجنان والجنة والجنينة. انظر: **المنجد في اللغة والأعلام**.

التلغراف السلطاني، وكان قد أهدى إليه بعض الأجزاء من «الجنان»، فاستحسنتها ووضعتها في هذا المؤلَّف، وهي:

«جناب الخليل الأنجب، والرفيق المحبَّب، لطيف الأخلاق والشّمائل، المتوشَّح من اللّطافة بأبهى الخَصائل، ذو الفتوة فتح اللَّه أفندي حفظه اللَّه المعيد المُبدي، كيف أصف لك ما حلّ بي من السرور، لمّا وقع نظري على نسخة «الجنان» التي تكرَّمتَ بإرسالها عليّ وإليّ، فأخذتها بيد التكريم، وشممت منها عَرْف التسنيم، وأردتُ أن أدخلَ بابها بإذن رضوانها، وأحِلَّ في بحبوحة جَنَابها وجنانها، ثم توقفتُ تكريماً وتعظيماً، كيف لا أُعظّمها وقد نسجتْ أبرادَها أَنَاملُ الأدباء، وحاكتْ مَطارفَها أكفُّ الفُصَحاء، فجاؤوا بما يُزري بوشي صنعاء، ثم تفكّرتُ في خاطري وقد طفح السرور على باطني وظاهري، وخاطبتُ إنْسانَ عيني ومُخيلَتي بقوله تعالى، مع مزيد الفرح والمنّة ﴿وَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾[1] فدخلاها وقابلهما رضوانها بالتحية والرضوان قائلاً: أُدخلوها بسلام وأمان.

فلما دخلتُ أبوابها، وجزتُ رحابَها، وجدتُها جنّة قد تزخرفت وفردوساً قد تزيّنت، وقد سال ماءُ حياة الفصاحة في نواحيها، وهَبَّ نسيمُ البلاغة في أرجاء ناديها، فطفقتُ أقتطف بيدِ الفكر من ثمارها التي هي للفضل جامعة ومجموعة، وأتفكّهُ بفاكهتها الشهية التي لا هي مقطوعة ولا ممنوعة، وأسكرني سلسالُ كوثرها الجاري، وحمدتُ المولى وشكرتُ الباري، حيث إنها قد أعلتْ شرف لغتنا الشريفة العربية بما حوته من عرب كواعب أتراب المعاني البهيّة، وما انطوت عليه من قويم الأساس ومحكم المباني من النّكات الأدبية، فأشهدك على نفسي أن لسان قلمي قاصر عن أن يُحيط بوصفها، وأن فكري عاجز عن الإتيان بما يليق بحقّها.

فهي، وأيّمُ اللَّه، تَهِبُ للأُدباء الأمن والأمان، ولا بدع بتسميتها بـ «الجنان»، فإن غارسَها الأديب البستاني، ولا شك أنه يُجيد بَذرَ الفَصَاحة فيها ويُجري يَنَابيع البلاغة في صَياصيها، وإنني لما طالعتها أخذني الوجد والشّوق، فتدحرجتْ كرةُ

(1) سورة البقرة، الآية: 35.

دَوَاتي بصولجان القلم من تحت إلى فوق، فأرجوك أن تبلّغ ثَنَائي وشكري لجناب البستاني الذي أتحفنا من «جنانه» بالورود، وأنعم علينا فيها بالصدور والورود، شَكَرَ اللَّه سعيه المثمر بعمران الوطن وترقّي العطن، واللازم على كل ذي بصر بصيرة إن كان مميّزاً للأشياء، أن يدخل في حديقة هذه «الجنان» ويقتطف من أثمارها المقتطفة الألوان، ﴿فِيهِمَا فَٰكِهَةٌ وَنَخْلٌ وَرُمَّانٌ ۝٦٨ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾[1].

والتمس من لُطفك أن تُقيّد اسمي في جريدة هؤلاء الإخوان، وتسطّر رسمي في سجلّ أولئك الأخْدان، وإن كنتُ لا أستحق الانتظام في سلكهم والدخول لمُلْكهم، إلّا أن الأدباء مُحِبو الوطن، يقبلون بفضلهم من غَبْيي ومن فطن، وأن يتحفوني بما طُبع منها وما سيطبع، لأعود ساحباً ذيل السرور وحائزاً للشرف أجمع، وغاية ما أقول والفكر مشغول من التقريض، وإن كنت لا أُحسنُ القريض.

حنَّ جناني إلى «الجنان»	وقرّظتْ بالثنا آذاني
لأنها روضةٌ تحلّتْ	بزهرة الفضل والبَيَانِ
دارتْ على مَسْمَعي بكاسٍ	ألذّ من خَمرة الدِّنانِ
سَرّحتُ عيني بِلابَتَيْهَا	لما تراءت إلى العِيَانِ[2]
كانها روضةٌ تجلّتْ	سَرَّحتُ في روضها جناني
أنشأها فاضلٌ أديبٌ	تفخرُ فيه مدى الزَّمانِ
تعرفه الناسُ طودَ فضلٍ	فلا يحتاج للبَيَانِ
أَسالَ سلسالَها زُلالاً	يروي الأقاصي مع الأداني
بديعُ أشجارها بَيانٌ	ثمارُ أغصانها المعاني
لطيفة القصد في بناها	بديعةُ اللفظ والمَباني
سَكَتُّ عن وصفها لعَيْيّ	وكَلَّ عن مدحها لساني
فلن تَراني أُجيدُ نُطقاً	ولن تراني ولن تراني

ولعمري لقد تاه جناني في «الجنان» وسَحَرني إبداعُ الإخوان بما نثروه من

---

(1) الآيتان 68 و69 من سورة الرحمن، علماً أن آية ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ تكررت 31 مرة في سورة الرحمٰن.

(2) اللابتان مفردها اللابة: الأرض السوداء.

الرَّوح والرّيحان، فأسأل اللّه الملك المنّان أن لا يُخلي الأوطان من أهل الفضل في كل زمان وأوَان، وسلامي عليك ما أشتاق قلبي للجنان وإليك أفندم.

في ثالث مارس/آذار 84.

❀ ❀ ❀

□ في «الدُّر والغُرر» للسيد المرتضى قال: رُوي عن يحيى بن البحتري قال: رأيت أبي يُذاكر جماعة من أُمراء الشّام بمَعَانٍ من الشعر، فمرّ فيها قلّة نَوْم العاشق وما قيل فيه، فأنشدوا وأكثروا، فقال أبي قد فَرغ من هذا كاتبٌ بالعراق، فقال:

أحْسَبُ النومَ حكاكاً ... إذا رأى منكَ جَفَاكا[1]
منّيَ الصبرُ ومنك الـ ... ـهجرُ فابلغْ بي مَدَاكا
بعُدتْ همّةُ عينٍ ... طمِعَتْ في أن تراكا
أوَ ما حَظٌّ لعيني ... أن ترى مَنْ قد رآكا
ليتَ حظّي منك أنْ تعـ ... ـلمَ ما بي من هَوَاكا

❀ ❀ ❀

□ قال الصّولي: وجدت بخطّ أبي، قال: أنشدني أخي لعمّه في علي بن موسى الرضا عليه السلام من قصيدة:

كفى بِفَعَالِ امرئٍ عالم ... على أهله عادلاً شاهدا
أرى لهمُ طارفاً موثقاً ... ولا يُشبه الطارفُ التالِدا
يمنُّ عليكم بأموالكمْ ... وتُعطونَ من مائةٍ واحدا
فَلا حمدَ اللّه مُسْتَبْصراً ... يكونُ لأعدائِكم حامدا
فَضُلْتَ قسيمَك في قُعْددٍ ... كما فَضُلَ الوالدُ الوالدا

❀ ❀ ❀

قال الصولي: فنظرت إلى قوله: «فضلْتُ قسيمك في قعدد» فوجدت علي بن

---

(1) الأبيات لإبراهيم بن العباس الصولي، المولود سنة 179هـ، والمتوفى في سامراء سنة 242هـ وأصله من خراسان يرقى بأصله لملوك جرجان، كان كاتباً بليغاً منشئاً، وكان يقول الشعر، عمل في الكتابة للفضل بن سهل. انظر: **الأغاني**، **وأعيان الشيعة**، للسيد الأمين.

موسى عليه السلام والمأمون مُتَساويين في قَعْدَد النسب، وهاشم التاسع من آبائهما جميعاً.

□ وروى الصولي أن مُنشداً أنشد إبراهيم بن العبّاس وهو في مجلسه «ديوان الضّياع»:

رُبّما تكْرَهُ النفوسُ من الأمر ما لَهُ فَرْجَةٌ كَحَلّ العِقَالِ

فَنَكَتَ بِقَلَمه ساعةً ثم قال:

وَلَرُبَّ نَازلةٍ يَضيق بها الفتى ... ذَرْعاً وعندَ اللّه منها المَخْرَجُ
كَمُلَتْ فلمّا اسْتَحكَمتْ حَلَقَاتها ... فُرجَتْ وكان الظَّنُّ أنْ لا تُفرجُ[1]

فتعجّبت من جودة بديهته. (انتهى ما أردت نقله من «الدّرر والغرر»)

❀ ❀ ❀

□ ولبعضهم في المعنى، وربما نُسِبَتْ للحسن بن علي عليه السلام:

كُنْ عنْ أُمورِكَ مُعْرِضاً ... وكل الأمورَ إلى القَضَا
فَلَرُبَّ أمرٍ مُتْعِبٍ ... لَكَ في عَوَاقِبه رِضَا
ولِرُبّما اتّسَعَ المَضيقُ ... ورُبما ضاقَ الفَضَا
اللّه يَفعلُ ما يَشَاءُ ... فَلا تكنْ مُتعرِّضا
اللّه عَوَّدَك الجميلَ ... فَعِش على ما قَدْ مَضَى

❀ ❀ ❀

□ في «الكافي»، في كتاب المعيشة في باب **«كسب النّائحة»**: أحمد بن محمد عن علي بن الحكم عن مالك بن عطيّة عن أبي حمزة عن أبي جعفر عليه السلام، قال:

مات الوليدُ بن المُغيرة، فقالت أم سلمة للنبيّ صلى الله عليه وآله: إنَّ آل المغيرة قد أقاموا مناحةً، فأذهب إليهم، فأذِن لَهَا، فلبستْ ثيابها وتهيّأت، وكانت من حُسنها كأنّها جان، وكانت إذا قامت فأَرْخت شعرها، جَلّلَ جَسَدها، وعُقد في طرفيه خلخالها، فَنَدبت ابن عمها بين يديّ رسول اللّه صلى الله عليه وآله فقالت:

أَنْعَى الوليدَ أَبَا الوليـ ... ـدِ بن الوليد فتى العشيرهْ

---

(1) أنْ: هنا مخفَّفة من أنَّ، وليست أداة لنصب المضارع، والأصل: كان الظَّنُّ أنّها لا تُفرجُ.

حـامـي الـحـقـيـقـةِ مـاجـدٌ يَـسْـمـو إلـى طـلـب الـوتـيـرهْ
قـد كـان غَـيْـثـاً فـي الـسـنـيـن وجـعـفـراً غَـدِقـاً ومـيـرهْ

قال: فما عاب عليها النبي ﷺ ذلك، ولا قال شيئاً.

□ لابن خلفه ركباني[1]، ولا يُشترط فيه موافقة العربية.

يا مُعتلي في كور هجْنا تليعه ريّض لكبدي بالنوى لا تُليعَهْ
قبل السُّرى ياهيهْ دونك ذريعه من مُدنفٍ في قيد الأشواق مرهونْ
والهمُّ قلوصَكْ لو ونى بِيكْ هدوى لما ترى بِمْناسِم البيدْ يُطوى
يمّمْ بها أطلال رامهْ وحزوى تسمعْ عويل أهل الصّبابه يئنْون
ذا واضعٌ من فوق كِبْدِهِ يمينهْ وذا حنين النّيب بادٍ حنينهْ
وذا قاطعٌ سيف اللّواحظْ وتينهْ وذاك أمسى في قَنَا القَدّ مطعونْ
حاذرْ عَشَنكْ منهج الخير تُهدى غيد مِنَّة آساد خفّان ترْدى
وإن شفتْ سُمّار الحمى عنك هجدى اسقطْ سقيطَ الطّلّ من مُزنة الجونْ
وانعي لْفَتاة الحيّ واللّيل داجي عساك من صرف المَقَادير ناجي
عنّي نيابهْ يا فتى عود ناجي قلها ترى يا حيّ خلّقتْ مسجونْ
سينيح واقرا السمع عن لوم لائمْ يرتاح كِبْده من هبوب النَّسَائمْ
ويرنّ ما بالمخنَّارَنَّ حائمْ ليله وشسان أهل الصبابة يرنون
ما زلت أوصي بالطريقة أخا السير علّ وعسى ألقاه ساعي إلى الخير
حتى غدت به شدقيه كما الطيرْ ترقلْ وسواقه عنّا ما يونّونْ
وأبقيتْ من عُقيه أعدّ الليالي عن حالتي سَلْ بالدمع ما جَرَالي
ما زلتْ حتى يوم سابعْ لِفالي عشوى ونضوهْ من مدى السير ممتونْ
ناديتْ له ياهيهْ أسرعْ لَهِينَا أناشدك عن غيد بها ابتلينا
هلْ لاح لَك جيد الوضيحي وعينا قال أجل مع غيد على الماء يردونْ
أخابرك لما زَجَر بالرَّكائبْ عنّك وفودْ الليل بالصبح شائبْ

---

(1) ابن خلفه: هو محمد بن إسماعيل الحلّي المعروف بابن خلفه. ذكره العلّامة الأمين في «**أعيان الشيعة**». القصيدة نسبتها خطأً إلى الشاعر الزجلي توفيق صباح نقلاً عن مخطوطة ديوانه. انظر: **الديوان**، منشورات المجلس الثقافي للبنان الجنوبي.

تقطع دياديم بها السيد هائبْ … والوحش موحش ما بدٌّ يبيتون
حتى لقينا يا خويَ من عشيّهْ … روض وغدران بَسفخْ وعَذْب مَيَّةْ
على البعد لاح لي فيها نار لميّهْ … به دوم تَيّاه الهوى يستدلونْ
يَمَّمتها من حين لاحتْ من الخيفْ … أبغي القِرى ما لي رفيق سوى السيفْ
قالت من الطارق بهداي وقلت ضيف … يبغي القرى هل للمحبّين يقرونْ
قالت: هَلا مْعَ الرحب نوّخْ ذلولكْ … بالنزلْ ما منْ غيرنا يكرمولكْ
بارباعنا لُوْ دار يا شينْ حولكْ … وادْعيتنا فالكلّ منّا يلبّونْ
ناديتها لِمَّن خَلَتْ ساحة الدّارْ … من حضرة الرّفاق والأهل والجارْ
هَلّيكْ علم بمْشوشقْ ما الذي صار … عليه وأمْسى مدنف القلب محزونْ
قالت يامن كنتْ للحقّ راوي … بالك تغرّنّ فالمحاكي مهاوي
قولْ الصحيحة يا فتى لا تراوي … فأهل الصّدق لا زال بالصدق ينجونْ
قلتُ الحَيَا لي يمْنعنْ لي أن أبيلكْ … قالت: تكلّمْ قلت أجل يهتوي لكْ
تغدين صوبُه عاينه لو يجيلكْ … قالت: عنّك ذاهب العقل مجنونْ
لي عزوة حول الخِبَا يلحظو لي … وبالضغينة دوم يبرو ذلولي
عن خوفتي هلْ كيف أنا أحْظى وحولي … ضياغم سُمْر القَنَا الخطيّ يدمونْ
قلّه فيأتي الحيّ والليل ساجمْ … متعثّر ومساهر النّجم نائمْ
بالُه يَبات بغير مغناي رايِمْ … خوفي السبَالةَ نابح الطلب يدرونْ
دنيت حين سمِعتْ هَجنا ذعورهْ … هي هوجة وأرقيتْ بالحين كُورَهْ
من توجس المِشعاب تكثر نفورهْ … يحكي مَذاعير المَهَا حين يَغْدون
بي ثورت قبل الصبح من مراحي … منكفّةً بالدّوّ بعد المناحي
ميَمَّمهْ بالسير هاكِ النّواحي … ما رْبضتْ مع كل ركبٍ يربضونْ
حتى لقيتْ لحَيْها والمواطن … عتمه وَنَخْتَه بين غور وباطنْ
وانْسبتْ كالأفعى ولأني مواطن … لكن حكم البيض عالموت يرمونْ
لمَنْ لقيت معرّسَه والمباني … كاللّيث ما تثني الرّزايا عِناني
قالت: من اللّي جِمانا مْدَاني … قلت اللي بعشقه[1] قبل الادراء تدرونْ
قالت: هلا باللّي لقانا حوايج … هَدوه ولا عاقه عن السير عايج

(1) اللي بعشقو: الذي يَعْشَقُهُ.

صُد وانذعرْ صوبي وللخير وافج — أخاف حرّاس الحمى بيك يدرونْ
وسَّدْتها من شدّة الشوق زندي — وأمسى رْضابه لوظما لِكبْد وردي
واشكيت له عن لوعتي وطول وجدي — قالت: نعم لي عنك الأتراب يحكونْ
مدّيتْ كفّي حَدْ قرطي المبرمْ — قالت: تهدّى قلت أنا فيك مغرمْ
من للوصل يا زينة العين حَرَّمْ — والوصل من دين أهل الهوى فيه يحيونْ
قالت: فلا في الفانية لا تحارف — خلِّ الخَنَا حنّا الغِيَاد العَفَائفْ
لكننا لليهتوينا نوالفْ — ولا يرى منّا سوى مطل مديونْ
غلّ الترومه وانثني للثم ثغري — وانشقْ عبير حقاق غاصْ بصدري
لا تكثَرنْ ضمّي فأعوام عمري — عشر وأربع ما عليها يزيدونْ
بِكْر بعد ما لَوَّث الثوب نهدي — ولا انقطف وَرْدٍ زها فوق خدي
غيرك فما حصل سوى طول صدّي — ولا هَلي في بعض ريبةْ يظنّونْ
ما زلتْ في روضٍ من الحُسن راتعْ — وعن الخنا كفّيت كفّ المطامعْ
حتى استمدّ الخيط بالشرق طالع — قالت ارشد قبلْ قومي يفيقونْ
ما نبَّهك ديك الحمى حين صوَّتْ — والعين على اليقظةْ وعمرك تنوَّتْ
دونك وهذي فرصةً ما تفوّتْ — ولا فراقٍ لك عليّ ليس بالهُونْ
ودّعتها والدمع على الخدّ سائلْ — والجسم من عُظم النوى بات ناحلْ
قالت: بنا لا تقطعون الرّسائلْ — ناديتها وأنتم بنا لا تقطعونْ
وابكفت عنها بالرغم يا هلْ ودّي — والشوق شوقي وذاك الوجد وجدي
هذا الجرا لي والذي صار عندي — معها وعسى لي بالوصل دوم تسعونْ

❀ ❀ ❀

☐ ولشاعر عَنزة[1] وكان أرمد في وقت الحرب:

صار الصباح وقيل ما من عَوَافي — وقامت ترادس عودتي من سكرها
خيّالها ما ني خطاة الهَلافي — اللي يموت وعورته ما سترها
يا ربّ نطلبك العفا والعوافي — وعيون من راسي تداني نظرها
تسعين ليلة ما تهنّيت غافي — ثقل الحجر في موق عيني حجرها

---

(1) عنزة: قبيلة عربية.

تقل غديت من لابسات الغدافي ولا تقلْ مضت لي ساعة في ظهرها

❀ ❀ ❀

□ لبعضهم عتابا[1]:

شعور سدلتونه وراكم[2] قتلتوني عسى الحوبة وراكم[3]
بنوبة أبكي بنوبة الطمْ وراكم بنوبة أحثو على الهام التراب

□ للسيد محمد آل ياسين في عقيلة:

يا عين الرّيم عالميَّات ورّدْ خديده من شعاع الشمس ورّدْ
عقيلة لو مَشَتْ عالصخر ورّد نبتْ قَيْصُوم عالي وكسر فَيَّه

❀ ❀ ❀

ولعقيلة وقد رأت جنازة السيد المذكور:

يا سيّد وين ها النيه ونوياك[4] وقلي الراي لِنْبصدرك ونوياك[5]
يا سيد ليت ها النومة ونوياك[6] بكلَّة[7] ونشبك العشرة سويهْ

❀ ❀ ❀

□ وللسيد المذكور:

شكف فوق الهَنَادي عقال واحد يا واحد ما دري بهموم واحد
سمت بنت الحمولة تخطب الواحد ولْتخطب اثنين ذَبحة بْلا هدية[8]

❀ ❀ ❀

---

(1) معنى بيتي العتابا: يا صاحبة الشعر المسدول تحت الثوب قتلتموني ولم أعرف ثمن الإثم الذي ارتكبتموه وها أنا أبكي وألطم «خلفكم» بعدكم ومرة أعفر رأسي بالتراب.

(2) **وراكم أصلها وراءكم:** خلفكم.

(3) **الحوبة**: الإثم.

(4) **نوياك:** من البعد والنوى.

(5) **ونوياك**: النيّة.

(6) **ونوياك**: الضمّة، ليتني أنام وإيّاك.

(7) الكلة: السرير.

(8) **ذبحة بْلا هدية:** قتلٌ بلا دِّية.

□ وللسيد المذكور، يخاطب نفسه، وقد لِيمَ في حبّ عقيلة:

لعقلنك يا روحي عقل بدواك وجوزلي ما تدري الناس بدواك
متى يا علّتي تطحين بدواك قبل ما ترابعوني وسَروا بية

❀ ❀ ❀

□ وله:

أنا الرافج المرقوع جودهْ بسموم القيظ ما ذبلن خدوده
يا بيّك بالعمى وأمّك تقوده لمِنّه ثقِّل أسيافك عليَّ

❀ ❀ ❀

□ ولغيره:

قتلتيني يا دربونة يا سودة عيون بغير جرّ ميال سودةْ
تسوي من الخميس[1] الفين سودةْ ومن خبل الجشاعم تسع مِيّة

❀ ❀ ❀

□ ولبعضهم:

غاب القمر وخده يضي عنّه وعلى فراش المودَّة يَضَعَنُّ
أما أدري أتبع ظعنهم بظعنه تبعت ظعون من طابت عليَّ

❀ ❀ ❀

□ ولبعض النساء:

يا بويَ دخذني لبيت ديمة وذبني[2] بين صحوة وبين غيمة
يا يمة عِشرة العلّام ضيمة من شان الجحف جايز عليَّ

❀ ❀ ❀

(1) الخميس: الجيش.

(2) ذبني: تركني.

□ ولبعضهم، مصري:

هـذي جـراحـي طـريـة   والـدم بـيـنـضـخ
قـالـوا ونـاخـذ بـتـارك   قـلـت ذا أقـبـخ

❀ ❀ ❀

□ ولبعضهم، موَّال بغدادي:

يا طارشي لو وصلت البيض عالمهم   ما يرحمَنْ ليش سيّدهم وعالمهم
يا مَن يصدّوا جروح القلب ما لُمْهُمْ   من حيث قدمه على شاطي الرواشد خطا
يا عنق ريم رمى الفانوس منه وخطا   قلت له لم زلوفك لا ينوشك خطا
زعـل وقـال كـبـاد أبـيـك مـالُـمْـهُـمْ

❀ ❀ ❀

غيره، لغيره وهو الشيخ علي سبيتي الأول، توفي قتيلاً في بغداد.

يا مَنْ بميسم صدودك للحَشَا بسّمت   دَعِ الجفايا وليفي وانذعر بالسّمت
وإن كان قصدك وودّك والهوى بس مُتْ   آموت لكن زمان الموت لي ما حانْ
يا من بحبه لأرباب الهوى ما حنْ   وإن كان قلبك عليَّ صاحبي ما حنْ
تـبَـسَّـمـتْ لـمِّـين شـفـتـك لـيـش مـا تـبَـسّـمـتْ

❀ ❀ ❀

□ ولمؤلِّف الكتاب من الطريقة الأولى:

سـلـبـتـيـنـي يـا حـيَّـافـة يـا حـمـرةْ   خـدود مـحـمَّـرات بـغـيـر حُـمـرة
فَـدَاك مـن الـعـجـم ألـفـيـن حـمـرة   ومـن بـيـض الـصّـقـالـب سبـع مِـيَّـة

❀ ❀ ❀

□ وله:

حـبـيـبـي لـدَيْـرْ عـامـص شـال رَحْـلـه   وعـقـلـي الـرَّاح مـنـي الـيـوم راح لـه

تــرى إمّــا تــداوونــي بــرحــلــه وإمـا تـفـقـدونـي بْـهـالـعـشـيَّـةْ

❀ ❀ ❀

غيره، لغيره ويسمى هذا النوع عتابا، وهو في الديار الشامية شائع وفي العراقية والحجازية قليل، وقاعدته إن لم يكن فيه (باء)، زِيدَتْ عليه.

لـبس عـمّـةْ[1] وأرخـى لَـطَـرفْـهـا وعـسى عـيـني برحـلـه ما طـرفها
وحـق الـبـا ومـن يـقـرأ طُـرفـهـا مـا حـلـي غـيـرك لـعـيـنـي حَـدابـا

❀ ❀ ❀

□ وللمولّد الفائق الماهر الشيخ محمد حسين ابن المرحوم المبرور الشيخ محمد حسن مروة، أبيات مدح بها المؤلف وهي من أوائل شعره وجياده:

بـانَتْ سُعـاد فذقتُ الصبرَ والجَلَدا وبتُّ من أجلها مُضْنى الحَشَا سَهدا
هـي الـتـي عـذّب الـلّـه الـعـلـيُّ بـهـا قلبي فَقَاسيتُ منها الوجد والكمدا
قامت تُريك قضيبَ البان منعطفاً تـهـتـزّ لـيـنـاً فـلا قـصـراً ولا أَوَدا
عَلِقْتُهَا عَرَضاً والقلب في خطرٍ وصـرتُ صبّاً كئيباً والـهاً كمِدا
ما مال قلبي سواها في الورى أحدٌ كـلاًّ ولـم تَـرَ عـيـنـي مـثـلَـهـا أبـدا
لمْ أنْسَها إذْ بدَتْ يومَ الرحيل ضحى تـقـولُ أيـن الـمُـعـنَّـى بـي وأيـن غَـدا
عهدي بها حين جدّ السيرُ إذْ برزَتْ تسعـى إليَّ وتشكو البينَ والبُعُدا
فقلتُ لا بدّ لي أن أركبَ الأملَ الـ ـمغرور من أجلها أو أبلغَ الرَّشدا
لـعـلّ سـيـدنـا الـزاكـي أبـا حـسـنٍ يوماً سيكشف عنّا الغمّ والنّكدا
مـحـمدٌ خـيرُ مَنْ نـال الـعلى وسَمَا بالفضل يُنمى لعزّ الدين مُذ وُجدا
حسبي بسيِّدنا أَزْكَى الورى حَسَباً ومُظـهـراً لـعـلـوم الـديـن مُـجـتـهـدا
بـحرُ الـعلوم وكشّافُ الـغموم ومنْ بـوجـهـه يُـسـتـقـى غـيـثٌ وريّ جِدا
حـلاّلُ مُـشـكـلـةٍ كـشّـافُ مُـعـضـلـةٍ لـم يـسـتـطـع غـيـرُهُ فـي حـلِّـهـا أَبَـدا
وكـم جَـلاَ ظُـلـمـةً عـمَّـتْ غَـيَـاهِـبُـهـا بـفـضـلـه فـاضـاءتْ من سنى وهُدى
لا زالَ يسمو على كلّ الورى شَرفاً بـرغـم آنـاف حُـسَّـادٍ وغـيـظ عـدى

(1) عِمَّة: عمامة.

يا أيها العالم المولى الوليُّ ومَنْ — له الفَضَائل لا أُحصي لها عَدَدا
لو قيلَ فضلك بحرٌ قلت قد نَفِدَ الـ — بحر المُحيط ولو جئنا به مَدَدا
يا خيرَ منْ قَدْ صَفَتْ أخلاقُه وزَكتْ — أعراقُه وارتدى بالفضل خير ردا
إذْ كنتَ لي عدّة في كل آونةٍ — فَلا أُبالي أَقامَ الدهرُ أم قَعَدا
هذا الثناء وما أوفيتُ قَدْرَك بلْ — لحظتُ ما بَلَغ المجهود إذْ جَهَدا
أبقى لنا اللّه مولانا ولا بَرَحتْ — أيّامنا أبداً في ظلّه جُدُدا
لا يطرقُ النازلُ المحذورُ سَاحتَه — ولا تَمدُّ إليه الحادثات يَدَا

❀ ❀ ❀

□ وللأخ في اللّه، الفاضل الماهر الشيخ حسين كركي، في كتاب أرسله إليّ من العراق، شعراً ونثراً، فمن النثر قوله:

«ما ضِحْكُ ثنايا الزهر للطلّ المنهمر على أوراقه، ولا مَيْلُ الغصن ما لعبت الصَّبا بآفاقه، ولا نَهَل الصّادي من السلسبيل العذب عند ورود المَنَاهل، ولا عَلَّ فؤاد المدعو بإنجاز الوعد الماطل، ولا مكان الحبيب بعد الهجر عند الإقبال، ولا خيبة الرقيب عند ظفر الطالب الوصال، ولا إجابة الداعي بعد طول السؤال، بأزهى منظراً ولا ألطف مَسْمراً ولا أعذب مشرباً، ولا أعذب في قلب، ولا أوسع في رَحْب، ولا أقرب ظِفراً في مطلب، ولا أوصل إلى مأرب ممّا أهديه وإن قصّر عمّا وجب.

أهدي من التسليمات أسنى ما انتظم من عقوده إذا كان واسطة الثناء، ومن التحيّات أعلى ما بعث عليه إخلاص الوفاء، ومن الأثنية ما أوجب تعطّر الكون به الوصول إلى غاية القصد ومنتهى الرّجاء، ومن الأدعية ما يثبر بنجاح المأرب وطول البقاء، إلى من ارتقى أعواد البلاغة واتكى على قائم صارم الفصاحة، فرأب في زَوَاجر وعظه صَدْع القلوب بعد الضّلالة، وأقام عُمُدَ المعارف بعد التداعي والإهالة، وحالف من سُبُل الفضائل الطريق الأعدل وآوى إلى جنابه من أفراد الكمالات الأمثل فالأمثل، وتناول بعيدات المكارم بكفّ غير أشلّ وحمل المعروف على كاهلٍ غير أعزل، فما من فضل إلّا وعليه اشتمل ولا من كمال إلّا وإليه ارتحل، ولا مجد إلّا وعليه استقل، قوّمَ قناة التحقيق في ميدان جَوَلان الشبهة المدلهمّة فكشف عنها نُقاب كل ظلمة، وأركز

عصا الوَرَع والزهد في مطارح إنكار المطامع، وأثبت رجْل التقوى عند زلة النعل بتلك المشارع، لا يلويه عن الخشونة في ذات اللّه رأيُ مفنّد ولا يقرّبُه من غَضَب اللَّه مُبْرقٌ ولا مرعد، إن استغنى لم يبطر وإن افتقر تاهَ على الدهر، لا يسرق عنقه ريب ولا يدنّسه نقْص ولا عيب، اجتنى ثَمَرات المَعَالي وهي بعيدة المَنَال، واحتلب ضروع المَفَاخر بيمين لا بشمال، ليس لبحر علمه ساحل، ولا لجميل صفاته مُمَاثل، ولا لطول أياديه طائل، ولا لِسَبْقه في حلبة الدهر مُناضل، شمس جبل عاملة وبدرها الكامل وسَحَابُها الهاطل، المَوْلى التّقي ذو الفخر الجليّ والقدْر العليّ، لا زال علوُّ مجده لكلّ عدوّ قاتل، وفضله يقوى على الأواخر والأوائل.

ومنها:

أما بعد، فما أومض برقٌ في دجنّةِ ليل المحبين، إلّا تطلعت الأسرار الكامنة بين لمحاته وعاجليه في تصويب النظر إليه للإبانة عما أخبأ لي في لمعاته، أحاول الوصول إلى ما انطوت عليه قلوب من انبعث ذلك الضياء عنها وبحثت عمّا أوجب وقف عيني على السهاد بعدما بِنْتم عنها.

ومن الشعر قوله (أي الشيخ حسين كركي):

من عذيري حال حول البين بي ... واستحال الدمع في عيني دَمَا
يا نسيم الريح من عاملةٍ ... كم أَمَلْتَ الغصنَ في تلك الربى
مَيْلَ أعطاف مَهَاها إذ مشت ... غافلاتٍ حبّذا تلك الخطى
وخطيبُ الأيك في منبره ... رقّ صوتاً مثلما رَقَّ الصَّبَا
كلما أملى على بُلبله ... فَضْل شوقٍ عانق الغصن هوى
فتذيل السحب من أردانها ... فوقه إذْ ذاك أرداءَ الحَيَا
ويُوشي الطلُّ في أوراقه ... سُوَرَ التعويذ من غير الملا
وبذاك السفح من لبنان كم ... ناشدٍ قلباً ومطلولٍ دَمَا
وهدىً قد ضاع ما بينهما ... والعيونُ النّجلُ من تلك الظّبا
هلْ لِرفْدي مالكٌ يثأرُ لي ... فيُبيح الرّشْفَ من ذاك اللّمى
كلما استقبلنَ شخصي قلتُ قد ... طال وجدي ثمّ أدركتُ المنى
فإذا أرسل نحوي لَفْتَةً ... عُذْنَ يمشينَ حَيَالي القهقهرى

نــافــراتٍ كــالــمــهــا لــكــنــهــا ... لا تُــديــر الــطَّــرْفَ ســاعــاتِ الــنّــوى
يــا أَهَــيْــل الــوِدّ مــن لــبــنــان قــدْ ... أَشــعــلــتْ أســرارُكــم مــنّــي الــحَــشَــا
وأَذَابــتْ فــي لَــظَــاهــا دَمــعــتــي ... فَــفَــشــا بــالــدمــع ســرّي مُــذْ فَــشــا
لــيــتــنــي اســتــقــبــلــتُ مــا اســتــدبــرتــهُ ... والــهــوى غــبٌّ قــريــب الــمُــجْــتَــنَــى
فَــعَــدلــتُ الــقــربَ مــن عــن دارِكــمُ ... بــإبــاء الــفــضــل أو سُــخــط الــنّــهــى
لا أُبــالــي خَــطــنــي عــصــيــانــه ... عــن سَــنَــام الــمــجــد أو ســرج الــعُــلــى
لــيــتَ أيّــامــي عــلــى الــعــكــسِ جَــرَتْ ... فَــأَراقــتْ دمْــعــتــي قــبــلَ الــنّــوى
فَــأَبــانَــتْ ســوءَ حــالــي بــعــده ... لأكــون الــدّهــر مَــحــمــيَّ الــحِــمــى
عــن طُــروق الــعَــذْل لا أصــغــي إلــى ... آمِــــرٍ فــــيــــه ولا نَــــاهٍ نــــهــــى
لــيــتَ مــن كــانــتْ إلــيــه رَغْــبَــتــي ... يُــرجــع الــطَّــرْف صــبــاحــاً أو مَــســا
لِــيَــرَانــي كــيــف لانَــتْ بــعــده ... مِــقْــودي لــلــبــيــن مــن بــعــدِ الإبــا
يــا كــفــيــلَ الــعــلــم يــا عــيــن الــهُــدى ... يــا حــلــيــفَ الــجــود يــا خِــدْنَ الــتّــقــى
يــا أنــيــس الــنــفــس يــا ربّ الــنُّــهــى ... يــا مــنــاخَ الــفــخــر يــا طــودَ الــهــدى
يــا ســلــيــم الــعــرض عــن قــول هَــفــى ... حِــلْــمــه إن ضــاعَ حِــلْــمٌ أو هــفــا
كُــنــتَ لــي إنــســان عــيــنــي ضــوءُه ... يــحــسِــرُ الأبــصــارَ عــنــي إنْ رأى
ضــارعــاً لــلــدهــر أو مُــفْــضٍ عــلــى ... زلَّــةٍ لــلــبــيــن إن جَــنْــبٌ وهــى

❀ ❀ ❀

بسم اللّه الرحمن الرحيم

ولي تشطير هذين البيتين، اقترحه عليّ الشيخ عبد اللّه ابن الشيخ حسن سكيك الحنفيّ المذهب، في غَزّة هاشم، حين مرورنا عليها على طريق مكّة، واشترط عليّ بقاء التورية التي فيهما، ولما شطّرتهما أعجبه ذلك، وهما مع التشطير:

قَــالــتْ لَــوَاحــظُــه إنّــا نــســودُ عــلــى ... سمُر القنا قُلْتُ أنتمْ وحدكم سودُوا[1]
قالت عيونَ المها منا نسود على ... بِيضِ الظُّبى قلت أنتم أعينٌ سودُ[2]

---

(1) سودوا: من السؤدد.
(2) سودُ: من السّواد.

قالوا وَجسمك بعد البُعْدِ صِفْهُ عسى عودٌ يُضمّخ فيه قلتُ: لا عُودُ[1]
وحينَ قالوا أَتيناه على شَغفٍ نَعودُه قلت يا كلَّ المنى عودوا[2]

❀ ❀ ❀

□ وأملى عليّ الشيخ المذكور لنفسه، مُشَطّراً وأجاد:

عَانقتُه عند الوَداع وبَيْنَنا وَجْدٌ لحرقَةِ بَيْنِنا لا يُحصرُ
ورجعتُ عنه ولي فؤاد خافقٌ وَلَهُ به وَلَهٌ يطول ويَقْصُرُ
وبداخل الأحشاء قلبٌ ذائبٌ من وجْده وحُشَاشَةٌ تتفطّرُ
قالوا تجلد للفراق وما دروا خطري إذا ما بان بانٌ يخطر
لو أدركوا عذب اجتماع أجمعوا أن الفراق هو الفراقُ الأكبرُ
لا تُنكروا جَزَعي عليه فإنها شَقَّتْ مَراراتٌ وشَقٌّ تَصَبُّرُ
لا سيما وأنا الذي عاينتُه رُوحي تُفارقُني وعيني تنظرُ

❀ ❀ ❀

□ وأنشدني لبعضهم:

ما عليهم في الهوى إذ نظروا حينَ سَمّوكَ فقالوا عُمرُ
أَبْدَلوا عينك قافاً غلطاً أخطأوا ما أنتَ إلاّ قَمرُ

□ ولي أبيات في مكاتبة، هي جواب الشيخ حسين الكركي، عن مكاتبته السابقة لي، وهي:

ما شَذَا ذا العَرْف ياريحَ الصَّبا ومتى العهدُ بغزلان النَّقَا
عَرَفْتُه ودَلّني الدمعُ على مَهَبِّهِ من مُنحنى وادي قَبَا
وكيف لا أعرفُ عَرْفاً ضمّخَتْ جيبي به لمياءُ من عهد الصِّبا
وطالما طلَّت به في حاجرٍ أُهَيْلَ دارينِ صباحاً ومَسَا
لا يُنكر الدّاري إلاّ أنّه قد زاد طيباً طيبُه ممَّا اكتسى

---

(1) **عود**: من العَوْد أو العيادة أو العُود: الطيب الرائحة من الأغصان، كعَود الند أو الشيح أو القيصوم.

(2) **نعوده**: من العيادة زيارة المريض، عودوا: من العَوْد: الرجوع بعد غياب.

اللَّه يا أهل النَّقا في مُهجةٍ أنتم لها الدّاءُ الدّفينُ والدَّوَا
إن تُنكروا ودّي فإني عارفٌ بودّكم لم يُنسني طولَ المدى
فاذكروني ذكر اللّه الذي يذكر الجاني وينسى ما جَنَى
ثم قولوا رحمةُ اللَّه على مَنْ لم يزلْ مَيْتَ الهوى حيّ النّوى
واذكروا نَشْري إذا نَشْرُكمْ هبَّ فأحياني وقد زُرْتُ البِلَى
أتروا أنيَّ مذْ فارقتكم قد سِغْتُ عيشاً طَعْمُه حُلُو الجَنَى
هيهات ما أبعدَها أُمْنيّةً سبق العَذْلَ بها سيفُ القضا
وكيف يهنا العيشُ بعد منزلٍ ودَّعْتُهُ رغماً وأودعتُ الحَشَا
وفتيةٍ من بعدما كانوا سوا فرّقهم صرف النّوى أيدي سبا
للّه أيامٌ مضتْ في قربهم كأنّها أحلامُ ليلٍ وانقضى
ما أنْ تذكّرتُ لذيذَ بَرْدِها إلاّ مَلأتْ الكفَّ من عيني دَمَا
يامُرْخيَ الفرعِ على جيد طَلا وساحبَ الصّدغ على وجه ذُكا
رفقاً فما في القلب إلاّ هوىً وهلْ ترى فوق الهوى من مُرْتقى
لا والذي حَمّلني فيكَ العَنَا ما ضلَّ قلبي عنكم ولا سَلاَ
ولا ترى عينيَ مذ فارقتكم شيئاً يروق الطَرفَ من هذا الورى

❀ ❀ ❀

☐ ولي دوبيت مصري، لا يشترط فيه العربية، وقد تقدّم نظيره في هذا الكتاب:

بعيون لَوْمي عليكم قط ما ينفكّ إنتو الألُى قتلتو لي هذا القرار الفَكّ
كم قلت له فكّتي قال ما لك فَك حتى تقع ما بين ظفر الأسد والفك

❀ ❀ ❀

☐ ولبعضهم: عتابا:

يا بو خدّ كما ورد العبوبا يا سفرجلْ حلّ وضعه بالعبوبا
خَذم عقلي وراحم يلعبوبا كما لعب المرايش بالهوابا

❀ ❀ ❀

☐ ولشهاب الدين بن معتوق دوبيت:

قلبي بغير الخدود الحمر لا يُعنى وفي سوى الغيد لا يُغرم ولا يُعنى
إن قلت له خلِّ هذي الغيّ واتبعني يقلْ بعضّ النهود البيض تمنعني

❀ ❀ ❀

□ وللصفيّ الحلّي:

سل مُقلتيك الكحل عمن سلاسلها وأسيل مَراشفك من ترشُف سلاسلها
وزلوفك السود مذْ مدّت سلاسلها كم من أسودٍ ضَواري في سلاسلها

❀ ❀ ❀

□ ولبعض خزاعة، وأظنه حَمَد الحْمود، وقد كان مريضاً:

يا أبا الحسن يا علي رجواي فيك أبْرا ولْخَالفَك خالفَ الباري ومنْك بَرَّا
عصفور يا سيدي لو لاذ في كبرا تحميه وأنا بحماك يا والد السبطين
يا با الحسن يا علي والآية الكبرى

❀ ❀ ❀

□ ولمامية المُلقَّب برُومي:

يا منيةَ القلب ما لك تغضبي ما لك وحسن وجهك لأرباب الهوى مالك
أقسم بمن عن حَديثه قد روى مالك إن تقتلي عبد وِدّكْ تخسري مالك

❀ ❀ ❀

استعمال «لو» و«إذا» الشرطيَّتين:

□ من الكلام العام: مَنْ زرع لو أنتج، لا قلت هذا مبني على القاعدة المشهورة عند أهل العلوم، إنّ (لَوْ) في العربية لامتناع شيء، لامتناع غيره، وإنها لا تُقال إلّا فيما امتنع عقلاً، نحو: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا﴾[1].

أو عادة، مثل: لَوْ طار ذو حافرٍ قبلها لَطَارتْ، ولكنه لم يَطِرْ.

(1) سورة الأنبياء، الآية: 22.

أو ادّعاء مثل:

ولو أن ليلى الأخيلية سَلَّمتْ ... عليّ ودوني جَنْدَلٌ وصَفائحُ
لَسَلّمْتُ تسليم البشاشةِ أوْزقا ... إليها صدىً منْ جانب القبرِ صَائِحُ

أو تَخْييلاً مثل:

لو أنّ عَزَّة حاكَمتْ شمس الضُّحى ... في الحسنِ عندَ مُوَفِّق لقضى لها

وهذا كلّه بخلاف (إذا)، فإنها تُقال غالباً في ما يتحقّقُ وُقوعه نحو:

﴿إِذَا جَآءَ نَصۡرُ ٱللَّهِ وَٱلۡفَتۡحُ ۝١﴾[1].

﴿إِذَا جَآءَكَ ٱلۡمُنَٰفِقُونَ﴾[2].

وإنْ فيما يُحتمل، نحو:

﴿وَإِن كُنتُمۡ فِي رَيۡبٍ مِّمَّا نَزَّلۡنَا عَلَىٰ عَبۡدِنَا﴾[3].

﴿إِن جَآءَكُمۡ فَاسِقُۢ بِنَبَإٖ فَتَبَيَّنُوٓاْ﴾[4].

وعلى ذلك، فَلَكَ أن تُلحق بقولهم: مَنْ زرع لو أنتج، لا: من زرع إذا أنتج، نعم، من زرع إنْ أنتج قد يكون.

❁ ❁ ❁

إجهاض المرأة الحامل من هيبة عمر:

ذكر ابن أبي الحديد، في شرح «الشِّقْشِقية» من «النهج» جملة قَضَايا من مَهَابة عمر بن الخطاب، منها أنه استدعى امرأة ليسألها عن أمر، وكانت حاملاً، فَلِشِدّة هيبته ألقتْ ما في بطنها، فأجهضتْ جنيناً ميتاً، فاستفتى عمر أكابر الصحابة في ذلك، فقالوا: لا شيءَ عليك، إنّما أنت مؤدّب، فقال له علي عليه السلام: «إن كانوا راقبوك

(1) سورة النصر، الآية: 1.
(2) سورة المنافقون، الآية: 1.
(3) سورة البقرة، الآية: 23.
(4) سورة الحجرات، الآية: 6.

فقد غشّوك، وإن كان هذا جهد رأيهم، فقد أخطأوا عليك غرّة»، يعني أي عتق رقبة أو تحرير عبد، فرجع عمر والصحابة إلى قوله.

❁ ❁ ❁

☐ لبعضهم، عَتابا:

قِبَابَكْ يا علي ذهبان ومرار[1] وعيشات الزمن أكدار ومرار[2]

أبا الحسنين لَكْ عادات ومْرار[3] تفكّ الموزما[4] بيوم الصّعابا

❁ ❁ ❁

☐ غيره للشيخ حبيب الكاظمي[5]، موّال بغدادي، يُخاطب حمد البيك النّصّار:

ويا بيج[6] لما خطا دهره بزيغ وذلّ والبوس عنكم رحلْ للباخلين وزَلّ

تُعطون لي صابكم والغير صاف وزلّ ما كان حظي معاهد للنَّحس تملّي

وإن فرّغ الدهر جودي بالندى تملّي من كل فنّ مدحناكم وما تملّي

إلاّ على الميجانا وَلاّ بَريق وزلّ

☐ غيره:

يا بيج حدسك بغوص الغامضة درّاي واشوفني بالظلام أو مثلكم درّاي

لمين شفت القريض لطالعي درّاي أنشدت موّال عليَّ اصطبحْ موّال

---

(1) ذهب ومرمر.

(2) مُرّة.

(3) مرّات.

(4) **الموزما**: المشكلة.

(5) شاعر عراقي نزيل جبل عامل، له قصائد في مدح حمد البيك النصّار وابن أخيه علي بك الأسعد. قال فيهم من قصيدة بمناسبة حفل زواج:

بثنائهم نَطَق الحَمَام تَردّداً والخيلُ تذكر للهياج فَتَصْهَلُ

(عن أوراق بخط المؤرخ العلاّمة الشيخ سليمان ضاهر).

(6) يا بيج: يا بيك، الكاف في العراق تُلفظ جيم مصرية.

واقصدتْ موّال كنز الغانمة موّال عرداد موّال مثله طاب له قوال
وإن عاد موّال حظي وأيش عاد الرَّاي

❀ ❀ ❀

طريقة الشيخ شمس

☐ ومن لطيف ما سمعته، ما ذكره الشيخ بهاء الدين (العاملي) في «كَشْكوله»[1]، أن بعضهم ضاف الشيخ شمس، أحد أهل مصر، وكان يلقّب بالسّبع، وكانت له امرأة يقال لها: السّتّ وأخرى يقال لها رابعة، فذهبت يوماً السّت إلى الحمّام ولم ترجع إلى ثمانية أيام، فصنع له هذين البيتين وأحسن، حيث ضمنهما الأعداد العشرة:

بحقّ واحد بلا ثاني مُنير الدّمسْ طلّق ثلاثة وخلّي رابعة بالخمسْ
ذي السّت يا سبع من يوم ثامن أمسْ تسعى لغيرك فَعَاشر غيرها يا شمس

❀ ❀ ❀

☐ غيره، وهو ألطف ما سمعته في الخال:

يا صاحب الشّامة السودا بصحن الخد هِيّا عَمَش أو نَمَش أو صنعةً باليدّ
ما سطّر قلم الرحمن لمّا مَدّ مدّ الحواجب نَقَطْ نُقطة بصحن الخدّ

❀ ❀ ❀

☐ وللمؤلف، عفا اللّه عنه، لُغز يُستحسن ذكره ويُشتهى نشره: ماذا يقول العلماء الأعلام، الموفقون لحل المَعْميّات على الأفهام، في غُلام قوّام، تنام العيون ولا ينام، يصوم النهار، ويقوم العشيّات والأسحار، أراح الفقهاء، وأتعب النُّحاة، واستغاث من جوره البنون والبنات، يُقبّل أقدام الضيف، ولا يرتاح للسيف، دَمُه حلال إلّا على المُحْرم، ويستوي عنده الطّايع والمجرم، يجالس الأمير على السرير، والفقير على الحصير، تستعظمه الآذان وتستصغره العينان، يُعارك الفرسان، وله مع النسوان أيّ شان، يغضب إنْ كُنِس البيت ولا يستحلّ شيئاً من الميت.

---

(1) **الكشكول أو الكشكولة**: وعاء المتسول يجمع فيه رزمة (الكلمتان آراميتان) وبه سُمي كتاب الكشكول للشيخ بهاء الدين العاملي (953هـ ـ 1030هـ)، لأنه جمع أشياء كثيرة مختلفة المواضيع.

فـتـىً لا يـبـيـتُ إلاّ عـلـى دِمْـنَـةٍ ولا يـشـرب الـمـاء إلاّ بـدَمْ

إذا حرّكته رقص، وإذا أسكنته نقص، وإذا رفضته سكن وإذا خفضته جنّ، يطير بلا جناح، ويستحلّ المُحرّم، وليس عليه جُنَاح، ويُرى في الخُدود خال، ولشكل أبي دُوادة تمثال، وأمّا صورته فإنها مبدأ الكائنات، وعليها دارت الأرضون والسماوات، ومنها مُدَّت الحروف والأشكال، وثبتت أشكال الحرام والحلال، وأما اسمه، فمع كونه ظرف، وسطه ألف، أوّله في اسطنبول وآخره في ثول، إن عدم نصفه هلك الناس، وبوجود النصف الآخر يُنفى الباس، ولعمري لقد أوضحت الكلام، فتعالى اللّه خالقُه عِبْرَةً للأنام.

□ وقلتُ في غُرّة محرّم سنة 1271هـ، راثياً لأبي عبد اللّه الحسينعليه السلام وعلى اللّه التوكّل ومنه المثوبة:

لِمَنْ الدّيارُ عَفَت كبُردٍ معلمِ بالرقمتين فذي طوى فالغيلمِ
فَمَشَارق الجبلين من مهوى اللّوى فرياضُ سُنحة فالشظى فالمأزَمِ
نَقَشَ السَّحابُ صِفاحَ مرتعها فما أبقي سوى رسْمٍ كَسَبْك الأرْقَمِ
ومَلَفّ نُؤي كالحنيّ مطرّزٌ وثلاثةٌ مثلُ الحمائم جُثَّمِ
صارت مَجَرّاً للغوادي بعدما كانت مُعَرَّسَ كل فحلٍ مكدمِ
وغَدَتْ مَسَاحبَ للرياح وطالما سَحَبَ الرّماحَ بها طويلُ المِعْصَمِ
طَللٌ يضيف النازلين شجاؤهُ ويَفتُّ في عضُد المَشُوقِ المُغْرَمِ
أوقفتُ فيه ناقتي مستنشداً فاضعتُ لبّي بين تلك الأرْسُمِ
إن قُلتُ يا دارُ اسلمي قال الصدى رجعاً على ما قلتُ يا دارُ اسلمي
هَيهات فات السمع أشباحاً خَلَتْ وغدا الجوابُ خلاءَ رسْمٍ أعْجَمِ
وأنا الفداءُ لعُرب حيّ ثوّروا بالمجد سَائرة الظُّعون الهُوَّمِ
ظَعَنوا فتلك المكرمات جنيبةٌ زُمّتْ بمرسن مجدها والمخطمِ
ومُراعةُ الأحشاء قُلقِلَ صبرُها وَلْهى فأسدتْ نظرةَ المُتلوِّمِ
ذُوقي جميلة ما أَذُوقُ وبعدها ما شِئتِ حِمْلَ تلَوُّمي وتكلّمي
أَوَما علمتِ الماجدين تَواثبوا للّه بين غَشَمْشَمٍ وعظْمظمِ
عشقوا العُلى ففنوا على جَنَباتها والمجدُ حيث صليل وَقْعِ المِخْذمِ

سرعان ما ضربتْ طبول ركابهم ... بالغوث للجُلَّى بيومٍ أَيْوَمِ
ومضوا على سُنَنِ العُلى حتى قضوا ... وقضى على الإسلام شهرُ مُحَرَّمِ
شهرٌ به سار الحسين بغِلْمَةٍ ... دَمَغتْ خراطيمَ الكُماةِ بِمَيْسَمِ
شُمُّ الأُنوفِ جحَاجحٌ إمّا سطوا ... تركوا أديمَ الأرض يَقْطر بالدَّمِ
منْ كلّ خَوَّاضٍ غِمَارَ الموتِ في ... سَبَّاحةٍ بحرَ العَجَاج الأَقْتمِ
رَقّاصَةٌ تحتَ القَتَام كأنها ... قَبَسٌ تَلاعب في السّرار المُظلمِ
لولا الشكيمُ ملا لَهَاها عنوةً ... طارتْ مع العُقبان قبل المغنمِ
فكأنها في الجوّ مُقلَةُ جُؤذَرٍ ... وكأنها في النَّقْع غُرَّةُ أدْهمِ
وكأنّ فارسها شَوَاظٌ أَطلقتْ ... منه العَزائمُ بَرْقَ وَبْلٍ[1]
يذري الرؤوسَ بذي صقالٍ شَيِّقٍ ... للرّيِّ من لحم الفَوَارسِ مُقرمِ
من آل حيدرة الذين رَقَوا عُلىً ... هامَ السِّماك بِلا مَدارِجِ سُلَّمِ
قومٌ إذا ما ثَوَّبَ الداعي أتَوا ... ما بين سافع مهره أو مُلجَمِ
وإذا تَدَاعوا يا لَغالِبَ أرْعدتْ ... أبناؤهم حَيَّيْ جَديسَ وجرهمِ
وإذا أَلَمَّ بهم مُقِلٌّ مُعْدَمٌ ... أثرى وعاد بِحِلْيةِ المُتَنعّمِ
وإذا المناسب أوضحت عن ثغرها ... وأتت بكل مبجل ومعظَّمِ
حَسِبوا محمد والوصيَّ وفاطماً ... والطّهرَ جعفرَ ذا المَقَام الأقْدَمِ
ثم ارتقوا ما بين مُرْسَلِ أُمَّةٍ ... ومُمَلَّكٍ في عُرْبها والأعْجَمِ
بأبي وغير أبي نفوساً منهُمُ ... سَالتْ على لَهَبِ الوشيج المُضْرَمِ
لبستْ ثياب الموت حمراً بعدما ... دقّت ببيض الهند عطرَ المنسِمِ
ورمتْ على زُرقِ الأسنّة أَوْجُهاً ... تَاقَتْ لأَخضرَ في الجنَانِ مُنَمْنَمِ
وغَدَا سفيرُ اللّه في رَهْج الوغى ... فرداً يُعالج بأسها بِعَرَمْرَمِ
في كفّه ذاتُ الفقار كأنّهُ ... في كفّ حيدرَ حدُّهُ لم يُثْلَمِ
قد عَوَّدوهُ دَمَ الوتين فهل ترى ... يُوليه رَيّاً غيرُ شُرْب العنْدَمِ
كم كسَّر الجمعَ الصحيحَ بفعْله ... وبنى على إعراب قلبِ الضّيْغَمِ
وأَباحَ حيَّاً من نزارَ ويَعْربٍ ... واقتاد مُعْرِقَه بآخرَ مُشْئِمِ
وطوى الرجال على الرجال وقادَها ... حُمْرَ النَّواصيَ داميات الأَنْسُمِ

---

(1) وبلٌ مُرْزِم: مطرٌ متتابع وغزير.

تَربَتْ خدودُ أُمَيْةٍ ما بَالُها ... تبغي مُقارعةَ الجبالِ بأَجْذَمِ

أَوَما دَرَتْ أن الحسينَ كشَيْخِهِ ... سِرٌّ منَ الجبَّار لمّا يكتمِ

واللَّه لولا اللَّه في مَلكُوته ... يمضي لِذلِكمُ القضاءِ المُبْرَمِ

قَصُرَتْ أُميَّةُ عن شِراكِ نِعَالِهِ ... بلْ شِسعَ نعْلِ غُلامِ عبدٍ أَسْحَمِ

لكن لِيَهوي مَنْ هوى عن بيِّنٍ ... ويعيشُ في الجنّات أيّ مُنْعَّمِ

أَبْدي أميّةُ أيَّ حِقْدٍ وانْظري ... أيَّ الكبُود حشَوْتِ أيّ تضرُّمِ

قَطّعتِ كِبْدَ محمدٍ ووصيّه ... الهادي إلى رَحَموتِ ربٍّ أَرْحَمِ

وثَكَلْتِ فاطمةَ البَتولَ بوُلْدِها ... والدّينَ في قُيُّومه والمُحْكَمِ

ولَرُبَّ عِبْرٍ[1] من حَقَائقِ حيدرٍ ... عَضّتْ على سَبّابَةِ المُتَنَدِّمِ

سِيْقَتْ بظِلِّ السيفِ لما استسلمتْ ... وَرَنَتْ لِمَالِكِها بطرف مُتَمِّمِ

وغَدَتْ تَعجُّ وَمَا لَها منْ ناصرٍ ... وتَبُثُّ بالشّكوى ولمّا تُرحَمِ

ملكَ الملوك أسامعٌ بَثّي إذا ... ناديتُ يا لَلْغَوْثِ للمُستَسْلِمِ

ملكَ الملوك أسامعٌ بَثّي إذا ... جُنَّ الظّلامُ وباتَ ليلُ النُّوَّمِ

ملكَ الملوك أسامعٌ بَثّي إذا ... أبرزت من حَجْلٍ[2] عليّ مُخيّمِ

ملكَ الملوك أسامعٌ بَثّي إذا ... جُرِّدْتُ منْ قِرْطٍ وَقَلْبٍ أَفْصَمِ

ملكَ الملوك أسامعٌ بَثّي إذا ... ما سَاقَني في السَّبْيِ سَوْقَ الدَّيْلَمِ

ملكَ الملوك أسامعٌ بَثّي إذا ... أُركِبْتُ مَهْزولَ الحَوَايا دَلْظَمِ[3]

ملكَ الملوك أسامعٌ بَثّي إذا ... أنّيْتُ واسْتَرْحَمْتُ منْ لا يَرْحَمِ

قَدْ كُنْتَ لي جَبَلاً أَلُوذُ بظِلِّهِ ... مِنْ كلِّ نازلةٍ عليَّ وأَحْتَمي

فاليومَ أَخْضَعُ للذّليل وأتّقي ... ضَيْمي وأَدْفَعُ ظالمي بالمِعْصَمِ

واليوم ظلّ حماي نهباً بعدما ... رُبِّيتُ بين مشطَّبٍ ومُطهَّمِ

واليومَ بعدكَ منْ يُراعي حُرمتي ... ويُميطُ عني ذُلَّ بنتٍ وَأبْنَمِ

ومَن الذي إنْ ضلَّ سار فيهتدي ... بشُعاع موقده المُنير ويُطعَمِ

من للنّدى من للجَدَا منْ للعِدَى ... منْ للهُدى عندَ الظّلام الأَسْدَمِ

(1) عِبْر: أصلها عِبَرٌ: غطات، سكّن الشاعر وسطها الضرورة الشعر.

(2) الحَجْلُ والحِجْل: القيد.

(3) الحوايا: الأمعاء؛ دَلْظم: صفة الجمل الهرم أو القويُّ الشديد (من الأضداد).

ومن اتخذتْ على المَواضي قَيِّماً ... ومن الدليلُ إلى الصِّراطِ الأقْوَمِ

ومن الخليفةُ في العبادِ وعندَ مَنْ ... يَلْفَ الرَّشادَ إلى إنارة مُبْهَمِ

ومن المهيمنُ في البلاد بكَشْفِهِ ... للمُعْضِلاتِ يردُّ كلَّ مُهَيْنِمِ

بالبَيْتِ ذي الأسْتَار أُقَسِمُ والصَّفا ... والحُجْرِ والحَجَرِ الشريف وزَمْزَمِ

والواردينَ على الضَّوامرِ من مِنَى ... مثْلَ الحَنَايا فوق أربَدَ قَشْعَمِ

لِمُجيبِ نَجْوَاها عظيمٌ شَدَّ مَا ... بَذَخَتْ عَزَائِمُهُ بِفَتْكِ أَعْظَمِ

أَلْقَى جِرَان العَزْمِ حتى شاقه ... وَخْزُ المَنَاجِرِ قبلَ حزِّ الغَلْصَمِ

فإذا الإله قَضَى لَهُ في شأنِهِ ... غصَّ الفَضَا منه بسَيْلٍ مُفْعَمِ

لَوْ نَازَعَ الأمْلاكَ في أَفْلاكها ... صُعِقَتْ وأَنْسَتْ شَرْحَ سَجْدَةِ آدَمِ

الموتُ يُخْرِسُ أَنْ يُنادى باسمه ... والأرضُ يُرْجِفُها بِوَطْءِ المِنْسَمِ

يُولي المَناجِرَ أسْمَراً والبارقَ ... العضْبَ الرِّقابَ فيا لَهُ من مُقْسِمِ

يسري بأنْصارٍ لَهُ مُتَرَسِّماً ... أَرأيتَ سيرَ البدرِ بينَ الأنْجُمِ

يَهوي على مُهَجِ العِدَى مُسْتفحلاً ... أَرأيتَ صاعقة القَضَاءِ المُبْرَمِ

يُعْطي ويمنعُ لا مَرَدَّ لأمْرِهِ ... ومَتَى يَقُلْ قَوْلاً يُطَعْ ويُحكَّمِ

أُنْظرْ فَدَيْتُك إنّنا في غَفْلَةٍ ... سَاهون مِنْ أَعْشَى وآخرَ قدْ عَمي

والشِّرْك أَبْدى ناجِذَيْه وعَضَّنا ... بنَوائِبٍ صَمَّاءَ فاغِرَةِ الفَمِ

فاللَّه فينا بل بِشِرْعَتِكُمْ فَقَدْ ... لَبِسَتْ عرانَ الذُّلِّ لَبْسَةَ أَيِّمِ

وإليكمُ آلَ الرسول نَظيمةً ... لَوْلا فُيوضِ جداكم لَمْ تُنظَمِ

يَمشي بها فَهْمُ الذَّكيِّ ويلتَوي ... عن بَحْرها قلبُ الغَبِيِّ الأَبْكمِ

ويَوَدُّ سَامِعُها لو أنَّ جميعَهُ ... أُذْنٌ تُعيدُ سَمَاعها في مَأْتَمِ

ما شَقَّ عِثْيَرَها جَريرُ ولا جرى ... بِمَجالها أبداً جَوادُ مُكَلَّمِ

حَاشَا الرِّضى الأزْري[1] إني شاكرٌ ... تَقْديمَهُ ولَنِعْمَ شكْرُ المُنْعِمِ

وأنا ابنُ عزِّ الدين أرجو فضلَكمْ ... والفَوْزَ في يوم الضَّجيج الأعْظَمِ

صَلَّى الإله عليكمُ ما رَوَّحَتْ ... رُوحٌ بذِكْرِكُمُ الكَريمِ الأكْرَمِ

❀ ❀ ❀

(1) الشاعر محمد الأزري.

□ وأرسل لي بعضُ الإخوان مُتَمثّلاً في بيتين لبعض الشعراء:

وَلي بالحِمَى أهلٌ وبالشِّعْبِ جيرةٌ وفي حَاجِرٍ خِلٌّ وبالمُنْحنى صَحْبُ
تَقَسَّمَ ذا القلبُ المُتَيَّمُ بَينهمْ سألْتُكمُ باللّه هَلْ يُقْسَمُ القَلْبُ؟

فأجبتُه مُنشئاً:

نَعَمْ، يُقْسَمُ القلبُ الذي اخْتَلَفَ الهوى عَليه فَلا يَدْري الذي يصنعُ القلْبُ
ولَوْ أنَّ قَلْبي بعضُه ظلَّ عِندكمْ وبعضٌ عَليه تنحني الأضلُع الحُدْبُ
رَضَيتُ ولكن ضَاعَ في رَكْبِ حَاجِرِ وفِتْيانُكمْ عَاثَتْ بما ضيّعَ الرّكْبُ

❀ ❀ ❀

فأجابني بثلاثة أبيات على الوزن والقافية، لا أحفظها الآن فأجبتُهُ:

حَكَمْتُمْ فَمِلْتُمْ فاصْنَعوا كيفَ شِئْتُمُ فَلا رأيَ لي إلاّ الهوى والهوى صَعْبُ
وإن تُنكروا قَلْبي فَكَمْ ضَاع مِثْلُهُ وعندَكمُ عِلْمٌ بما صَنَع القَلْبُ
فَعَيْنيَّ عَينٌ بعدكمْ ودَمي لكم حَلالٌ وتَعْذيبي بحبِّكمُ عَذْبُ

❀ ❀ ❀

□ وقلتُ متغزّلاً، وفيه تلميح لقصّة طالوت:

وبينَ الخَدِّ والشَّفَتَيْن نَهْرٌ يَلُوحُ به مُحَيًّا كالجُمَانِ
فَأقْسِمُ لَوْ لِطَالوتٍ تَبدَّى لَحَلَّ بِجَيْشهِ رِيَّ الجنانِ

□ وقلتُ أيضاً، وفيه تلميحٌ إلى قصة يوسف مع امرأة العزيز وإلى قصّة ذي اليدين:

أَرى في صدْرِها حِقَّيْن دَرًّا أَقَاما للمَحاسِنِ شَاهدَيْنِ
يُجَلِّي الحسنَ سَتْرُهما فيُغْري بقدّ قميص يوسفَ ذي اليدينِ

❀ ❀ ❀

□ وللشيخ حسين الكركي الجُبعي في بعض مراسلاته لي:

لو أنَّ لُجَّ البحرِ منْ علْمِهِ عمَّ الورى سِيباً منَ الدُّرَرِ

لكنّه يجْزُرُ عن مَدِّهِ وعِلْمُهُ قد جلَّ عنْ جَزْرِ

□ من كتاب الأغاني لأبي الفرج الأصبهاني:

حدَّثني الصّولي قال: حدثني محمد بن موسى قال: حدّثني محمد بن صالح العدوي قال: أخبرني **أبو العتاهية** قال:

كان الرشيد يعجبه غناءَ الملّاحين في الزّلالات إذا ركبها، وكان يتأذّى بفَسَاد كلامهم ولحنهم، فقال: قولوا لمن معنا من الشعراء أن يعملوا لهؤلاء شعراً يُغنون فيه، فقيل له: ليس أقدر على هذا من أبي العتاهية، وهو في الحبس، قال أبو العتاهية: فوجَّه الرشيد إليّ: قلْ شعراً حتى أسمعه منهم، ولم يأمر بإطلاقي، فغاظني ذلك فقلت: واللّه لَأَقولَنَّ شعراً يُحزنه ولا يُسرّ به، فعملت شعراً ثم دفعته إلى من حفّظه من الملّاحين، فلما ركب الحرّاقة، سمعه وهو:

خانك الطّرفُ الطّموحُ أيها القلبُ الجَموحُ
لِدَواعي الخيرِ والشرّ دُنُوّ ونُزوحُ
هل لِمطْلوبٍ بذنبٍ توبةٌ منه نصوحُ
كيف إصلاحُ قلوبٍ إنّما هُنَّ قُروحُ
أحسنَ اللّهُ بنا أنَّ الخَطَايا لا تفوحُ
كم رأينا من عزيزٍ طُويتْ عنه الكُشوحُ
صاح منه برحيلٍ صَائِحُ الدّهرِ صَدوحُ
موتُ بعضِ الناس في الأرض على قومٍ فُتوحُ
سيصيرُ المرءُ يوماً جَسَداً ما فيه رُوحُ
بين عينَيْ كل حيٍّ عَلَمُ الموتِ يَلوحُ
كُلّنا في غَفْلةٍ والموتُ يغدو ويَروحُ
لِبَني الدنيا من الدنيا غَبوقٌ وصَبُوحُ
رُحْنَ بالوشي وأصبحنَ عليهنَّ المُسوحُ
كلُّ نطَّاحٍ من الدهر له يوماً نَطوحُ
نُحْ على نفسكَ يا مسكين إن كنتَ تَنوحُ
لَتَمُوتَنَّ وإنْ عمّرْت ما عمّر نوحُ

قال: فلما سمع الرشيد ذلك بكى، فلما رأى الفضل كثرةَ بُكائه أومأ إلى الملّاحين: اسكتوا.

❀ ❀ ❀

□ لبعضهم وأجاد:

مَنْ يُلهِهِ المُرزَبانُ[1] المالُ والأملُ ... لم يَدْرِ ما المُنجيان:العلمُ والعملُ
خُذْ رُشدَ نَفسِكَ من مرآة عقلك لا ... بالوهم من قبل أنْ يَعتافَكَ الأَجَلُ
يا مُنْفِقَ العمرَ في عِصيانِ خالقِهِ ... أَفِقْ فإنك من خمر الكرى ثَمِلُ
تَعصيه لا أنتَ في عصيانه وَجِلٌ ... من المَلام ولا من مَنِّهِ خَجِلُ
تَشحُّ بالمال حرصاً وهو مُنتقلٌ ... عنكم وأنت برغْمٍ عنه تنْتقِلُ
ما عُذْرُ من بلغ العشرين إن هجعَتْ ... عيناه أو عافَهُ عن طاعةٍ كَسَلُ
إن كنت منتهجاً منهاج ربّ حجى ... فقم بجنح دجى للَّه تنتقلُ
أَما ترى أولياء اللَّه كيفَ قَلَتْ ... طِيبَ الكرى في الدَّياجي منهمُ المُقَلُ
يدعون ربَّهُمُ في فكّ عُنْقِهُمُ ... من رِقّ ذَنْبِهُمُ والدّمع يَنْهمِلُ
نُحْفُ الجسوم جوىً يُبْسُ الشفاه ظماً ... عُمْشُ العيون بُكيً بادٍ بها الكُحلُ
يُقالُ مَرْضَى وَمَا بالقوم من مَرَضٍ ... أَوْ خُولِطوا خَبَلاً حَاشاهُمُ الخَبَلُ
إنْ يَنطقوا شكروا أو يُوزَنُوا رَجَحوا ... أوْ يَحكموا عَدَلوا أو يَقطعوا وصلوا
ولا يَسيلُ لهمْ دَمْعٌ على بَشَرٍ ... إلاّ على مَعْشَرٍ في كربلا قُتِلوا

❀ ❀ ❀

□ لابن سَنَاء المُلْك[2]:

أَمَا واللَّه لَوْلا خوفُ سُخطكْ ... لَهانَ عليَّ ما أَلْقى بِرَهْطِكْ

(1) **المرزبان**: فارسية بمعنى الرئاسة.

(2) **ابن سناء المُلك**: هو هِبة اللَّه بن جعفر بن سَنَاء المُلْك أبو عبد اللَّه محمود بن هِبة اللَّه السعدي، أبو القاسم القاضي السعيد الرشيد، شاعر من النبلاء، مصريّ المولد والوفاة. كان وفِر الفضل رحب الصدر جيد الشعر بديع الإنشاء، كتب في ديوان الإنشاء بمصر وقد وسّده الملك الكامل ديوان الإنشاء سنة 606هـ، له مؤلفات عديدة. انظر: **ابن خلكان 6/ 61**، **وشذرات الذهب 5/ 35**، **وآداب اللغة العربية**، لزيدان، 3/ 16.

مَلكتَ الخافقين فتُهْتَ عُجْباً   وليس هما سوى قلبي وقرطِكْ

❀ ❀ ❀

ولعمْري لقد أجاد وفاق، البَهَا زهير، في قوله:

لا تُنكروا خَفَقانَ قلبي   والحبيبُ لديَّ حَاضرْ
ما القلب إلاّ دَارُهُ   دُقَّتْ له فيها البَشَائرْ

☐ قلتُ وعلى ذكر القرط وخَفَقان القلب، ذكرتُ قولي وقد أرسلته من العراق إلى بعض أصحابي في بلادنا عاملة:

وَمَا حيلتي إلاّ الدمّوعُ وإنّها   غَوالٍ وأمّا إنْ ذُكِرتُمْ فَترْخصُ
وإلاّ ضلوعاً كالحَمَائِمِ عَاقَها   عن الجوّ لا تَعلو جَنَاحٌ مقُصّصُ
وقلبٌ كَقِرْطٍ فوق جيدٍ مُهَفْهَفٍ   تَرَاهُ إذا ما صفّق الرّيحُ يَرْقُصُ
وإمّا اغْتَراه آخر الليل هَذْأَةٌ   بَدَتْ نارُهُ من تحت أُذنيه ترمُصُ

❀ ❀ ❀

☐ لبعضهم:

لِمَنْ زُحلوقةٌ زلٌّ   بها العَيْنانِ تَنْهَلُّ
يُنادي الآخرُ إلاّك   ألا حِلّوا ألا حِلّوا

❀ ❀ ❀

☐ للحسين أبي منصور الحلاّج لمّا أُحْضِر للقتل[1]:

(1) **أبو منصور الحلاّج**: كان صُوفياً زاهداً، قدم من خراسان إلى مكة، قال عنه شيخ الصوفية في عصره عبد اللّه المغربي إنه يتصبّر ويتقوّى على قضاء اللّه، ثم جاء بغداد فمال إليه نصر الحاجب، حاجب الخليفة المقتدر العباسي، ولكن الوزير حامد بن العباس طلبه وألحّ على الخليفة بأخذه لإعدامه لشهادة قوم عند حامد بأنّ الحلاّج يدّعي النبوّة وأنه على صلة بالجنّ وأنه يدّعي القُدرة على إحياء الموتى، وعندما رفض الخليفة الإذعان لطلب وزيره ألزم الوزير القاضيين أبو عمرو وأبو جعفر البهلول بكتابة حُكم بإباحة دم الحلاّج الذي رفض الإقرار بالتّهمة ودافع عن نفسه بأنه مسلم ويعبد اللّه على مذهب أهل السنّة، ولكن الوزير أخذه فضرب وقُطّعت أوصاله ثم أُحرق وذلك سنة 309هـ. انظر: **الكامل**، لابن الأثير، م8، ص 126، دار صادر ـ بيروت، وانظر: **ديوان الحلاّج (244 ـ 309هـ)**، والأبيات لم ترد =

طـلـبـتُ الـمُـسـتَـقَـرَّ بـكـلّ أرضٍ فـلـم أرَ لـي بـأرضٍ مُـسْـتَـقَـرّا
أطـعـتُ مَـطَـامِـعـي فـاسـتـعْـبَـدتـنـي ولَـوْ أنّـي قـنـعـتُ لـكـنـتُ حُـرّا

وله أيضاً إذْ ذاك:

وحُـرمـةِ الـودّ مـا لـي عـنـكـمُ شـغـلٌ وليس لي غيركم يا سادتي غَرَضُ
ومنْ جـنـونـي بـكمْ قـالـوا بـه مَـرَضٌ فـقـلـتُ لا زَالَ عـنـي ذلـك الـمَـرَضُ

من أحداث سنة 1288 هـ:

1 ـ ● وفي سنة ثمانية وثمانين، وقع الصلح بين فرنسا وبروسيا بعد الحرب الذي تقدّم في سابقتها، على مالٍ مخصوص قدره أربعة مليارات، تأخذها بروسيا عوضاً عن مصاريفها، وعلى خمس مقاطعات من بلاد فرنسا تتبع بروسيا، وانعقد الصلح على ذلك بمحضر وكلاء من سائر الدول المتحاربة، ثم خرجت عساكرها من أرض فرنسا، وغِبّ خروجها وقع عصيان في باريس[1] من الفقراء والجهّال على الحكومة، وجرت جملة وقعات في ذلك.

❀ ❀ ❀

2 ـ ● وفيها فَرَّخ الجراد الذي كان قد قَدِمَ في أواخر سابقتها إلى الديار الشامية، وأكل جملة من المزروعات الشتوية والصيفية والأشجار من تين وزيتون وغيرها.

ولقد شاهدنا من كثرته عجائب، ومن أعجب ما شاهدته أنه أقبل علينا من جهة الجنوب، فجلسنا مقابله ننظر إليه، وأقبلت جنوده متواترة صفوفاً كالعساكر على وجهٍ غطّى الجوّ كالغمام المُتراكم، ولم يزل ينبع من الظهر إلى المغرب، فكان عرضه من أمامنا قرية (حَنَويه)[2] إلى البحر أربعة أميال، وطوله من أول (العقيبّة)[3] في طريق

= في طبعة هذا الديوان، وانظر: **شخصيات قلقة في الإسلام**، لعبد الرحمن بدوي، من وضع وتعليق محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية.

(1) يشير المؤلف إلى ثورة العمال الفرنسيين المعروفة بـ «كومونة باريس» La Commune de Paris, 1877. انظر: **تاريخ أوروبا**، تأليف ف. أل. فيشي، دار المعارف 1964، ص 301.

(2) قرية **حَنَويه**: هي بلدة المؤلف تبعد 8 كلم عن مدينة صور شرقاً (آرامية وتعني حنين).

(3) **العقيبة**: بلدة على الساحل اللبناني شمالي صور.

الناقورة[1] إلى أول بساتين صيدا طولاً، مسافة ستة فَرَاسخ، وعمقه من الأرض إلى الجوّ، تحت الظنّ، نحو من ثلاثة أميال، فسبحان من كوّنه ورتّبه، وبحمده تعالى وفضله نظرنا فيما بقي من الأغلال عن أكل الجراد، فوجدنا حاصلَهُ أضعافاً مضاعفة وعلى وجه قلّما رأينا مثله في بلادنا، فقد حصّل في بعض الأمكنة المُدّ[2] ستين وسبعين مُدّاً، وبواسطة ذلك، عند طلوع البيدر، حصل رُخْصٌ مُفرط، حتى بِيْعَ المدُّ الحنطة الذي وزنه ثماني أُقَق، بسبعة قروش بعد أن كان يباع بخمسة وعشرين قرشاً وبيع البطيخ أربع أققٍ بقرش، والقِثّاء ثماني أققٍ بقرش، وكان قد أفرط الغلاء في بلاد العراق والعجم، لا سيما في خراسان وقزوين ويَزَد، حتى أنهم أكلوا كافة الحيوانات، مُحَلَّلة ومُحَرَّمة، وهلك من الجوع خلْق كثير لا يُحصي عددهم إلّا اللّٰه، ثم لحق ذلك وباء عظيم هلك فيه جمع كثير، حتى أنه خرب من الغلاء والوباء في بلاد العجم جملة من المحلات.

ونُقل لنا أنه بِيعت الأُقّة من الخبز بخمسين قرشاً، ثمّ امتد الوباء إلى بلاد العثمانيين القسطنطينية وغيرها. إلّا أنه لم يكن شديداً بل كان خفيفاً جداً، يموت في القسطنطينية، على عِظَمها كل يوم ثلاثة أنفار أو أربعة أو خمسة إلى العشرة، وقلَّ يوم زاد على ذلك، ولكنه مع ذلك طالت أيّامه. وفيها، كثرت الأمطار في شهري كانون، وربما اتصل المطر عشرة أيام والعشرين، بعد أن كاد اليأس منه يستولي على ضعفاء القلوب، والمرجو زيادة الخصب في هذه السنة إن شاء اللّٰه.

3 ـ ● وفيها، ليلة الاثنين خامس وعشرين ذي القعدة الموافق أواخر كانون الثاني بعد المغرب، ظهر في السماء حمرة عظيمة مهولة تُشبه لون الدّم، عمّت السماء من جهة الشمال من مهبّ الصَّبا إلى المغرب متصلة بالحضيض، ثم أخذت تعظم وتعرض حتى قاربت كبد السماء، وأخذت تتلوّن إلى بياض مُنير مُشرب بحمرة يظهر فيها ما يشبه الأعمدة، ولم تزل كذلك إلى ثلث الليل الأخير، فأخذت في الضعف، ولم يبق لها أثر قبل طلوع الفجر، فسبحان من بيدهِ أزمَّةُ الأُمور.

1 ـ ● وفي **سنة تسع وثمانين**، في محرَّم، حصلت زلزلة عظيمة في أنطاكية

---

(1) **الناقورة**: بلدة جنوب مدينة صور، تقع قرب الحدود مع فلسطين المحتلّة.

(2) **المُدّ**: وعاء لكيل الحبوب ويساوي ما وزنه 15 كغ من الحنطة.

وما يليها إلى بيروت وإلى حلب وما قاربهما، إلّا أنه لم يحصلْ ضرر في غير إنطاكية، فإنّ معظمها تهدَّم وهلك من الحيوانات والرجال والنساء ما لا يُحصى كثرةً.

2 ـ ● وفي تلك السنة، حصل في مدينة روسجق، من بلاد الترك، صَوَاعق وبروق وظلمة مُفرطة أحرقت ما يقرب من نصفها في مدة خمس دقائق كما تواترت به الأخبار، وكان ذلك في أيام الصيف وحصل في حزيران وتمّوز أمطار عجيبة على خلاف العادة.

3 ـ ● وفيها انتقل إلى رحمة اللّه المرحوم المبرور خدين الولدان والحور، العالم العامل الفقيه الطبيب ذو الأخلاق الرضيّة النجيبة والفراسة المُرْضية المصيبة، ابن خالي وابن أختي الشيخ حسن سبيتي، طاب ثراه، فثلم فقده في البلاد ثلمةً عظيمة، ورثيتهُ بقصيدة مشهورة.

ثم توفي بعده بأشهر ابن أخيه الشيخ محمد ابن الشيخ علي سبيتي، الرئيس في المدرسة الرّشدية في صور، وكان ولده المذكور، المُعيد درس أبيه في المدرسة المذكورة، وكان نابغة في العلوم العربية واللغة التركية، وكان من العقل والدّيانة بمكان، تغمّده اللّه برحمته وأسكنه بحبوحة جنّته.

وتوفي في تلك السنة، جُملة من الأعيان وغيرهم، بواسطة كثرة الأمراض على خلاف المعتاد.

4 ـ ● وفيها ليلة الخميس، سابع وعشرين رمضان، كثُر تساقط الشهب من الجهات الأربع على وجه يخرج من كل جهة[1]، والدفعة الواحدة تضمُّ الثلاثين والأربعين، وبقي ذلك إلى الساعة الثامنة من تلك الليلة فسبحان المكوّن.

5 ـ ● وفيها في ذي الحجّة، حدث عند العصر، في بعض أيام ذلك الشهر، زلزلة في أكثر الديار الشامية، بصور وعكا وحيفا وما والاها من البلاد، وكان قد حدث في تلك الأيام حرّ عظيم على خلاف المعتاد، وكان ذلك في فصل الشتاء،

(1) مصدر هذه الشهب والنيازك الصغيرة المعروفة بـ «دراكونيك»، المذنّب «جياكوبيني»، الذي اكتشفه هذا العالم فعُرف باسمه.

وكانت تلك السنة قليلة الأمطار، حتى أن عامة البلاد جفّت فيها النبوع، وانتهى فصل الشتاء وعامة الربيع، والأمر يزداد تفاقماً، وحصل نقص في غالب الزروع، وتذكرنا قوله سبحانه: ﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَآؤُكُمْ غَوْرًا فَمَن يَأْتِيكُم بِمَآءٍ مَّعِينٍ ﴿٣٠﴾﴾[1] اللّهم لا يأتينا به إلا أنت فالطفْ بنا وارحمنا ولا تُؤاخذنا بسوء أفعالنا.

6 - ☐ وفيها من أوائلها، بل السنة التي قبلها، وجّهتْ الدولة العثماينة العساكر على خطّة اليمن، وافتتحت ما كان خارجاً عن الطاعة كجبل عسير ونحوه، وفي أثناء تلك الوقائع، ظهر رجل ادّعى أنه المهديّ. وتسمّى بمحمد بن عبد اللّه، واستغوى جملةً من أهالي تلك البلاد، وحصل بينه وبين العساكر العثمانية جملة وقائع وفي آخرها وقعت الغَلَبة عليه وهرب، وإلى الآن لم يظهر له خبر.

1 - ☐ وفي **سنة تسعين** حصل زلازل متفرّقة في أماكن مختلفة، منها شديد وضعيف.

2 - ☐ وفيها في ثالث عشر رمضان، حصل في القمر خَسْف احترق القرص كله، طلع وهو منخسف، ولم يتمّ انجلاؤه، إلّا بعد مضي ثلاث ساعات، فيقدّر خسْفه تحت الأرض مثلها، يكون المجموع ست ساعات، وهذا قلّ ما يحصل مثله.

3 - ☐ وفيها في ثلاثٍ وعشرين ليلة خلَت من رمضان، حصلت أمطار غزيرة جيدة بعد أن كان قد انقطع غزارة المطر أكثر من سنة كاملة، كما تقدّم، فانتعشت البهائم والناس ونبتت الزروع، نسأله تعالى أن يجعلها سنة خير، إن شاء اللّه.

4 - ☐ وفيها خرج سلطان العجم، أحمد ناصر الدين شاه[2]، فساح في البلاد الأروباوية وغيرها، فرجع في نحو نصف سنة، وكانت سياحة في المركبات النّارية برّاً وبحراً، فجال في البلاد الروسية ودخل عاصمتها التي فيها الملك، وهي بطرس برج، ودخل لندرة عاصمة بلاد الإنكليز، ثم رومية بلد البابا، ثم بلاد النمسا

---

(1) سورة الملك، الآية: 30.

(2) **ناصر الدين شاه** (1831 ـ 1896): وُلد في طهران، شاه إيران من سلالة قاجار 1847، تجوّل في أوروبا وفتح أبواب بلاده للمدنية الحديثة، انتشرت البهائية في عهده. اغتاله ميرزا رضا الكرماني.

وبروسيا وغيرها، ثم جاء إلى القسطنطينية، ثم رجع إلى بلاده فارس، وأنفق في تلك السياحة أموالاً عظيمة، وتلقته الملوك التي زارها أعظم تلقٍّ، وقدّمت له من التحف ما لا يُحصى، وحصل له من الصيت ما لم يحصل لغيره قبله.

5 ـ □ وفيها على ما أخبرت به بعض الجرائد، حصلت زلزلة ببلاد اليونان، هُدم فيها ألف بيت.

1 ـ ● ثم دخلت **سنة الواحد وتسعين**، وكان ابتداؤها أول محرّم ليلة الأربعاء، وبها تلاحقت الأمطار يتلو بعضها بعضاً، حتى مضى فصل الشتاء وجملة من فصل الربيع وهو لا ينقطع إلّا في كل شهر يومين أو ثلاثةً، وربما انقطع في بعض الأسابيع يوماً أو يومين، وعاد كل ذلك مع البرد الشديد والثلج الكثير، حتى هلكت أكثر البهائم في أكثر البلاد من كثرة البرد ونفاد الأزودة والأعلاف وقلّة وجودها بواسطة محل السنة السابقة، ومات جملة من الناس دَنَفاً وجوعاً، وعظمت المجاعة في كثير من الأقطار، لا سيما إنكلترا من بلاد الهند، ولم تزل الجرائد تأتي بتفاصيل ذلك بالعظائم. وقد قلت مؤرخاً هذه السنة:

يا سنةً قد مثَّلَتْ — في الناس طُرّاً مِثْلاَ
هذا صريعٌ دَنَفاً — وذا يجوع قَتْلاَ
والحال في تاريخها — جَهْلٌ وبَرْدٌ وغَلاَ
1291 هـ



مُحاكمة الشيب والشباب[1]

بسم اللّه الرحمن الرحيم

الحمد للّه العليّ العظيم، الغفور الرحيم، الذي خلق الإنسان في أَحسن تقويم، وكساه من زهرة الشبيبة ونور الشّيب ثياب النعيم، وهَدَاه بما أودعه من العقل صراطه المستقيم، وفَتح له بالطاعة باب عفوه العميم وكرمه القديم، وأفضل صلواته وأزكى تحيّاته على عِلّة خَلقه وغاية إرادته، واسطة هذا النوع وشمس قلادته، سيّدنا محمد المُجتبى وآله أهل العَبَا، وأصحابه النُّجبا، ما خطب خطيب وتغنّى عندليب، وارتاح للبلاغة أديب، واتعظ بلطائف الحكمة أديب.

أما بعد:

فقد ورد على البال أن يُخرج القلم من خزانة الخيال تحفةً للأخوان تتحلّى بشوقها الآذان، وتتحلّى برياضها الأعين والأذهان، جاليةً لما وقع من الرّيب بين الشباب والشيب، مُريحةً لهما من تَغَامز الأعين وتنافُر القلوب وتخالف الألسن، فأخرجها للأديب راحاً وللحكيم مصباحاً، وللصغير زينة وللكبير وقاراً وسكينة، وللصعب شكيمة وللذّلول جادة مُستقيمة، وأبرزها عذراء حوراء بنور النّار ولُطْف الماء وطاعة الطّين ورقّة الهواء، ووسمها بـ «تحفة الأحباب في محاكمة الشيب والشباب».

---

(1) وقفت على مجمع مخطوطات رسائل في مكتبة جمعية المقاصد الخيرية الإسلامية في النبطية بخط الشيخ أحمد رضا ومنها هذه الرسالة بعنوان: «**مفاخرة الشيب والشباب**»، مقتبسة من هذا الكتاب: «**سوق المعادن**» ومنها: «**مفاخرة العرب والعجم**»، للشيخ علي سبيتي، و«**مفاخرة الفقر والغنى**»، واسم مؤلفها مطموس، وأخيراً «**الورد والنرجس**»، بعنوان: «**نزهة الأنفس في محاورة الورد والنرجس**»، للشيخ أحمد رضا التي حققناها ونشرها المجلس الثقافي للبنان الجنوبي.

والرّجاء من إخوان الدين أن يتلقّوها بيد اليمين ومن أخلّاء الآداب أن يزينوا بها الدَّوَاوين ومن شيوخ الحكمة أن يُوقظوا بها الغافلين.

ونسأله تعالى وتقدَّس أن يذكرنا برحمته ولا ينسانا من فضله وهو خير الذاكرين.

قال جامع القصة ومُسند حديثها، السابح في لُجَّة قديمها وحديثها، محمد بن علي، وفّقه اللّه للعمل بيومه لغَدِه قبل أن يخرج الأمر من يده:

حدثنا السيد الأجلّ أبو الفضل العيان بن وَحدان، عن حجَّة الموحّدين، شيخنا عبد الرحمن بن برهان، قال:

أنبأنا أبو المحاسن عبد العزيز بن الخيال، بداره المعروف بالحُسن المشترك، عن شيخه المعروف بمحسن الحافظ بن مُتْقن، قال: حدّثتنا الأمّة المُتيقظة التي لا يشغلها نوم ولا يقظة، المُفكرة سلمى بنت حيّ وأخوها بالولاء إياس بن ذكاء، وأخوه لأبيه سليم ابن الطبع المُستقيم، والسيّدة المُسْتكنّة صفيّة بنت النفس المُطمئنّة، وأختها لأمها الصَّوَّامة القوّامة المعروفة بالنفس اللّوّامة. قالوا جميعاً: كُنّا يوماً في دار الخلافة، بخدمة ملك الملوك وسلطان السّلاطين، ظِلّ اللّه في العالم وشرف بني آدم، العقل الفعّال، أيّد اللّه ملكه بتأبيد الأيّام واللّيال، وكانت الأذن في ذلك اليوم عامَّةً والحواس الخمس الظاهرة واقفة بالخدمة، والخمس الباطنة مُتْكئة على نمارق[1] النعمة، والمجلس يطفح بأهله، وفيه إذ ذاك النفس الطّمّاحة، بنت الفكرة والشّهوانية، أخت أبي مُرّة، وأبو المكارم أحمد بن الرضي وأخوه لأمّه الحسن ابن الخُلق المرتضى، وصاحب الجدّ والهزل أبو حاتم فارس بن حماقة، وكاتب العربية بالحضرة محمد بن ذلاقة وغيرهم من الأبدال وأفاضل النساء والرجال.

إلّا أن القوم سكوت هيبةً لجلالة الملك وأُبّهة عظمته، كأنما على رؤوسها الطير، حبائل عيونهم متعلّقة بشفته وخواطر أفئدتهم مقصورة على أنوار وجنته، فأشار، أدام اللّه دولته، أن تكلّموا، فإن يظهر فيه المرام وتُقضى به حَوائج الأنَام، يتميّز فيه الخواص عن العوام، وبه شرف الإنسان وعبد الملك الديّان:

لسانُ الفتى نصفٌ ونصفٌ فُؤادُهُ فلم يَبقَ إلاّ صورةُ اللّحم والدَّمِ

(1) **نمارق**: أرائك.

فقبّلوا الأرض بين يديه، وأهووا بأبصارهم وقلوبهم إليه وقالوا جميعاً: أيها الملك، أدام اللّه إقبالك، نحن عبيدك ظِماء لحياضِ بيانك، مستنثرون لآلي جُمانك، مسترفدون جَوَاهر إحسانك، نقْتبس بَرْقك ونلتمس وَدْقك، وهل للسواقي مع البحر مدّ أو زَجْر، وللرعية بحضرة الملك نهيٌ أو أمر؟ فقُلْ نسمع، ومُرْ نُطِعْ، واحكم نتبعْ.

فقال: هذا يوم رُفعت به الهَيْبة وبعدت عنه الخيبة، فلا كلفة ولا ظنّة ولا ريبة ولا مِنّة، وإني لما رأيت الزمان قد كلب والعيش قد صعب، والأنذال قمرت الأبدال، وأُخذت الرجال مآخذ ربّات الحجال، والفجور ملأ الدور، وكاد الماء أن يطغى والتنّور أن يفور، وعُقدت النميمة معقد التميمة، والغيبة ملأت العيبة، ورأيت العمّال في إغفال، والقضاة مرتطمة في الرشوات، والرجال دانت للنساء، والصهباء عَلَت ماء السماء، وأهل الدين مساكين، وأهل الدنيا السلاطين، وذا الفضل غريب والعلم عن الناس جريب في جريب[1]:

كأن لم يكنْ بين الحَجون إلى الصّفا أنيسٌ ولم يَسْمَرْ بمكة سَامِرُ[2]

جمعتكم لأنظر في أموركم وأزيد في نوركم، فتكلّموا بملْء الأفواه ولْيكنْ ذلك عن انتباه، وأُقسم بمن شدَّ بأسي وأحكَمَ تِرسي، وعقد التاج على رأسي، وأوسع مدَاري واستحسن إقبالي وإدباري، أني لأرحمُ بكم من الآباء والأمهات، ولا أحتاج في الحكم بينكم إلى الأيمان والبيّنات.

فقام قائمٌ من القوم كأنّ به أثر النوم، قد اخضرّ شاربه ودقّ حاجبه، واستقامت قامته وكملت لامته، تكاد وجنتاه تضيء ولو لم يمسسهما نار، وجبهته نور على نور، له غَدائر كأزهار باقات ريحان، وقوامٌ كقضيب البان، وأنف كطرف سيف، ومحيًّا يتلألأ منه حُمَيّا:

---

(1) **جريب**: مكيال يساوي أربعة أقفزة.

(2) البيت للشاعر مُضامن بن عامر، وسببه أنه لما أغارت بني خزاعة على جرهم، ورئيس جرهم يومئذٍ، مضامن بن عامر، وبعد انتشاب الحرب الطويل، طردت جرهم وأقامت مقامها بني خزاعة، فصعد مُضامن جبل أبي قُبيس وأنشد البيت، في أبيات منها:

بلى نحن كنا أهلُها فأبادَنا صُروفُ الليالي والجُدودُ العَوَاثِرُ

انظر: **معجم البلدان**، مادة حَجون.

وعينانِ قال اللّه كُوني فَكَانتَا فَعُولَيْنِ بالألْباب ما تفعلُ الخَمرُ

فقالت إحدى الرواة سلمى بنت حيّ لأخيها: من هذا الذي فَاحَ عَرْفُه ولاحَ عِطْفه، وطابَ مخبره وسلبَ اللّبَّ منظرُه، ما هذا بشر إن هذا إلّا ملك كريم.

قال: اسْكُتي يا أُخيَّة، هذا الشباب وكأنه يريد قيام دعوى على الشّيب.

قالوا جميعاً: وكأنّا بوجنتيه وهو واقف يتقطّران عَرَقاً كاللؤلؤ المكنون.

فقال: أيها الملك، أَنْعِمْ صباحاً وازدَدِ ارتياحاً، أنت الذي تعقد البنود وتحكم بحكم آل داود، ولي خَصمٌ أطارَ نومي وأطال يومي، وفرّق بيني وبين قومي، ولم يُرِبْهُ عَذْلي ولا لَوْمي، وأحمد اللّه حيث جَمَعَتني وإيّاه الحضرة في هذه البُكرة.

فإنه لم يزلْ يضربني ويطردني ويُقيمني ويُقعدني، ويصنع من صعدتي قوساً ومن قِصري ناموساً، يبيع مِسْكي بالقطن ويُبَدّل تبري بالتبن، ويُريع نعامتي بالحمامة وملامتي بالنّدامة، ويُضيع همومي بالاصفرار وينادي على عماري بالبَوَار، وينزع مني سلطاني ويجلس في مكاني، فلا يودّ لي بُقيا حَسَداً منه وبَغْياً، ولئن بقيتُ برهةً لم يزلْ يَسُوغني الجرعة بعد الجرعة حتى يَفنى وجودي، وتغيب أنجمُ سعودي، هَبْني نصر بن حجّاج[1] أو كسرى صاحب التّاج، أو علي بن أيّوب[2] أو عزيز مصر

---

(1) **نصر بن حجّاج**: من أجمل شباب المدينة، عَلِقَتْ بحبّه النساء، حتى أن إحداهنّ سُمعت من داخل منزلها تُنشد:

ألا سبيلٌ إلى خمرٍ فاشربها ألا سبيلٌ إلى نَصْر بن حَجّاج

سمع بخبره عمر بن الخطاب، فأمره بضمّ شعره المتدلي كشعر النساء، ثم نفاه إلى البصرة. انظر: «**نساء يثرب**»، لخليل عبد الكريم.

(2) **علي بن أيوب** ابن السلطان صلاح الدين، تغلّب عليه أخواه: أبو بكر العادل وعثمان وعَزَلاه عن منصب أبيه، فكتب إلى الإمام النّاصر العبّاسي:

مولايَ إنَّ ابا بكرٍ وصاحبَه عُثمانَ قَدْ غَصَبا بالسيف حَقَّ علي

(في أبيات) يقول في آخرها:

فانظرْ إلى حظّ هذا الاسمِ كيف لَقي من الأوَاخر ما لاقَى منَ الأوُل

فأجابه الناصر:

وافى كتابُكَ يا بن يوسف مُعْلِناً بالحقّ يُنبي أن أَصْلَك طَاهِرُ

غَصَبوا عَليّاً حَقَّهُ إذْ لم يكنْ بَعدَ النبيّ لَهُ بيثربَ ناصِرُ =

يوسف بن يعقوب[1]، وإن لم يرحَمني فَلْيرحم العيون التي تبكي عليّ والقلوب التي تطير إليّ، أما سمع قول القائل:

عَريتُ منَ الشّباب وكان غَضّاً ... كما يعرى من الورق القضيبُ[2]
ونُحْتُ على الشباب بدمع عيني ... فَلا نَفَع البكاءُ ولا النَّحيبُ
فَيَا ليتَ الشّبابَ يَعودُ يوماً ... فَأُخْبره بما فَعَل المشيبُ

وقول الآخر[3]:

شَيْئآن لو بكت الدماءُ عليهما ... عَيْنَايَ حتى يُؤذِنا بذهابِ
لم يَبلُغا المِعْشَار من حَقّيهما ... فَقْدُ الشباب وفرقةُ الأحبابِ

وقول الآخر:

رَحَلَ الشباب ومَا سَمِعْتُ بعَبْرَةٍ ... تَجري لِمِثْل فِراقِ ذَاكَ الرّاحِلِ

وقول الآخر:

لَيتَ وهلْ ينفعُ شيئاً ليتُ ... ليتَ شباباً بِيْعَ فاشتريتُ

وغيرها من الأشعار المُبْكية والمَراثي المُشْجِيَة.

إذ كلُّ عينٍ بعدي عبراء وكلّ شاعرٍ خنساء وكلّ يوم كَرْبلاء، وكل يوم عاشوراء.

بَلَى واللَّه قد سمع ووعى وحفظ وروى، ولكنه حَسَدني على ذَوات النّهود الرّمانية والخدود التّفّاحيّة والغَدائر الريحانية، والترائب الزعفرانية، والحَواجب النّونيّة، والطّرَر السينيّة، والعيون الصاديّة، والسوالف اللّامية، والأفواه الميميّة، والقامات الألفيّة، والشّفاه الحوّ والمحيّات اللعس، والجباه الذهبية، والأجياد الفضيّة، والبطون التي تُقبل بأربع[4] وتُدبر بثمانٍ، لم يطمثهنّ قبلي أنس

= فَاصْبِرْ فإنّ غَدَاً عليه حِسَابُهمْ ... وابْشِرْ فَنَاصِرُكَ الإمامُ النّاصِرُ
ولم يلبث أن مات النّاصر، ولم يظفرْ عليّ بمُراده.

(1) انظر سورة يوسف في القرآن الكريم.
(2) **المستطرف**، ج2، صفحة 31، قول الآخر.
(3) المرجع نفسه والصفحة نفسها.
(4) **تُقبل بأربع**: كناية عن السمنة، والمراد: عكن البطن، فإذا كانت أربع، كانت عند الخاصرة من الجانبين ثمانيَ تُرى عند الإدبار.

ولا جان، وليتهُ إذ طردني قام لها مقامي، وأراها يوماً من غُررِ أيامي، أو ليتها: رأته أهلاً ورضيت به بعلاً، وهل تسمع غير آخٍ آخٍ وآه آه؟

وقد صرتُ قَوساً بعدما كنتُ رامحاً وكُنْيَتيَ قولٌ بعدما كنتُ فاعلا

فأنصفني أيها الخليفة، أصلح اللّه بوجودك الخليقة، وتمثّل:

سالتُها قُبلةً يوماً وقد نَظَرتْ شَيْبي وقد كنتُ ذا مَالٍ وذا نِعَمِ[1]
فاعرضتْ وتولّتْ وهي قائلةٌ لا والذي أَنشأ الأشياءَ من عَدَمِ
ما كان لي في بَيَاض الشيب من أَرَبِ أفي الحياة يكونُ القُطنُ حَشْوَ فمي

فقال السلطان للشّيب: قُمْ فأدلي بحجّة، وإياك أن تحيد عن المِحَجّة، فإن هذا الغلام أكثر الشكوى وعظَّم البلوى.

قالت إحدى الرواة، النفس اللّوامة: فقام عن يمين الملك شيخٌ بهيٌّ المنظر، زكي المَخْبر، بين عينيه سجّادة يرتعش كِبراً، فقلت في نفسي: متى يقوم بحُجّة هذا الغلام، وهل يُطيقُ معه الكلام.

وقالوا جميعاً: فقام عن يمين الملك فحمد اللّه وأثنى عليه وذكر النبيَّ وصلّى عليه، واندفع يَهدرُ بلسانٍ كلّهُ بَيَان ويقول:

أنا حُجّة اللّه على خلقه والمبعوث بالحقّ وحقّه، أنا البشير النذير، أنا السراج المُنير، أنا قمر الأتقياء ومصباح الأذكياء، أنا المتدنّي قاب قوسين والتّالي صحيفة البين، أنا صاحب السّياق والثابت يوم تُلَفُّ السّاقُ بالسّاق، أنا شيبة الحمد، أنا غُرَّة المجد، أنا صاحب العصا واليد البيضا، أنا رافعُ القلم إذا بلغ الإنسان الهَرَم، أنا رحمة اللّه على العباد والرّاد لهم عن طُرُق الفَساد وهاديهم سُبُلَ الرَّشَاد.

فما لهذا الجاهل المغرور يؤلّف أمامك الزّور، وهو لا يُفرّق بين المصحف والطنبور والحمامة والشحرور؟ أَيَرميني بالحَسَد وبيني وبينه حَبْلٌ من مَسَد؟ وعَلام أحسده؟ أَعَلى الغَوَاني كما يزعم وإنه لَيَمْنعني عن ذكرهنَّ ذكرُ اللّه وخوفُ نارهِ المُوصَدَة التي تَطَّلع على الأفئدة؟

(1) انظر: **المستطرف**، ج2، ص 31، قول الآخر.

ثم التفت على الشباب وقال: اقرأْ يا ضرير قول اللطيف الخبير: ﴿أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ وَجَآءَكُمُ ٱلنَّذِيرُ﴾[1]. أيرسلني ولا يعصمني ويصطفيني ولا يُطهرني تعالى الله عما يقول الظالمون ﴿سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يَقُولُونَ عُلُوًّا كَبِيرًا ﴿٤٣﴾﴾[2].

وإنك لما جعلت الناس في جاهلية وأوقعتهم بكلّ بَليّة، ورميتهم بالأماني، وفعلتَ فيهم ولا فعل ماني[3]، سلّطني اللّه عليك لأقطع شأفتك وأبيدَ كافّتك وأُرغمَ مِعْطَسَك، وأقلَعَ مَغْرسك وأرتقَ فتقك وأرقعَ مِزْقك، فقمت بأمر ربي ونهيه صادعاً ولإرادته ومشيئته طائعاً، حتى بيّضت صحائفك وبدّدت لفائفك وأقمت عليك النّوائح وجعلتك عِبْرةً للغادي والرّائح، فكم شامتٍ بسرّه يبوح:

لا جَزى اللّه شَبَابي صالحاً إنّه سَوَّدَ صُحْفي ومَضَى

وآخر من وجده ينوح:

أتاملُ رجعة الدنيا سَفَاهاً وقد صار الشّبابُ إلى ذَهابِ
فليت النائحات بكلّ أرضٍ جُمعن لنا فَنُحْنَ على الشبابِ

وكم فتش أصحابك عليك الخبايا، واستبرأوا الدّور والزوايا، ووقفوا في الرسوم والأطلال، وأخذوا طوراً في الجنوب وطوراً في الشمال، فلما لم يعلقوا لك بأثر ولم يقفوا منك على خبر، رجع دِعْبُلُهم[4] يقول نادماً على ما فرط بغرورك، مؤنّباً نفسه على ما انغمس به من ديجورك، مُستبشراً بطلوع صَبَاحي، آنساً بضوء مصباحي:

أين الشباب وأيةً سلكا لا أين يطلب ضلَّ من هَلَكَا
لا تعجبي يا سَلْمُ من رجلٍ ضحك المشيب برأسه فبكى
يا سَلمُ ما بالشيب منقصة لا سوقةٌ يبقى ولا ملكا

(1) سورة فاطر، الآية: 37.

(2) سورة الإسراء، الآية: 43.

(3) **ماني**: مؤسس المانوية (215 ـ 276)، والمانوية مذهب يقول بمبدأين: الخير والشرّ، النور والظلام، وإليه مرجع اليزيدية. أوغل ماني في التصوير الفارسي ورسم الملائكة والشياطين.

(4) **دِعْبُل بن علي الخُزاعي**، انظر: **الشعر والشعراء**، لابن قتيبة. **والأغاني**، للأصبهاني، وذكرها الشيخ أحمد رضا في «**طُرفة الطرائف**» نقلاً عن المؤلف الشيخ عزّ الدين.

قصر الغواية عن هوى قمر وَجَدَ السبيلَ إليه مُشتَرَكا
بالله قُولا كيف يومِكُماً يا صاحبيَّ إذا دَمي سُفِكا
لا تطلُبا بظلامتي أحداً قلبي وَطَرْفي في دَمي اشتَرَكا

وأبو نواسهم[1] شهد بفَسَادك حيث يقول، وشهادته حجّة عليك فإنه من أعزّ أصحابك:

ولقد نَهَزْتُ مع الغُوَاةِ بدَلوهم وأسَمْتُ سَرْحَ اللَّحْظِ حيثُ أسَاموا[2]
وبلغتُ ما بلغ امرؤٌ بشبابهِ[3] فإذا عُصَارةُ كلِّ ذاكَ أَثَامُ

وابن روميّهم[4]، وقد كان له معك شأن أي شأن، يقول:

مَنْ كان يَبْكي على الشباب من أسَفٍ فَلَسْتُ أبْكي عليه منْ أسَفِ
كيف وشَرْخ الشّباب عَرَّضَني يومَ حِسَابي لِمَوضِعِ التَّلَفِ

ومُثْبِتُ القصة[5] يقول:

كان الشَّبابُ بشيرَ لَهْوٍ كاذِبٍ وأتى المشِيبُ نذيرُهُ لا يَكْذِبُ
فالآنَ مالَك والهوى من بعدما رَحَلَ الشّبابُ وفاتَ منكَ الأطْيَبُ
وإلامَ تَمْرَحُ في الغِوايَةِ والهوى يُمْلي عليكَ من الغَرامِ فَتَكْتُبُ

ولو أردت ذكر أشعارهم وأنثارهم لامْتَلأ الوطاب وطال الخطاب، ولكنني أتركك على غِرَّتك ليوم الحساب، هنالك تجدُ كلُّ نفسٍ ما عملت من خير مُحْضَراً، وما عملت من سوء تودُّ لو أنّ بينها وبينه أمداً بعيداً.

---

(1) **أبو نواس الحسن بن هانىء**، شاعر الخمرة، والبيتان هما من قصيدة في مدح الأمين مطلعها:

يا دار! ما فعلت بك الأيامُ ضَامَتْكِ والأيامُ ليس تُضَامُ

وفي الشطر الأول من البيت الثاني: وبلغت ما بلغ امرؤ من دهره. انظر: **ديوان أبي نواس**، ص 575، دار صادر، **والشعر والشعراء**.

(2) **نهز بالدلو**: ضربها بالبئر لتمتلئ ماءً، **وأسام إليه بصرهُ**: رماه به.

(3) من دهره: في الديوان.

(4) **ابن الرومي**: هو عليّ بن العباس بن جريج الرومي، شاعر عباسي مشهور، ولد ببغداد سنة 221هـ ومات مسموماً سنة 283هـ. انظر: **وفيات الأعيان**، 3/ 463، **وتاريخ بغداد**، 13/ 22، **وديوان المعاني**، 1/ 236.

(5) **مثبت القصة**: المؤلف نفسه.

فاشْرأَبّت أهل المجلس ينظر بعضهم بعضاً، هذا ينظر الشباب نَظَرَ ارتياب وهذا يلمح الشيب بعين العَيْب، والكلّ ينتظرون حكم الملك.

قالوا: وكان قد وَرَد على جَلالته أَوامرُ ملكوتية، فأخذ ينظر فيها ويقول: إيْهاً إيْهاً، ثم التفت وقال: إنه قد عَرَضَ لي شغل، فإذا كان غدٌ، فاغدوا عليَّ مُصْبِحين، والأمر للّه رب العالمين، فابتدر كل من القوم الباب مُمتثلين للخطاب، وباتوا تلك الليلة يتطلّعون الصباح وينتظرون المنادي حيّ على الفلاح.

فلما امتدّ ذَنَب السرحان[1] وأطلعت الغزالة قَرْنها على ربوات لبنان، أقبلوا إلى الحضرة يهزعون، كأنهم إلى نصب يُوفضون، وحين أخذوا مجالسهم وانقطعت وساوسهم، وهدأت أنفاسُهم وسكنت أجراسهم، قام الشباب على قدميه وقد أرخى إحدى ذُؤابتيه، وأشار بيديه ولحظ بيُمْنى عينيه، واستأذن في الكلام واستنصت الأقوام وتمثل بقول لبيد[2]:

نحنُ بنو أُمّ البنين الأربعهْ ... الضّاربونَ الهامَ وقْتَ الخيضعهْ

والمُطْعِمونَ الجفنة المُدَعْدَعهْ ... مهلاً أبيت اللعن لا تجلسْ مَعَهْ

ثم صاح: أنا نعمة اللّه على العباد والثّابت لدى الجلاد والقائم بأعباء الجهاد، والدّاعي إلى بَذْل المال والمُبَدِّدُ جلَّهُ في الأضياف والعيال، وقد شهد لي رسول اللّه ﷺ بهذا العمل، حيث قال معرّضاً بالشيب: «يشيبُ المرء ويشبّ، فيه خصلتان، الحرص وطول الأمل»، يلبي ونعمة الملك أن اللّه أوسعنا نَصَفا، حيث سمّاني قوة وسمَّاه ضعفاً فقال تعالى وعزَّ من قائل: ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِن بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِن بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً﴾[3]. ومن تأمل في هذه الآية بلا كلفة، وجد أن اللّه ساواه بالسِّقْطِ بل بالنطفة، ولا جَرَم فإن الشيب مبدأ الهرم والمُؤدّي إلى

---

(1) **السرحان**: حيوان، الذئب وذنب السرحان هنا الفجر الكاذب.

(2) **لبيد**: هو لبيد بن ربيعة العامري، كُنيته أبو عقيل، شاعر جاهلي وفارسي أدرك الإسلام وقدم على رسول اللّه ﷺ في وفد بني كلاب فأسلموا ثم قدم لبيد الكوفة، ويقال إن وفاته كانت في أول خلافة معاوية وأنه مات وهو ابن مائة وسبع وخمسين سنة وكان لبيد آلى في الجاهلية ألا تهب الصَّبا إلّا أطعم الناس. انظر أخباره ومختارات من شعره في **الشعر والشعراء**، ص 171.

(3) سورة الروم، الآية: 54.

العدم، بل هو الفقر الأكبر والماء الأصفر والسُّمّ الأخضر والموت الأحمر، رفيق كلّ أعمى وأعور وأعرج وأبْتر، والآتي لابن آدم كلّ مُنكر، اللَّه أكبر، اللَّه أكبر، ما كنت أظنه يقوم لفخري أو يُساوي قُلامة ظفري، إنْ لم تعرفونا أيها القوم، فسلوا عني وعنه بيض الصّفاح والبيضَ المِلاح وسُمْر الرّماح والسُّمْر الأرداح، والخيل واللّيل والسُّهى وسُهيل:

الخيلُ واللّيلُ والبيداء تَعْرِفُني والسّيفُ والرّمْحُ والقِرْطَاسُ والقَلَمُ[1]

لا إله إلّا اللَّه، قولوا للشيب: تطلب أصحابه السلاطين لحرب النصارى والمسلمين، وهل يُدخلونه مجلس القُرعة أو يذكرونه من رُقاعه بوقعة، هل تعمر سوق الوغى إلّا بأصحابي، وهل يُقرع إلّا بابي:

أنا الفَارِسُ الوثّابُ في صَهَواتها وكل مُجيدٍ جاء من بعدُ، زُخْرُفُ

وكيف يجيد غيري وإني وذو الشيب واهي العزمات مشغول باللزبات، لا تُفارقه الأوجاع ولا تغيب عنه الأصداع، وتأنف منه الأبصار والأسماع، انظر إلى أبي الفتح البستي[2] كيف يحنّ ويئنّ، ويُبرز لسان حاله ما نفسه تُجِنّ:

وَهَتْ عَزماتُك عند المشيبِ وما كان من حقّها أن تَهي
وأنكرتَ نفسكَ لما كبرتَ فلا هي أنتَ وَلا أنتَ هِي
وإن ذُكرت شَهَواتُ النفوسِ فما تَشْتَهي غيرَ أن تَنْتَهي

فقام الشيب والحلم يترقرق بجنانه، والحكمة تتدفّق على لسانه، وتوكأ على عصاه مُنْشداً، لا مُبْرقاً ولا مُرْعِدا:

لا تأسَفَنَّ على الشّباب وفَقْده فَعَلَى المشيبِ وفَقْدِه يُتَأسَّفُ
هَذَاكَ يَخْلِفُه المشيبُ إذا انقَضَى وَمَضَى، وهذا فَقْدُهُ لا يُخْلِفُ

ثم التفت على الشباب وقال: يا مخدوعاً بالنعمة وممنوعاً من الحكمة، يا قليل الوفا، يا بعيداً عن الإصطِفا، يا خُضرة في دِمْنَة ومَذْقَةً في جَفْنة، ما لي أراك تلبس غير ثيابك، وتُنفق من غير جِرَابك؟ أَتُفَاخرُني بالجهاد والثّبات لدى الجِلاد،

---

(1) البيت للمتنبي، قاله مُفاخراً في حضرة سيف الدولة، وقصته مشهورة.

(2) **البستي أبو الفتح علي** (971 ـ 1010م): ولد في بست (سجستان)، وتوفي في بُخارى، كاتب أديب شاعر فارسي الأصل، أشهر شعره نونيّتهُ المعروفة بعنوان «الحكم».

كأنكَ صِبْغة الأشتر[1] يوم الجمل، أو حِلْية قيس بن زهير يوم قتل ابن بدر حمل[2]، لا ومن خلقني، وبحكمته أنطقني، لا يثبت لها إلّا المشايخ ولا يقوم بها إلّا كلُّ شامخ.

وابن اللّبونِ إذا ما لَزَّ في قَرنٍ[3] لم يَسْتَطعْ صَوْلَةَ البُزْلِ القَنَاعيسِ

وهَلْ يحضر أصحابك القُرعة إلّا سَوْقاً بالعَصَا ووكزاً للخِصَى؟

ولولا ذوو الرأي والتدريب من الكهول والشيب، لَمَا ثبت أصحابك في ساحة النّقع فَوَاق ناقة، ولا كان لهم بِمُقَاساة أهْوالها طاقة، وتُسَاجلُني بِبذْل المال، كأنّك أبو المَسَاكين، والمُطعم في مُحول السنين، وكأنّ دونك عبد اللّه بن جذعان[4]، أوْ بِكَ افتخرتْ بنو شيبان أو كأنك الذي ساجل وثيلٍ أو لبيد[5] أو الوليد، إذ تهب رياحُ بني عقيل[6]، وهلْ تُنفقهُ إلّا في دكّان عطّار، أو حانة خَمَّار، أو على حامل ناي ومزْمار بل على ذات سالف وطُرّة، ومُغيّرةٍ صَبغة شفتيها بالنيل ووجنتيها بالحُمْرة، ولاعبة بالأفكار لعب أبي وثّاب بن ظاهر على الأزرار، أين أصحابُك عن بَذْله في الحَلال، وإنفاقه على الضِّيفان والعِيَال، وصَرْفهِ في الزكاة والصَّدَقات وغيرها من الواجبات والمَنْدوبات، والإنفاق في غير الحلال، على مُنْفقِهِ وَبَال.

هلْ أخبركم بالأخْسَرينَ أعمالاً الذين ضلَّ سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يُحسنون صنعاً؟

---

(1) **مالك الأشتر. فارس حرب الجمل**: بين عائشة والإمام علي بن أبي طالب، ثبت في القتال مع الإمام حتى قتل وهو ابن تسعين سنة.

(2) يشير المؤلف إلى يوم هو من أعظم أيام العرب (يوم شعب جبلة) وفيه أن مُغَاضبةً حصلت بين المدعو الزهرمان وبين قيس بن زهير، الذي أنشد:

جَزَاني الزهرمان جَزَاءَ سُوءٍ وكنتُ المرء يُجزى بالكرامةْ

(3) **القرَن**: جمع قِران: السيف.

(4) **عبد اللّه بن جذعان**: في منزله اجتمعت القبائل وعقدت «حلف الفضول» الذي أوصى بإقراء الضيف إلى ما هنالك من صفات حميدة.

(5) **لبيد بن ربيعة**: اشتهر بالكرم، انظر **الشعر والشعراء**، مصدر سابق.

(6) من قول الشاعر:

إذا هبّت رياحُ بني عقيلِ

والوليد ابن يزيد أحد ملوك الأمويين، كان شاعراً مات قتلاً.

وتعيّرني بالموت وليس عنه مَحِيدْ، وهو أقربُ إليك من حَبل الوريد، والآفات إلى الطفل الصغير، أسرع منها إلى الشيخ الكبير، فكم شابٌّ زار المَقَابر وشيخ جدّه غير عاثر، وكم عناقٍ[1] تُقسِمُهُ الذّئاب وَكَبْشٍ يرعى زهرة الأعشاب، وكم جَدْيٍ طُبخ بلَبَن أمّه وفرخٍ خَنَقهُ الصبيّ بكُمّه، وأخالُك لو عددتَ الناس، لم تجد في العشرة خمسة تبلغ مبلَغ الشّيب، فالموت لا عُتبى عليه ولا عيب، فضح الموت الدنيا، لم يُبقِ لِذي لُبّ فَرَحا، خُطَّ الموتُ على ابن آدم مَخطّ القِلادةِ على جيد الفتاة، ﴿أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِككُّمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنتُمْ فِي بُرُوجٍ مُشَيَّدَةٍ﴾[2].

قالوا: فرأينا الشّباب قد أطرق حَنَقاً، وأراد أن يتكلّم فَغَصَّ بريقه شَرِقاً، ووقف وهو يَسْوَدُّ تارةً ويَحْمَرُّ أُخرى، ونظر إلى الشيب وقال: يا داعي الفُرقة ومُبْعدَ الشُّقة ومُقدَّمةَ الموت، وصاحب الفوت، ومُصفّر الوجوه ومُعَمِّشِ العيون والضّاحك على الذّقون، أتجعلني دعيةَ اللهو وأصحابك به غريقون، وتنهوننا عن المَنَاكر وأنتم عنها لا تنتهون؟ أتأمرون الناس بالبِّر وتنسون أنفسكم ولما هجرتك الغَواني حملتَ المفصَّل والمَثَاني، وأظهرت الزهد رِيَاء، والوَرَع حَيَاءً، ونَسَبْت إليَّ داعية الفَسَاد افْتراءً:

ذهب الثعلب يبغي عِنَباً ... لَمْ يَنَلْهُ قال هذا حَامِضُ

وقد ظهر على لسان صاحبك ما كذّبك ونَحّاك، وأبان نُكْرَك وافتراك:

أَلا طَرَقَتْنَا آخِرَ اللّيل زَيْنَبُ ... سَلامٌ عليكِ هل لِمَنْ فَاتَ مَطْلَبُ
وقالت تَجَنَّبْنا وَلا تَقْرُبَنَّنا ... وكيف وفيكم حَاجَتي أَتَجَنَّبُ
يقولون هل بعد الثلاثين مَلْعَبٌ ... فَقُلْتُ وهَلْ قبل الثلاثين مَلْعَبُ
لقد حلَّ خَطْبُ الشيب إن كان كلّما ... بَدَتْ شيبةٌ عُرِّي من اللّهو مركبُ

وهذا الشريف الرضي[3] يُخاطبها بِتَذَلّل ويقنع منها بالتّدلّل:

---

(1) **عناق**: الأنثى من أولاد الماعز قبل استكمالها السنة، جمعها عنوق.
(2) سورة النساء، الآية: 78.
(3) **الشريف الرضي**: أبو الحسن محمد بن أبي أحمد الحسين الطاهر المتوفى سنة 406هـ شاعر يرتقي بنسبه إلى الإمام موسى الكاظم فإلى الحسين بن علي بن أبي طالب، وهو أخو الشريف المرتضي السالف ذكره.

وَمَا عليكِ ونَفْسي منكِ واحدةٌ ... إذا تَلَوَّن في أَلْوانه الشَّعَرُ

وهذا مُثْبتُ القصة، محمد علي بن علي عزّ الدين، يَتَخضّع لَهَا ويَتَخشَّع، ويقول وعينه تدْمع:

أَأَزمانُ إنّ البينَ بالهَجْر أَبْلانا ... فهلْ نَرْتَجي للوَصْل أَزْمانَ أَزْمَانَا

أَأَزْمانُ إنْ أَهْلَكْ فَذي شِيمةُ الهوى ... وإنْ اصْطبْر فالصَّبرُ يُحْمَدُ أَحْيَانا

أَأَزْمَانُ نفسي فيكِ تلكَ فما الذي ... يَرُوعُكِ منْ رَأسي إذا كان أَلْوَانا

ويقولُ مُتأسِّفاً على فِرَاقها، فَرِقاً منْ شِقاقها:

وذي البيضاءُ في السُّودَان صَاحَتْ ... بِصَوْتٍ ثُقِّفَتْ منه العِظَامُ

فَغَادَرتِ الجآذِرُ عن كِناسي ... جَوَافلَ مثلَ ما جَفِلَ النَّعَامُ

فَيَا شَرْخَ الشّباب عليكَ مِنّي ... سَلامُ اللَّه ما نَبَتَ البَشَامُ[1]

ويقولُ في بعض قَصَائدِه:

رقيقَ الخَصْرِ قد صَيَّرْتَ ديني ... رقيقاً والفُؤادُ لَكَ الرَّقيقُ[2]

أَبَعْدَ الأرْبعينَ إلى التَّصَابي ... تُميلُيني فَهَلْ هَذا يَليقُ

وَهَلْ في شِرعةِ الإسلام أَنّي ... أُكَلَّفُ في الهوى مَا لا أُطِيقُ

وهذا الشّيبُ قامَ على شَبَابي ... يُزَمْجِرُ مِثْلَما هَدَرَ الفَنيقُ[3]

فَيَا شَرخَ الشّباب عليكَ مِنّي ... سلامُ اللَّه ما نَبَضَتْ عُروقُ

طبع اللَّه على قلبك، أتُعيّرني بالنساء وتنسى قول سيد الأنبياء: «أُحِبُّ من دُنياكم ثلاثة: النساءَ والطّيبَ وقُرَّةَ عيني الصلاة»[4] قمْ فادرجْ على عَصَاك وتَقَرَّ على عادتكَ في خُطاك، ودَعْ مَجَالس الأذكياء، ولا تنتحلْ مَذَاهب الأصفياء، ورَدِّدْ أبياتاً لبعض أخِلائكَ، لَعَلّها تُشفي من دائك:

ولي عصىً من طريق اللّوم أحمدُها ... كَيْما أُقوِّمُ في تَقْديمها قَدَمي

كأنّها قَوسُ رامٍ وهي لي وَتَرٌ ... أَرمي بها عن زمان الشيب والهَرَمِ

---

(1) **البشام واحدته**، بشامة: نبات طيّب الرائحة.

(2) **الرقيق**: العبد.

(3) **الفنيق**: الجمل القويّ.

(4) حديث شريف متواتر.

كأنها وهي في كَفّي أَهُشُّ بها ... على الثمانين عاماً لا على غَنَمي[1]

وجَلَس وهو يُنشد تَعْريضاً ويتَمايَل اعتراضاً:

أَتَرْجو أنْ تكونَ وأنْتَ شيخٌ ... كَمَا قد كُنتَ أيَّامَ الشّبابِ[2]
لَقَد كَذَبَتْك نفسك ليس ثوبٌ ... دَريسٌ كالجَديدِ من الثّيابِ

فاستظرف أكثر الحاضرين فَصَاحته، واستحْلَوْا مَلاحَتَه، فنظر الشيب إليهم وقال: ساعد اللّه الملكَ على هذه الرعيّة وأمدّه بعنايته القويّة، هذا زمانٌ كثر فيه الطغيان وتأخرتْ فيه الشّيبُ عن الشّبّان:

كِبَارُ زَمَانِنَا صَاروا صِغَاراً ... وقد غَضِبَ الزّمانُ على الكبارِ
كَأنّ زمانَنا من قوم لُوطٍ ... لَهُ وَلَعٌ بتقْديم الصِّغارِ

ثم أغرى إصبعه بمسمعه وجاء من صوته بأرفعه، ونادى: أين أهل البَصَائر، أين شيوخ العَشَائر، أين أصحاب الخبرة والتجريب من الكهول والشّيب.

كأنّهمْ في ظُهورِ الخَيلِ نَبْتُ رُبى ... من شِدَّة الحَزْم لا من شِدّة الحَزَم[3]

أين من كان منهم من الأنبياء، والأنصار الأصفياء والخلفاء الأتقياء والملوك الأشدّاء والوزراء الألدّاء، وأصحاب الجفان ومُوقدي نار الطِّعان، ضاع الضّراب اليوم والذي أنالَهُ عبد:

إن تميماً أخْلَفَتْ عنك ابن مُرّ ... وقَدْ أراهمْ وهُمُ الحيُّ الصُّبُرْ[4]

فلما رأى أن لا واعيه، ولا من يُجيب داعيه، بكى حتى نظم سلائِك لحيته

---

(1) اقتباس من قول موسى عليه السلام: ﴿هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّؤُا عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَى غَنَمِي﴾ من سورة طه، الآية 18.

(2) انظر: **المستظرف**، ج2، ص 31، القول للجاحظ.

(3) **الحَزْم**: إحكام الأمر وضبطه، الحَزَم: الغصَص في الصدر.

(4) **تميم**: هو تميم بن مُرّ، حضر حرب صفّين، وعندما فرّتْ قومه، جعل يُنادي: ضاع الضراب اليوم، والذي أنا له عبد، يا للأصفياء، يا للأنساب! وفي ذلك قيل البيت:

إن تميماً اخلفتْ عنك ابن مُرّ ... وقد أراهمْ وهُمُ الحي الصُّبُرْ

وفي نسخة بخط الشيخ أحمد رضا، عجز البيت:

فإن تفرّوا اليوم إنّي لا أفرّ

بلُؤلؤ مَدْمعيه، ونثر بشموع أنامله كافور عارضيه، ولما سكن حنينه، وانقطع أنينه مال متعرّضاً وأنشد:

لقد عجبتُ لأمّ العُمر إذ هَزَأتْ — من شيب رأسي وما بالشيب من عار
لا أدخلُ البيتَ أحْبو من مُؤخّرِه — ولا أُكسِّرُ في ابن العمّ أظْفَاري[1]

ثمّ التفت على الشّباب وقال: يا خارجي: إنّا للّه ولا حُكْمَ إلّا للّه[2]، سألتك بربّك، هل تَقَدَّم الصغار إلّا في زمن الفجّار؟ وهل أرسل اللّه في ماضي السنين محمداً، إلّا بعد بلوغ الأربعين؟ وهل أقمت مع إبراهيم الخليل، إلّا الزمن القليل؟ وهل بقيت مع نوح، شيخ المرسلين، وقد لبث في قومه ألفاً إلّا خمسين؟ وهل ألبسته في السفينة الوقار والسكينة؟

هيهات، هيهات! ولكنك صعب العلاج، بَلْغَمِيُّ المِزَاج، سكران في صورة صاحٍ، مُثبتٌ في صفة ماحٍ، تُرسل قبل التسديد وتبني قبل التّشْييد، وليتك لبثت مع صحبَتك ومتَّعتهم بلغتك، لا تُقيم فيهم إلّا قليلاً، ولا تُوطِئهم إلّا كثيباً مَهيلاً، وأنا المقيم إلى الممات والماحي عنهم صُحُفَ السيِّئات، ولذلك عَزَوْني إلى الوفاء ونسبوك إلى الجفَاء، كما أفصح بذلك الناظم الكاتب كَشَاجم[3]:

تَفَكَّرْتُ في شيب الفتى وشَبَابِهِ — فأيْقَنْتُ أن الحقَّ للشيبِ واجبُ
يُصاحبني شَرخُ الشباب وينقضي — وشَيْبي إلى حين المَمَاتِ مُصَاحبُ

ونابغةُ الزمان، شاعر مَعَرَّةِ النّعمان[4]:

خَبّريني ماذا كَرِهتِ منَ الشيب — فلا علمَ لي بذَنْب المَشيبِ

---

(1) وفي النسخة نفسها: ولا أُكسر في ابن العم أفقاري.

(2) شعار أطلقه الخوارج رافعي القرآن في معركة صفّين، والخوارج أقدم الفرق الإسلامية خرجوا على الإمام علي بن أبي طالب.

(3) **كشاجم**: هو محمد بن الحسين أبو الفتح المعروف بكَشَاجم الرّملي نسبة إلى (الرملة) في فلسطين، توفي سنة 370هـ وقيل إن اسمه منحوت من عدة علوم يتقنها هي الكتابة (ك) والشعر (ش) والأدب (الألف) والجدل (الجيم) والمنطق (الميم)، له ديوان شعر «**الثغر الباسم**». انظر: **فوات الوفيات**، 4/ 99، **وشذرات الذهب**، 3/ 73، **والأعلام**، 7/ 167.

(4) **شاعر المعرّة**: أبو العلاء أحمد بن سليمان الشاعر الضرير، له دواوين شعرية منها، «**سَقط الزند**» و«**اللزوميات**»، وله شرح مُعجز أحمد «**ديوان المتنبي**».

أَضِياءَ النّهار أم وضَحَ اللؤلؤ أم كونَه كثغر الحبيبِ
خَبّريني فضلَ الشّباب وماذا فيه من مَنْظرٍ يَسُرُّ وطيبِ
غَدْرُه للخليل أم حبُّه للغيّ أم كونُه كعيشِ الأريبِ

ولقد أجاد بعضهم وأوجز:

لَمْ أقُلْ للشباب في دَعَةِ اللَّه ولا حِفْظِه غَدَاةَ استَقَلاّ
زائرٌ زَارَنَا أقامَ قليلاً سَوَّدَ الصُحُفَ بالذنوب وولّى

ثُمَّ لَحَظَهُ لحظةَ إشفاق، وخاطبه مُخاطبة إرْفاق، وقال: أَلَمْ نُرَبِّكَ فينا وليداً ولبثنا في خدمتكَ عبيداً؟

فثديُ سقاء وحجرُ وعاء، وكمُّ رداء، ودرهم ودينار فَعَلامَ هذا النِّفار؟ وأيم اللَّه لولا أمره بالرحمة، لما تفوَّهتُ معك بكلمة، فاحتبى الشباب مُطرقاً، وتقطّر عَرَقاً وسكت فَرِقاً وقلقاً وغصّ بدموعه شرقاً، ثم رفع رأسه مُحَمْحِماً وأنشدَ مُتلوِّماً:

تَبَسُّمُ الشّيب بذقْن الفتى يُوجب سَفْحَ الدّمع من جَفْنِهِ[1]
حَسْبُ الفتى بَعْدَ الصِّبا ذِلةٌ أنْ يضحكَ الشيبُ على ذَقْنه

ثم رفع عقيرته ومسح عَفيرته وقال: لا ها اللَّه لا واللَّه، لا أُخدعُ لخطابك ولا أُعدّ في حسابك، ولا أدخل في مُسَاهلة ولو وصلت إلى المُبَاهِلة، أنا أسبق منك إلى الإيمان، وبأيّامي تُكْتَسب المَعَارف والأديان، ومع هذا تُحاولُ خداعي وعن حقّي تروم امتناعي، يا راكعاً بلا صلاة وكاتباً بلا دواة، وسابحاً بلا لُجّة وسائحاً على غير مِحَجّة، أين دعواك الرحمة والمحبّة وأنت لا تَدَعُ لي موقع حبَّة تقدّم اغتيالاً، فأقوم لك عن أصل الشعرةِ إكراماً وإجلالاً، فلا تزال بي قليلاً قليلاً حتى تطردني عن أطرافها وتأخذ أكنافها، وتفعل ذلك في جيرانها وأسلافها، وليتك إذِ ادعيتَ النِّصْف تُبقي نِصْفاً وتذهب بنِصْف، وإنك بذلك لَأَظْلم من حيّة[2] وأفجر من بغية، وأحْيل من ثعلب وأطمع من أشعب، فالفعل فعلك والناس ينسبوني إلى قِلّةِ الوفاء، وعلى ذلك أقمت الدعوى، وأبرزتُ الشكوى:

---

(1) انظر: **المستطرف**، المرجع المذكور والصفحة نفسها.

(2) يُضرب المثل في ظُلم الحيّة، وذلك أنها لا تتخذ جُحراً، فكل جحر تدخله يهربُ صاحبه منه.

غَيري جَنَا وأنا المُعاقبُ فيكُمُ ... فَكَأنّني سَبّابةُ المُتَنَدِّمِ

وأما تَبجّحُك بالكبر فلا نَصَّ عليه ولا أثَر، فقد بعث اللَّه عيسى في المهد صبيّاً، وبعث رسول اللَّه ﷺ إلى اليَمَن عَليّاً عليه السلام ووازره في الشعب دون مشايخ القَرابة، وأمَّرَ أُسامة بن زيد على الجيش وفيه أكابر الصّحابة، وولّى عتاب بن أسيد مكة وفيها مشيخة قريش، وبعثَ المأمون يحيى بن أكثم قاضياً إلى البصرة، وهو أصغر عُلماء المِصْرين سناً، وأوصى حصن إلى عُيَيْنة، وهو أصغر إخوته، ومثل ذلك كثير ولا يُنبئك مثل خبير، فكم وليد سبق الشيب بآراء وتأديب.

قالوا: فسكت الشيب سكوتَ مُرتاب، ثم نهض نهضةَ عُقاب وقال:

أُعلِّمُه الرِّمايَةَ كلَّ يومٍ ... فَلَمّا اشتَدّ سَاعِدُهُ رَمَاني

وكمْ عَلَّمْتُهُ نَظمَ القَوافي ... فَلَمّا قال قافيةً هَجَاني

يا ظُلمة اللّيل وخُيَلاءَ الخيل، وصِبْغة الأحزان، ولُعْبَةَ النسوان، وفخّ الشيطان، ما كنت أظنّك تعرفُ وجهَ حيلة وأنت ابن يوم وليلة، بل سَرَابُ بقيعةٍ يحسبُه الظّمآن ماءً، حتى إذا جاءه لم يَجدْه شيئاً، ما أنا إلاّ خاتم الرُّسُل، وليس بعدي عمل ولا علٌّ ولا نَهْل، وقد بُعثتُ إليك وإلى أتباعك ولم أزل أتورَّع عن ارتياعهم وارتياعك، وأرسلتُ رُسُلي مرةً بعد أخرى، ورأيتُ أن الرفقَ أحرى، فلما لم تُنيبوا إلى الرحمن ولجَجتم في الطغيان، أنزلَ عليّ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۖ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ﴾[1].

فأنزلت ركابي بجَنَابك، وجَعْجَعتُ بك وبأصحابك، وأَخرجتك إخراجَ إبليس من الجنّة مذموماً مَدْحوراً، وتركتهم بعدك قوماً بوراً يدعون ثبوراً ورميتُ عيونهم بالعَمَشْ وآذانهم بالطَّرش وشعورَهم بالبَرَش وجسومهم بالنَّمْش، ثم ناديت فيهم بالأمان وعاملتهم بالإحسان فمن أقلع عن ذَنْبه وتاب إلى ربّه، أعطيته كتابه بيمينه لينال الثَّوَاب بيومِ المَئاب، ويسكن غرفاً تجري من تحتها الأنهار مع الصديقين، والشهداء والصَّالحين، وحَسُنَ أولئك رفيقاً، ومن بقي على هواه، ولم يكترث بنذير مولاه، تركته في أهل الشمال مع الشّياطين في جهنّم وساءت مصيراً، ثم جلس وهو ينشد:

---

(1) سورة المائدة، الآية: 67.

إذا نـازع الـشّـيـبُ الـشّـبـابَ وأَصْـلَـتـا بسَيْفيهما فالشيبُ لا شكَّ غَالِبُ

قال بعض رُواة الحديث: فعندها دَمَعَتْ من أهل الحضْرة العيون واقْشَعَرَّت الجلود، ورأيت النّفس الطّمّاحة كأنها في قمع سِمْسِمَة، والنّفس اللّوامة على وجهها دِماءُ قُمْقُمة[1]، وسائر القوم كأنهم أَيْقَاظٌ من نوم، وطَأْطَأَ الشباب طويلاً وأبدى عويلاً، ثم رجع إلى حَميَّته ورفع رأسه قليلاً، وخاطب نفسه بأبيات لقطري بن الفجاءة:

أَقُـولُ لـهـا وقَـدْ طَـارتْ شَـعَـاعـاً مـنَ الأبـطَـالِ ويْـحَـكِ لا تـراعـي
فـإنّـكِ لـو طَـلـبـتِ بـقـاءَ يـومٍ عـن الأجَـلِ الـذي لَـكِ لـنْ تُـطَـاعـي
فَـصَـبْـراً فـي مَـجَـال الـموتِ صبـراً فَـمَـا نَـيْـلُ الـحَـيـاة بِـمُـسْـتَـطـاعِ
ومـا ثـوبُ الـحـيـاة بـثـوب عِـزٍّ فيُطوى من أخي الْخَنَعِ اليَرَاعِ[2]
سـبـيـلُ الـمـوت غَـايـةُ كـلّ حـيّ ودَاعـيـةٌ لأهـلِ الأرضِ داعِ
وَمَـا لِـلْـمَـرْءِ خـيـرٌ مـن حَـيَـاةٍ إذا مـا عُـدَّ مـن سَـقَـطِ الـمَـتَـاعِ

وعطف على الشيب عطفة ذي رَيْب، وناداه: يا مَهُولَ الصُّورة ومُلجِئَ الناسَ إلى الضّرورة، وقاطع القوة ومعدم المُروة، أتدّعي النُّبوّة وتنتحل الفُتوَّة، ﴿لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِدًّا ﴿٨٩﴾ تَكَادُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنشَقُّ ٱلْأَرْضُ وَتَخِرُّ ٱلْجِبَالُ هَدًّا﴾[3] لو كنت صادقاً لما سَرّك سيدنا رسول اللّه ﷺ بالخضاب، وتبرّأ منك الأحباب والأصحاب، حتى أن أهل الطريقة اتخذوها سُنَّة وأكرم بها من سنّة لما فيها من بعض بِدَعِكَ من الجُفَّة.

قالوا: فقطع الشيب عليه الكلام وقال: أتحتجّ بقول سيد الأنام وأهل الطريقة من الإسلام، وإنما فعلوه ليُرْهبوا بصورة سوادك الأعداء وبَقْياً على النساء حيث إنهنّ فُتِنّ بزيّك وغَرِقْنَ بغيّك، ولو تسمع قول القائل معتذراً عن الخضاب:

وحَـقِّـك مـا خَـضـبْـتُ مَـشـيـبَ رأسـي رَجَـاءَ أن يَـعـودَ لـي الـشّـبـابُ

---

(1) **قُمقُمة**: من معانيها الحلقوم، وعاء العطر.
(2) **يراعِ**: حقها النصب لأنها مفعول به للفعل «يطوي» ولكنها حرّكَتْ بالكسر تماشياً مع قوافي القصيدة، وهذا ما يُسمّى الإقواء في الشعر.
(3) سورة مريم، الآيتان: 89 ـ 90.

ولكنّي خَشيتُ يُرادُ مِنّي عقولَ ذَوي المشيب فلا تُصابُ

لَمّا تَفوّهت من هذه المَقَالة ببنت شفة وعَدَلْتَ عن اللّفْلَفة إلى طريق الكَفْكَفَة.

فقال له الشباب: ذلك أدحض لِحُجّتك الكاذبة، فإنك لا تُرْهبُ عَدوّاً ولا تُبقي على صاحبة، وما ذكرت من البيتين، أرجعك بُخُفيّ حُنين، فإن مآلَه التّأسّف على غيبتي والتّلَهّف على صُحبَتي، والمُتسلّي عمّا فَاتَهُ بالتُّرّهات بدعوى اختصاص الشيب بالعقل وهيهات! فكم شائبٍ خرفان وكم شابٍ هو نابغة الزّمان، وليتك تحفظ قول الآخر:

يا خَاضِبَ الشيب الذي في كُلّ ثَالثةٍ يَعودُ

إنّ الخِضَاب إذا نَضَا فكأنه شيبٌ جديدُ

فَدَعِ المشيبَ وما يُريد فلَنْ يَعُودَ كما تُريدُ

وقول الآخر:

قَالتْ أَراكَ خَضَبْتَ الشيبَ قُلتُ لَهَا سَتَرْتُهُ عنكِ يا سَمْعي ويا بَصَري

فَقَهْقَهَتْ ثمّ قالتْ منْ تعجُّبها تَكَاثَرَ الغِشُّ حتى صارَ في الشَعَرِ

لَعَلِمتَ أنهم يَختارون الخضاب، هَرَباً منكَ وتَشَبُّهاً بي:

فَتَشَبَّهوا إنْ لم تكونوا مثلَهمْ إنّ التَّشَبُّه بالكرامِ فَلاحُ

فقال له الشيب: قد غَطّاك الجهل وغرَّتكَ العافية، ثم تمضمض ببيت أبي العَتَاهية:

إنّ الشَّبَابَ والفَرَاغَ والجِدَةْ مفْسَدةٌ للمرء أيُّ مَفْسَدةْ[1]

فقال له الشباب: اسكت وإلّا أغصصتكَ بِريْقِكَ وأَغْريتُك بزيقكَ.

فقال الشيب: وَيْحكَ، بماذا؟ أبوجهك الأسود أم بعقلك الأنْكَد أم بلعبك، والمشايخ رُكَّعٌ سُجَّد، أم بتردّيك الكبرياء وإغرائك الأشقياء، وكُفركَ بالآلاء، وعصيانك ربّ الأرض والسماء، لكُمْ أَعْينٌ لا تُبصرون بها وآذان لا تسمعون بها وقلوبٌ لا تعقلون بها، إن أنتم إلّا كالأنعام بل أضلُّ سبيلاً.

قال الشباب: لا بِذَا ولا بِذَك، بل بنعمةُ مولايَ ومولاك، حيث جعلني حِلْيَة

(1) البيت لأبي العتاهية ولم يرد في ترجمته في **الشعر والشعراء**، ص 538.

أهل الجنّة، قال رسول اللّه ﷺ: الحسَنُ والحُسين سيّدا شباب أهل الجنّة، وأبوهما خيرٌ منهما، ولو كان فيهما كَهْلٌ أو شيخ لَقَالَ في أبيهما: سيد كهولها أو شيوخها.

وقال عليه السلام: لا يدخل الجنة عجوز، فبكت إحدى العَجَائز، فتَلا عليه السلام ﴿إِنَّآ أَنشَأْنَٰهُنَّ إِنشَآءً ۝٣٥ فَجَعَلْنَٰهُنَّ أَبْكَارًا ۝٣٦ عُرُبًا أَتْرَابًا﴾[1]. وقال تعالى في غير موضع من الكتاب: حور عين وغلمانٌ مخلدون.

لـوْ رأى الـلّـه فـي الـمـشـيـب خـيـراً جَـاورتْـهُ الأبـرارُ فـي الـخُـلـدِ شِـيـبـا

بَلى، ذكرك اللّه في القرآن تهويلاً فقال: ﴿فَكَيْفَ تَتَّقُونَ إِن كَفَرْتُمْ يَوْمًا يَجْعَلُ ٱلْوِلْدَٰنَ شِيبًا ۝١٧ ٱلسَّمَآءُ مُنفَطِرٌۢ بِهِۦ ۚ كَانَ وَعْدُهُۥ مَفْعُولًا ۝١٨ إِنَّ هَٰذِهِۦ تَذْكِرَةٌ ۖ فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلًا﴾[2]. وشكا زكريا لربّه فقال: ﴿رَبِّ إِنِّى وَهَنَ ٱلْعَظْمُ مِنِّى وَٱشْتَعَلَ ٱلرَّأْسُ شَيْبًا﴾[3].

واقتبس ذلك ابن دُريد[4]، حيث يقول:

واشْـتَـعَـلَ الـمُـبْـيَـضُّ فـي مُـسْـوَدِّه مثل اشْتِعَال النَّار في جَزْل الـغَـضَـا

فلا تتكلم بعد هذا ولا تقل بماذا وبماذا، واشتغلْ بتقليع الأضراس وتقطيع الأنفاس، وتصغير الخدود وتمزيق الجلود وتفتيق الكبود وتثقيف العظام وتحليل الأجسام، فإنك حَجَّام سَاباط[5] لا الطبيب أبقراط، وأحمق بني عجل لا الحكيم أفلاط.

قال الرواة: فَرَمى الشيخُ الحِلْم ظهرياً وأخذ كلٌّ منهما يتكلّم فَريّاً، ولم يُسمع منهم بعد إلّا الحمحمة، ولم يُحفظ عنهما إلّا قول: صَهْ، ومه واضطرب أهل المجلس، واختلف شأنهم بين مصوِّب، ومُصَعِّد، ومُقرّب ومُبَعِّد، هذا يقول: صدق

---

(1) سورة الواقعة، الآيات: 35 ـ 37.

(2) سورة المزمل، الآيات: 17 ـ 19.

(3) سورة مريم، الآية: 4.

(4) **ابن دريد**: أبو بكر محمد الأزدي (837 ـ 933)، ولد وتوفي في بغداد، لغوي وشاعر، صاحب «**المقصورة**»، له «**الجهرة في اللغة**»، وهو أشهر المعاجم التي صُنّفت في القرون الأولى بعد «**كتاب العين**»، للخليل بن أحمد النحوي ولم يكمله.

(5) **حجّام ساباط**: جاء رجل من أهل ساباط المدائني، أراد أن يتكسّب بالحجامة وبتعليمها، فاقتنى محاجم فلم يحتجم عنده أحد، فأتى بأمّه وحجمها ثم أخذ يحجمها كل يوم حتى نضب دمها وماتت.

الفتى، وهذا يقول: ظُلم الشيخ، وهذا يقول: ألّفَ اللّه بينهما وجمع شملهما، وهذا يقول: انتظروا حكم الملك، فإنه سوف يُشترى منه ولا يُباع فيه، ولم يزل الحال في قيل وقال، إلى أن تعالى النهار، ونادى منادي الصلاة: البَدَار البَدار، فقام جلاله الملك إلى مُناجاة الحقّ، وذهب كلٌّ من الحاضرين إلى ما به أحقّ، فلما قضوا وطرهم رجعوا على أثرهم، ونُصِبَ في الحضرة مِنبرٌ من نور مُجلّلٌ بجلابيب الحكمة، قد عَلَتهُ قبةٌ من الرضوان، وفُرش المجلس بملايا الانقياد وعليها زَرابي الطاعة والتسليم، فأقبل الملك محفوفاً بنور الجلالة مُتوّجاً بتاج العَظَمة، وصعد المنبر وهو يتلو: ﴿رَبِّ هَبۡ لِي حُكۡمٗا وَأَلۡحِقۡنِي بِٱلصَّٰلِحِينَ ٨٣ وَٱجۡعَل لِّي لِسَانَ صِدۡقٖ فِي ٱلۡأٓخِرِينَ﴾[1]. ثم استوى على المنبر، وقبض بإحدى يديه على قائمته وتوجّه إلى القوم، وتمثّل:

إنّا إذا مَالتْ دَواعي الهوى ... وأنْصَتَ السَّامِعُ لِلْقائلِ
لا نَجْعَلِ الباطِلَ حَقّاً ولا ... نَلُظّ دون الحقّ بالباطِلِ
نَخافُ أن تَسْفَهَ أحْلامُنا ... فَنَخْمَلُ الدّهر مع الخَامِلِ

قامت النّفسُ المطمئنة بين يديه فتَلَتْ: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤۡمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيۡنَهُمۡ ثُمَّ لَا يَجِدُواْ فِيٓ أَنفُسِهِمۡ حَرَجٗا مِّمَّا قَضَيۡتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسۡلِيمٗا ٦٥﴾[2].

قالوا: وسكت القومُ ينتظرون كلامه حتى لَو وقَعَتْ بينهم إبْرةٌ لَطَنَّتْ، فسكت هنيهةً وقال:

بسم اللّه الرحمن الرحيم

﴿قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلۡمُلۡكِ تُؤۡتِي ٱلۡمُلۡكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلۡمُلۡكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُۖ بِيَدِكَ ٱلۡخَيۡرُۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ٢٦ تُولِجُ ٱلَّيۡلَ فِي ٱلنَّهَارِ وَتُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِي ٱلَّيۡلِۖ وَتُخۡرِجُ ٱلۡحَيَّ مِنَ ٱلۡمَيِّتِ وَتُخۡرِجُ ٱلۡمَيِّتَ مِنَ ٱلۡحَيِّۖ وَتَرۡزُقُ مَن تَشَآءُ بِغَيۡرِ حِسَابٖ﴾[3].

أحمدك على أن جعلتني أوّل الخَلْق وأوّل ناطقٍ بالحق. وأسمعتني لذيذ

---

(1) سورة الشعراء، الآيتان: 83 ـ 84.
(2) سورة النساء، الآية: 65.
(3) سورة آل عمران، الآيتان: 26 ـ 27.

كلامك قبلَ كل سامعٍ فكنتُ أوّل طائع وآخر تابعٍ فأمرتني بالإقبال والإدْبار لِسِرٍّ تعجز عنه الأفكار وشرَّفتني بالطاعة إذا أمرتَ فأقبلتُ وأدْبرتُ خاضعاً لعظمتك مذعناً لربوبيتك فجعلت جزائي من كرمك إذْ كنت الديّان ولا تجزي بالإحسان إلّا الإحسان أن صَيّرْتَني مَحطّ الثواب ومِحَكّ العقاب فأيدتني من حَتمتَ له السعادة وختمتَ له بحُسن الرِّفادة وأمرتني بالبعد عمّن بعُد عنك وأطاع هواه وكانت الشقاوة موليّ والسعير مَثْواه ثمَّ لما أحكمت خَلْق الأفلاك وزينتها بالكواكب وشحنتها بالأملاك وأتقنت أمرَ الأرض فأقمتها على الماء وأرسيتها بالجبال وأحييتها بالأنواء وأسكنتها الحيوان إنساناً وغير إنسان فأطاعتك الأرض والسماوات ومن فيهنّ وما بينهنّ وانقادت لعظمتك وأذعنت لمجدك وأن ما من شيء إلّا يُسبّح بحمدك تلطفتَ بالتكليف وسوّيتَ بين الشريف والضعيف وخصصت بأعظمه الإنسان وعلمته البيان وجعلتني الحاكم عليه والرّسول قبل الرُّسُل إليه سبحانك واحداً أحداً فرداً صمداً لم يتخذ صاحبةً ولا ولداً ولما ملّكتني هذا الملك وأجريتني بتلك الفُلك، أوزرتني العلم وأيّدتني بالحلمَ وأصحبتني الدّين والحَيَاء وعقدتَ ليَ راية الولاء وأخدمتني الوَرَعَ والزّهد وجعلتَ لي التقوى من أكبر الجُند وامتطَيْتَني التَواضع والخشُوع وأسلكتني سُبُلَ السلامة والقنوع وأمددتني بجنود مُجَنّدة قائدها الخير ورائدها العمل ودليلها التّفكُّر وميمنتها المعروف ومَيْسَرتها الإنصاف وقلبها العَفَاف وغنيمتها الأجر وزادها الحمد والشّكر وجعلت لي الذكاء نديماً والصبر حكيماً والرّفق رفيقاً والمودّة صديقاً والحزم مِجناً والسعادة مرتعاً والكرامة مِجنّاً.

سبحانك سبحانك ما أعزّ شانك وأعلى مكانك ولما جنّدت الجنود وعقدت البنود أرسلتني إلى مصطفاك الذي علّمته الأسماء وفضّلته بذلك على ملائكة السماء فتلقّاني بالرّضا والكرامة وأوسع لي عنده دار المقامة وأنزلني منزلة الروح من الجَسَدْ وفضّلني على المال والولد فلما رأى عدوّك وعدوّه الشيطان نُزولي بساحته وحِمايتي لِبَاحته بكى وأعوَل وعلى مناجاة كرمك أقبل ونادى وغْدَك وَعْدَك، يا مَنْ لا يُخلف الميعاد ألم تعدني النَّظِرة إذا أوجبت السَّخطة فقلت وأنت أصدق القائلين: ﴿ٱذْهَبْ فَمَن تَبِعَكَ مِنْهُمْ فَإِنَّ جَهَنَّمَ جَزَآؤُكُمْ جَزَآءً مَّوْفُورًا﴾[1] ﴿وَٱسْتَفْزِزْ مَنِ ٱسْتَطَعْتَ مِنْهُم بِصَوْتِكَ وَأَجْلِبْ عَلَيْهِم بِخَيْلِكَ

(1) سورة الإسراء، الآية: 63.

وَرَجِلِكَ وَشَارِكْهُمْ فِي ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَٰدِ وَعِدْهُمْۚ وَمَا يَعِدُهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ إِلَّا غُرُورًا﴾[1].

وقد دهمني العقل بجنود لا قِبَلَ لي بها ونزل بساحة المُجتبى آدم فأوسع له رَحْبَها فما وسعني إلا الفرار ولم يبقَ لي معه صبرٌ ولا قَرَار فمُدّني بصدق وعدك بعَداد جنوده واعْقدْ بنوداً أرفعها قبال بنوده فأمدّه اللّه تعالى بكتيبة قائدها الجهل وسائقها الشرّ وحَشْوها المُنكر وأجنحتها الخمر والميسر كعدّة أتباعي صفاً بصفّ وكيْلاً بكيل وأمره بالمسير إلى مدينة الإنسان والنزول على سورها لِيَتمّ النَّصْفُ ويعظُم الابتلاء.

وتأخذ الحكمة الربّانية مأخذها ويهلك من هلك عن بَيّنة ويحيا من حَيِيَ عن بيّنة فأقبل يرفلُ بزُحوفه ويرفل بلفيفه حتى دخل مدينة الإنسان وعرَّض تجارتها للخُسران وزيّن لأهلها الشّهوات وألْقَح فيهم الشبهات وتعرّض طوراً للبنين وتارةً للبنات وأتى الشباب بزيّ فاتك والشيب بِحِلْية ناسك لم يسلم من مصائده إلّا من اعتصم بجنودي وتعلّق ببنودي وأشهد أن لا إله إلّا أنت وحدك لا شريك لك ولا عديل ولا خُلْف لقولك ولا تبديل. كوّنت الكون فلا يحويك مكان وزمنت الزمان فلا يتعبك أوان أحطت خبراً بالأشياء وقدّرتها كما تشاء وأصلّي على نبيّك المبعوث على فترةٍ من رُسُلك، الهادي عبادَك إلى أوضح سبيل وأنعم مَقيل وأصدق قيل، سيد الكونين وإمام الثقلين محمد بن عبد اللّه الذي فضّلتَ به العرب، وختمت بكتابه الكُتب ورفعت مقامه في عليين وشرّفته على سائر العالمين وآله الذين أذهبت عنهم الرجْسَ وطهّرتهم تطهيراً وجزيتهم بما صبروا جنة وحريراً وأمرته بإخراجهم لمُباهلة نصارى نجران وجعلت فيهم لكل مَنَال بَيَان ولكلّ خائفٍ أمان وأصحابه السّادة والقادة الذّادّة الذين بذلوا مهجتهم فيه وسعوا لكل ما يرضيه.

أما بعد: فأُخْبركم مَعَاشر من أقلّتْهُ الغبراء وأظلّته الخضراء ولْيُبَلّغْ الشاهدُ الغائب والحاضر المسافر والقريبُ البعيدَ، إن اللّه أسكنكم هذه الدّار للعمل لدار القَرار، فبادروا العمل قبل حلول الأجل وقدّموا في ممرّكم ليوم مَقرّكم وأحسنوا زادكم ليوم مَعَادكم[2] وعاملوا الناس بالإنصاف وقولوا الحقّ ولو على أنفسكم

---

(1) سورة الإسراء، الآية: 64.

(2) من أقوال الإمام علي عليه السلام.

ووالوا في اللَّه وعادوا في اللَّه ولا يَخَفْ أحدُكم إلّا ذَنْبَه ولا يَرجو إلّا ربّه واستعينوا بالصبرِ والصلاة واحذروا ناراً ترمي بشرر كالقصر كأنه جِمَالات صفر ﴿وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ﴾(1) عليها ملائكةٌ غِلاظ شداد لا يعصون اللَّه ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون، وحاسبوا أنفسكم قبل أن تُحاسبوا.

فَقَدْ أُعدَّ لكم يومٌ تَذْهل فيه كل مُرضعةٍ عمّا أَرضعتْ وتَضَعُ كُلّ ذاتِ حِملٍ حِملها يوم تُخرج الأرض فيه ثقلها وتعرف النفس فعلها وتُنكر الشكيلة شكلها، يومٌ لا ينفع فيه مالٌ ولا بَنون ولا أَخِلّاء ولا أهلون، يومٌ تُنصب فيه المَوَازين وتُنشر فيه الدواوين ويكون الحكم لربّ العالمين ﴿يَوْمَ يَفِرُّ ٱلْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ ﴿٣٤﴾ وَأُمِّهِۦ وَأَبِيهِ ﴿٣٥﴾ وَصَٰحِبَتِهِۦ وَبَنِيهِ﴾(2) وفصيلته التي تُؤويه.

وإنكما أيها الخصمان المُتَلاحّان والناجمان المتشاحّان والكوكبان المتعارضان والناطقان المتقارضان والجوادان المستبقان، والسيفان المُختلفان، قد أكثرتما القَالَة وأطلتما المقالةْ وفتح كل منكما على قِرْنه باباً. يَضعبُ سَدُّه ويَعظمُ ردُّه ويعرض زَجْره ومدُّه، وما آلوكما خبراً أنَّ الخصام يُلْقح القَسَاوَة ويُنتج العداوة والحرب مَبْدَؤها كلام ومُنتهاها دكدكة هامات وأقدام وبذلك فَسَاد النظام وتكثر الآثام وعِصيانُ الملك العلّام، فَلْينظر امرؤ مبدأ غِراسه ومهوى أنفاسه ومجال أفراسه، والعاقلُ حصانُه لِسَانُه ومَخْزَنُه جِنانه وسيفه حفاظه وترسُه انخفاضه، كلامه وراء فكره وفكره في عاقبة أمره، إن سمع عيباً سَتَره وإن رأى خيراً نشره، فلا يَغرّنكما الشيطان وأنتما صاحبا مدينة الإنسان والعاملان عليها بإحسان.

وأُقْسِمُ باللَّه لَئِنْ بقيتما على هذه الإحّنة لَيَجعَلنَّكما دِمْنة ومحطّاً لكل فتنة، ويخرجكما منها كما أُخرج أبَوَيْكما من الجنة.

فاللَّه اللَّه في هذا الجوهر الشريف والمَرْكَبِ اللّطيف، فإن الجبّار أنشأه من صَلْصال كالفخار وجَرَّ إليه من خليج الحياة الأنهار وجعل له الجنّة المضمار، فإن لم يَسْبِقْ إليها فإلى النار فلا تُعينا على بَواره ولا تقعدا في طريق مضماره، وقد حَكَّمْتُماني وسَلّمتُما إليّ أمركما، وأنا أعلم بحُلوِكُما ومُرّكما، وأُقْسِمُ بجلال اللَّه

(1) سورة البقرة، الآية: 24.

(2) سورة عبس، الآيتان: 34 ـ 35.

الذي لا إله سواه أنه تبارك وتعالى جعلكما عَوْنين للإنسان عليه تتعاقبان وبَدَنه تتناوبان وأنتما تَحْسبان أنكما ضِدّان وخصمان متلادَّانِ وذلك من وساوس الشيطان.

أما أنت أيها الشاب، فقد أَلْبسهُ إيّاك بعد اليَفَاع لِيَعْظمَ بك الانتفاع، لبلوغه حينئذٍ دارة التكليف وتفرقته بين الكثيف واللّطيف، فشَدّ بك أَزرَه وقوّى بنَشَاطك ظهره، ورفع ببهجة صِبْغتك ذكره، وأحكم بلطفِ صنعتك أمره، وجعل شكلك الأمْلَح ولِسَانك الأفصح ووجهك الأصْبح وحظّك الأسعد، وركنك الأشدَّ وأيّدك بالعافية وجعلها هِمّتك العالية ودِرْعك الواقية، ليتمتع بك في طريقه قبل أن يَشْرَقَ بريقه وتعلقَ يدُه بزيقه.

فطوبى لمن عمل بك لِأُخْراه واستعان بك على خدمة مولاه فإنّك صِبْغة الله ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ صِبْغَةً﴾[1] والمُضغة التي طاب طعمُها وأَكْرِمْ بها من مضغة، فبك هَني العيش وطاب، ولك انتصب الديوان وانتشر الكتاب، وإليك أشارت الأصابع وبك استوت الطّبائع، وعندك زَهَت الرّياض وأطلعت نبتها الغيّاض، فوردٌ يتألّق وماء يترقرق وطِلحٌ منضود وظلٌ ممدود، لكنك مغمور بالغفْلة مغرور بالمِهلة، قد أضرَّ بكَ البلغم وكاد أن يقتلك الدّم، فلذلك حَفَّك الشيطان بأجناده وكاد أن يُسَرّ بك سُرورَه بأنجب أولاده، فانتبه من رَقْدَتك فقد أذن بتقويس صعدتك.

قَدْ رَشَّحُوكَ لِأَمْرٍ لَوْ فَطِنْتَ لَهُ فَارْبَا بِنَفْسِكَ أَنْ تَرعى مَعَ الهَمَلِ[2]

وأما أنت أيها الشيب، فقد ألبسه إيّاك عند خَلْع ثوب الشبيبة وراحة الكتيبة، وتوسّط القافلة وتوقّع النازلة، فردّاك بالبهاء وآزرك السّناء، وجعل سِرَاجك الأزهر ومصباحك الأنور، وزيّنَك بالحِلم والوقار وحلّاك بالفكرة والاعتبار، وجعلك سَيفاً ماضياً وحتفاً قاضياً، من وُفّق فيك للتَوْبة نال المثوبة، فإنك لباس التقوى ومُنتهى الشكوى، ومهوى الإصابة ومحطّ الإنابة، وخاتمة العمل وجامعة الأمل ولا يَشينُك

(1) ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ صِبْغَةً وَنَحْنُ لَهُ عَٰبِدُونَ﴾، سورة البقرة، الآية: 138.

(2) البيت من القصيدة المعروفة بلامية العجم، وهي لأبي إسماعيل الحسين بن علي بن محمد بن عبد الصمد، له أكثر من لقب، ولقب «الطغرائي» عرف به أكثر من سواه، ولد في عام 453هـ بأصبهان لأسرة يرجع نسبها إلى أبي الأسود الدؤلي وهو عربي الأصل وليس فارسياً كما هو الشائع. انظر: **مجلة العربي الكويتية**، العدد 359، 1988.

ما بك من العِلَل، إلّا أن الشيطان أكبر لك الكمين وأكثر إليك الحنين، وأعظم لك المكيدة وجعلك بيت القصيدة، فادَّرِع اليقظة وحاسب على اللحظة واللفظة فليس بعد وقتك للعمل محل، فلا سَوْفَ ولا لَيْتَ ولا لَعَلَّ وإذ كنتما آيتين من آيات الرحمن وخُلْعتين تَنَاوبتما بدَن الإنسان، فبأي آلاء ربّكما تكذّبان[1]، وعَلامَ تختلفان وفيمَ تختصمان وإلام لا تذكران سنفرغ لكم أيها الثَّقلان. فاتَّقيا اللَّه في مخدومكما، وكُونا له على الطاعة داعيين للجماعة جالبين للأُلفة رافعين للكلفة قائمين بالحق مُتوازرينَ على الصدق مُتواصِيَيْن بالصبر مُغتنمين للأجر، يعطف كبيرُكما على الصغير ويوقّر صغيرُكما الكبير: فـ ﴿وَٱلْعَصْرِ ۝١ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ ۝٢ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ﴾[2].

اذهبا لِشأنكما عَذْلَيْ عير وعيبتَيْ خير، ومصراعي باب وصفحتي كتاب ورضيعيْ لُبَان وشريكيْ عِنان وإيّاكما أن تجلسا بعد مجلس شقاق أو تقوما مقام شكاية أو نفاق وأُقسم بربّي، لَئِنْ لم تُنيبا إلى الإنصاف وتتركا مذاهب الاعتساف لَأُوقعنَّ بكما النّكال وأخليكما ونفسيكما فترتطمان في الخَبال وتصيران رَمْيةً لكل بليّة ويُدرك العدوّ منكما الأمنية.

فاتَّقيا اللَّه رَبّكما واجْعلا الآخرة نُصْبَ أعينكما، فإنه لا خير بخير بعده النار، ولا شرّ بشرّ بعده الجنّة، جمع اللَّه شملكما وزيّن في أعين العباد شكلكما، ثم تَلا:

﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْىِ ۚ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾[3].

قال الرواة: فقاما مُستحيين ممّا قدّما، مُستعبرين لِمَا به تقَحّما، شاكرين لأفضاله طالبين المَدد من نَواله.

وقام أهل الحضرة على أقدامهم رافعين أكُفّ الابتهال لِذي الجلال يدعون لدولته بالإقْبال، والحمد للَّه على كل حال، وصلَّى اللَّه على نَبيّه المِفْضَال وآله خير آل وصحبه ذوي الكمال، ما ورد وارد على بال، وتجلّى لسانٌ في مَقال جمال.

---

(1) ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾: آية تكررت كثيراً في سورة الرحمٰن.

(2) سورة العصر، الآيات: 1 ـ 3.

(3) سورة النحل، الآية: 90.

☐ وقد أدخلنا هذه التحفة لهذا «السوق» بعد أن أمليناها بمدّة سنتين في ثاني وعشرين شهر رمضان المبارك سنة ألف ومائتين وثمانٍ وثمانين هجرية على مُشرِّفيها ألف تحية.

☐ لِتاج الدّين زيد بن الحسن بن سعد الكندي البغدادي، وكان في القرن السادس، وأجاد:

دَعِ المُنَجِّمَ يكبو في ضلالَتِهِ ... إن ادّعى علْمَ ما يجري به الفَلَكُ
تَفَرَّد اللَّه بالعلم القويم فَلاَ ... الإنسان يُشركُهُ فيه وَلا الملكُ
أَعَدَّ للرِّزْقِ من أَشْرَاكه شركاً ... وبِئست العِدّتان الشِّرْكُ والشَّرَكُ

❀ ❀ ❀

☐ قلتُ: وأَجْود منه قَوْل أمير المؤمنين عليه السلام:

زَعَمَ المُنَجِّمُ والطبيبُ كِلاَهما ... لا تُحشَرُ الأَرْواحُ قلتُ إليكما
إِنْ صَحَّ قولُكما فلَستُ بخَاسِرٍ ... أَوْ صَحَّ قولي فالخَسَارُ عليكما

☐ للخنساء وأجادت، فإنه في أعلى مَراتب المدْح:

فَمَا بَلَغَتْ كفُّ امرئٍ مُتَنَاوِلٍ ... بها المجدَ إلاّ والذي نِلْتَ أَطْوَلُ
ولا حَبَّرَ المُثنونَ في القول مِدْحَةً ... وإنْ أطْنبوا إلاّ وما فيكَ أفضلُ

❀ ❀ ❀

☐ ولأمير المؤمنين يَرثي عَمَّاراً رَضي اللَّه عنه:

وَمَا ظَبْيَةٌ تَسْبي الظّباءَ بِطَرْفها ... إذا نَظرَتْ خِلْنا بأجفانها سِحْرا
بأحسنَ مِمَّن خَضّبَ السيفُ وَجْهَهُ ... مضى في سبيل اللَّه حتى قضى صَبْرا

❀ ❀ ❀

☐ وللمؤلف على طريقة القوم، وصدق وأجاد بلُغَةَ المُراد هادي العباد:

حبيبٌ لا يُحبُّ له شريكاً ... دَعَاني فاستجبتُ إلى دُعاهُ
جَلاَ عَيْني إذا نَظَرتْ إليه ... ويَحْجبها إذا نَظَرتْ سِوَاهُ

❀ ❀ ❀

□ لأبي الحجّاج بن يوسف المَالَقي في تِين مالقة من بلاد الأندلس[1]:

مَالقةٌ حُيِّيتَ يا تينها — الفُلْكُ من أجلك ياتينها
نَهَى طبيبي عنه في عِلَّتي — ما لطبيبي عَنْ حَيَاتي نَهَى

❀ ❀ ❀

وَذَيّل عليه ابنُ الخطيب الأندلسي:

لا تَنْسَيَنَّ تينَ إشبيليةْ — واذكُرْ مَعَ التّينِ زَياتينَها[2]

(1) انظر: **نفح الطيب**، م1، ص 151.

(2) **زياتين**: أراد به المؤلف جمع زيتون، وهو جمع غير مسموع ولكنه قياسي في الاسم الخماسي.

كشف الظنون عن شُبهة الفرمسون(1)

بسم اللّه الرحمن الرحيم

☐ الحمد للّه عالم الأسرار ومُسْبِل الأسْتَار، وصلّى اللّه على نور الأنوار وصَفْوة الجبّار، محمد وآله الأبرار، وصَحْبه الأخيار، أما بعد:

☐ فطالما وقع النزاع واضطرب الفكر، وقضى بالعجب، في قضيّة هذه الطائفة المشهورة بـ «الفرمسون».

فمن الناس من يُزري عليهم ويتّهمهم بالزندقة، ومنهم مَنْ يذبّ عنهم، ومنهم السَّاكت عن حالهم المُتحيّر في أمرهم، والعُمْدة في ذلك، إخفاءُ أمرهم على وجه لا يمكن الإطّلاع عليه إلّا لمن دخل مجلسهم وصار في جملتهم.

وأنا أذكر لك، في هذه الجملة الخفيفة، الحكم في ذلك على وجه يُريح فكركَ، ويُزيح الهمَّ عن قلبك.

وتمام الكلام في ذلك يتوقّف على مقدّمات:

---

(1) **الفرمسون أو الماسونية**: عرَّفها الأب لويس شيخو بأنها اسم مركّب من لفظتين فرنسيتين «فران» «Franc» ومعناها الصادق، وماسون Maçon ومعناها الباني، ص 14، من **السر المصون**.

وقد اعتنق هذا المذهب، نفر من اللبنانيين منهم إبراهيم اليازجي صاحب القصيدة السينية، وقيل أنها للأخ ش. مكاريوس، حيث قال:

الخير كل الخير في هدم الـ ... جوامع والكنائس
والشرّ كل الشرّ ما ... بين العمائم والقَلانس
ما هم رجال اللّه فيكم ... بل هُمُ القومُ الأبالس
يمشون بين ظهوركم ... تحت القَلانس والطَّيالس

انظر: **السرّ المصون**، ص 25.

أولها: إنه لا ينبغي لعاقل أن يتكلم بما لا يعلم، ولا يُزري على مجهول، فإنَّ ذلك من الجهل المركّب، لأن صاحبه يفعل فعلَ العالم، وهو جاهل.

□ قال اللّه تعالى في ذمّ قوم ما لهم به من علم إلّا اتباع الظّنّ، إنَّهم لا يظنُّون بل إنهم إلاَّ يخرصون[1].

وقال تعالى: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُو۟لَـٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا﴾[2].

□ وقال العالم لجماعة من أصحابه: : ما علمتم فقولوا وما لم تعلموا فيها. . . وأومأ بيده إلى فيه.

الثانية: إن القيل والقال وهتك أعراض الرجال، غير جائز عقلاً ولا شرعاً، إلّا لمظلوم بُغي عليه أو لإقامة أمر ديني، كالكلام على ضالٍ بيِّن الضَّلالة، تريد دفعه عن ضلالته.

□ أما عقلاً فلأنه ظلم بلا داعٍ موجب، وكل ظلم عند العقل حَرَام. وأمّا شرعاً، فلقوله تعالى: ﴿لَا يُحِبُّ ٱلظَّـٰلِمِينَ﴾[3] لا يحب المعتدين ﴿وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا ۚ أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ ۚ﴾[4]. إلى غير ذلك ممّا نصّت عليه الكتب السماوية وصرّحت به السّنن النبوية.

الثالثة: إن دفع الضرر المظنون واجب، والمحتمل حَسَنٌ عند العقلاء، مثلاً، إذا وجدت في طريقك وادياً، وأخبرك مُخْبر أن فيه سباعاً مؤذية، ولك مناص عنه بارتفاعك في سفح جبل أو سلوك طريق آخر، فإنه يجب عليك العُدول عن الوادي إلى السفح أو الطريق الآخر. وهذا دفع الضرر المظنون، وإذا لم تجد من يخبرك،

(1) المعنى مقتبس من سورة الأنعام، الآيتان: 116 و148، ومن سورة يونس، الآية: 66، ومن سورة الزخرف، الآية: 20.
(2) سورة الإسراء، الآية: 36.
(3) سورة آل عمران، الآية: 57.
(4) سورة الحجرات، الآية: 12.

واحتملت ذلك من نفسك، فإنه يحسن عقلاً سلوك السفح أو الطريق الآخر لتحقّق السلامة، وهذا دفع الضرر المحتمل[1].

☐ فإن قلت: أليس في أُصولك أَصالةُ الإباحة وردّ قول كل من يدّعي التحريم، وتروي كل شيء لك حلال حتى تعرف الحرام بعينيه، وكل شيء لك مطلق حتى يرِدَ فيه نَهْي، وبهذا استحللتم قهوة البُنّ وشربَ الدخان وغير ذلك من الحادثات بعد النّبوة؟

☐ قلتُ: نعم، ولكن ذلك في ما لا ضرر فيه، بل وفي ما لا يُظنّ فيه الضرر، بل وفي ما لا يُحتمل، فإنَّ أي شيء حصل منه ذلك يقطع الأصل، فلا يجوز أكل شيء من الأعشاب التي يُخشى منها السُّميّة، أو نحو ذلك من الأدواء المضرّة.

الرابعة: إن ماهيّة هذه الطريقة على التمام، لا يمكن أن تُعلم إلّا لِمَنْ دخل في ذلك الأمر وانتظم في سلكه، وإنما الذي نعرفه على وجه الإجمال، كما تواتر النقل به عنهم وعن غيرهم، أن لهم مجلساً يجتمعون فيه، وفيه أو في داخله محلّ للسَّتْر[2]، وهو في بلاد الشام موجود في مدينة بيروت فقط، وإن كان لهم مجالس في غيرها[3].

لكن ليس فيها محلّ للانتظام في سلكهم غير بيروت الآن.

فمن أراد الدخول، يكتب إلى مجلس الجمعيّة يستأذن، فإذا وصلت كتابته، سألوا من يثقون به منهم أو من غيرهم، إذْ لا يقبلونه إلّا إذا كان عاقلاً، غنياً من ذوي البيوت، فلا يقبلون من كان مجنوناً أو مغفَّلاً أو غير موثوق به في تعقّلاته، ولا من كان من السَّفَلة، ولا من كان فقيراً، لا سيما إذا كان يطلب هذا الأمر لفقره، ولا يلتفتون إلى شيء وراء ذلك من مذهب أو عَدَالة أو صناعة أو غيرها.

☐ فإذا شهد عليه بذلك جماعة، وختم الشهود على اسمه، أُذِنَ له، فيقدّم

(1) اقتبس الأب لويس شيخو اليسوعي، هذا المقطع، في كتابه **السر المصون في شيعة الفرمسون**، ص 4.

(2) يسمى المحفل الماسوني.

(3) كان يوجد في ضاحية جديدة مرجعيون (جنوب لبنان)، مقر للمجلس عرفته منذ الصغر.

قبل دخوله، مبلغاً من الدّراهم، قيلَ أقلّه اثنا عشر درهماً ذهباً، ثم يُرسم عليه درهمُ ذهب واحد في كل سنة، وهذه الدراهم موضوعة في صندوق يُعمل بها لباقي البنكات، ويُصرف الناتج في مصالح مجلس الجمعية، وإذا احتاج أحد من أهل تلك الطريقة وقصدهم، بل ربما أعطوا من استعطاهم من غيرهم على حَسْبِ أحوال أهل الشِّيَم.

ثمَّ بعد دخول هذا المجلس، انقطع علم من لم يدخل في الطريقة، فلا يُعلم ما يصْنع ولا يُصنع به، غيٌّ أم رَشَاد، صَلاح أم فَسَاد، وإذا خرج وسُئِل، لا يُبدي شيئاً ولو قُطع رأسُه.

فلا أدري، هل هو مجرّد أمانة منهم لكتَم سرّهم، وهو في غاية البعد أو لإيمان، وعهود تُؤخذ عليه، أو لعمل يربط على قلبه ولسانه كالرّصد، أو لغير ذلك.

ونَقَلَ إليّ جماعة عن بعض ثقاتهم، أنه يُؤخذ عليه الأيمان المغلّظة والعهود كل على حسب مذهبه، فلا يقدر أن يُبدي شيئاً من السّر، ولكن في النفس من ذلك الشيء، لبُعد أن لا يوجد في هذه الأزمنة المتطاولة من لا ينقض الأيْمان.

فكم سمعنا ورأينا من عهدٍ نُبِذَ، ويَمينٍ انتُقِضَ، ومجامع تفرّقتْ ومواثيق تمزّقتْ، ودعوى أنه يُقتل عند إبدائه مجرّد تخرُّص، نعم هم قد يستحلّونه ويسعون في ضرره، لكن ذلك لا يرفع الإشكال فكم دخل في هذه الطريقة من لا يخاف الضرر من مَلِكٍ ذي صولة، لا يخشى من أحد، أو غريب منقطع لا يدري أين يذهب، واللَّه أعلم بحقيقة الحال وكيف كان، فلم نَرَ لهذه القضية فائدة سوى ما هو ظاهر من الائتلاف بينهم والتّحابّ، كما هو شأن أهل الطرائق أو أزيد منه، حتى أن هذه الطريقة لتُسَمَّى بـ «الأخوية» هذا غاية ما اطلعنا عليه من ماهية هذه الطريقة وغايتها.

الخامسة: إن هذه الطريقة لم نجد لها أثراً في الشرائع المقدَّسة، ولا في كتبها الثلاثة: التوراة والإنجيل والقرآن، ولا في أخبار واحد من الرُّسُل وأوصيائهم، وما يُنقل عن بعض أهل هذه الطريقة من أنها من أوضاع سليمان بن داود عليه السلام فلم نجد له أثراً، ولعله تمويه بأنه ألَّف بها الجنّ والإنس والوحشَ والطير، فإن ذلك ليس إلّا تَسْخير ربَّاني، وأين أهل هذه الطريقة عنه، فإنهم يحاولون بذلك تأليف عالم الناس،

وما أظنّهم يقدرون، على أنه لو كانت من آثار سليمان، لكان ذكرها في الكُتب المقدّسة من أهمّ آثار سليمان وداود المذكورة فيها، وأهم من ذكر ﴿إِرَمَ ذَاتِ ٱلْعِمَادِ ۝٧﴾[1] المذكورة في القرآن، ومن «قصة راعوث» و«أستير»[2] و«نشيد الإنشاد» المذكورة في العهد القديم.

نعم رُوينا مرسلاً عن سيدنا أمير المؤمنين علي بن أبي طالبعليه السلام: «الجفر لا يعلمه إلّا نحن وأهل بيت في الهند» فلعله هذا الآن أصله الهند، ولم نسمع عن بيتٍ غريب الأمر غيره لكن إلى الآن، لم يظهر لنا من حفرياتهم شيء، ولا أخبروا بمُغيب، اللّهم أن تقول إخباراتهم فيما بينهم، لكن أنّى لنا بذلك؟ وكيف كان، فلم يتحقق لنا ذكر شيء من أحوالهم في شيء من الشرائع، بل انتشار هذا الأمر، حادث في أواخر عصرنا هذا، بواسطة تحابّ الدول وإطلاق الحريّة من ملوك العصر، وأعان عليه دخول جملة من الوزراء والأمراء وأرباب الدول فيه، وعدم ظهور شيء منهم إلى الآن، يقدح في الملك والحكومات، فصار بذلك مَظَنّة لاكتساب الجاه، ورغب فيه كثير من مُريدي الدنيا، فَطَلبوهُ على جَهَالة منهم بماهِيّته وغايته.

وقد كان في الأزمنة السابقة على عصرنا هذا مقصوراً على بلاد الهند، بل لعلّ أصله بيت واحد في الهند، ثم انتشر في أقطاره شيئاً فشيئاً، ثم انتشر في سائر البلاد بواسطة ما أشرنا إليه.

إذا عرفتَ هذه المقدّمات، اتضح لديك أن هذه الطريقة مجهولة الماهية، لا يُدرى ما كنهها ولا ما فيها، صلاح أو فَسَاد، أو ضلال أو رشاد، وهل هي سِحْر أو شعبذة، أو نحوها من التمويهات أو أمور حقّة.

☐ ويشبه أن تكون من الأرصاد، كبيت الحكمة الذي كان في الأندلس[3]،

---

(1) سورة الفجر، الآية: 7.

(2) **راعوث**: امرأة مؤابية، تزوجت بوعز فولدت له عوبيد جد النبي داود الملك (منجد الأعلام، مادة راعوث) «أستير»: من بنات إسرائيل ربَّاها مردُكاي نسيبها وتزوجَّها أحشوروش ملك فارس، فنالت منه العفوَ لأبناء شعبها الذين اضطهدهم الوزير هامان. (منجد الأعلام، مادة «أستير»).

(3) **بيت الحكمة**: ورد ذكر بيت الحكمة في الأندلس في كتاب «**نفح الطيب**»، ج1، ص 243. قال: نقل ابن خلكان في تاريخه أن بيت الحكمة كان في اليونان، فيما حكى بعض علماء التاريخ، أن الفرس لما استولت على بلاد الشرق، انتقل اليونان إلى جزيرة الأندلس التي =

وبقي كذلك إلى أن فتحها موسى بن نصير في الدولة المروانية، وما يشبهها من التسخيرات والأعمال المعروفة عند أربابها، وحيث الحال ذلك، وأن أهلها لا يتفوّهون ببنت شفة، ولا يُظهرون أمراً من أمورهم لغيرهم، فلا يجوز الكلام عليهم ولا لهم بوجه من الوجوه، لا بِقَدْح ولا بِمَدْح إلّا على ما ظهر منهم كما تعرف ذلك.

□ أما القَدْح فلأنه مجرّد غيبة وانتهاك عِرْض بشي هو تخرّص، وقد عرفت المنع في المقدّمة الثانية.

□ وأما المَدْح، فما هو إلّا مجرّد تكلّم بما لا يعني، وإتعاب اللّسان والجنان بما هو رَجْم بالغيب، يَعدُّك العقلاءُ فيه مِكْثَاراً، تقول ما لا تعلم، وتتكلّم بما لا يُفهم، وذلك جهلٌ مُرَكّب، وقد عرفت قُبْحَه في المقدمة الأولى.

وإن بقيت مُهتماً في أصل القضيّة، يدعوكَ الوسواس إلى الإطّلاع عليها، فإن كنت تُحاول الإطلاع على كنهها من دون الدخول في سلك أهلها، كنتَ مُحاولاً للمُحال، كما عرَّفناكهُ في المقدمة الرابعة.

على أنك لو أعرتني سمعكَ لَأَرَحْتُك، فَأقول لك: إنه لا داعي إلى الاهتمام بهذه القضية ولا إتعاب الفكر فيها، لأنها ليست داعية لأمر ديني ولا أهلها يدّعون ذلك، فإنا نرى الداخلين فيها، على اختلاف مذاهبهم، باقون على ما هم عليه من التديّن بدينهم.

فقد دخل بيت «الفرمسون» في عصرنا هذا جماعة من المسلمين والنّصارى وغيرهم من الفِرَق، وخرج كلّ على ما هو عليه، لم يتغيّر حاله في الظاهر من مذهبه، فما التّفكّر في ذلك، وطلب النفس إيّاه، إلّا من باب أن المرء حريصٌ على

= لم يكن لها ذِكْر إذْ ذاك، ولم تكُ عامرة، فأوّل من عمّر فيها واختطها أندلسي بن يافث بن نوح عليه السلام ثم قال: اغتبط اليونان بالأندلس واتخذوا «دار الحكمة».

ويستفيض ابن خلكان في وصف هذا البيت وبنائه وعما يحيط به من أسرار، وعن الأرصاد والطلاسم وما ترمز إليه الصور المنقوشة على مائدة قيل أنها مائدة سليمان الحكيم بن داود إلخ...

ما مُنع، وهذا ليس شأن العقلاء، بل العاقل لا ينبغي له أن يشغل نفسه إلّا بما يهمُّه من أمر دينه ومَعاده، وشيء يسير هو بلاغ من أمور مَعَاشه، وحيث إنّ هذه الطريقة الخفيّة، ليست من أمر الدين في شيء، ولا يتوقف عليها مَعَاش، فأيّ داعٍ إلى إتعاب الفكر في الاطّلاع عليها؟ وهل ذلك إلّا كمُحاولتك الاطلاع على ما يفعله زيدٌ من الناس مثلاً، هو وزوجته إذا خَلَا بها وأسبل الستر دونها؟ فأي فائدة لمحاولِ ذلك؟ وهل يتوقّف عليه شيء من أمر مَعَاده أو معاشه؟

أو كمحاولة الاطّلاع على ما يفعله الملك وصاحب سرّه، إذا خَلَا به، فهل يُفيد أحداً من الرعيّة أو الملوك التفكّر في ما تداولاه فائدة؟ وهل الحكم عليهما بشيء إلّا مجرّد تخرّص؟

هذا مع إمكان إظهار كل من الرجل وزوجته، والملك ووزيره شيئاً من أسرارهم فما ظنّك بأهل هذه الطريقة التي تَحَقَّقَ منها أنّ إظهار شيء من أسرارها، من المُخالات الأوّليّة، فنتج من ذلك أن إهمالها أحرى، وترْك النظر فيها أجدى.

على أنه كم من مُغَطى لو كُشِف، لَتكشّف عن أُضحوكة أو مكروه، وكم من شيء حقيرٍ تُعظّمه الأفئدة والأبصار للجهالة بِكُنْهه، فإذا عُرِف صَغُر، وندم طالبه على طلبه وإن اعتراك شكّ في ذلك، فاعتبر بما حكاه اللّه سبحانه في كتابه العزيز، عن موسى والخضر عليهما السلام.

وإن كنت تريد الاطّلاع عليها بالدخول فيها والانتظام في سِلْك أهلها، لإراحة الفكر من تَعَب المطلب، فعلى رَسْلكَ، ما أهونه لولا خطر الطريق، فدونك حَواجز عقليّة وشرعيّة.

□ أمّا أولاً، فلَمَّا ذكرنا من عدم معرفة الماهية ولا الغاية وكل طالب شيءٍ مع عدم معرفة ماهيته وغايته طالب مجهول، راكب في ذلك متن عُميَّة[1]، خابطاً خبط عشوى. فإن قلتَ: كفى في الفائدة إراحة النفس من تعب الطلب، وإخراجها من ظُلمة الجهل إلى نور العلم قلتُ: إراحتها في الإعراض عن الأمر الخطر أولى،

(1) **عُمَيَّة**: ضلال، كِبَر.

وكلّ عاقل، إذا رأى شيئاً لا يدري حاله، رأى الإعراض عنه أجدر، فإذا أدخل نفسه فيه، وكان فيه شيء مِمّا يلوم نفسه عليه، كانت جنايته على نفسه، وأَوْقَعَها في أعظم ممّا فرَّ منه.

□ ولقد بلغنا عن بعض عوام بداوة العجم، أنه دخل السوق ليأكل، فَعَرض عليه الطبّاخُ شيئاً من ورق العنب المحشو بالأرزّ واللّحم، فقال بالفارسية: «أكر حيلة نكى ملفلف ندارة» يعني: إذا لم يكن ثمّة حيلة، فلا معنى لهذه اللّفلفة.

وأما دعوى إخراج النّفس من الجهل إلى العلم، فهي خُدعة وسواسيَّتُه، كدعوى بعض الوساوس إلى تعليم السحر والشعبذة وغيرها، ممّا يكون فساداً أو بطَالَة، بل تعليم أمثال ذلك أجدر بالنفس، فالقادم عليها قادمٌ على بصيرة، بخلاف ما نحن فيه.

فإن قلتَ: الفائدة ظاهرة، وهي تحصيل الأَخوية والتّحابّ، قلتُ: نعم، هذه الفائدة لعلّها حاصلة، ويمكن أن تكون من الاستخدام والرّصديّة، ويمكن أن تكون جعلية اصطلاحية، وعلى أيّة حالة، فليست بتلك ولا يحسن الدخول لأجلها، مع عدم العلم بالماهية، والسُّمُّ القاتل في لِيْنِ الأَفاعي.

ثم نقول زيادة على ذلك: إن كانت هذه الفائدة بلا عمل يأخذ على القلب من استخدام أو رَصْد وغير ذلك، فهي تحصُل بأدنى سبب، ولا حاجة إلى النظم في هذا السلك الذي لا يُدرى نوعه ولا جنسه، والدخول في هذا الأمر الذي لا يُعرف وجه الخروج منه، والرّاعي لا يُورِدُ إِبِلَهُ إلّا حيث يعرف مصدرها، وإن كانت لعمل يأخذ على القلب، فما أقبح بالإنسان الذي أطلق اللّٰه سبحانه قَلْبه، وجعله، وإن صغر حجمه، يسع ما في السماوات والأرضين أن يغلفه ويربط عليه ويَقْصُره على جهة واحدة وصحبة شخص واحد أو أشخاص أحسنوا أو أَسَاءوا.

وأما ثانياً: فلما ظهر لك في المقدمة الثالثة من عدم جَواز المخاطرة بالنفس، وحُسْن تجنّبها عن كل ضرر مظنون أو محتمل، لا سيما، وليست هي إلا نفساً واحدة، وأنت في دخولك هذا البيت، مع تصميم أهله على عدم إظهار ما فيه، كالداخل على بيت يُحتمل فيه وجود عقارب تلذغُ وحيّاتٍ تلسع وأسود تبلع، فإن العقل يأبى دخوله، وإن احتمل وجود كُتُب تنفع، وثياب تلمع وجواهر تَتَشعشَع.

فإن قلت: أرى الداخلين فيه عُقلاء، بل لا يدخل في هذا الأمر سوى ذوي العقول، ولا أراهم يُنكرون على أنفسهم شيئاً.

قلتُ: وما يدريك؟ ولعلّهم ابْتُلوا فصبروا، أو أُخِذَ على قلوبهم كما أُخذ عليها في إخفاء الماهيّة، على أنه كيف صحّ لك أن تَتَأَسّى بهم لمجرّد عقلهم؟ وهل يُبتلى بالأمور الكبار والدّاء العُضَال إلّا العُقلاء، وهل تعد إبليس مجنوناً أم تعد أحداً من المسلمين والنّصارى وغيرهم من ذوي العقول خارجاً عن حد العقلاء؟ مع أن كل طائفةٍ منهم تخطّئ الأخرى، وهل ظهور العقل من شخص، حاجزٌ عن الخطأ؟ كلّا، لا يقول به جاهل، فضلاً عن عاقل.

وأما ثالثاً: فإنا نقول لِمُريد الدخول في هذا البيت: عَرّفنا مذهبك، فإن كنتَ لستَ من أهل الكتب السّماوية، كالمُلْحِدة والزّنادقة وعَبَدة الأوثان، فاصنعْ ما شئتَ، لأنّ ما أنت فيه أعظم من كلّ عظيم، فإذا أردتَ الشّفاء فَدَاوِ جرحَكَ الأخطر، وإن كنتَ من أهل الكتب السماوية، كالمسلمين والنّصارى واليهود، قلنا: لا يسوغ لك، على شريعتك، أن تدخل هذا البيت، وكلّ من دخله قبلك من أهل مِلّتَكَ، غافلٌ عن وجه المنع، لأنه قد يخفى على العلماء منهم، فضلاً عن الجهلاء.

□ وَلْنَتَكلّم على طريقة المسلمين أولاً، فنقول: إن هذا البيت، لا يُمنع منه أحدٌ من أهل النِّحل لِنِحْلَتِهِ، وأكثر أهله في الهند مجوس خارجين عن المِلل الثلاثة، وحيث صحّ ذلك، وكان هذا البيت ممّا يدخله المُلْحد والموحّد، فكيف تدخله أيها المسلم؟ إذْ لم يظهر لك منه إلّا «الأخوية» وهي لا تجوز في مذهبك، وقد قال لك ربّك، جلّ وعلا، على لسان نبيّكﷺ ما جعل ﴿بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ ٱلَّذِينَ عَادَيْتُم مِّنْهُم مَّوَدَّةً﴾[1] وأيضاً إذا ما دخلته، ما تصنع لو تواقف صفّان من المشركين والمسلمين، وكنت في صفّ المسلمين؟ وكان صفّ المشركين أو بعضهم ممّن دخل هذا البيت، فإن قاتلتهم بَطَلت الأخوية التي لا فائدة لك غيرها، وإنْ لم تُقاتلْهم ورميتَ سلاحك، تركت مذهبك الذي أوجب عليك الجهاد، وكتابك الذي يقول: ﴿فَٱقْتُلُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ﴾[2].

---

(1) سورة الممتحنة، الآية: 7.

(2) سورة التوبة، الآية: 5.

وأيضاً، إذا فعل أخوك المسلم ما يُوجب الحدَّ من زَنى أو سَرقة أو قتل، وأمرك إمامُك وسلطانك بِجَلْده أو قطع يده أو قَتْله، وكان ممن دخل هذا البيت، فما تصنع؟

إن فَعَلتَ، بطلتْ الأخويّة، وإن تركت، خالفت وليّ أمرك الذي قال لك اللّه في حقّه: ﴿أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنكُمْ﴾[1]، وربّك الذي قال: ﴿الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ﴾[2]، ﴿وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا﴾[3] و﴿النَّفْسَ بِالنَّفْسِ﴾[4]، وغير ذلك ممّا وجب عليك من إقامة الحدود.

□ وأيضاً، إذا دعاك الأخ الفرمسوني لطعامه، وكان ممن يُبيح لحم الخنزير وشرب الخمر، وغير ذلك مما لا يُباح لك في مذهبك، ولم يكن في السُّفرة طعام يُباح لك، فإن لم تُجِبْه فأين الأخوية وإن أجَبته تركت دينك وخالفت شرعتك. وأيضاً، إذا كان هذا الأخ وثنياً أو مَجُوسياً أو غيره ممّا لا يحلّ لك مناكحته، وخطب بنتك أو أختك أو غيرهما ممّن أنت وليّه، وأعطاك ابنته أو أخته، فإن لم تُجبْه وترفعت عليه، ذهبت الأخوية شَذَرَ مَذَر، وإن أجبته، أبحتَ عرضك وعصيت ربّك الذي يقول: ﴿وَلَا تَنكِحُوا الْمُشْرِكَاتِ حَتَّىٰ يُؤْمِنَّ ۚ وَلَأَمَةٌ مُّؤْمِنَةٌ خَيْرٌ مِّن مُّشْرِكَةٍ وَلَوْ أَعْجَبَتْكُمْ ۗ وَلَا تُنكِحُوا الْمُشْرِكِينَ حَتَّىٰ يُؤْمِنُوا﴾[5] ولو أردتُ أن أسرد عليك هذا وأشباهه لطال المجال، واتسع المقال، وفي ما ذكرت مَقْنَعٌ لكل ذي بال.

فإن قلتَ: لعلّ مبنى هذه الأخوية على الأمور الدنيوية، وأما الدينية فلا، بل يبقى كلٌّ على ما يوجبه مذهبه، فالمسلم لا يُناكح المشرك ولا يأكل ما حُرّم عليه في مذهبه، ولا يُصلي بصَلاته، ويقاتله على الدين ويقطعه ويقتله للحد، إلى غير ذلك وبالعكس.

قلتُ: على ذلك تكون الأخوية جَعْلية اصطلاحية، والمحبّة ظاهرة قِشْرية، لا

---

(1) سورة النساء، الآية: 59.
(2) سورة النور، الآية: 2.
(3) سورة المائدة، الآية: 38.
(4) سورة المائدة، الآية: 45.
(5) سورة البقرة، الآية: 221.

تستأهل خسارة مال، ولا دخول مجهول، ولا إتعاب فكر، ولا غير ذلك ممّا يُوحش قاصدي هذه الطريقة. ومثل هذه تحصل بأقلّ من ذلك، بلا كلفة ولا استيحاش.

□ فإن ما هو حاصل بين جملة من الدّول في عصرنا هذا، من الهدنة والتّحابّ والغيرة على بعضهم بعضاً، والاتحاد حتى كأن الجميع دولة واحدة، آكد من الأخوّة الفرمسونية على هذا التقدير، مع عدم إخفاء شيء من الأمور مُوْجب للتهمة وشغل الفكر، والمَوَدّة الحاصلة من أهل كل دين مع بعضهم بعضاً، بل أهل كل بلد، بل أهل كل جامع من حرفة أو عمل آكد وآكد، بل خالد بن يزيد في قوله:

أحبُّ بني العَوّامِ منْ أجل حُبِّها ... ومنْ أَجْلها أحْبَبْتُ أخْوالها كلبا[1]
فإنْ تَسْلَمي تَسْلَمْ وإنْ تَنْتصري ... يَحطْ رِجَالٌ بين أَعْيُنهم صُلْبا

أصدق أخوةَ من الفرمسون

وابن الدّمينة حيثُ يقول[2]:

فَلَوْ قلتِ طَأْ في النار أَعْلَمُ انّه ... رضىً لكِ أَوْ مُدْنٍ لَنَا منْ وِصَالِكِ
لَقَدَّمتُ رِجْلي نحوها وَوَطِئْتُها ... هُدىً منكِ لي أو ضلَّةً من ضَلالَكِ

أصدق وأصدق.

وبالجملة أيها المُحمَّديّ، قُلْ ما شئتَ وقدِّرْ ما أردتَ، إن كانت هذه الأخوية على النحو السابق، فهي تُبيح حمى الشريعة والخروج عن جملة من أحكام اللّه التي أنزلها على لسان نبيّه ﷺ فإن قصدتها وأدخلتَ نفسكَ فيها، خالفت بل ألحدتَ، ولا خيرَ بخير بعده النار، ولا شرّ بشرٌ بعده الجنّة وإن كانت على النحو الثاني، ذهب تعبك ضياعاً ولا أرى لك فيها فائدة، وهل هي إذْ ذاك إلّا مُداهنة ومَحَبَّة كاذبة، ودعوى غير صائبة؟ ويا هل ترى ما فائدتك؟ هل تريد شرفاً وعزّاً يزيد عن شرف الإسلام وعزّه، وإخواناً عين من تصطفيهم للدين؟

---

(1) من قصيدة لخالد بن يزيد بن معاوية. انظر: **الأغاني**، دار الفكر، ج16، ص 84، البيتان الخامس والسابع. وفي **الأغاني**، أحبُّ بني العوّام طرّاً لحبّها، وفي رواية أخرى: لأجلها.

(2) **ابن الدّمينة**: هو عبد اللّه بن عبد اللّه والدمينة أُمّه وهو من خثعم. **الشعر والشعراء**، ص 492.

إذا قلتُ رُدّوا غارِبَ الحِلم راجَعوا وإن قلتُ مهلاً بعضَ ذا الجد وقّفوا

ولعلّه قد يجول في خاطرك ما لو أردت إبداءه، لَتَقَطّعتْ نفسكَ حسرات، بل خفتَ من الحيطان وقلت لَهَا آذان، وارتعتَ من شعارك ودِثارك وليلك ونهارك، وهو أن الزمان قد خان، وخَلا المكان من الخلّان والإخوان، والملوك لا يعبأون بالصعلوك، والعمال في إغفال، والقضاة مُشتغلة بالرّشوات، والناس عبيد الدنيا، والفخار يدور مع الدّرهم والدّينار، والدين في السياق يلفّ السّاق بالسَّاق، لم يبقَ منه إلّا صُبَابة كصُبَابة الماء في قعر الإناء، وذُبالة جفّ عنها الدّهن، ويحتاج في حفظ الجاه والعرض والمال والدين إلى مُداهنة الشياطين، فضلاً عن الأناسين، والدخول إلى بيت محظوظ عاقل أو مجنون، فضلاً عن بيت الفرمسون، الذي شرّفه الملك نابليون وغيره ممّن يقومون في العزّ ويقعدون ويرتعون في الشرف ويمرحون.

فأقول لك: لا ألومك لو عرفتَ الماهية وأمِنْتَ الغائلة، وذلك موقوف على الدخول، والدور باطل عند أهل المعقول وقد جاء في آثار النبوّة: «دَعْ ما يُريبك إلى ما لا يُريبك» وجاء أيضاً: «حلال بيّن وحرام بيّن، وشبهات بين ذلك، فمن ترك الشبهات، أمِنَ من الهلكات».

وجاء أيضاً: «أخوك دينك، فاحتطْ لدينك».

ومن حِكَم الشعر:

ونَفْسَكَ أكْرِمْ عنْ أمُورٍ كثيرةٍ فمَا لَكَ نفسٌ بَعدَها تَستَعيرُها

على أنّ ما شكوته من أحوال الزمان، هينٌ عند أهل الهمم، وأظنّك منهم، وما مصائبه عندهم إلّا خَدش، وانظُرْ إلى قائلهم كيف يقول:

فَبَاتَ يُريني الخطبَ كيف اعتداؤه وبِتُّ أُريهِ الصبرَ كيف يكونُ

وإلى قول الآخر:

فَيَا نفسُ قرّي إنّما الدهرُ ساعةٌ وَيَا دهرُ هوِّنْ حسبك الموت ميدانا

وهل الدنيا إلّا دار زوال، وأهلها كَرَكْبٍ عَرسوا ساعةً ثم ارتحلوا؟

دَعِ الدُّنيا وَلاَ تَركَنْ إليها فَزُخْرُفُها سَيَذْهب عن قليلِ
وإنْ ضَحكتْ بوَجْهك فهو منها كضحك السيف في وجه القتيلِ

ولا آلوك نُصحاً، دَعْ طلب الجواهر من الباعة المَكّاسين في الأسواق بالأثمان الغالية، الكاذبين عليها لِنفاقها، واطلبْها من معادنها ومن يعطيها مجّاناً أجلّ عليك، وأرفع التهمة عنك، وأرفق بك، وأوثق لك طلب الشرف والعزّ منَ اللّه الذي لا يمنع سائلاً، ولا يبخل بنائل، ولا يمنّ على عطيّة.

فلقد قال وهو أصدق القائلين: ﴿وَمَن يُرِدْ ثَوَابَ ٱلدُّنْيَا نُؤْتِهِۦ مِنْهَا وَمَن يُرِدْ ثَوَابَ ٱلْآخِرَةِ نُؤْتِهِۦ مِنْهَا﴾[1].

وقال جلّ وعزّ: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ۝ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ إِنَّ ٱللَّهَ بَٰلِغُ أَمْرِهِۦ قَدْ جَعَلَ ٱللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا﴾[2].

وقال عزّ من قائل: ﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا۟ فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾[3].

وحيث عُرف الحال على طريقة المسلمين، فاعلم أنه جاء في أهل الكتاب من النصارى واليهود، فإن إقامة الحدود ونحوها من الأحكام في الحلال والحرام، والموالاة في اللّه، والمعاداة في اللّه، ممّا يشترك فيه الجميع، وإن اختلفوا في الماهيّات والشروط، والتوراة والإنجيل، لا سيما الأولى، مملوءان من ذلك، إن أردته فراجعهما، خصوصاً سِفْر الأحكام من التوراة، بل أحكام التوراة أصعب من أحكام القرآن، ولولا خوف المَلَل، لأوردتُ عليك جملة من ذلك، وكذا ما دلّ عليه العقل من عدم جَواز المُخاطرة بالنفس والدخول في مجهول، وحسن تجنّب ما يُظن فيه الضرر أو يُحتمل، مشترك بين أهل العقول.

ثم أقول لليهودي: إن كنتَ ممّن دخل بيت الفرمسون، وجاءك بعض من دخل هذا البيت، من مسلم أو نصراني أو مجوسي، ودعاك يوم السبت إلى مُهمّ، أو عملٍ لا يمكن تأخيره عن ذلك اليوم، فإن لم تُجبه فسَدتْ الأخوية، وإن أجبتَه عطّلتَ سَبْتك وهَدَمتَ دينك وعلى هذ فَقِسْ غيرَه من الأحكام المختصة باليهود.

---

(1) سورة آل عمران، الآية: 145.

(2) سورة الطلاق، الآية: 2.

(3) سورة العنكبوت، الآية: 69.

فإن قلتَ: ليستْ أخوّة تُوصل إلى ذلك، قلنا لك ما قلناه للمسلم حرفاً بحرف.

□ وللمسيحي، إذا كنت في صفّ القتال، وأمرك البطريق، وكان من قاتلك من العدوّ ممّن دخل هذا البيت، فإن قاتلته بطلت الأخوية، وإن تركت خالفَت ربّاني مذهبك الذي تطلب خلاص نفسك بواسطته، وتخاطبه بلفظ الأب، وإن كانت الأخوية لا تُوجب ذلك، أجبناك بما أجبنا غيرك. وعلى هذا تُقاس بقيّة الأحكام التي تختص بالنّصارى.

□ ولعلّ بعض من اطلع على الأديان، وسِيَر الناس، يُباحثنا هنا فيقول: إن إخواننا المسيحيين، لا سيّما طائفة بروتستنت، لا أحكام لهم شرعية، أما الإنجيل فقليل الأحكام، ولقد كانوا في قديم الزمان يقولون على جملة من أحكام العهد القديم، ولم يزالوا يُسقطونها حكماً حكماً حتى لم يبقَ إلى برهة سنين، لا أدري تاريخها، إلّا أربعة أحكام، ثم إنهم أسقطوها، إلّا واحداً، بل لعلهم أسقطوا ذلك الواحد، وإنما يعوّلون في شرائعهم وأحكامهم على القوانين التي تخرج من مَجَامع الرؤساء، يعرف ذلك من خالطهم ونظر في كُتبهم الجديدة وفي قوانينهم، وجَالَ في بلادهم المختصة بهم، واستنادهم في ذلك كله إلى عبارة الإنجيل، ومضمونها: «ما أحْللتموه في الأرض أحللته لكم في السماء».

□ فأقول له: أستغفر اللّه لهم من ذلك، إذا صحّ، وهَبْ أن العهد الجديد قليل الأحكام، فالعهد القديم مشحون بها، والقسّيسون لا يزالون يعرضون عليهم بعضها في كل أحد، ويكرزون بشيء منها ومن غيرها.

وما ذكرته من عبارة الإنجيل، مُجْمَل لا يقوم بإسقاط التكاليف، ولعلّه في أشياء مخصوصة يدل عليها السياق وعلى تقدير العموم، فهو خطاب للرّسُل الذين لا ينطقون عن هَوَاهم ولا يُحلّون إلّا ما أحلّ اللّه، عزّ وجلّ.

وعلى تقدير أنها خطاب للقسّيسين والرؤساء ونحوهم ممّن ليس بمعصوم عن الخطأ، فقد صار بمقتضى هذه الآية، خطأهم صواباً، بمعنى وجوب اتباع حكمهم.

ونزلت أحكام المجامع القسّيسية منزلة أحكام اللّه الواقعية، وعاد ما ذكرناه،

على مُخالف أحكام القسّيسين من الإيراد بعينه، وارتفع الإشكال بحَذافيره، ووجب على المسيحي ما وجب على المسلم واليهودي من التوقّف في هذا الأمر المجهول وسبحان واهب العقول، والحمد لجَلاله أولاً وآخراً وظاهراً وباطناً، وصلى اللّه على أنبيائه ورُسُلِه وتابعيهم إلى يوم الدين، آمين.

□ وكان إدخال هذه الرسالة البديعة لِمَخَازن هذا «السوق» البهيج، عصر نهار الجمعة ثاني شوّال المبارك، سنة ثمانٍ وثمانين بعد المائتين والألف، وذلك عقيب إخراجها لقالب التصنيف بنحو ثلاث سنين.

والحمد للّه ربّ العالمين، وصلى اللّه على سيد المرسلين وآله الأطيبين انتهت رسالة كشف الظنون.

1288 هجريَّة

وللمؤلف **لُغز في اسم (محمود)** كتبه لبعض المتخرجين عليه طالباً منه تشحين ذهنه بحلّه.

ما يقول الولد الأعزُّ، المُوفَّق لحل المعنى المُلَغَّز، في اسم من أوله[1] تفرّخ الطيور وآخره ثابت في الصدور.

شاهده بين حبتي لؤلؤ[2] ومأخذه يقضي بطيب البؤبؤ.

طَرَفاه من المكاييل وأوّله في ميكائيل[3].

أوله قد زاد على حبة آدم[4] وكمل كرم حاتم.

---

(1) أوّله: مُحّ وهو صُفرة البيض، وآخره ود، وهو الودّ بمعنى الحب ومقرّه القلب في الصدر.

(2) إشارة إلى كتابة الميم والحاء، فالميم بصورة الحَبَّة والحاء بصورة الشاهد بين حبَّتين. قال أحدهم في اسم أحمد.

وَرَاكِعَةٍ فـي ظلِّ غـصـنٍ مَـنـوطَـةٍ بـلـؤلـؤةٍ نِـيـطَـتْ بِـمـنْـقَـارِ طَـائـرِ

(3) طرفاه: ميم ودال أي المُدّ وهو من المكاييل المعروفة وقلبه في ميكائيل، الميم من اسم ميكائيل.

(4) لأن حروف (آدم) تساوي 46، وبينما أول «محمود» وهو حرف الميم والحاء يساويان ثمانية وأربعين بالحساب الأبجدي. وهما أكبر من مجمل حروف آدم.

وفرّق بين القاتل والمقاتل[1] وجعل حبائل السيف حَمَائل[2].

لو بدلت نهايته بمثل البداية[3] وُجد فيه مرض يعجز عنه أهل الدّراية خامسه أربعة[4] وأربعة أخماسه أربعة[5].

إذا نقص خمسه وخمسه بقي ثُلْثه، وإن زاد خمسه على خمسه بقي رُبع خمسة أجزائه نصف شهر وأعضاؤه تزيد على ثلث سنّه، وثالثه[6] في كل جميلة وثانيه[7] في كل حسنة، تقارنت فيه الصحّة والعِلّة[8] وقلوب أعضائه كلها معتلّة[9].

إذا صحف ثانيه[10] وخامسه خرج وهو مخمور وإذا وُضع ذيله قبل رأسه تَنَجَّسَ منه الطهور[11].

اسمه تضمّن حرف العطف[12] وليس بمعطوف، وكل ذي معرفة لا يصرفه وهو مصروف لا يليق به النَّقط ولا يتصل طرفه بالخطّ[13].

وأوّله في مرسيه وآخره في لندن[14].

---

(1) الميم زيدت على لفظة (قاتل): مجرم، فحوّلته إلى (مُقاتل): شريف.

(2) الميم قلبت «حبائل» «إلى حمائل» التي تفضلها معنىً.

(3) لو أبدلت الدّال في آخر الاسم بميم لأصبح (محموم) وهو المريض بالحُمَّى.

(4) الحرف الأخير وهو الخامس في ترتيب حروف اسم محمود يُعَدُّ أربعة في حساب الأبجدية.

(5) أربعة أخماس الاسم «محمود» هو أربعة حروف.

(6) الثالث هو حرف الميم وهو رمز للثغر الجميل الذي يميز الجميلات.

(7) الثاني هو حرف الحاء، وهو أول كلمة «حسنة»

(8) الواو حرف عِلّة مُقترنة بحرف الميم الذي هو حرف صحيح.

(9) الميم في وسطها ياء والحاء في وسطها ألف وهكذا أسماء بقية حروفه.

(10) إذا صحّف ثانيه وتغيّرتْ الحاء في الاسم إلى خاء والدال إلى راء، أصبح الاسم «مخمور».

(11) وإذا وضع حرف الدّال وهو ذيل الاسم قبل رأسه وهو الميم نتج لفظة «دم» وهو من النّجاسات. .

(12) الواو من الاسم مصروف أي مُعرب بالحركات.

(13) **طرفه**: آخره وهو الدال الذي لا يتصل بالحرف الذي قبله كتابةً.

(14) أوله الميم، في مرسيه وهي بلد في أوروبا الشمالية، وآخره الدال، موجود في «لندن» عاصمة المملكة المتحدة.

ولولا خمساه لم يتبيّن المعدن[1].

رأسه في السماء وذيله في الوهاد[2].

بدايته في مصر ونهايته في بغداد، فهو مفرد علم ولولاه لما جرى القلم...

لبعضهم:

دَعَتني أَخَاها أمُّ عَمرو ولَمْ أكنْ أَخَاها ولَمْ أَرْضعْ لها بلُبانِ

دعتني أخَاها بَعدمَا كان بيننا مِنَ الأمرِ ما لَمْ ياتِهِ الأَخَوانِ

❀ ❀ ❀

لبعضهم:

أخافُ عليكَ من غَيري ومنّي ومِنْكَ ومِنْ مَكَانكَ والزّمانِ

ولو أني وضعتُكَ في عُيوني إلى يَوم القِيَامة ما كَفاني

❀ ❀ ❀

قلت وأجود منه قول عنترة العبسي:

أحبّكَ يا ظَلُومُ وأنتَ عندي مكان الرّوح منْ جَسَدِ الجَبَانِ

ولو أنّي أقولُ مكانَ رُوحي لَخِفْتُ عَليكَ بَادرة الطِّعانِ

---

(1) خمساه الميم والدال وهما حرفان من كلمة «معدن».

(2) رأسه: «الميم» وسط السماء، وذيله: «الدال» في آخر الوهاد. و**محمود**: اسم النبي محمد ﷺ. اللغز والحاشية من وضع المؤلف.



نداء الشيخ علي السبيتي في الحضّ على التعليم

من عَجَائب الدنيا ومصائب العصر، أن الناس قلّت رغبتهم في العلم، لا سيما العلوم الدينية، ولا سيما المسلمون فإن النّصارى في هذه الأعصار، صار لهم الالتفات إلى العلوم الأدبية والصناعية وبعض العلوم العقليّة، فعمّروا المدارس، وبذلوا المصاريف للمعلمين والطّلبة.

ولما استقرّ المُلك للسلطان الأعظم عبد العزيز العثماني، دام ظلال مُلكه على الإسلام، حان منه التفاتة إلى ذلك، فأمر في الأقطار ببناء المدارس للمسلمين، وكان الوالي في الشام الوزير محمد رشدي باشا[1]، فبُنيتْ المدارس في الأقطار الشّامية باسمه، وكان في جملة ما بُني، في إسكلة صور، مدرسة لطيفة بَنَاها القائمقام كوفي أفندي القبرصي، وغُبَّ بنائها ببرهة يسيرة، عُزل وبقيت مدّة خمس سنين لا معلّم ولا مُتعلمين، فانْتُدب لها الأديب الفاضل الشيخ علي سبيتي، وبقي سنة كاملة لم يأته إلّا قليل من الطلبة، فكتب للبلاد هذه التذكرة وقد أدخلتها في هذا السوق، استحساناً لها وابتهاجاً بها، وهي:

(1) ظلّت المدارس الرسمية تعرف بالمدارس الرشدية إلى زماننا في الأربعينيات (المدرسة الرشدية) في صيدا مثلاً. وذلك مخالف لما جاء في الحاشية من ملاحظة حول تسمية المدارس بالرُّشدية، نسبةً إلى محمد رشدي باشا نقرأ في حاشية من المخطوطة: «تنبيه» سيدي ومولاي العامل العالم الجهبذ الكامل وحيد الدهر وفريد العصر، أدام اللّه ظلّه، أبو علي شيخنا وأستاذنا الشيخ محمد علي عزّ الدين، لم يلتفت لتصحيح الفقرة المحرّرة بهذه الصفحة التي جاء فيها: إن المدارس التي شُرع ببنائها بسوريا إنفاذاً للأوامر العليّة الصادرة من دار السعادة العظمى، باسم والي سوريا المعظّم محمد رشدي باشا، ولذلك سُمِّيَتْ المدرسة الرشدية، كلّا، فإن حالة كون الاسم المطلق على هذه المدارس «رشدية» لم يكن لسوريا فقط بل لجميع الممالك المحروسة العثمانية، على نوع أنها لإرشاد الأمّة، فهي لا لكونها تعمّرت بوقت الوالي المشار إليه. ولأجل أن يكون الأمر معلوماً عند المُطّلع قد أوضحنا المطلوب.

بسم اللّه الرحمن الرحيم

وصلى اللّه على محمد وآله الطاهرين

إعلان وإيقاظ لأهل وطننا: آهٍ آه، فات أمس بالمراد وأتى اليوم بما لا يُشتهى، قُلْ لي: ماذا تفعل غداً؟

رُبَّ غدٍ ليس منا، سبق السيف العَذل وبلغ السيل الزّبى[1] ومسّ الحزام الطبين.

ما بال أقوام نيامٌ عن حقّهم، وآخرون أيقاظ لما ليس لهم؟

مائدة ممدودة مدّها أهلكم وأكلها غيركم، إيهٍ مَعَاشر قومي، ولا قوم لي اليوم، عهدي بأُناس يحضّون على طلب العلم حضّ الغريم الألحّ على الواحد الألوى، ألا يغار منكم امرؤ لدينه؟ عداكم لومي دين ولا أهل، ألا حمية لعرض؟ ألا غيرة على ناموس؟ ألا التفات لدفاع؟ ألا يقظة لمتاع؟ ألا حفظ لمال يُنهب وعرضٍ يُمزّق؟

ألا تُرسٌ يحمي ألامِجَنّ يقي؟

ما هذا النوم والرّكب سارّ؟ ما هذه الرّاحة والقوم في جهد والطريق مُخيف والمَفَازة مِعْطاش والبرُّ أقفر والسبيل وَعِر والعقبة كَؤُوب والعدوّ مستكلب؟

هل من شفيق على نفسه أو مذكرٍ لغيره؟ إن لم تغاروا لشرعكم وتحموا دينكم، وتقاتلوا عن حقكم، وترفعوا شأن ناموسكم، فتحرّكوا لوطنكم، فقد استُبيح حريمُه، ومُزّق أديمُه، وذَلّ كريمُه، وعزّ لئيمُه، وما أخالكم تبلغون إنقاذه، وتحصنون معاذَه، وتحمون ملاذه، لا أقلّ أن تصحبوا من ملكه عليكم، وأنقذه منكم، واستبدّ به دونكم، وجعل وطنكم له ملعباً ومسرحاً ومُنَاخاً وعطناً، واستخدمكم له فَعَلة واتخذكم له خَوَلة، واستعملكم فيه أكرة.

ألا فَيْقةٌ من نوم، ويقظة من غفلة وصحوة من سَكْرة تتعلّمون بها مع من

(1) بلغ السيل الزبى (ضفاف النهر) ومسّ الحزام الطبين كلها أمثلة سائرة تعني أنه لا ينفع اللوم أو الندم بعد وقوع الواقعة.

ملككم المحاورة، وتعرفون حقوق المُجاورة، تُجيبونه إذا سألكم وتخاطبونه إذا لَهَا عنكم، أترضون أن تكونوا معه بُكْمٌ لا تنطقون وصُمٌّ لا تسمعون، إن أنتم إلّا كالأنعام بل أضلّ سبيلا.

وهبْ أنه لا يكون لكل إنسان أبو حنيفة[1] في الفقه، ولا ربيعة في الرأي ولا الجرجاني في البيان[2] ولا سيبويه[3] في النحو ولا المتنبي في الشعر[4] ولا ابن مقلة في الخط[5].

إذا لم تكن إِبِلاً فَمعزى، ألا أقلّ من أن يتعلّم الولد مَصْرف يومه وداخل شهره، ويأمن خدعة مكسة ومكرة محترفة، ويتعرّف ما يخاطب ابنه وامرأته وجاره وجاريته ويوقر بها سلطانه وكبيره.

هذا وقد سهَّلتُ لكم الطُّرق، ومهَّدتُ لكم السُّبُل، وأزحتُ عنكم العلل، ورفعتُ عنكم الضّرائب، وعَمرت المدارس، وتعرّفتم الأخبار بسائر الأقطار، وقد بسطت الدولة، أعلى اللَّه شأنها ومكّن سلطانها وشيّد أركانها وأعلى مكانها وأطال بالسعد والإقبال زمانها، بساطَ العدل والإنصاف في سائر الأماكن والأطراف، وحثّتْ على العلم قولاً وفعلاً، وندَبْتُ إليه غُرباً، وأهلاً، وخطَّطْتُ عليها معروفاً لترفع من خسِيسَتكم، وتجبر من نقيصتكم، مَا لكم جَعلتم أمرها ظهرياً، وقلتم قولاً عتيًّا، وكنتم قوماً عِصيّاً، ألا تكونوا، يا رعاكم اللّه، كإخواننا المسيحيين، وأحبّائنا اليسوعيين، حتى أخذوا عليكم أقطار الأرض وآفاق السماء، حتى حقّ لهم أن يقولوا:

أَخَذْنا بأطراف السَماءِ عليكمُ ... لَنَا قَمَرَاها والنّجومُ الطَّوالعُ

ما بالكم، لا هدأت الرّوعة ولا رقّت الدمعة ولا سكن الرّجفان؟

---

(1) **ابو حنيفة النعمان**: عُرف باسمه المذهب السُّنّي الحَنفي، أحد المذاهب السّنية الأربعة.

(2) **الجرجاني**: عبد القادر العالم اللّغوي صاحب كتاب «**أسرار البلاغة**».

(3) سيبويه واضع أسس علم النحو والصرف؛

(4) المتنبي شاعر سيف الدولة الحمداني، وهو فائق الشهرة.

(5) **ابن مقلة**: من أشهر الخطّاطين العرب ومضرب مثل في حُسْن الخطّ.

ألم تكونوا أوّلها وآخرها، وباطنها وظاهرها ودَعامها وقِوامها رسنامها ولهامها وعصمتها وعصامها ومخّها وعظامها وكُبراءها وفخامها وأجلّاءها وعِظامها، بكم لا بغيركم علا مقامها واشتدّ دَعَامُها وعزّتْ أيامُها، تداركوها ففيها بقيّة، ولها إليكم ولهاً وفيكم شَغَفاً، أتتركون خريدتكم وتهملون ظعينتكم تخفر ذِمَّتها وتبيحون حريمها، إني واللّه لأستحي لكم لا منكم وآسف عليكم لا لكم.

تَـدَارَكُـوهـا وفـي أَغْـصـانِـهَـا رَمَـقٌ   فَلَنْ يـعـودَ اخْـضَـرار الـعُـودِ إنْ يَـبِـسَـا

ولئنْ زعمتم أنها تلهي عن حطام، وتشغل عن كسب، أخطاكم الزعم، إنها واللّه، تزيد في الرزق، وتعلّم الحرفة وترشد إلى الحيلة، وما عسى ابنُ سبعٍ أو ثمانٍ أن يغني أهله، أو يدفع عنهم مَظْلمة أو يستر لهم عورة؟

لا واللّه، هو واللّه أثقل على أهله من صرفند الحديد، وهم به أشغل من ذات النحْيَيْنِ[1]، يفسد أمتعتهم، ويشده بالهم، ويبلبل أفكارهم، ويلقي بأسهم بينهم، عطلةٌ لمَكَاسبهم ومسبّةٌ لهم بين الجيران، فاجعلوا هذا الثقل على غيركم، وغُضُّوا بهذا النير رقاب سواكم.

ولئن يذهب ولدكم للعسكر قارئاً كاتباً عارفاً كاسباً، خير من أن يذهب حماراً ويعيش بَليداً.

وكأنّي بكم تقولون: ما يريدنا هذا بِمَخارِيقه، ويلهينا بزخاريفه، ويُهجهج أفكارنا بترّهاته؟

أُكذّبكم الظنّ بي، لقد حملتموني على أحلاس أوعارٍ، إنّي واللّه، لا أُريد إلّا رفعة شأنكم وسعة جاهكم، وعلوّ مقداركم، وفخامة اعتباركم، أَغَارُ على شِيَمِكُمْ من الهضم وناموسكم من الثّلم، وستعرفون بنائي لكم بعد حين، واللّه لي ولكم مُسْعف مُعين، وأستغفر اللّه لي ولكم إنّه كان غفّاراً.

❀ ❀ ❀

وحين مرورها على مُؤلّفه، قرضها بهذا التقريض:

(1) النحيان مفردها النِّحيُ: زقُّ السمن.

للَّه أبوك، ولا فُضّ فوك، ولا عاش من يشنوك، فمثلك من يحمي حقيقة قومه، ويُلحق سَواد ليله ببَيَاض يومه.

وأقسم بجلال اللَّه الذي لا إله سواه، أنه لا يردّ دعوتَكَ هذه قومٌ، إلّا كان ذلك عاراً عليهم وذلاً لهم وحُمْقاً فيهم.

وها أنا أوّل مُجيب لهذه الدعوة، مُقَيِّدٌ اسم ولديّ حسين وإبراهيم، في جريدتك، وأحسبهما في خطاب خريدتك، أعزّ اللَّه بك وبأمثالك العلم والوطن، وزيّن هَذْيك بغير من غَبِيَ ومن فَطِن.



وقرضها ولده حسن، أحسن اللَّه إليه، بهذا:

أيّدك اللَّه سيدي، وأطال بقاك وأعلى مُرتقاك، وجَزاك ربّك أحسن الجَزَاء، وزيّن بعَدَادك العلماء والأدباء، فلقد بلّغتَ رسالة ربّك بالصّواب وأدّيت مَنَاسِكَ حَجّ الخطاب، وطلبت أحسن الطريقة، وبدّلت المُحال بالحقيقة، وجاهدتَ بالنصيحة وشربت زُلال الأحاديث الصحيحة، عن لسان النبيّ الصادق والكتاب الناطق، وأئمّة البشر وسادة أهل الوَبَر: اطلبوا العلم ولو تحت سنابك الخيل، لو عرف الناس ما في طلب العلم، لَطَلبوه ولو بخوض اللّجج وسفك المُهج، فَلْيَنْتبهْ غافل ولِيَنْتهز الفرصة عاقل، وأرجو من اللَّه تعالى أنّ من وصلتْ إليه هذه الخريدة، والموعظة المُفيدة، يتلقّاها بالاحتفال والإكرام، ويندب نفسه لِتَشييد أركان الإسلام، تزوّدوا لطلب المَعَارف يرحمكم اللَّه.

□ فصل في لفظ حرف الرّاء:

ممّا يُحتاج إليه، معرفة حال الرّاء من تفخيم وترقيق، فنقول: التّفخيم فيها هو الأصل، لأنه إخراج الرّاء من مخرجها الذي هو ما دون طرف اللّسان وما فوق اللّثة، من أعلى الفم.

والترقيق، انحراف عن ذلك وانخفاض إلى جهة الأسنان، وكون المخرج هو ذلك، هو الذي يقتضيه التّلَقّي عن العرب قديماً وحديثاً، بل هو مُقتضى الطبيعة.

ومن هنا، كان الترقيق مُحتاجاً إلى داعٍ يدعو إليه، كالكسر المناسب له، إذا عرفتَ هذا، فاعلمْ أنّ للتّفخيم مواضع وللتّرقيق مَواضع، والضابط في ذلك، أن الرّاء تُفخّم مطلقاً، إلّا إذا كانت مكسورة، أو ساكنة وقبلها مكسور، كفِرْعون، أو موقوفٌ عليها وقبلها ياء أو حرف إمالة، مع اشتراط كون المكسورة والمكسور ما قبلها، ليست قبل حرف استعلاء، وكون الكسرة ليست أصليّة، فتحصل من هذا الضّابط أن للتفخيم مقامات وللترقيق مقامات.

أمّا مقامات الترقيق، فأربعة:

أحدها: أن تكون مكسورة، سواء كانت الكسرة لبناء، كوبار وحضار، أَملتَ الألف أو لم تُملها، أو إعراب، نحو: ﴿وَالْفَجْرِ ۝١ وَلَيَالٍ عَشْرٍ ۝٢﴾[1] أو بنية، نحو: رِزْقاً، وأرنا مَنَاسكنا.

ثانيها: أن تكون ساكنة، وقبلها مكسور كسرةً غير مصحوبة بأحد المانعين، سواء كانت الرّاء في الوسط، نحو: إرْبةٌ ومِرْيَةٌ وفِرْعون[2]، أو في الآخر موقوفاً عليها، نحو: فانتصرْ، فاصبرْ.

ويدخل في هاتين الصورتين ما إذا حجز بين الكَسْر والرّاء الساكنة ساكن، نحو: هذا حَبْرْ، بالباء الموحّدة والوقف.

ثالثها: أن تكون ساكنة بعد ألف مُمَالة: كنَهَارْ ووَبَارْ بتسكين الرّاء للوقف، فإنها تُحال، وإن كان قبلها مفتوح قبل ساكن.

ورابعها: أن يُوقف عليها ويكون قبلها ياء ساكنة، فإنّها تُرَقّق، وإن كان قبل الياء فتح، نحو: خَيْر، ووجه الترقيق في هذه الصور الأربعة، مناسبة للكسر في الأُولَيَيْنِ، وللياء والإمالة في الأخيرتين، ومُمانعة التفخيم الذي يحصل معه انتقال من هبوط إلى صعود.

وأمّا مَقَامات التفخيم فكثيرة يجمعها أوضاعٌ:

أحدها: أن تكون مفتوحة، نحو: رَبّ رحيم.

---

(1) سورة الفجر، الآيتان: 1 ـ 2.

(2) **إرْبة**: شكٌّ وريبة، المِرْية: الجدل أو الشك، فِرعون: لقب ملوك مصر قديماً.

ثانيها: أن تكون ساكنة وقبلها مفتوح، نحو: مَرْحَبًا، ويدخل فيه ما إذا فصل بينها وبين الفتح ساكن.

ثالثها: أن تكون مضمومة، نحو رُقْبى

رابعها: أن تكون ساكنة مضموم ما قبلها، نحو: بُرْهان.

ويدخل بينها وبين الضم ساكن.

خامسها: أن تكون ساكنة مكسور ما قبلها كسرة عارضة لكسرة همزة الوصل، نحو: إرْحَمْ، إذا ابتدأت بها أو نقلتها إلى ما قبلها، نحو: إنِ ارْتَبْتم.

سادسها: أن تكون ساكنة مكسور ما قبلها، وبعدها حرف استعلاء، نحو: مِرْصَاد. وحروف الاستعلاء ستة، يجمعها قولكَ: خَص، ضغْ، قط، وهي الخاء المُعجمة والصّاد والضّاد والغين المعجمة والقاف والطّاء.

قال بعض أهل الفنّ: ولم تقع في القرآن ساكنة مكسور ما قبلها، قبل حرف استعلاء، إلّا قبل ثلاثة أحرف: القاف نحو: فِرْقٌ، والصّاد نحو: مِرْصاد، والطّاء نحو: قِرْطاس.

❀ ❀ ❀

□**ولِمَاميه الرّومي**[1] لقَبٌ، وكان في القرن العاشر، في عصر بني مَعْن في بلاد الشام، في نواحي صيدا:

لَمّا أتينا صَفَد حزنا على جاعون	**طَلبْت خبزاً وكانت رفقتي جَاعون**
قالوا: إذا رُمْت أكْل العيش رح ماعون	**نحن الذي طَبْعنا أن نمنع الماعون**

وله:

قالت وقد هَدّ منّي هَجْرها حَيْلي	**وأَسْبَلَتْ شعرَها المسدول للذّيلِ**
إنْ كنت تهوى وصالي أو ترى مَيْلي	**غَنّ على طول شَعْري قلت يا ليلي**

(1) هو المعروف بِمَامية الرّومي واسمه محمد بن أحمد بن عبد اللّه (ـ 988) وُلد في الآستانة ونشأ بدمشق، وكان من البشمركة، له ديوان شعر. انظر: **نفح الطيب**، ج3، ص 120، **وشذرات الذهب**، 8/ 413.

وله قريض مُجون:

لم أَنْسَ إذ ولغَتْ فيه براحتها ... ورطّلَتْه بِتَنْعيظٍ وإمْدادِ
فقلت لو أنَّكِ روح الوجود لَمَا ... أحببت مَيتاً وذاك الميت من عادِ
فأنْشدتْ وهو رَخْوٌ وسط راحتها ... كأنّه دُرَّةٌ في كفٍّ جَلّادِ[1]
ما يصنعُ الصانع النحرير في شُغَلٍ ... إلاّ له آذَنتْ فيه بإفسادِ

وله موّال أربعة في أربعة:

رأيت محبوب قلبي في نهار الحدّ ... قَدْ سَلّ من مُقْلَةٍ صَارمْ ثقيل الحدّ
فقلت والشوق مالو في الحَشَا من حدّ ... تسكّر عيونك وفي العالم تقيم الحدّ



مسألة:

هل يجوز النظر إلى المرأة الأجنبية في الأجسام الصقيلة، كالمرآة ونحوها، أم لا؟

الجواب:

إن كان النظر بتلَذّذ وريبة، فهو حرامٌ قطعاً، وإن لم يكنْ كذلك، فإنْ بنينا في المسألة العقلية أنّ المرئي في الأجسام الصقيلة مُجرّد الخيال والصورة لا عين المرئي، فالمُتَّجه عدم الحرمة، لاختصاص التحريم بالأعيان.

وإنْ قُلنا: إنه العين بواسطة انعكاس الشُّعاع، بمجرَّد وصوله إلى الجسم الصقيل وعدم نفوذه فيه، فهو حَرَام، لأنه عينُ المَنْهي عن النظر إليه، وهذا هو المُتّجه في المسألة العقلية، فيكون الحكم بالتحريم هو الأَوجه، بل قد يُقال بالتحريم مُطلقاً، ولو على الوجه الأول، لما فيه من انتهاك المحارم والاطّلاع على العورات المَنْهي عن الاطّلاع عليها.

لكن في «الكافي» في أبواب ميراث الخُنثى، مسنده عن موسى بن محمد أخي

(1) **الدُرَّة**: بمعنى الكرباج، والمشهور منها: دُرَّة الخليفة عمر بن الخطاب.

أبي الحسن الثالث عليه السلام أنّ يحيى بن أكثم سأله في المسائل التي سأله عنها: أخبرني عن الخُنثى، وقول عليّ عليه السلام فيه: يورث الخنثى من المبال[1] من ينظر إليه إذا بالَ، وشهادة الجار إلى نفسه، لا تُقبل من أنه عَسى أن يكون امرأة، وقد نظر إليها الرجال، أو عسى أن يكون رجلاً وقد نظر إليه النساء، وهذا ما لا يحلّ.

فأجابه أبو الحسن عنها:

أمّا قول عليّ في الخنثى أنه يورث من المبال، فهو كما قال، وينظر قوم عدول، يأخذ كل واحد منهم مرآة، ويقوم الخنثى خلفهم عريانة، فينظرون في المرآة، فيرون شَبحاً فيحكمون عليه فهذه الرؤية ظاهرها جواز النظر في المرآة ونحوها وأن المرئي مجرد الخيال والصورة، ويمكن الجواب بعد غض النظر عن السند لأنَّ ذلك إنما جاز لمكان الضرورة فلا يتعدى إلى حالة الاختيار وقوله فيرون شبحاً، لعلّه يريد بها شبه الشّبح كما ترى الشخص من بُعدٍ، فإنك قد رأيت العين، ولكن لا كرؤيا القرب، وكذلك رؤيا الانعكاس، فإنها ليست كرؤيا المُقابلة، ولذلك يختلف باختلاف المَرايا كما هو ظاهر. واللّه أعلم.

مسألة في البيع:

اشترط الفقهاء في عقد البيع، البلوغ والعقل والاختيار، فلم يُصَحّحوا بيع الصبيّ ولا المجنون ولا المُكْرَه.

قالوا: ولا يُصحّحه لُحوق الإجازة بعد حصول الكمال، كما إذا بَلغ الصبيّ أو عَقِل المجنون، إلّا المُكْرَه، فالمشهور حكموا بصحّته إذا لحقته الإجازة، مُحتجّين بصحة عبارته: ولم يكن ثمّة مانع إلّا عدم الرضا، فإذا لحقته الإجازة، في حال الإختيار، حصل الرضا وكمُل البيع، فأشبه الفضولي مع لُحوق الإجازة ودخل تحت قوله تعالى: ﴿تِجَـٰرَةً عَن تَرَاضٍ أَوْفُوا۟ بِٱلْعُقُودِ﴾[2]. وخالف في ذلك قوم، فَساووه للشرطين الأولين، بدعوى إلغاء عبارته، كالصبيّ والمجنون، لعدم القصد الذي تدور

(1) **المبال**: المكان الذي يخرج منه البول، سواء كان عضو الذكورة أم عضو الأنوثة.
(2) سورة المائدة، الآية: 1.

عليه صحّة العقود، وليس الفضولي كذلك، فإنه وقع من قاصدين لمضمونه ولم يتخلف عنه شيء من لوازم العقد، إلّا الرضا.

والذي أَرَاه، أنَّ الإكراه على أقسام ثلاثة:

أحدها: الإكراه المُوصل إلى حدّ الإلجاء وعدم إرادة ما يقوله، كالأصوات المهملة أو الخارجة قهراً عن المتكلم بواسطة الطبيعة، كقول موجوع الصدر لسعال: أح، أح ولضرب: آخ آخ ونحو ذلك ممّا تلفظه الطبيعة قسراً، فهذا لا تصحّحه الإجازة قطعاً، لعدم القصد الموقف عليه العقد.

ثانيها: الإكراه على صورة العقد، فيوقع صورته مع عَدَم قصد النقل والانتقال، بل قد يكون مع قصد العدم وإن تعقّل معنى المفردات، وهذا أيضاً لا تصحّحه الإجازة.

ومنه: ما إذا أشهد المكرَه على أني سأقول: كذا، أو أبيع كذا، فاشهدا أني غير بائع، لأن الأعمال بالنيّات، ولكلّ امرئ ما نَوى.

ثالثها: الإكراه على البيع، فيوقعه قاصداً لمُفْرداته وجُمله، مُريداً للنقل والانتقال، إلّا أنه مُكْرَه على ذلك، دعاه إليه الخوف من المكرِه الظّالم له، فهذا تصحّحه الإجازة لإحرازه القصد والنيّة وسائر شرائط الصحة، عدا الرضا، فكان كالفضولي. فإذا لحقته الإجازة، جمع كافة الشّرائط، وانتفتْ كافة المَوانع. ولعلّ النزاع بين القوم لفظي، فمن يقول بعدم الصحّة بعد الرّضا والإجازة، يعني به الصورتين الأوليين، ومن يقول بالصحة، يعني به الصورة الأخيرة، حيث تطابق المسألة القواعد، ويرتفع النزاع من البين.

❀ ❀ ❀

قد يستحسن القبيح لحبه، فيأتي به البليغ بعبارة تزيّنه في آذان السامعين. وإليه يُومي ﷺ بقوله: إنّ مَن البيان لَسِحْراً، بل قد يعمى العاشق عن عيوب معشوقه، فيرى شَيْنَه زَيْناً وإساءته إحساناً، فمن ذلك قول بعض الأندلسيين متغزّلاً في حائك:

قالوا وقدْ أكثروا في حُبِّهِ عَذَلي ... لو لم تَهِمْ بمُذال القدر مُبتذِلِ

(الأبيات)، وقد تقدمت في «رسالة الشقندي» التي أدخلناها هذا الكتاب.

ومنه قول بعضهم في أشْتر العَين:

شــتــر الــعــيــن لايَــشــيــنُــهْ لا ولا غــيَّــرَ حُــسْــنَــهْ
ســيــف ذاك الــلّــحــظ مــاضٍ فــلــهــذا شــقّ جَــفْــنَــهْ

وقول الآخر في أعرج:

قـالـوا بُـلـيـتَ بـأعْـرَجٍ فـأجَـبْـتُـهـم الـمَـيْـلُ يَـحـدثُ فـي غُـصـون الـبَـانِ
إنــي أُريــدُ حَــديــثَــه وأريــده لـلـنـوم لا لـلـجَـرْي فـي الـمِـيـدَانِ

❀ ❀ ❀

سألني بعضُ الأجلّاء عن تأويل آية، فأجبته بما لفظه:

سألت وفقك اللّه عن المراد بـ «مُخلّقة وغير مُخلَّقة» من قوله سبحانه في سورة الــحــج: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمۡ فِي رَيۡبٖ مِّنَ ٱلۡبَعۡثِ فَإِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن تُرَابٖ ثُمَّ مِن نُّطۡفَةٖ ثُمَّ مِنۡ عَلَقَةٖ ثُمَّ مِن مُّضۡغَةٖ مُّخَلَّقَةٖ وَغَيۡرِ مُخَلَّقَةٖ﴾[1] فاصغ إلى الجواب وهو أنه يحتمل وجوه:

أحدها: إن مُخَلّقة مأخوذة من الخلق، بفتح الخاء، بإرادة التّامّة الخلقة بكمال الجَوَارح والأعضاء واستوائها وغير المخلْقة: غير التّامة، كزائد اليد أو ناقصها، والخصيّ والأعلم والأفلح[2] والأطلس، وغير ذلك ممّن لا تتمّ فيه الخلقة المعتدلة.

ثانيها: إنه يُراد بالمخلّقة، المنقولة من خلقة إلى أخرى، فإنها تنتقل من المَضغة إلى العظم ثم إلى كسوة العظام لحماً، ثم إلى الصورة، ثم إلى ولوج الروح فيها، ثم إلى الولادة، ثم إلى ما بعدها من التّخَلّقات. وغير المَخلّقة ما أسقطه الرحم ولم ينتقل من خلقةٍ إلى خلقة.

ثالثها: إنّ المُراد بمُخلّقة، ما تقدم خلقها في الذرّ الذين خلقهم اللّه في صلب آدم وأخذ عليهم الميثاق، ثم أجراهم في أصلاب الرجال وأرحام النساء، وهم الذين يخرجون إلى الدنيا حتى يُسألوا عن الميثاق. وغير المُخلّقة، كل ما لم يُخلق ولم يُقدَّر في الذرّ من النُّطَف التي تخرج في الحُلُم والتي تُعزل عن فرج المرأة، أو تسقط

---

(1) سورة الحج، الآية: 1.

(2) الأعلمُ، من معانيه مشقوق الشَّفة العُليا، الأفلحُ، من معانيه: مَنْ تعلو أسنانَه صُفرةً.

نُطفة أو علقة أو مضغة لم تَلِجْها الرّوح، وهذا الوجه، رواه في «الكافي» عن الباقر عليه السلام.

رابعها: إن المُخلّقة مُشتقّة من الخلاق وهو النَّصيب، ويعني بها من صارت مؤمنة ولها نصيب في الآخرة، وغير المُخلّقة من صارت كافرة، كقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَاقٍ﴾[1].

خامسها: إنها مشتقّة من الخُلق، بضم الخاء، وهو الطبيعة، وجمعه أخلاق، والمراد هنا الطبيعة الحسنة الواسعة الكريمة، فتكون المُخلّقة ما قدّر فيها حسن الأخلاق وكرمها وسعتها، وغير المُخلّقة، ما لم يُقدّر فيها ذلك. واللّه سبحانه أعلم بحقيقة كلامه وتأويل كتابه.

وإني لَأَستحسن لبعض الأندلسيين قوله، وقد أمر المنصور بن أبي عامر بتكبيله في الحديد وسجنه، فلما أنشأها، أطلقه:

أَوّاهِ أَوَّاه وكم ذا أرى	**أكثر من تذكار أَوَّاهِ**
ما لامرىءٍ حَوْلٌ ولا قُوَّةٌ	**ألحَوْلُ والقُوَّةُ لِلَّهِ**

❁ ❁ ❁

لبعضهم وقد جمع المواضع التي تثبت فيها همزة إبن وإبنة، في الرسم:

قد أثبتوا ألفَ ابنٍ في مواضع منْ	**كلامهم كابْنةٍ خُذْها بتصويرِ**
إذا أُضيفَ لإضمار رضى ابنك أو	**لِجَدِّه مثل عَمَّار ابن منصورِ**
أو ذي مَجَازٍ كَمِقْدادِ ابنِ الأَسْودِ إذْ	**أبوهُ بالحقّ عَمْروٌ غيرُ منكورِ**
أوْ أُمِّه، نحو عيسى ابن البَتولِ سَمَا	**أو كان في خبرٍ يحيى ابن مشهورِ**
أو كان مُستَفْهماً عنه كَقَوْلِكَ هَلْ	**زيدُ ابنُ عمروٍ أَم ابنُ القاسم الصوري**
أو كان تثنيةً كالمرتضى وأبي	**خَديجَةَ ابنَيْ عليّ مُشْرِقِ النورِ**
أو عكسَ ذاكَ بأنْ قدّمتَ تثنيةً	**كالخالدَيْنِ: ابنِ يُسْرٍ وابنِ مَيْسورِ**
أو جاء الابْنُ بغيرِ اسمٍ تَقَدَّمَهُ	**نحو ابن موسى وزيد وابنِ مَنْكُورِ**
أو كان أوّلَ سطرٍ أَوْ دعا سَبَبٌ	**لِقَطعِ همزته في نُظم منثورِ**

(1) من سورة البقرة، الآية: 102.

كـجـاءنـا خـالـدٌ إبـنُ الـولـيـد وفـي جمعٍ على ابنين في بعض المَنَاكيرِ
زيدٌ وعمروٌ ويـحـيـى ابْنُ أَبـي رَجَبِ جـاؤوا وقـد حـفـظـوا هـذا بـتـذكـيـرِ
أو جـاء لَـفْـظُ أبـيـه بـعـده مَـثَـلاً كـجـعـفـر ابنِ أبـيـه صـاحـب الـصّـورِ
أو أُخِّـرَ اسْمٌ عن ابنِ نحو قولكِ قد جـاء ابـنُ زيـدٍ عـلـيٌ خـيـرُ مَـشـكـورِ
أو حـالَ بـيـنـهـمـا وزنٌ كـجَـاءَ لَـنَـا ربّي كضَرْبِ ابن موسى صاحبِ الطُّورِ
أَوْ كـان نَـصْـبـاً بـاعـنـي فـيـه مُـضْـمَـرةٌ كـمـثـل أن لامـنـي زيـدُ بـنُ مـسـرورِ
أو بَـعْـدَ إمّـا لِـشَـكٌ جـاءنـي حـسـنٌ إمّـا ابـنُ سَـعـدٍ وإمّـا إبـنُ مـنـظـورِ
أَوْ حَـالَ بـيـنـهـمـا وَصْـفٌ كـأَكْـرَمِـنَـا يحيى الكريم ابنِ ميمونِ ابنِ مجبورِ
أو كان بعد جمعٍ كـالـعَـبَـادِلَـةِ ابنِ الـ ـمرتضى وابنِ عمروٍ وابن مَـعْـمُـورِ
أو كـان الابْـنُ مُـضَـافـاً لابـنِ أو لأخٍ أو لـعـمِّـهِ، المعلى ابن ابن عصفورِ
أو كـان الابنُ مُـنَـادَى نـحـو حَـدَّثـنـا موسى بنُ مَشكورٍ يعني يا بنَ مشكورِ
أو كـان بـيـنـهـمـا ضَـبْـطٌ، كـقـال لَـنَـا سُبحانَ بالضمّ إبن المرتضى الدورِ



من كَرامات محمد وآله ﷺ

لا بأس بأن نذكر بعض ما جرى معي من كَرامات محمد وآله وشريعتهم، من باب: ﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ ۝﴾[1].

فمنها: ما هدانا اللّٰه إليه للعمل بالاستخارة، على وجه ما صَدَر منها معنا خَطأ قط.

ولو أردت أن أذكر جميع ما وقع لي من فَوائدها أو جُلِّه، لاحْتاج ذلك إلى كتاب ضخم، ولكني أقتصر على قضية واحدة غريبة، وقِسْ عليها وهي:

إني لمّا كنتُ مُتَشَرّفاً في النجف الأشرف وأردت الرجوع إلى بلادي، نَفَدَتْ دراهمي، لأني كنت قد اشتريت بها كتباً وغير ذلك فجاءني بعض أهل بلادنا ممّن كان مستوطناً هناك فقال: خُذْ، هذه عشرين توماناً لنفقة الطريق[2]، قَرْضاً إلى أن تصل إلى البلاد فتُرجعها إليّ، فأردت أخْذها على ذلك، إلّا أنّي لما تعوّدته من العمل بالاستخارة، استخرت اللّٰه تعالى، فظهرت نَهْياً، فلم آخذها وأخبرته بذلك، فَلام عليّ أصحابي أشدّ اللّوم، وقالوا: ألا تأخذها قَرضاً لا مَنّ فيه؟ ولعلّك في بغداد لا تجد من يقرضك، أو من يعرفك، وربما تلتجئ إلى بيع كتبك، وألحّوا عليّ في أن آخذها، فلما أيسوا، قالوا: راجع الخيرة، فَراجعتها وخرج النّهي، فأخذت بعد إلحاحه وإلحاح الجماعة تومانين فقط لأجل نفقة الطريق إلى بغداد فقط، ولم أزل في الطريق أتفكّر في سرّ هذه الخيرة، وتوسوس نفسي لي في طريقة العمل في ما أحتاج إليه من بغداد إلى الشام، وكيف أصنع بأجرة الدّابة وغيرها إلى الشام، فلما وصلنا إلى الخان الذي يبعد عن بغداد بنصف مرحلة أو قريباً من ذلك،

---

(1) سورة الضحى، الآية: 11.

(2) **التومان**: وحدة نقدية كانت متداولة بالعراق وتساوي عشرين قرشاً، وهي اليوم في إيران وحدة نقدية متداولة.

بِتْنا مع القافلة في الخان، وكانت ليلة باردة جداً، فلما قمنا إلى صلاة الصبح، كنت محتاجاً إلى الحمّام، إلّا أني لم أقدر على استعمال الماء لشدّة البرد، فَتَيمَّمتُ وصَلّيت الصبح وقلتُ: بغداد قريبة، نذهب إلى الحمّام قبل الظهر.

فبينما القافلة في أهبة الرّحيل، وإذا برائدها قد وافاها وأخبرهم بوجود السُّخْرة[1] في بغداد، وأنها لا تنقضي إلى قرب الزّوال، فأنزلوا الحمول، وبقينا إلى قرب الظهر، ثم ارتحلنا، فلما وصلنا إلى جسر الحز عن بغداد قرب ميل، تَلَقَّانا الدّيدَبانية للتفتيش على الكمرك، فنظرت الشمس على رُمْحين للغروب، فتركت الدّابة للمُكَاري وقلت له: إني مستعجل للحمّام، وإن بقيت إلى أن ينقضي شغل الكمرك تفوتني الصلاة، وأوصيته بأمتعتي، وأخذت أركض حتى وصلت إلى الحمّام، فاغتسلت وصَلّيت، ثم حين خرجت، مددت يدي إلى جيبي لأُعطي أجرة الحمّام، فلم أجد الكيس، وعلمت أنه وقع مني في الطريق، وكان قد بقي فيه نحو عشرين قرشاً من صَرْف التومانين، فانشرح صدري إذْ ذاك، حيث ظهر لي سرُّ الاستخارة، وهو أنه لو كانت العشرون توماناً معي لَضَاعتْ، وحمدت اللّه، وأعلمت أصحابي الذين كانوا لامُوني على ترك اقتراضها، فتعجّبوا من ذلك وأيقنوا بصحّة هذه الاستخارة وصحّة نسبتها إلى أهل بيت العصمة الذين لا ينطقون عن الهوى.

❀ ❀ ❀

ومنها: أنه في أثناء إقامتنا في النجف الأشرف، عزمت على الخروج إلى زيارة الحسين عليه السلام، فنظرت إلى الذي معي من الدراهم يكفيني لنفقة السفر وأحتاج معه إلى ثمن التذكرة من مأمور الدولة، ستة قروش صاغ الشّام، فقال رفيقي، ابن أختي سيدي الشيخ حسن سبيتي: عندي تذكرة من العام الماضي، تُغيْر تاريخها والاسم وتأخذها معك، ومعي تذكرة جديدة أُبقيها لنفسي، وأنا أخرج أودّعك إلى خارج البلد، فإن عارضك الدَيْدَبان أنا أصمد له، فخرجنا على ذلك وأعطاني التذكرة، فلما وصلنا إلى باب البلد، تلقّانا الدَيْدَبان، فأعطيته التذكرة، فلما نظرها نظر في الشيخ حسن فقال: هذه تذكرتك، فأخذ التذكرة الجديدة من جيبه وقال له:

(1) **السخرة**: كانت السلطات التركية تفرض العمل بلا أجر على المواطنين والمارين في الطريق ما عدا الموظفين.

هذه تذكرتي فقال له: مُغَيَّرة، وأخذ في البحث معه، وكان الشيخ حسن، سَلَّمه اللَّه، بحّاثاً لا يُطاق، فقال الدَّيذَبان له بعد أن ارتفعت أصواتهما وكثر الاحتجاج بينهما ساعة: كل ما تقول سَلَّمنا، وأوصافك موافقة لسائر أوصافه، ولكن أين قامتك من قامته الطويلة؟ ونحن لم نكن حسبنا هذا الحساب، لأنه مكتوب في التُرْكي، فَتَسقط في أيدينا، وأخذ الشيخ حسن يُقرّر له في غَلَط الكاتب، ولما رأيت أن البحث طال والرّفقة فاتتنا، نظرت إلى القُبّة الشريفة وقلت في نفسي: لا يحلُّها غيرك يا أبا الحسن؟ فَوَاللَّه ما تمّ ذلك حتى قال: هات التذكرة حتى أُصحّحها وأخذها من يدي وصَحّحها، ومضيت لشأني بكرامة أبي الحسن صلوات اللَّه عليه.

❁ ❁ ❁

ومنها: أني حين أردت الرجوع إلى البلاد، مررتُ على مشهد أبي الحسن الكاظم وأبي جعفر الجواد صلوات اللَّه على جدّهما وعليهما، ودعوت اللَّه بالسّلامة ونذرتُ ما يُيَسّرُه اللَّه على لساني للسادة الموسويّة: إنّ أوصلني اللَّه إلى أهلي سالماً، وخرجت واستأجرنا بَدَوياً من عَنْزَة، ومشيت أنا ورجل من أهل الشام والبدوي على ثلاث جِمَال قلائص، فلما وصلنا إلى الشّط مسافة ثلاثة أيام عن بغداد، أقمنا يومنا ننتظر صاحب البوسطة لنسأله عن الماء في الطريق، فما كان عند العصر إلّا وجاء مُسَلِّياً يكاد يهلك من الجوع والعطش، فأطعمناه وسقيناه وسألناه عن الماء في الطريق، فأخبر عن وادي صواب أنه مملوء من ماء المطر، فحمدنا اللَّه وحملنا من ماء المطر ما يكفينا للوصول إلى وادي صواب نحو ثلاثة أيام، فقبل أن نصل إلى الوادي المذكور صباحاً، طبخنا وأكلنا وشربنا، وعملت قهوة، وصببنا ما فضل معنا من الماء على الأرض، ثقةً منا بما أُخبرنا عن الماء في الوادي ثم ركبنا وأخذنا نمشي حتى وصلنا إلى الوادي ضحىً، فلم نجد ماءً، فأخذنا نجوب فيه طولاً وعرضاً فلم نجد شيئاً من الماء، وعطشنا عطشاً شديداً، فقلنا للبدوي: كيف نصنع؟ قال: نمشي ليلاً ونهاراً، وأخذ يجدّ بنا في السير لا ننزل إلّا للصلاة، ثم نركب، فلم نزل على ذلك حتى انتصف الليل وبردت أكبادنا لبرودة الليل، فقلنا له: ألا ننزل؟ فقال: لا، ولو تَوانينا نهلك عطشاً، فأخذنا نمشي حتى بردنا وأخذنا النّعاس، فعرضنا عليه النزول، فلم يرضَ، وقال: لو مشينا يوماً وليلتين يمكن أن نلحق الماء، فمشينا حتى تعبنا، وكلما أردنا أن ننزل يقول: إلى الشعب الآخر، ولم يزل يُعلّلنا

ويوعدنا بالنزول، فلما عَيينا جداً من الركوب. قلت له: هنا لا أمضي ولا خطوة، وأوقفت ناقتي، فلما رأى ذلك قال: مِلْ عن الطريق حتى ننزل، فَمِلْنا غلوة سهم، فنظرت فإذا خَيَال النجم في الأرض، فتفكّرت في ذلك، فإذا غدير ماء في صخر، فنزلنا عليه فرحين مسرورين حامدين اللّه على ما ساقنا إليه لطفه ببركة الجوادين عليهما السلام.

❀ ❀ ❀

ومنها: أنّا كُنّا سائرين في الطريق، فبينما أتحدّث مع رفيقي الشّامي وإذا بالدليل قد وقف، فقلنا له: ما لَكَ؟ فقال: أرى شجراً وما من شجر فنظرنا أمامنا في البرّ فلم نَرَ شيئاً ممّا رآه، فقلنا له: سِرْ بنا، فسار نحو غلوتين ووقف وقال: ما أراها إلّا بيوت العرب، فنظرنا فرأينا شبه شجر على ما رأى هو أولاً، فما سرنا قليلاً حتى تحققناها بيوت عرب، ورأينا الإبل سارحة في مقابل البيوت، فوقفنا جميعاً وقلنا له: كيف العمل للنّجاة؟ فقال البدوي: لم يبقَ لنا إلّا القدوم عليهم، فقلنا له: بل نرجع ونقصد جهة أخرى، فقال: نحن ثلاثة ولنا ستّ عيون، فلهم ألف أو يزيدون، فكم هناك من العيون، ولو ملْنا عنهم أدنى ميلة قصدونا بالخيل والأسِنّة، أمّا إذا قدمنا عليهم كان لنا حُرمة الذّمام ورجونا اللّه وبها الخلاص، فسرنا حتى إذا قاربْناهم نحو غلوتين، هبّت ريح عاصفة أثارت العجاج على وجه لم نسمع بمثله، حتى أن الرجل أو الإمرأة منهم همُّه أن يلقى كسر بيته، ورعاة الإبل وضعت أرْديتها على رؤوسها ولبست الأرض، فقال البدوي: دونكم الطريق بين الإبل والبيوت، ولم يزل العجاج ثائراً حتى جُزناهم وسلمنا ببركة الأئمة صلوات اللّه عليهم.

ومنها: أنّا يوم جزنا العرب، كاد ماؤنا أن ينفد، فقصدنا الخَبَارى، وهي ماء للعرب في وَهَدات يحجز بين كل محلّين ثَنيةٌ صغيرة، فجئنا إلى أوّل واحدة، فوجدنا فيها ماء كدراً، فقلنا: نأخذ ماءً من الثانية فوجدناها وحلاً، فقلنا من الثالثة، فوجدناه يَبْساً، وهكذا فلم نقدر على الرجوع خوفاً من العرب، فرأينا الدليل قد اصفرّ، فقلنا: إنّا للّه، فقال لنا: انظروا إن كان في القُرَب ماء تحفّظوا به، لا تطبخوا ولا تخبزوا ولا تتوضّؤوا، لعلّه يوصلنا إلى الماء، فإنه بعيد مسافة أيّام، وجدّوا في السّير، وأخذ يرمل بناقته أمامنا ونحن نتبعه، فحمي الحرّ علينا، وشربنا

بعض الماء والباقي جفّ من الحرّ، وصارت القُرَب تقعقع ليَبْسها، فما زالت الشمس إلّا ونظرنا عنق سحابة قد ارتفع بالجوّ وهي تؤمّنا، فما قاربتنا إلّا ولمع برقُها وصَدَع رعدُها، فما وصلت إلينا إلّا وهطلت بماء مُنْهمر منع الإبل من المشي، فنزلنا بطن الوادي وشربنا وعبّينا القُرَب وسقينا الإبل، وبتنا ليلتنا تلك قريباً من ذلك المكان، وسرنا صباحاً فلم نَرَ للمطر في تلك الأرض التي تسير فيها أثراً، فعلمنا أن اللَّه من فضله لكرامة آل محمد، أرسل تلك السحابة لسُقيانا، وله الحمد على سائر نعمه وصلى اللَّه على محمد وآله.

ومنها: وهي كرامة عظيمة لماء زمزم، وهي أنه حدث بَبَدني شيء من البهق، ثم أخذ ينتشر في بدني ويحدث في مَوَاضع عدة، وبقي سنين، فعرضته على حكماء البلاد فخوّفوني، لا سيما الشيخ مهدي خاتون، فإنه كان يقول لي: أجمع الأطباء على أنّ البهق مقدّمة للبَرَص، والبَرَص مُقدمة للجذام، وكانوا يصفون لي أدوية ولا أستعملها، ومن طبعي لا عناية لي بالأدوية، لا سيّما إذا ذكرت قولهم عليه السلام: امْشِ مع الداء ما مشى معك، فبينا أنا في بعض الأيام أصلح بزر قثاء ليزرعه الأكّار، وقد فَشَا هذا الداء على ساعديّ وأصابع يديّ، وأحد ولديّ عن يميني وآخر عن شمالي، فحانت مني التفاتة لهما وإذا هما منقبضان، قد أنِفا ممّا أنا فيه، فضاقت عليّ الأرض بما رحبت، ورميتُ البزر من يدي، وخلوت بنفسي وقلت: إذا أَنِفَ أهلي مني، فما حال الغريب؟ إنا للَّه وإنّا إليه راجعون، وأخذت أفكّر في ما أصنع، وكان أهدى إليَّ بعض الحُجّاج تنكة من ماء زمزم، وهي باقية بختمها. فألهمني الجواد، سبحانه وتعالى، أن أغسل بها مَوَاضع هذا الدّاء، فأخذتها وذهبت إلى مكان طاهر وأخذت أغسل بها وجهي ويديّ وكل موضع فيه شيء منه، سوى موضع فيه شيء يسير أجْلَلْتُ ماء زمزم الشريف عن أن أغسله به، وشربت منه شيئاً، ومضيت غير ذاكر لشيء إلى اليوم الثاني، فذكرت ما صنعته بالأمس، فنظرت في يديّ وسائر جَوَارحي فلم أجد شيئاً سوى ذلك الموضع الذي لم أغسله، فدعوتُ ولديّ وقلت لهما: ما عهدكما بي بالأمس؟ وأريتهما بدني فتعجَّبا من ذلك، وكذلك راجعت الحكماء الذين كانوا يصفون لي الأدوية، فقالوا: ما صنعت؟ وظنّ كل منهم أني صنعت ما أمر به، فقصصت عليهم القصة، فقضوا منها عجباً، وحمدت اللَّه على السلامة والكرامة.

ومنها: أني كنت مُسَافراً في طريق سامراء لزيارة العسكريين عليهما السلام، فلما كان وقت الزوال، نزلت مع الناس للصلاة قريب الشّطّ لا على مشرعة، فإذا بعض أهل القافلة يتوضأ وبعضهم يَتَيَمّم، فقلت في نفسي: إن هؤلاء الذين يَتَيَمّمون بالتراب بين جاهل أو قليل مروّة، ولم أكن أعلم أن الشّطّ لا يُنزل إليه إلّا من مشرعة، فأخذت الإبريق وذهبت إلى الشّط ومليته ماءً ثم أردت أن أرجع فلم أقدر، وصرت كلما وضعت رجْلاً أو رفعتها يهيلُ الطين والتراب تحت رجلي، وبقيت على ذلك برهة، كلما ارتفعتُ يُنزلني هَيَلان الطين إلى الماء، ففطنت لما أنا فيه، وعلمت سرّ تيَمّم من تيَمّم من القافلة، ونظرت يميناً وشمالاً فلم أرَ إنساناً، لأن الجرف مرتفع حائل بيني وبين القافلة، وهو بعيد عن مكانها، إذا ناديت لا يسمعني أحد، فقلت: يا لَهَا من ميتة بلا وصيّة ولا مُؤانس، أين أنتم يا آل بيت محمد صلى الله عليه وآله، هكذا يُصنع بالزائر الغريب؟ فما كان إلّا والحال تغيّر، وأخذت في الصعود على الجرف حتى وصلت إلى أعلاه بأهْوَن سبب، فجئت إلى القافلة وهي مُتأهّبة للرحيل، فقالوا: أين كنت؟ ولم أخبرهم بشيء، وحمدت اللّه على السلامة والكرامة لأهل الكرامة.

ومنها: وهي كرامة ليوشع عليه السلام وهي أني في أوّل شبابي، خرج لي في إصبعي توتة، وبقيت نحو ثلاثة أشهر حتى أعيتني، فذهبنا يوماً لزيارة مقامه المشهور في بلادنا، على كتف الحولة الغربي، فغبّ أن قضينا وطراً من الزيارة، نظرت فوجدت الصبيان والنساء يأخذون من تراب القبر تحت الصندوق، يُمرّغون به وجوههم وخدودهم، ففطنت للتّوتة، فأخذت من التراب بِنِيّة خالصة ومسحتها بنيّة الشفاء، وذهب ذلك عن بالي في اليوم الثاني، فنظرت في يدي فلم أجد لها أثراً، ولم أَدْرِ كيف ذَهَبَتْ، والحمد للّه على إكرام أنبيائه وجاعل الشفاء في تراب قبورهم.

ومنها: وهي من أسرار كتاب اللّه وآل محمد صلى الله عليه وآله، وما ورد عنهم عليهم السلام في ثواب قوله تعالى: ﴿قُل لَّوْ كَانَ ٱلْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَـٰتِ رَبِّى لَنَفِدَ ٱلْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَـٰتُ رَبِّى وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِۦ مَدَدًا ۝١٠٩﴾[1]، ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَىَّ أَنَّمَآ إِلَـٰهُكُمْ إِلَـٰهٌ وَٰحِدٌ فَمَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَـٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا﴾[2].

(1) سورة الكهف، الآية: 109.
(2) سورة الكهف، الآية: 110.

ما مضمونه، إنه من أراد الانتباه من النوم في أي وقت شاء، يعيّن الوقت في نفسه ويتلو الآية، فإنه ينتبه في الوقت الذي يريده، وحين اطّلعت على هذه الرواية، استعملتها، فما أعلم أنها أخطأت معي ولا مرّة واحدة، حتى أني، أُقسم باللّه الذي لا إله سواه، أني ربما أكون قد عَيِيْتُ من السهر فأتلوها لذلك عند النوم، فما يقرب الوقت المقصود إلّا ويتهيّأ لي بسرِّها طيف يزعجني، فأقوم مرعوباً، ولما صدر ذلك معي مراراً كرهت الانزعاج، فصرت بعض الليالي أتركها وبعض الليالي أتلوها، ولم أزل في حيرة من ذلك حتى انقدَحَ في خاطري أن أُضْمر عند تلاوتها، الطلب من اللّه سبحانه بسرِّ القرآن ومن أُنزل عليه ومن حفظ أسراره من آل محمدﷺ أن أنتبه بلا مزعج، ورَجَائي من فيضه تعالى أن لا يخطئ ذلك والحمد للّه والصلاة على أوليائه محمد وآله.

ومنها: وهي من أسرار الشريعة المحمّدية، بل وسائر الشرائع السّماوية:

وذلك أني لما ترعرعت ونظرت في مدحه تعالى قوماً بـ: ﴿لَا يَسْـَٔلُونَ ٱلنَّاسَ إِلْحَافًا﴾[1] وقوله تعالى: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ۝٢ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ۚ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ﴾[2] وقولهعليه السلام، وقد جاءه قوم طالبين ضمان الجنة منه على اللّه: «اصمتوا لي على أنفسكم أنْ لا يسألَ أحدُكم أحداً» وقولهعليه السلام لبعض من علم منه أنه يُريد سؤالَه: «مَنْ سَألَنا أَعْطَيناه ومن استغنى أغناهُ اللّه» إلى غير ذلك من الآيات والأحاديث الآمرة بالاستقلال باللّه تعالى والاستغناء عن عباده.

أضمرتُ في نفسي وعوّدتها ذلك، وإنْ كنت لا أبرِّئُها، ﴿إِنَّ ٱلنَّفْسَ لَأَمَّارَةٌۢ بِٱلسُّوٓءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّىٓ﴾[3].

فكان يأتيني الرزق وفَرَج اللّه تعالى من حيث لا أحتسب، أكثر من حيث أحتسب، ويقع معي في ذلك الأعاجيب التي يضيق المقام عن إحصائها، إلّا أني أذكر منها هنا، قضيّة لطيفة تُوقظ السمع وتخفّ على الطبع، وعليها فَقِسْ غيرها.

وذلك أنه في سنة اثنين وسبعين، في أوائل الفلاحة، احتجت إلى رأسيْ بقر

(1) سورة البقرة، الآية: 273.
(2) سورة الطلاق، الآيتان: 2 و3.
(3) سورة يوسف، الآية: 53.

للحرث، وليس معي في ذلك الوقت ما أنقد ثمنها، فقيل لي: إن ابن عمك الحاج كاظم عنده تسع رُوس بقر للبيع، فأرسلت من قبلي من اشترى لي رأسين لوَعدة عشرين يوماً تقريباً، فما قربت المدّة إلّا ووقعت الحادثة بين علي بك الأسعد وتامر بك، والتقت جموعهما في الخيام وإبل السّقي، فطُلبنا لإصلاح ذات البين وبقينا نحواً من خمسة وعشرين يوماً، ورجعنا وقد استقرّ تامر بك في مركز حكومته بنت جبيل، وأمنت القرى التي تتبع هونين وقانا، واشتدّ الخوف في تَوَابع تبنين حكومة علي بك لخروجه عن رضا الدولة، ورحل كثير من أهل مقاطعة تبنين، فبينما أنا جالس في المدرسة، وإذا بابن عمّي قد أرسل ولده يطلب ثمن الفدّان. ولما طلبني، لم أقدر أن أقول له: ما عندي نقدٌ حَيَاءً منه لطول المدّة عن الوعد، بل قلت له: تبيت عندنا الليلة وتقبض حقّك غداً، إن شاء اللّٰه تعالى، فلما أصبحنا أخرجت كتبي معي وأخذت في إملاء الدرس على الطلبة، فقال لي صاحب الحق: يا ابن عمّي، أريد السفر إلى أبي، فقلت له: حتى نكمل البحث، فلما أكملنا أراد أن يتكلم فقلت له: نتغدّى، فلما تغدّينا، طالبني، قلت له: حتى أغسل يديّ من الطعام، وخرجت لأغسل يديّ وأنا في حيرة كيف أصنع به وكيف أقول له بعد هذه المواعيد، فما كان إلّا وقد مرّ رجل من أهل رشكنانية ضرير اسمه خليل حيدر، وهو في ذلك الوقت صاحب دراهم، فلما أحسّ بي، أخذ من رأس حصانه وسلّم ثم قال: كيف أصنع بدراهمي في هذه الفتنة، ولا آمن منَ الغيلة، فقلت في نفسي: اللّٰه أكبر جاء الفَرَج، ثم قلت له: إلى هنا هذه قلعة السلط في داري، ألم تَرَ آل السبيتي وآل عزّ الدين من كفرا، رحلوا إليها، فلوى عنان دابّته إليّ ونزل وأخرج صُرَّةً فيها نحو خمسين ذهباً، وأخذ يُناولني واحداً واحداً، وكل ما وضع في كفّي ذهباً أضعه في يد ابن عمّي صاحب الحق، وهو حِذائي، فلما وصل في العدد إلى ثمانية، أحسّ الأعمى صاحب الدراهم، وكان فَطِناً، فقال: أين تضعها؟ فقلت له: لا عليك، فقال لا بدّ أن تخبرني، وامتنع عن العدّ، فقلت له: لا أُبالي، قد وصل الرجلَ حقُّه وأنت بالخيار في دفع الباقي، ثم حكيت له القصة وقلت له: إن اللّٰه قد أَقْلَقَكَ وأرسلك من بلدك لهذه القضية، والناس، والحمد للّٰه، في أمن وأمان، والفتنة قد انقضت، وإنما الواهمة تأخذ بعقل خفيف العقل، فقضى عجباً ممّا قَصَصْتُ له ثم قال لي: إذا كان الأمان حاصلاً فأنا لا غناء لي عن مالي، فقلت له: متى احتجت إليه أطلبه،

ولعله يصلك قبل الطلب، فإن الذي أزعجك من مكانك لتفريج همّنا، يُيَسّرها لنا كل حين، فودّعني وانصرف والحمد للّٰه.

ومنها: وهي من أسرار الكتاب العزيز والسُّنّة المطهّرة: وهو أني كنت يوماً في النَّباطية الفوقانية، وهي قرية معروفة من قرى الشقيف من بلادنا، منها الشيخ علي بن يونس النّباطي صاحب «الصراط المستقيم» و«الباب المفتوح»، وغيره من العلماء، فبينا نحن جلوس، وإذا بابن عمّي الحاج كاظم المتقدّم ذكره، مُقْبل علينا وهو يبكي بكاء الثكلى، فقلت له: ما عَرَاك؟ فذكر أن ولديه الاثنين مطلوبان للقُرعة العسكرية لدى مصطفى باشا، لقرية النباطية التحتية، بلد الحكومة في الشّقيف، فقلت له: ونصنع ماذا؟ فقال لي: تكتب إلى فلان وفلان، وذكر أشخاصاً من الأعيان، لعلّه يحصل العفو عنهما أو عن أحدهما، فقلت له: ألا أُعلِمُكَ شيئاً رويته عن آل بيت الرسول ﷺ، هو أنفع لك من فلان وفلان، فقال لي: ما هو؟ فقلت له: عليك بتلاوة قوله تعالى: ﴿لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾[1] فإنها ترياق لكَشْف الهموم، فقال: رضيتُ بذلك، وأخذ يكرّرها قائماً وقاعداً عاضّاً عليها بضرس قاطع، ومضى من عندي، فما مضى النهار إلّا وهو راجع إليّ يكاد يطير فرحاً وهو يتلو الآية الشريفة، فقلت له: كيف صنعت؟ فقال: مضيت من عندك وأنا أتلوها ولم أَزَلْ أُكرّرها لا أَفْتَرُ عن ذلك، فلما جاءت نوبة ولديَّ، وقَفا بين يدَيْ الوزير، فتوجّه لأحدهما وقال له: ما صنعتك؟ فقال له: أعلّم الأولاد وأُؤَذّن للصلاة في أوقاتها، وكلاماً نحو ذلك، فقال له: اذهبْ إلى شغلك، وأراد أن يكلم الآخر، وإذا بعروض شغل مهم له، فأطبق الدفتر، ولما انقضى الشغل، فتحه وذُهل عن اسم الولد واشتغل بغيره، كل ذلك وأنا مشغول بتلاوة الآية، فلما عدل عنّا أخرجت الولدين سالمين ببَرَكتها، وجئتك مخبراً ومُبشّراً بحسن صنيع اللّٰه بنا، فحمدت اللّٰه وشكرته على ما هدى وأنعم.



(1) سورة الأنبياء، الآية: 87.



مسألة فقهية

بسم اللّٰه الرحمن الرحيم

أَلقى عليَّ سيدي الأستاذ أبو الحسن، شيخنا عبد اللّٰه بن علي الجبعي العاملي، متّعنا اللّٰه ببقائه وأدام لنا إفاداته، في بعض مذاكراته، وهو مسافر في إسكالة صور سنة 1289هـ، سؤالاً ما ملخّصه:

الأذان والإقامة، هل يتقوَّمان بالصلاة على وجه لو أَذَّن بِنيّة صلاة لا يدخل به في غيرها، أم لا يتقوّمان فيكونان كالوضوء يدخل به كلّ صلاة؟

فأجبته بالتقويم والفرق بينهما وبين الوضوء ونحوه، وجرى الكلام بيننا في ذلك، فتكرّم سيادته بأني أحبّ أن تكتبها وتعرض عليَّ.

فكتبت هذه امتثالاً لأمره، وعلّقتها في هذا «السوق» لِنَفَاستها، فإني لم أعثر على من تعرّض لها من الفقهاء والأعلام بهذا العنوان.

اعْلم أنّ غالب الأعمال العبادية أو كلّها، تحتاج إلى مقدّمات، وهي كما ذكروا، على قسمين: مقدّمات وجوب ومقدّمات وجود.

ومَنْشأ هذه المسألة، مقدّمات الوجود وما يجري مجراها من المقدّمات التي هي لكماله وإيجاده على الوجه الأتمّ، على معنى دخولها في مقدّمات وجوده كاملاً.

فمقدّمات الوجود، كالاستطاعة للحجّ والنّصاب للزكاة ونحو ذلك ممّا يتوقّف صدور الأوامر والتكليف بها على وجودها.

ومقدّمات الوجود كالوضوء للصلاة واللّباس والقِبَلة والنيّة ونحو ذلك مما يتوقف وجوده عليها.

ومقدّمات الكمال كالأذان والإقامة وتكبيرات الافتتاح ونحو ذلك ممّا يتوقف

كمالها عليه وهذا القسم داخل في مقدّمات الوجود بإرادة وجوده كاملاً، كما قدّمنا.

ثم إن هذه المقدّمات، منها ما ليس مخصوصاً به ولا يتقوّم به، بل تصلح المقدّمة له ولغيره، وأكثر مقدّمات الصلاة على ذلك، كالوضوء واللّباس والقِبْلة والمكان وغير ذلك، فإنه لو تَوَضّأ لصلاة مخصوصة، صلى بذلك الوضوء ما شاء غيرها قبلها أو بعدها، ويمسّ القرآن ويطوف ويفعل ما يتوقّف على الوضوء، وهكذا اللّباس والقبلة ونحو ذلك.

ومنها ما يتقوّم بذيه، كَتَكْبيرات الافتتاح، فإنه لو كبَّر السّت لصلاة، ثم عنَّ له أخرى، فلا بدّ من تجديدها، وكذلك النّية فلو نوى صلاةً ثم عدّل عنها، فلا بدّ من تجديد النّيّة للثانية. وفي كون الأذان والإقامة من القسم الأول أو من القسم الثاني، وجهان أقواهما، بل هو المتعيّن الثاني ولنا على ذلك وجوه من الأدلّة.

أحدها: إن العبادات توقيفية، فإذا أمرك الشّارع بشيء لشيء مخصوص، ليس لك أن تتعدّى به لغيره إلّا برخصة، وحيث ليس فليس، وبَيَانه: إنك حين دخول الوقت مثلاً مأمور بالصلاة ومأمور بالأذان والإقامة لها، فإذا أذّنتَ وأقمتَ لها، لك الدخول فيها بذلك لأمره، وليس لك أن تدخل في غيرها بذلك الأذان والإقامة، لعدم الرُّخْصة، ولا أقلّ من الشّك، فكان الأحرى بك التجنُّب إنْ وجوباً أو استحباباً كما هو شأن التوقيف.

فلو صلّيتَ بلا تجديد، كنتَ مُصلّياً بغير أذان ولا إقامة، وبطريق آخر، هو أن الأذان له مَقَامات مخصوصة، وهي الصّلوات الخمس، والمولود، ومن ساء خلقه كالقرم، ومن غاله الغول، وكذا الإقامة، ولا يؤذَّن ويُقام لغير مَقَاماته.

فكما أنه ليس لأحدٍ أن يؤَذّن في غير تلك المقامات، فليس له إذا أذّن لمقام منها أن يكتفي به لغيره، كما لو أذَّن في أُذن المولود، أو في أُذن القِرم، وكانت الصلاة قد أتت، فليس له أن يكتفي به ويُصلّي بلا أذان، ولا تُحسب له صلاة مؤذّن لها، لعدم الرخصة، والتوقيف الذي أشرنا إليه، وكذا إذا أذَّن لصلاة ثم عنَّ له، قبل فعلها أو بعده، أن يُصلّي غيرها، فمن له أن يكتفي بذلك ويحسب له ثَوابَ المؤذّن لتلك الصلاة التي لم يؤذّن لها، أو أذَّن بِنيَّة غيرها.

ثانيها: إن النيّة مقوّمة لكل عمل عبادة أو غيرها، أصلياً أو تَبْعياً نفسياً أو

غيرياً، فإذا عزم على العمل الفلاني للشيء الفلاني وعمله، كذلك فقد تقوم بتلك النيّة، فصرفه إلى غيرها بعد وقوعه على الوجه المخصوص خلاف ما وقع، لا يتمّ ولا يتّجه بوجه، اللهمّ إلّا أن يقوم دليل على الكفاية لوجه من الوجوه، كما قام في الطّهارة المعلوم كفاية رفع الحدث منها لأي عمل وقعت.

ثالثها: إن تعدّد الأسباب مُوجب لتعدّد المُسَبّبات، ولا ريب أن كل ذي مقدمة سببٌ وداعٍ للإتيان بمقدّمته، فإذا حضرت الصلاة مثلاً، كانت سبباً داعياً للإتيان بالأذان والإقامة، فإذا وُجد إذْ ذاك قرم كان سبباً آخر له، فإذا وُلد مولود كان سَبَباً آخر، وعلى هذا الحساب، وهكذا لو تعدّد السبب من جنس واحد، كصلاتين وقَرْمَيْنِ ومولودين، فإذا كان الأمر كذلك، فلا بدّ لكل داعٍ من هذه الدّواعي وسبب من هذه الأسباب من مدعوّات، وأسباب متعدّدة على حسب تعدُّدها، ولا يُعدل عن هذه القاعدة إلّا بموجب واضح، والذي أخرجنا عن هذه القواعد في الوضوء والستر وغيرهما ما علمناه بالبراهين القاطعة أن ليس الواجب في الصلاة إلّا كونه على طهر ساتراً للعورة، مستقبل القِبْلة، من غير نظر إلى كون ذلك الطهر أو الستر أو الاستقبال حصل لتلك الصلاة أو لغيرها، صلاة أو غيرها.

رابعها: إن الأذان والإقامة، وإن عدوّهما مُقدَّمة للصلاة، فهما كالجزء منها، ولذلك يُعتبر فيهما ولو على سبيل الاستحباب ما يعتبر فيها من طهارة وستر واستقبال وقيام، ويلزم اتصالهما بها، فلا فصل بكلام ولا حَدَث ولا سكوت، إلى غير ذلك من قَواطع الصلاة وفَوَاصلها، إلّا الفَوَاصل المنصوصة، كالسكتة اليسيرة بين الأذان والإقامة والأذكار المأثورة وصلاة ركعتين، وليس كذلك بقيّة المقدّمات، فإنه لو توضّأ صباحاً وصلّى مساءً، لم يكن بذلك بأس، وإذا كانا كالجزء من الصلاة لا جرم تقوّمهما كما تقوّم بقية أجزائها، فكما أنه إذا صلّى ركعة ليس له أن يعدل ويجعلها لغيرها إلّا بأمر خاص، كذلك إذا أذّن وأقام لصلاةٍ خاصة، ليس له أن يكتفي بهما لغيرها إلّا بدليل خاص.

خامسها: ما رواه عمّار في الموثق عن الصادق عليه السلام في الرجل يُؤذّن ويُقيم ليصَلّي وحده فيَجيء رجل آخر فيقول: نُصلّي جَمَاعة، هل يجوز أن يصلي بذلك الأذان والإقامة؟

فقال: لا، ولكن يؤذّن ويقيم، وبمضمونه أفتى المُحقّق في «الشرائع» وكثير من الفقهاء، بل الشهرة منقولة على العمل بمضمونه من الإعادة، إن وجوباً أو استحباباً، بل عن الذكرى نسبتهُ إلى الأصحاب مُشْعراً بإجماعهم وجه الدّلالة على المطلوب، أنه عليه السلام، لم يكتف بتغيير صفة الصلاة من فرادى إلى جماعة، فكيف يُجتزى به مع تغيير ذاتها من ظهر أو عصر وغير ذلك؟ وكيف يكتفي به لصلاة أخرى إلّا بدليل؟!

وما رُوي من أنّ الباقر عليه السلام خرج فصلّى بلا أذان ولا إقامة، لما سُئل عن ذلك، قال: سمعت جعفراً يؤذّن فصلّيتُ وأن الجارُ يصلي بأذان جاره.

فإن ذلك كله لبيان الحكم ويكون هو الدليل الخاص على كفاية ذلك، مع نيّته، كما دلّت الأدلّة على صلاة الجماعة بأذان واحد وتحمّله منها كما يتحمّل الإمام القراءة عن المأمومين.

سادسها: إن المقدمات منها ما ليس عبادة في نفسه كالطهارة الخبثيَّة والستر ونحوه، فهذا المطلوب في العبادة كون المتعبّد مُحْرزاً له على أي وجه كان، من أيّ فاعل كان، فهذا لا تقوّمه العبادة البَتّة ولا حاجة فيه إلى النيّة، بل يكفي مجرّد إحرازه، ومنها ما هو عبادة بدليله ولكنه كالمعاملة في إرادة الشارع من المتعبّد إحرازه على أي نيّة كان، كالطهارة الحدثية، فإن مقصود الشارع في شرطيّته للصلاة مثلاً، أن يكون المصلّي مرفوع الحدث نقيّاً منه نقاوته من الخبث لا فرق بينهما، إلّا أن رفع الحدث متوقّف على نيّة القربة دون رفع الخبث، وبهذا أيضاً كسابقه لا يتقوّم به، لأن المطلوب كونه على حالة هو محرزٌ لها، كالمعاملة التي هي شرط، ومنها ما هو عبادة محضة لا تشبه شيئاً في المعاملة بوجه كتكبيرات الافتتاح، وهذا القسم يتقوّم به، إذ المطلوب كما ترى وجوده على نحو خاص لمطلوب خاص، والأذان والإقامة من هذا القسم.

فإن كل من شَمَّ رائحة الفقه، إذا تأمّل، لا يكاد يشكّ في أن يقول الشارع: افتتح الصلاة بستّ تكبيرات وقوله أذّنْ لها وأقمْ لها، مثلاً، يُراد منها الخصوصيّة الخاصة فيها والتقويم بها، وليس المُراد أن المُصلّي يكون على حالة هو مُفْتتح بالسّتّ أو مؤذّن كيف كان، كما هو في الطهارة وغيرها ممّا تقدّم.

فإن هناك في الشخص معنى يطلب في الصلاة رفعه بالوضوء بها، وليس في الأذان والإقامة شيء من ذلك، بل هما عبادتان مطلوب الشارع إيقاعهما في محالّهما، وذلك واضح لمن تدبّر والحمد للّه.

سابعها: إن الأمر بالشيء لشيء يقتضي اختصاصه به لمكان التمليك في اللّام، فإن قال الشارع: أَذّنْ لصلاة الظهر، مثلاً، فالفهم العربي يعطي أنه خاص بها لا يتعدّاها إلى غيرها، فإن قلت قُلْ مثله في توضّأ للصلاة الفلانية والبسْ لها، قلتُ: نعم هو كذلك، ولكن الإجماع وسائر الأدلّة أخرجتنا من ذلك. فإن قلتَ: أليس قد اكتفى الجامع بين الصَّلاتين بالأذان الواحد والقاضي به للأولى من وِرْدِه رخصة أو عزيمة، قلتُ: لولا الأدلّة لم يُكتف به، بل قد يُقالَ: إن الأدلّة كشفت عن أنَّ الثانية وبقيّة الورد، ليست من محال الأذان، ويؤيّده ما جاء أن الأذان الثاني يوم الجمعة بدعة، أو أنه للثانية وبقية الورد لا يتأكد استحبابه، لا أن الأذان كفى للجميع، وإن كان لا بدّ، قلنا: الأدلة دَلّتْ على أنه مع نيّة الأذان للجميع كفى ذلك، فيبقى ما لم يدل عليه دليل جارٍ على القاعدة لمتانتها، وحيث تمّ التحقيق على التقويم، فاعلمْ أن الثمرة تظهر في مواضع:

منها: لو أذّن وأقام من غير عزم على صلاة معينة لا يجتزئ به، ومنها: لو أذن لصلاةٍ مُعيّنة، ثم عزم على غيرها أعاده، ومنها: لو أذّن للإعلام لا يجزيه للصلاة وقد يقال بكفايته، بشرط أن يكون من نيّته، فَتأمّلْ.

ومنها: أن لا يدخل في الصلاة بأذان غيره، إلّا أن يكون نَوى بسماعه ذلك لدليله، أو يكون غيره تحمّله كما في الجماعة لدليله، أيضاً وقد يقال في الجماعة إذا لم يحضر الأذان فليس له ثَوَابه وليس له أن يؤذّن لعدم الدليل أو الدليل على العدم.

ومنها: لو أذّن وأقام الصلاة وفعلها، فليس له أن يدخل في غيرها بغير أذان وإقامة، إلّا في الجامع والقاضي لدليله.

ومنها: لو أذّن لِتَغوّل الغول أو في أذن قرم أو مولود، فليس له أن يُصلّي به وكذا العكس، وبقيّة الطّرْد في كلها أو بعضها يتنوّع من ذلك صور متعدّدة.

ومنها: لو أذّن للأداء لا يدخل في القضاء وبالعكس.

ومنها: لو أذّن للفرادى لا يدخل به في الجماعة، كما في رواية عمّار ولو على تأكد الاستحباب.

سؤال في الميراث:

من الأدواء العُضال، ما الذي دعا الشيعة وبعض الصحابة، إلى مخالفة الجمهور، فزادوا أهل الفروض بالميراث على فروضهم في جملة من المواضع. وخرجوا عن التعصيب بعد تعيين اللَّه تعالى لهم فروضاً مخصوصة، وما الحكمة في الفرض إذا كان الباقي يُردّ على أهله؟

ولِمَ لم يترك سبحانه أهل الفروض على حالهم ويورّثهم أقاربهم دفعةً واحدة على حسب غيرهم من الأقارب، كالأولاد الذكور والأعمام والأخوال، فإنه لو كان لزيد عندك مائة درهم، وقلتَ له: خمسون، فهم كل ذي لسان أن هذا تمام حقه، وكذا لو قلت له: نصف هذا المال، أو كذا كذا جزء منه، ثم لمَّا عالت الفرائض، خصّوا بالنقص بعض الورثة دون بعض، هل هذا إلّا ترجيح من دون مرجّح؟

قلت: سألتَ، فاصْغِ إلى الجواب:

ولنقدّم على المطلوب مقدّمة، هي، أن الميراث علىٰ قسمين:

قسم بالفرض وقسم بالنسب أو السبب، والمفروض من الكسور ستّة:

1 ـ **الثمن**: وهو نصيب الزوجة والزوجات مع الولد للزوج.

2 ـ **السدس**: وهو نصيب كل من الأب والأم مع الولد، والأم مع الأب والأخوة للميت والأخت من الأم منفردة، والأخ منها كذلك.

3 ـ **الربع**: وهو نصيب الزوجة مع عدم الولد للزوج، والزوج مع الولد للزوجة.

4 ـ **الثلث**: وهو نصيب الأم مع الأب وعدم الأخوة للميت والأخوة للأم مع تعدّدهم.

5 ـ **النصف**: وهو نصيب الزوج مع عدم الولد للزوجة، والبنت منفردة، والأخت كذلك من الأب أو منهما.

6 ـ **الثلثان**: نصيب البنتين فصاعداً، والأختين للأبوين أو الأب ولمّا كانت هذه الفروض قد يفضل منها فضلة، وقد لا تكفي للمفروض لهم، أشكل الحال على خلفاء القوم وعلمائهم، فوقعوا في التعصيب في الأولى وفي العول بالثانية.

وأمّا الشيعة، فلما كانوا آخذين بحجزة قوم يصيبون شاكلة الأحكام، وهم تراجمة الملك العلّام، دفعوا العول[1] باستحالته على علم من أحصى رمل عالج. والتعصيب[2] بنص آيتَيْ: ﴿وَأُوْلُواْ ٱلْأَرْحَامِ﴾[3].

وحكموا بأن ما أبقته الفرائض، يُرَدّ على أهلها لأقربهم.

فلو كان الوارث أمّاً وحدها، أخذت نصيبها المفروض وهو: السدس والخمسة أسداس الباقية لعدم وجود ما يُساويها في القرابة، وكذا لو كان أخاً لأم أو أختاً كذلك، ولو كان بنتاً أعطيت النصف بالفرض والنصف الآخر بالقرابة.

وكذا كل من كان له فرض وفضل عنه فضلة رُدَّتْ عليه بالقرابة لعدم وجود مساوٍ في المرتبة إلّا الزوج والزوجة فلا رَدّ عليهما، لأن قربهما ليس بالنّسب بل بالسّبب، فما فضل من نصيب الزوجية يرثه القريب من أول مرتبة، فإن لم يوجد انتقل إلى المرتبة الثانية والثالثة من أولي الأرحام، فإن لم يكن، فإلى الأسباب من مُنْعم أو ضامن جريرة، فإن لم يوجد ففي الرّد على الزوج والزوجة، أو اختصاص الإمام به، أو يُرد على الزوج دون الزوجة.

---

(1) **العَوْل**: هو تخفيض نسبي يُصيب أصحاب الفروض بسبب زيادة مجموع سهامهم على مخرج التركة، وقد رفض المذهب الجعفري قبول العول، ذلك أنه إذا تزاحمت الفرائض في طبقة واحدة بحيث لا تتسع لها التركة، نقص من فرائض النساء اللاتي لو كان معهنّ ذكر أخذنَ معه الباقي ﴿لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ ٱلْأُنثَيَيْنِ﴾ وهنّ البنات والأخوات الشقيقات أو لأب، فلو ترك المتوفى مثلاً، زوجة وأماً وأباً وابنتين، أخذ الثلاثة الأولون فرضهم ونقصت حصّة البنتين.

(2) وأما **التعصيب** عند السّنّة: هو استحقاق الإرث لقرابة العصبيّة بعد القرابة الطبيعية المؤيدة بالفروض، وتُعتبر العصوبة السبب الثاني للإرث بالتعصيب، بمعنى أن العاصب يأتي بعد صاحب الفرض، وليست له حُصّة محفوظة، فيرث ما تبقى من التركة بعد أصحاب الفروض، أو يرثها بكاملها عند عدمهم. في حين أنَّ المذهب الجعفري يُعطي الفريضة المستحقة لصاحبها. فلو أن الميّت ترك ابنة واحدة تعطى فريضتها وهي النصف ويرد النصف الآخر عليها حيث ليس في المذهب الجعفري ما يسمى بـ «التعصيب».

(3) سورة الأنفال، الآية 75، وسورة الأحزاب، الآية 6.

أقوال أشبَهها الأوسط والجمهور لمّا أشكل عليهم الأمر لشبهة الاختصاص بالفرض، أعطوا ما أبقته الفريضة للعصبة من المرتبة الثانية والثالثة.

فلو كان الوارث بنتاً مثلاً، تأخذ فرضها النصف، والنصف الباقي يعطونه للأخوة، أو أختاً فيعطونه للأعمام، وربما استندوا في ذلك إلى رواية عن ابن طاوس عن أبيه عن ابن عباس: ما أبقت الفريضة فلأولى عصبة ذكر، ولما سُئل ابن عباس أنكر ذلك وقال: «ما رويته ولا رواه عني طاوس».

وقال بعض النقّاد أن الكذب جاء من ابن طاوس، فإنه كان من صَنَائع بني أميّة، فَيَتخلَّق لهم من الأحاديث ما يُوافق هواهم مع أنهم لم يعملوا على الحديث على إطلاقه فيعطون الأنثى بالتعصيب مع الذكر في جملة من المواضع.

وأيضاً لا محيص لهم عن الرّد فيما إذا لم يوجد عصبة، فلم يبق للتعويل على الحديث وجه، لا سيما بعد قوله تعالى: ﴿وَأُوْلُوا۟ ٱلْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِى كِتَـٰبِ ٱللَّهِ﴾[1].

إذا عرفت هذه المقدمة، علمت أن الزوج والزوجة لا إشكال معهما، إذْ لا ردّ عليهما ولا عول عليهما، لأن ميراثهما محدود الطرفين فلا يخرجان من فريضة إلّا ويدخلان في أخرى، ولا يأخذان أكثر فلا يخرجان من فريضة إلّا ويدخلان في أخرى، ولا يأخذان أكثر ممّا فُرض لهما: للزوج الربع مع الولد والنصف مع العدم، وللزوجة الثمن مع الولد والربع مع العدم، وما فضل عن فرضهما فللورثة أنساباً أو أسباباً، إلى أن لا يوجد وارث فيأخذه الإمام لأنه وليّ من لا وليّ له. وعلى القول الآخر، يأخذه الزوج أو الزوجة لعدم انقطاع الورثة، والإمام لا حقّ له مع وجود أحد منهم.

والمُفصّل يدعي أولوية الزوج دون الزوجة، فعلى القول الأول لا شبهة أصلاً لعدم الخروج عن الفرض مطلقاً، وعلى القولين الأخيرين، يختصّ الفرض بوجود وارث مناسباً أو مُسابباً، ولو للأدلة الخاصة من السّنة.

(1) سورة الأنفال، الآية: 75.

وأما البنت فالحكمة في فرض النصف لها أنه هو حقّها من حيث كونها بنتاً بنسبتها إلى الذكر، إذ هو على ضِعْفها في الميراث وإذا كان هو من حيث كونه ولداً ذكراً، يستحق المال كله، فهي من حيث كونها ولداً أنثى تستحق نصفه، ثم إن وُجد في مرتبتها وارث آخر كالأبوين أو أحدهما، أخذ نصيبه. وما يبقى من هذه الأنصباء يأخذونه على النسبة، لعدم مشارك في المرتبة، وإن لم يوجد، حازت النصف الآخر أيضاً لقربها وعدم مشارك لها في مرتبها. وأما الذكر فإن وُجد معه غيره كالأبوين أو أحدهما، أخذ نصيبه المفروض، وكان الباقي للذكر لامتيازه عن الأنثى، ولولا فرض النصف لها، لما عُرف هذا الحكم، ولساوت الذكر.

وأما البنتان فما فوق، فإنما فُرض لهما الثلثان لمكان الأبوين، فإن لكل واحد منهما السدس، فيتمّ المال مع وجودهما، فإذا فُرض عدمهما، كان المال كله للبنات لعدم المشارك، وإذا فُرض وجود واحد فضّ نصيب المفقود على الموجود منهما، ومن البنات على قدر الأنصباء للتساوي في المرتبة.

وكذلك الحال في الأخت من الأبوين أو الأب، أو الأخوات كذلك فإن الأخ من الأبوين أو الأب يُضعف الأخت، فإذا كان له المال من حيث كونه أخاً، كان لها النصف من حيث كونها أختاً، ثم إن وُجد معها مشارك في المرتبة كالأخوة من الأم أو الواحد منهم، أخذ المشارك نصيبه وفضّ الباقي على الجميع على نسبة الفروض للقرب والاشتراك في المرتبة، وإن لم يوجد حازت النصف الآخر لعدم المُشارك، ولولا الفرض لم يُعرف مُراد اللّه تعالى.

والأخوات من الأب أو الأبوين فُرض لهما الثلثان لمكان الأخوّة من الأم، فإن لهم الثلث، وذلك تمام المال، فإن وُجد واحد فقط أخذ نصيبه السدس وفضّ الباقي على الجميع على قدر الأنصباء وإن لم يوجد أحد، حاز الأخوات الثلث الباقي لعدم المُشارك في المرتبة.

أما الأم، فإن فرضها مع الأب وحده ولا إخوة للميت، الثلث فإن كان إخوة ردّوها إلى السدس الذي هو فرضها مع الولد، فإذا انفردت، حازت المال لعدم المساوي في المرتبة، وإن كانت مع ذي فرض، كالبنت والبنتين، شاركته في ما بقي

عن الفروض، على حسب الأنصباء لمساواتها في المرتبة، ولولا الفرض لم يُعرف قدر استحقاقها في علم اللّه حينئذٍ.

وأما الأب، فلم يُفرض له إلّا السدس مع الولد للميّت، فَلا يُردُّ عليه، إلّا إذا اجتمع مع ذي فرض وبقي فضلة، فيُساوي غيره على قدر الأنصباء للتساوي في المرتبة.

وأما الأخوة من الأم، فالمفروض للواحد منهم نصيب الأم الأدنى، وهو السدس، وللأكثر نصيبها الأعلى، وهو الثلث، لأنهم أخذوا ميراثها حيث مشوا بقربها، فلذلك لم يزيدوا عن الثلث، ولأن الثلثين نصيب الأخوة من الأبوين، فلا يمكن أن يأخذوا منه شيئاً.

نعم، إذا اجتمعوا مع ذي فرض، كالأخت للأبوين، وفضل فضلة رُدّت على الجميع على حسب الأنصباء للتساوي في المرتبة، وأخذ كلٌّ حقه في عدل اللّه تعالى وعلمه الذي كشف عنه الفرض.

وحيث تبين لك بُطلان التعصيب، وعرفت الحكمة في الفرض، فلنوضّح لك بُطلان العَوْل.

اعلمْ أنّ العَوْل إنما يُتوهّم إذا اجتمع جملة من أصحاب الفروض، ولم يتسع المال، كزوج مع أختين من الأب، أو أخت وإخوة من الأم، أو مع بنت وأبوين أو مع بنتين، إلى غير ذلك من الصور التي تزيد فيها الفروض عن المال بحسب ظاهر الحال.

فسيّدنا عُمر ومن تبعه، لما حصل ذلك عندهم ولم يعرفوا وجه الخروج منه، نقصوا على الجميع كلٌّ على حسب سهمه، وأما العترة وشيعتهم وأهل التحقيق من الصحابة، فلم يحكموا بذلك بل قالوا: ما عالت الفريضة قط، وقالوا: مَنْ حُدَّ طرفا فرضه، كالزوج أو الزوجة، يأخذه تاماً، ومن ليس كذلك، كالبنت والبنات والأخت والأخوات للأب أو لأبوين، له ما فضل لعدم تحديده.

قال أمير المؤمنين عليه السلام: إن الذي أحصى رمل عالج لَيَعْلم أن السهام لا تعول على ستةٍ، لو يُبصرونَ وجهها لم تجز ستّة.

وقال الحبر ابن عبّاس: من شاء بأهلته عند الحجر الأسود، إن اللّه تعالى لم يذكر في كتابه نصفين وثلثاً وقال أيضاً: سبحان اللّه العظيم الذي أحصى رمل عالج عَدداً، جعل في مالٍ نصفاً ونصفاً وثلثاً، فهذان النصفان قد ذهبا بالمال، فأين موضع الثلث؟ فقال له زُفر: «يا أبا العبّاس، فمَنْ أول ما أعال الفرائض»؟ فقال: «عُمر، لما التقت عنده الفرائض ودفع بعضها بعضاً» قال: «واللّه ما أدري أيّكم قدّم اللّه وأيّكم أخّر، وما أجد شيئاً هو أوسع من أن أقسّم عليكم هذا المال بالحصص».

قال ابن عباس: «وأيّم اللّه لو قدّمتم من قدّم اللّه وأخّرتم من أخّر اللّه ما عالت الفريضة».

فقال له زُفر: «وأيّها قدّم وأيّها أخّر»؟ فقال: «كل فريضة لم يهبطها اللّه إلّا إلى فريضة، فهذا ما قدّم اللّه، وأما ما أخّر، فكل فريضة إذا زالت عن فرضها لم يكن لها إلّا ما بقي، فتلك التي أخّر اللّه، فأما التي قدّم: فالزوج له النصف، فإذا دخل عليه ما يُزيله عنه، رجع إلى الربع لا يُزيله عنه شيء، ومثله الزوجة والأم.

وأما التي أخّر اللّه ففريضة البنات والأخوات، لهما النصف والثلثان، فإذا أزالتهن الفرائض عن ذلك، لم يكن لهنّ إلّا ما بقي، فإذا اجتمع ما قدّم اللّه وما أخّر، بُدئ بما قدّم فأعطي حقه كاملاً، فإن بقي شيء كان لما أخّر. (الحديث).

وقد وضح منه عدم العول أصلاً، فإن من تحدّد طرفا ميراثه، وُبيِّنَ على سائر الوجوه، لا يتجه إدخال النقص عليه، كما لا يتجه الزيادة له، ومن فرض له فرضاً مطلقاً على بعض الوجوه كان قابلاً للزيادة والنقيصة.

فإن قلت: كيف تُزاد الأم إذا كانت مع البنت أو البنات عن السدس؟

قلتُ: الأم لم يتحدّد ميراثها مع الولد، وإنما فُرض لها السدس فقط، فكانت كالأخت التي فرض لها النصف، فبقيت قابلة للزيادة، لا سيما وهي مساوية للبنت والبنات في المرتبة، فإذا كان ثمة فضلة لم يخرجاها منها ولم تقبل النقيصة، لأن السدس أقلّ فرضيها، ولما تحدّد ميراثها مع الأب، لم تزد عن الأعلى ولم تنقص عن الأدنى.

فإذا فرضت مع أب وزوج أو زوجة، أخذت سهمها الأدنى أو الأعلى كاملاً كما يأخذ الزوج أو الزوجة نصيبه كذلك، وكان ما بقي للأب لأنه غير مفروض.

فلو كان الميّت امرأة، ولا إخوة لها ولا أبوين، أخذ الزوج ثلاثة من ستة، وهو النصف حقّه، وأخذت المرأة الثلث اثنان من ستة وكان ما بقي للأب، وهو واحد، تمام الحال.

ولو كان للمرأة أخوة، أخذت في الصورة المذكورة فرضها الأدنى، وهو السدس واحداً، ويبقى الباقي للأب: اثنان وأما الإخوة من الأم فهم بمنزلة الأم، لهم مع الكثرة، السهم الأعلى وهو الثلث، ومع الوحدة السهم الأدنى وهو السدس فإذا اجتمعوا مع الأخت للأبوين أو الأختين، أخذوا سهمهم فإن كان معهم زوج أو زوجة، أخذ نصيبه أيضاً وكان الباقي للأخت أو الأخوات. فارتفع الإشكال بحذافيره والحمد للَّه.

☐ **ولامية الرومي، من المُجون:**

ولما أَتَاني أَمْرَدٌ قال يا فَتَى ... أَتَدْري جِنَاساً وهُوَ في الشّعر يَعْذُبُ

فصرت سريعاً راكباً فوق ظهره ... وقُلتُ له هذا الجِناسُ المُرَكّبُ

❀ ❀ ❀

وله وأجاد:

بِتُفَّاحةٍ حَيَّا غَزَالٌ مُهَفْهَفٌ ... فَأَيْقَنَ قَلْبي بالقَطيعةِ والصَّدّ

ومَا نطقَتْ بالهَجْر قولاً وإنما ... رَوَتْ خَبَرَ التلوينِ عنْ خدِّه الوَرْدي

❀ ❀ ❀

☐ لبعضهم، وهو في غاية الجودة:

امْطِري لُؤلؤاً جِبَالَ سَرَنديب ... وفيضي آبارَ نَكْرور تِبْرا

أنا إن عشتُ لَستُ أعْدَمُ قُوتاً ... وإن مُتُّ لَستُ أعدَمُ قَبْرا

مَنزلي مَنزلُ الكرام ونَفْسي ... نَفْسُ حُرٍّ تَرى المَذَلّة كُفْرا

❀ ❀ ❀

☐ ولآخر، ولله دَرّه:

لَـذلُّ الـحَـيَـاة وعِـزّ الـمَـمَـات | وكـلٌّ أَراهُ طَـعـامـاً وَبـيـلا
فـإنْ كـان لا بُـدَّ مـنْ واحـدٍ | فَسِيرا إلى الموت سَيْراً جَميلا

❀ ❀ ❀

☐ من حُمْق بعض المنجّمين وفطنة بعض الوزراء، ما ذكره ابن خلكان في ترجمة جعفر ابن يحيى البرمكي:

بلغ جعفراً أن الرشيد مغموم لأنّ مُنَجّماً يهودياً زعم أن الرشيد يموت في تلك السنة، وأن اليهودي في يده، فركب جعفر إلى الرشيد فرآه شديد الغمّ، فقال لليهودي: أنت تزعم أنّ أمير المؤمنين يموت إلى كذا وكذا يوماً، قال: نعم، قال: وأنت كم عمرك؟ قال: كذا وكذا أمَداً طويلاً، فقال للرشيد: أُقتله حتى تعلم أنه كذب في أمدك كما كذب في أمده، فقتله وذهب ما كان بالرشيد من الغم، وشكره على ذلك، وأمر بصَلْب اليهودي وذهب دَمُه هدراً بِحُمْقِهِ.

❀ ❀ ❀

☐ ممّا يُنسب لأبي نواس، ولم أجده في ديوانه المطبوع في هذه الأيام:

لا تحسبيني هويت الطهر حيدرةً | لِفَضْلِهِ وعُلاهُ في ذَوي النَّسَبِ
ولا شجاعته في يَوم معركةٍ | ولا التَّلَذُّذَ في الجنّات من أَرَبِ
لكنْ عرفتُ هو السّرّ الخفيُّ وإنْ | أَبَحْتُه حَلَّلوا قَتْلي وكُفرَ أبي
وصَدّهم عنه دَاءٌ لا دَوَاءَ له | كالمِسْك يُعْرِض عنه صاحبُ الكَلَبِ

❀ ❀ ❀

غزلٌ للمؤلف:

يـا غَـزَالاً قـد غـزا | قـلـبي بأجناد المَحَاسنْ
هـذا قِـوَامـك لـيِّنٌ | فَلِمَ عليَّ القلب قاسٍ
أتـراكَ تـمـنـعُ شاربـاً | من ماء حبّك غير آسنْ
أو راتِـعـاً فـي ورد خَـدٍّ | قَدْ تَوَّجوهُ بالسَّوَاسِنْ

جُــرْحٌ بــقــلــبــي مــا لَــهُ إلاّ الــرِّضــا والــوصــل آسِ

❀ ❀ ❀

☐ وله من النوع المعروف بأبي ذيّه (كذا):

يا يوم نَحَرْني عاصبٌ مُقدَّر[1] وشعره على طول قَدِّهِ مقدّر[2]
سَلَبْ عقلي وقال هذا مقدّر[3] يا ويلي كلّ ذا مقدَّر عليا

❀ ❀ ❀

☐ لبعضهم، وهو غاية في بابه:

نَقَلَ السَّحابُ حِكايةً عن مَدْمعي تَاللّه ما نَقَلَ الحديث كما جَرى
وسالتْ دمعي أن يزيد فقال لي: يا ظالماً أَوَمَا كَفَى ما قد جرى؟!

❀ ❀ ❀

(1) مُقَدَّر: عصابة صغيرة توضع على الرأس.
(2) مقدَّر: على مقداره.
(3) مقدّر: من القضاء والقَدَر.

قناع العَذارى[1]

بسم اللّه الرحمن الرحيم

□ الحمد للّه الذي وفّق كلّاً لما خُلق له، وأهّله لما به جمّله وكمّله، وأسعفه على ما حمّله، وصلّى اللّه على كل نبي أرسله ووليٍّ فضَّلَهُ، لا سيما خيرُ نبيّ أنهله ببحر كتاب أنزله، وحديث فصَّله، وآله وأصحابه التابعين له، الواردين مَنْهله، أمّا بعد:

□ فَلَا يخفى أن من نظر بعين الاعتبار، وفكّر فيما قَدَّره العزيز الجبّار، وما يحدثه في آناء اللّيل وأطراف النهار وجد من الآيات على قدرته وكمال تصرّفه ما يُرجع الطَّرْفَ كليلاً والفكر عليلاً، ورأى أنّ نَظْم سبحة المخلوقات في سلك التكوين، يبهر الناظرين ويُعجز الواصفين، لا سيما هذا النوع الإنساني الذي هو بمنزلة الواسطة لذلك العِقْد، والشمس لهاتيك القلادة، فإنه المخلوق في أحسن تقويم، والكارع ماء النعيم، فإن لم يستقم فغسلين الجحيم، بل هو النسخة المختصرة من عُلْويّ العالم وسُفْليّه، والسفينة الجامعة لِجَيّد المَتاع ورديئه، وعليه دار الفلك الدّوار، وله خلق القادر المختار درجات الجنة ودركات النار، وفيه حار الفيلسوف ومنه يُنكَرُ المُنكر ويُعْرَفُ المعروف، فهو سلطان العالم وإن هبط من المحلّ الأشرف، ومصداق قول الحق تقّدس وتعالى: كنتُ كنزاً مخفيّاً فخلقت الخلق لكي أُعرف، ولما أبدعه جلّ جلاله ذَكراً سويّاً من صلصال كالفخّار، خلق منه زوجه الأنثى لِيُتِمَّ مظهر الاقتدار، ولم تزل سلطنة الشرف والمجد والقدرة والمتبوعيّة وسائر أنواع الخبر في الذّكر من لدن تسْوية البشر إلى أن يقف الفَلَك المُدار، وينادي المُنادي لِمَن الملك اليوم، للّه الواحد القهّار.

---

(1) العنوان من وضع المؤلف.

☐ فلا تلتفت يا رَعَاك اللّه إلى ما تداوله إخواننا المسيحيّون فيما بينهم وسارت به الركبان وسُطّر في الدفاتر وجُعل كأنه أصلٌ من أصول الدين، من مساواة النساء بالرجال، أو تقديمهن عليهم في سائر الأحوال، حتى أنه صار الرجل منهم في بلاد أوروبا وغيرها إذا مشى مع المرأة لا يسوغ له أن يتقدّمها، بل المندوب إليه والمرغوب به أن تتقدّمه ويمضي خلفها مشيَ التابع وراء متبوعه، وإذا دخل أحدٌ دارَ أحدهم سلّم عليها قبل زوجها، وإن فعل غير ذلك استزرَوْهُ ونسبوه إلى قلّة الأدب، وإذا كان الرجل منهم خارج داره، وجاء فنظر آثار رجل غريب، من حذاء أو رداء أو غير ذلك، رجع ولم يدخل لئلّا يكدّر عليها مزاجها.

وزعموا أن النساء مأموناتٌ على فروجهنّ وسائر أفعالهنْ وأقوالهنّ، وأنه لا فرق بينهن وبين الرجال في سائر الأقوال والأفعال، وساووا بين النوعين في المدارس والمجالس وكافة النّفائس والخَسائس، وزاد الطُّنبور نغماً والتنّور ضَرَماً أن صار علماؤهم يتبجّحون بذلك ويخطبون على المَنَابر ويُسطّرون في الدفاتر ويطبعونه في المَطَابع ويتلونه في المَجَامع.

وقد وقفتُ للكثير من علمائهم في ذلك على فصول كثيرة، طويلة وقصيرة تلويحاً وتصريحاً مآلها إلى تحسين ذلك وإلى تخطئة العرب والمسلمين وسائر المتقدّمين في استعمال الخَفَارة وعدم تمكّن النساء من العلوم والمَعَارف، وحَجْبهنّ عن الرجال والمَجَالس، وأن ذلك ناشئٌ عن التوحّش وعدم التمدّن، وأن روح العصر الآن في كمال يُرجى أن تقود نساؤه ما تعاصى على رجال الأعصر السابقة، فألْجَأتْني الغيرة الدينيّة والنّخْوة العربية إلى أن أكتب في هذه القضيْة ما هو الحقّ، وأُجيب عن التلفيق بالصدق، وزادني رغبةً في القدوم على ذلك أن الدّاء قد يعدي، ورأيت تركَ الكلام في ذلك حَيْفٌ على الشّرائع وهَتْك لربّات الخُدور والمَخَادع فأقول وما توفيقي إلّا باللّه:

☐ إن تقديم النساء على الرجال، أو مُساواتهنّ في العقل أو في غالب الفَضَائل وإطلاق العنان لهنَّ على الوجه المذكور وتبرّجهنّ كذلك، خطأٌ واضح وزعم فاضح. والكلام على ذلك يقع في مقامين: الأول: في الدليل على ما نقوله والإمارات المُرشدة إليه، وهي كثيرة أسرد عليك منها ثمانية:

أحدها: إن الحكمة الربّانية والأسرار المَلَكوتية والنظام التكويني، قاضية بالتفرقة ومُوجبة، لِنقصانهنّ عقلاً وديناً وخَلْقاً وخُلُقاً وتكليفاً.

وذلك أنه لما كوّن اللّه بحكمته الإنسان على التمدّن والتَّنَاسل، كان ذلك مُوجباً لأن يكون قسمين، ذكراً وأنثى، ولكُلّ عملٌ يشغله، وخَلْقٌ وخلُقٌ يفصله، فجعل تعالى الرجل قويّاً شديداً في بَدَنه وعقله ورأيه وأعماله، وجعل المرأة ضعيفة في ذلك كُلّه ومَيّز بينهما في الخَلْق، فجعله فخيم الأعضاء وجعلها رقيقة الأعضاء، فَدَلَّ ذلك بأكمل إشارة على أنّ عليه الكسب والجهاد وسائر الأعمال الشّاقة، وأنّ عليها الأعمال الخفيفة من طبخ وخبز ونسيج وغير ذلك من الأعمال البدنية التي ليست بتلك المَشَقّة، ولا يُحتاج فيها غالباً إلى الخروج من الخِدْر.

☐ وجعله بقضيب وأنثيين ولحية وشاربين وشعر كثير في غالبهم على الصدر والساعدين شَثِنَ[1] أصابع اليدين إلى غير ذلك. وجعلها بفَرْج محصور بالفخذين، مَلْساء الوجه، ناعمة البَدَن رقيقة الأطراف، مهضومة الكشح، ردماء الكعبين، خَدْلَةَ[2] الساقين، رخيمة المنطق إلى غير ذلك من صفاتها الخاصة بها غالباً. فكان ذلك أصْرح رَمز إلى إطلاقه لكلّ ناظر، وقَيَّدها على حليلها ولُزومها مَخدعها، وإلّا لكانت أكْلَةً لكلّ آكل، وفريسةً لكلّ مُفترس.

وجعلها بثديين كبيرين وبطن قابلة للاتّساع، وفرج ذي مدخل إلى الرحم، وجعله بخلاف ذلك، فدلّ عَيَاناً على تهيئتها، للحمل والولادة والرّضاع وتهيئتهُ لخلاف ذلك ممّا يعرفه من تأمّل في أعضائه وأعضائها.

☐ وليس الحالة ذلك فيما يستويان في الاحتياج إليه كالسّمع والبصر والشّمّ والذوق وغيرهما ممّا تَمسّ حاجتهما جميعاً إليه، ومَيَّز بينهما في الخُلْق فجعله قويّ الرأي مُنشرح الصدر حمّالاً للهموم صبوراً على الشّدائد، وجعلها ضعيفة الرأي ضيّقة الصدر سريعة الجزع.

☐ فكان ذلك أعظم بُرهان على تكليفه بالعلوم والمَعَارِف، وإبْرازه نفسه

(1) شَثِن: خشن، غليظ.
(2) **خَدْلَةٌ**: ممتلئة، عظيمة الساق.

للهموم والشّدائد، وشغَلَه بالمهمّات، وشَغَلها بتربية البنين والبنات ورنينها[1] من مُرْزئ المصيبات:

خُلِقْنا رجالاً للتجلُّد والأسى … وهُنَّ رَبيْبَات الأسى والمَصَائبِ
كُتبَ القَتْلُ والقتالُ علينا … وعلى الغانياتِ جَرُّ الذّيولِ

□ وللّه درّ بعض العرب، وقد بُشّر ببنت، فقال: واللّه ما هي بِنِعْمِ الولد، نصرها بكاء وبزّها سرقة.

وكسرى أنوشروان، حيث كتب على تاجه في ما أُثر عنه: ذُلُّ الدنيا ثلاث: الدَّين وَلَو درهماً، والبنت ولو مريم، والسّؤال ولو كيف الطريق.

وفي الحديث: نعمَ الصّهر القَبْر.

ومن أمثلة العرب: دَفْنُ البنات من المَكْرُمات.

□ وميّز بينهما في المَناصب، فجعل من الرجال الأنبياءَ والرُّسُل والقُضاة والأحبار والقسّيسين والملوك والوزراء وقُوّاد الجيوش ووُلاة الأحكام وأئمة الجَمَاعات.

□ وجعل من النساء، المتبتّلات والمقصورات على خُدورهنّ والمشغولات بزينتهنّ والمغموسات بجهلهنّ والحافظات لبيوتهنّ والمُربيات لأطفالهنّ ومَيّز بينهما في الدين، فجعل في شريعة الإسلام على الرجال الجهاد وإتمام الصلاة، إذْ لا تعتريهم حالةٌ تُتْرك فيها الصلاة.

وجعل لهم الميراث تامّاً، وجعلهم مرجعاً للنساء قَوَّامين عليهنّ في سائر الأحوال.

□ وجعل النساء لا جهادَ عليهنَّ، تاركات للصلاة أيّام الحيض، مُؤَخّراتٍ على الرجال في موقف العبادة، ناقصات المِيراث، للمرأة نصف حظّ الرجل، ناقصات الشهادة، مأمورات للرجال في غالب الأحوال، إلى غير ذلك من الأحكام التي فرَّق فيها بين الرجال والنساء.

□ وكذا الحال في شريعة اليهود والنّصارى، فإنه مُفرّق بينهما في غالب

(1) **الرنين**: الصوت الحزين.

الأحكام الشرعية، منها ما في التوراة، في سفر الأحبار في الإصحاح السابع والعشرين:

أي رجل نَذَر نَذْراً وعاهد اللَّه أن يهب نفسه، فَلْيُعْطِ الثمن كحسب القيمة، فإن كان ذكراً من ابن عشر سنين إلى ستّين، فَلْيُعْطِ خمسين مثقالاً من الفضّة، وإن كان امرأة، ثلاثين مثقالاً. ومن الخامسة إلى العشرين، الذكر عشرين والأنثى عشرة، ومن الشهر إلى السنة الخامسة، الذكر خمسة والأنثى ثلاثة، ومن الستّين فما فوق، الذكر خمسة عشر والأنثى عشرة.

□ وفي الإصحاح الثاني والعشرين من تثنية الاشتراع: لا تلبس الامرأة لبس الرجل، ولا يلبس الرجل لباس الامرأة، من أجل أن ذلك مبغوض قُدّام اللَّه.

إلى غير ذلك من الأحكام المُفَرَّق فيها بين الرجال والنساء، في كلّ من التوراة والإنجيل، وعلى وجه لا يرتاب لِمُتأمّلٍ فيها أن المرأة ناقصة عن الرجل في جميع الأمور، إلّا ما كان لحاجة لهما سَواء ممّا لا يذهب بهنَّ إلى خِلاف ما طُبِعْنَ عليه وخُلِقْنَ لأجله ممّا تدعو إليه ضرورة النظام.

ثانيها: إن تكليف الإنسان فوق وُسْعه ممّا أحالته العقول ومَنَعته الشرائع، وإذا كَلَّفْتَ النساء بما تُكَلَّفُ به الرجال، تكون قد كَلَّفْتَهنَّ بما فوق وسعهنّ، وبَيان ذلك أن الأنثى إلى أن تصير بنت تِسْعٍ مشغولة بِمَشَاغل الصبيّ، لا تقدر أن تُكلّفها بأكثر من شيء يسير من الصناعات، من خياطة أو نساجةٍ أو طبخ أو إرشاد لشيء يسير من قراءة وتعليم صلوات وتقديسات ونحو ذلك من العبادات.

فإذا بلغت التسع فما فوق، تَهَيّأت للزواج واشتغلت بإصلاح نفسها وغَسْل حيضها ومسح دَمه وتبديل الخِرَق له وتناولتها أَلْسِنة الخُطّاب لها.

فإذا تزوّجت كانت أشغل من ذات النِّحْيَيْن[1] ففي ليلها تحت زوجها، وفي

(1) أشغل من ذات النِّحْيَيْنِ: مثل يُضرب لكل مُشتغل، وأصله أن امرأة بدوية شهدت سوق عكاظ بِنِحْيَيْنِ من سَمن فجاء فتى من العرب ليشتري فقال: افتحي هذا النِّحي، ففتحته فنظر فيه، ثمَّ أعطاها إياه لتمسكه، ثمَّ فتح الآخر وأمسكها إياه باليد الثانية، فلما أشغل كلتا يديها رفع ثوبها وأخذ يجامعها ولم تقدر على ردّة خوفاً على نِحْيَيْها، فضُرِبَ بها المثلُ، **والنِّحي**: الزّق، للخمر أو السمن.

نهارها بتحسين وجهها وزجّ حَوَاجبها وكَنْس بيتها وإصلاح طعامها.

☐ فإذا حملت، اصطلمتها البليّة، فيوماً وحاماً، ويوماً أنيناً، ويوماً يركض الجنين ببطنها، ويوماً لا تقدر على النهوض بثقله، ويوماً يأخذها الطّلق، فلا تلده حتى تشاهد الموت غَصّة بعد غصّة، فإذا ولدته كانت الطّامة الكبرى والشُّغل الشّاغل، فساعةً للرضاع، وساعة لتحريك المهد، وساعةً لتنظيف الولد، وساعةً لتعليله، وساعةً لزوجها، وساعةً لِبَيتها، حتى أنها لَتَنْشغل عن إصلاح نفسها.

☐ ثم لا يزال هذا دأبها حتى تبلغ سنّ الخمسين ونحوها، وحينئذٍ تقع في سنّ العجز ويكثر عليها السّهو، وتحتاج إلى من يخدمها، وتشتغل بالسّعال والأصداع وسائر الأوجاع، وتنسى ما كانت عليه من الأوضاع. فقُلْ لي، عافاك اللّه، أيها العارف كيف تكلّفها بتحصيل العلوم والمَعَارف، هل هذا إلّا تكليف ما لا يُطاق، وحمل النفس على ما فوق وسعها؟

☐ ثالثها: إنّ مساواة الرجال للنساء وكثرة مُخالطتهنّ وتعلّقهنّ على ما يتعلق بالرجال، توجب الفساد الأعظم الذي يُخشى حصولُه من اختلاط الأنساب، وذلك أن النساء لضعف عقلهنّ، ومَيْل النفوس إليهنَّ إذا خالطن الرجال وأخذنَ معهم في غالب الأعمال، وكَشَفْنَ عليهم، طمحت أعين الرجال إليهنَّ وأدّى ذلك إلى أن يقع على المرأة الواحدة في اليوم الواحد، عشرة من الرجال أو أقلّ أو أكثر، فيولد الولد لا يُعرف أباه، ولا تستنكر ذلك على المُخالطة، فإن ذلك واضح بالعَيَان.

☐ ولقد نُقل إلينا أنه يوجد في باريس في كل شهر، ما ينوف عن المائة لقيط أو أكثر، لا يُعرف آباؤهم، ولا نُكْر في ذلك بعد أن يكون الحمّام شركة بين الرجال والنساء، كما ذكره الطهطاوي[1] وغيره ممن دخل تلك البلاد.

☐ وذكر أهل السِّيَر عن بعض بنات ملوك العرب، أنها حملت من أحد عبيد

---

(1) هو **رفاعة بن رافع الطهطاوي** (1801 ـ 1873) من أركان النهضة العلمية الحديثة بمصر تعلّم في الأزهر وأتمّ ثقافته في فرنسا على يد كبار المستشرقين، عرّب الكتب العلمية وحرّر جريدة «الوقائع» المصرية، يُعتبر من روّاد الصحافة العربية الأوائل. ولد بِطَنْطَا وتوفي بالقاهرة.

أبيها، فقيل لها: ما دَعاكِ إلى ذلك؟ فقالت: حُبُّ السفاد[1] وقُربُ الوساد. ولهذا حَرَّمتْ شريعتنا أو كرّهت أن يخلو الرجل بالمرأة الأجنبية في بيت واحد.

وجاء في الحديث أنه: لا يخلو رجل وامرأة أجنبية في بيت واحد، إلّا وكان الشيطان ثالثهما. ولله درَّ القائل:

لا تَأْمَنَنَّ على النساء ولو أَخَاً ... ما في الرجال على النساء أَمينُ

إنّ الأمين وإنْ تَكَثّر ودُّهُ ... لا بُدّ أنّ بنظرةٍ سَيَخُونُ

رابعاً: إن اللّه سبحانه، منذ خلق الخليقة، لم يَخلُ عصرٌ من خليفة منذ آدم إلى خاتم الأنبياء ﷺ. فكان آدم خليفة وحجّة على أولاده، ثم شيت وأنوح، وإبراهيم وموسى وعيسى ومحمد وغيرهم ممّن بينهم من الحُجج، ولم يُسمعْ أن جعل امرأةً واحدةً حُجّة على غيرها من رجال ونساء، ولو كان لهنّ القابلية لجعْل واحدةً من الآحاد، ولو في عصرٍ من الأعصار، حُجَّةً ولو على مثلها من النساء، وهذا أكمل دليل على أنهنَّ لَسْنَ أهلاً للمعارف وتحمّل الأسرار ولا لشيء يُوجب اشتهارهنّ. وما أحسن ما قال مولانا عليّ، كرّم اللّه وجهه وسلّم عليه: «المرأة ريحانة وليست قهرمانة».

وقال بعض العلماء من وُلْدِه: «إذا قدَّرتَ أنها لا تعرف غيرك فافعلْ».

☐ خامسها: ما صدعت به الشرائع المقدّسة، وجاءت به الرُّسُل المُكَرَّمة من وجوب قَصر النساء على حِجَالهنّ، وعدم قُبُولهنّ لما تقبله الرجال، وتفضيل الرجال عليهنّ، ووجوب طاعتهن للرجال وعدم الاتكال على آرائهنّ.

☐ قال جلّ وعلا في الكتاب العزيز: ﴿ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ بِمَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ وَبِمَآ أَنفَقُواْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْۚ فَٱلصَّٰلِحَٰتُ قَٰنِتَٰتٌ حَٰفِظَٰتٌ لِّلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ ٱللَّهُۚ وَٱلَّٰتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَٱهْجُرُوهُنَّ فِي ٱلْمَضَاجِعِ وَٱضْرِبُوهُنَّۖ فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلَا تَبْغُواْ عَلَيْهِنَّ سَبِيلًاۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيًّا كَبِيرًا﴾[2].

(1) **السفاد**: الجماع.
(2) سورة النساء، الآية: 34.

وقال تقدّس وتعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ تَبْتَغِي مَرْضَاتَ أَزْوَاجِكَ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾[1].

□ وقال تعالى: ﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ ۝٣٠ وَقُل لِّلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ آبَائِهِنَّ أَوْ آبَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَائِهِنَّ أَوْ أَبْنَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي أَخَوَاتِهِنَّ أَوْ نِسَائِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ أَوِ التَّابِعِينَ غَيْرِ أُولِي الْإِرْبَةِ مِنَ الرِّجَالِ أَوِ الطِّفْلِ الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا عَلَى عَوْرَاتِ النِّسَاءِ وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِن زِينَتِهِنَّ وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾[2].

□ وقال تعالى خطاباً لنساء النبي: ﴿فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَّعْرُوفًا ۝٣٢ وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى﴾[3].

□ وقال تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَاسْأَلُوهُنَّ مِن وَرَاءِ حِجَابٍ ذَلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ﴾[4].

□ وقال سبحانه: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلَابِيبِهِنَّ ذَلِكَ أَدْنَى أَن يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ۝٥٩﴾[5] إلى غير ذلك من الآيات القرآنية الدّالة على سلطنة الرجل على المرأة وعلى وجوب الستر عليها وقرارها في بيتها وعدم تعرّضها للأجانب.

□ وفي الأحاديث المُعتبرة: جاءت امرأة إلى النبي ﷺ فقالت: يا رسول اللّه ما حقّ الزوج على المرأة؟ فقال: «أن تطيعه ولا تعصيه ولا تتصدّقَ من بيته إلا بإذن ولا تصوم تطوعاً إلا بإذنه ولا تمنعه نفسها وإن كانت على ظهر قتب[6] ولا تخرج

(1) سورة التحريم، الآية: 1.
(2) سورة النور، الآيتان: 30 ـ 31.
(3) سورة الأحزاب، الآية: 32.
(4) سورة الأحزاب، الآية: 53.
(5) سورة الأحزاب، الآية: 59.
(6) **القَتَب**: رحل الناقة.

من بيتها إلا بإذنه وإن خرجت من بيتها بغير إذنه لعنتها ملائكة السماء وملائكة الأرض وملائكة الغضب وملائكة الرحمة حتى ترجع إلى بيتها». قالت: فما لي عليه من الحق مثلما له علي؟ قال: «ولا من مائة واحدة».

□ وبمعناه في الأحاديث كثير على وجه هو داخل في المُتَواترات بل الضروريات.

□ وقال في التوراة في الإصحاح الثالث من سفر التكوين: «قال، يعني الرّب لِلإمرأة لَأُكْثِرُ أَوْجَاعكِ وحَبلك في الوجع تَلِدين البنين وتكونين تحت سلطان الرجل وهو يتسلّط، عليكِ وللرجل إنك سمعت لصوت امرأتك وأكلت من الشجرة التي أمرتك أن لا تأكل منها فملعونة الأرض بعملكَ، بالتعب تأكل منها كلّ أيام حياتك.

□ وقال في الإصحاح الثلاثين من سفر العدد: إنَّ نَذْرَ المرأة التي لها أب وهي غير مزوّجة، إذا أبطله أبوها يبطل، وذات الزوج إذا أبطله زوجها يبطل».

□ وفي الإصحاح الرابع والعشرين من سفر التثنية: «إذا طلبتَ من قريبك شيئاً لك عنده، فلا تدخل بيته لتأخذ الرّهن، ولكن قُمْ خارجاً وهو يُخرج لكَ ما كان لك».

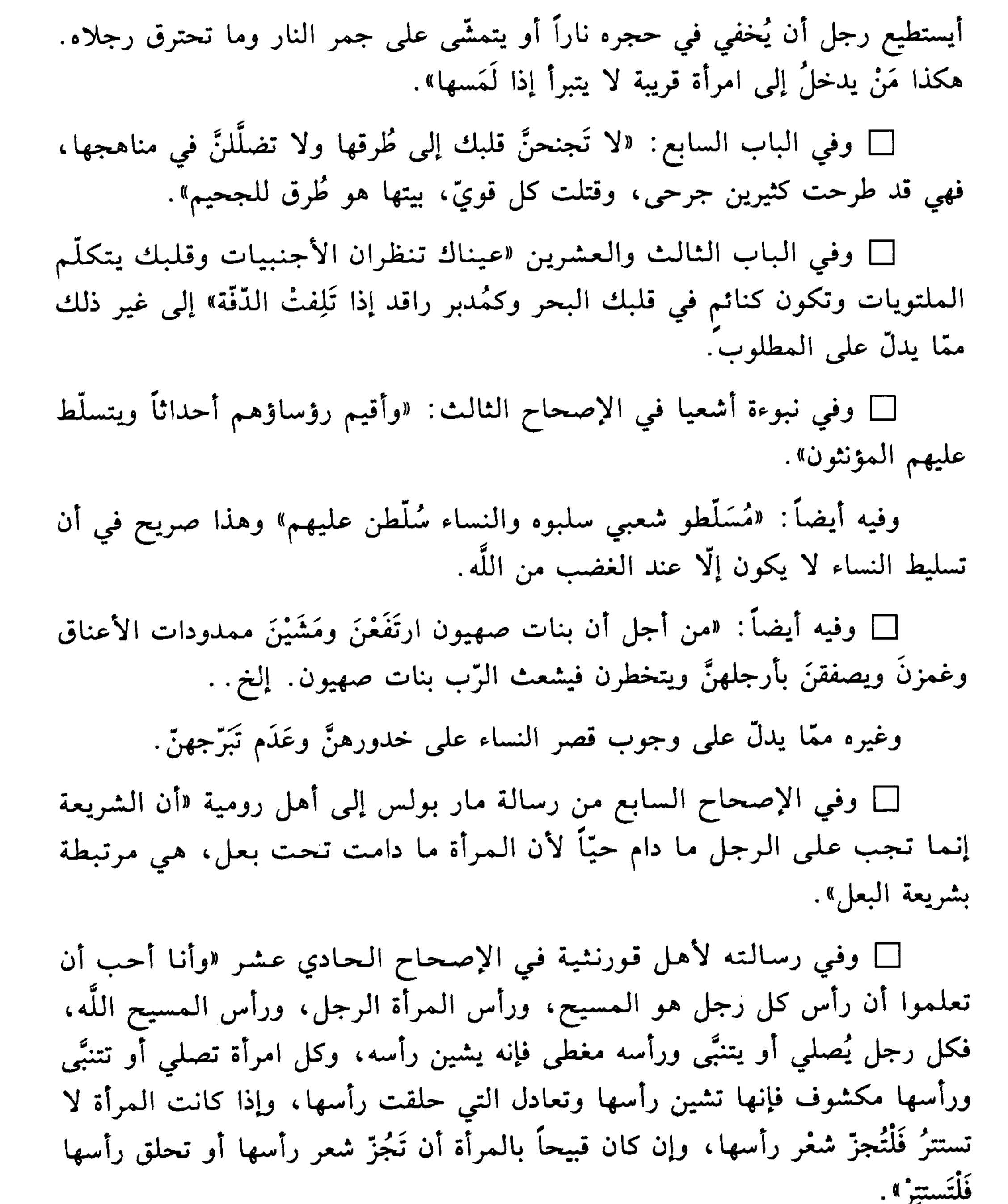
□ وفي الإصحاح الخامس والعشرين منه: «إذا تَخاصم رجلان وسَبَّ أحدهما الآخر، وأرادت امرأة أحدهما تخلّص زوجها فمدّت يدها، فأخذت بعَوْرته، فاقطع يدها ولا ترحمها بشيء».

□ وفي سفر الأمثال، في الباب الخامس: «لا تُصْغِ إلى مَكْر الامرأة، لأن شفتيّ الامرأة الأجنبية تسكبان عسَلاً وحَنجرتها ألطف من الدهن ثم عاقبتها مُرّة كالعلقم ومُرهفة كسيف ذي قَمين[1]، رجلاها تنحدران إلى الموت وخطواتها تنفذ إلى الجحيم».

□ وفيه في الباب السادس: «لتحفظك من إمرأة رديَّة ومن لطافة لسان غريبة

---

(1) **قَمين**: سريع القَطع.



أيستطيع رجل أن يُخفي في حجره ناراً أو يتمشّى على جمر النار وما تحترق رجلاه. هكذا مَنْ يدخلُ إلى امرأة قريبة لا يتبرأ إذا لَمَسها».

□ وفي الباب السابع: «لا تَجنحنَّ قلبك إلى طُرقها ولا تضلّلنَّ في مناهجها، فهي قد طرحت كثيرين جرحى، وقتلت كل قويّ، بيتها هو طُرق للجحيم».

□ وفي الباب الثالث والعشرين «عيناك تنظران الأجنبيات وقلبك يتكلّم الملتويات وتكون كنائمٍ في قلبك البحر وكمُدبر راقد إذا تَلِفتْ الدّفّة» إلى غير ذلك ممّا يدلّ على المطلوب.

□ وفي نبوءة أشعيا في الإصحاح الثالث: «وأقيم رؤساؤهم أحداثاً ويتسلّط عليهم المؤنثون».

وفيه أيضاً: «مُسَلّطو شعبي سلبوه والنساء سُلّطن عليهم» وهذا صريح في أن تسليط النساء لا يكون إلّا عند الغضب من اللّه.

□ وفيه أيضاً: «من أجل أن بنات صهيون ارتَفَعْنَ ومَشَيْنَ ممدودات الأعناق وغمزنَ ويصفقنَ بأرجلهنَّ ويتخطرن فيشعث الرّب بنات صهيون. إلخ..

وغيره ممّا يدلّ على وجوب قصر النساء على خدورهنَّ وعَدَم تَبَرّجهنّ.

□ وفي الإصحاح السابع من رسالة مار بولس إلى أهل رومية «أن الشريعة إنما تجب على الرجل ما دام حيّاً لأن المرأة ما دامت تحت بعل، هي مرتبطة بشريعة البعل».

□ وفي رسالته لأهل قورنثية في الإصحاح الحادي عشر «وأنا أحب أن تعلموا أن رأس كل رجل هو المسيح، ورأس المرأة الرجل، ورأس المسيح اللّه، فكل رجل يُصلي أو يتنبّى ورأسه مغطى فإنه يشين رأسه، وكل امرأة تصلي أو تتنبّى ورأسها مكشوف فإنها تشين رأسها وتعادل التي حلقت رأسها، وإذا كانت المرأة لا تستترُ فَلْتُجزّ شعْر رأسها، وإن كان قبيحاً بالمرأة أن تَجُزّ شعر رأسها أو تحلق رأسها فَلْتَستتِرْ».

ـ وفيها أيضاً «ليس الرجل من الامرأة بل الامرأة من الرجل، لأنه لم يخلق الرجل من أجل الامرأة، بل الامرأة من أجل الرجل».

- وفيها، في الإصحاح الرابع عشر «فَلْتكن النساء في البيعات صَوَامت فإنه ليس بمأذون لهنَّ أن يتكلّمنَ بل يخضعن، كما قال، الناموس، وإن أحببنَ أن يتعلّمنَ شيئاً فَلْيَسْأَلنَ أزواجهنّ في بيوتهنَّ فإنه شَيْنٌ بالنساء أن يتكلّمنَ بالبيعة».

- وفي الإصحاح الخامس في رسالته لأهل أفسس «والنساء فَلْيَخضعنَ لأزواجهنّ كما للرّب، لأن الرجل رأس المرأة، كما أن المسيح رأس الكنيسة وكما أن الكنيسة تخضع للمسيح، كذلك النساء لأزواجهن».

- وفيه أيضاً «فَلْتَكُن الإمرأة تَهاب رجلها».

- وفي رسالته لأهل قولاسيس: «يا أيّها النساء اخْضَعْنَ لبعولكن».

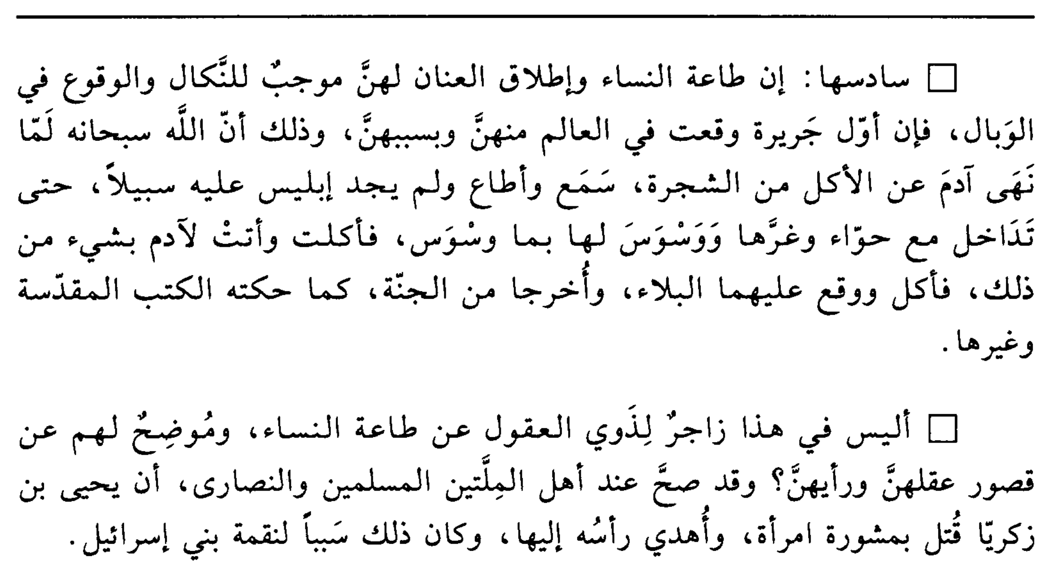
- وفي رسالته لأهل طيماثاوس «وكذلك النساء بزي اللباس بالاستحباب والتعفّف يتزيين لا بجعد الشعر أو الذهب أو اللؤلؤ أو الثياب المُثمّنة ولكن كما يجب للنساء متعهّدات بالتقوى بأعمال صالحة، فالمرأة لتتعلّمْ بالسكوت، بكل الخضوع، ولستُ آذناً للمرأة أن تُعلّم ولا تتسلّط على بعلها، بل فلْتكنْ بوَداعة، فإن آدم جُبل أولاً وبعده حوّاء، ولم يطغَ آدم، بل المرأة طَغتْ بالتعدّي».

وفي رسالته إلى طيطوس «لِيَحْببنَ أزواجهن ويودَدْنَ أبناءهنّ ويكنّ عاقلات غافلات عفيفات صاحيات يهتممنَ بمصلحة بيوتهن، سهلاتٍ، ويخضعن لبعولتهنْ لئلا يُفترى على كلمة اللّه».

- وفي رسالة مار بطرس الأولى، في الإصحاح الثالث:

«وهكذا النساء فَلْيَخْضَعْنَ لأزواجهنّ، وهكذا وكُنَّ قديماً النساء القدسيات اللواتي يتوكلن على اللّه وكنّ يتزيّنَ بالخضوع لأزواجهن، كما سارة فإنه كانت تُطيع إبراهيم وتدعوه لها سيّداً».

- إلى غير ذلك مما دلَّ من القرآن والتوراة والإنجيل وأقوال الأنبياء على أن المرأة تابعة للرجل وتحت طوعه وأنها غير مُكلَّفة إلّا بإصلاح نفسها وبيتها وتربية أولادها.



□ سادسها: إن طاعة النساء وإطلاق العنان لهنَّ موجبٌ للنَّكال والوقوع في الوَبال، فإن أوّل جَريرة وقعت في العالم منهنَّ وبسببهنَّ، وذلك أنّ اللّٰه سبحانه لَمّا نَهَى آدمَ عن الأكل من الشجرة، سَمَع وأطاع ولم يجد إبليس عليه سبيلاً، حتى تَدَاخل مع حوّاء وغرَّها وَوَسْوَسَ لها بما وسْوَس، فأكلت وأتتْ لآدم بشيء من ذلك، فأكل ووقع عليهما البلاء، وأُخرجا من الجنّة، كما حكته الكتب المقدّسة وغيرها.

□ أليس في هذا زاجرٌ لِذَوي العقول عن طاعة النساء، ومُوضِحٌ لهم عن قصور عقلهنَّ ورأيهنَّ؟ وقد صحَّ عند أهل المِلَّتين المسلمين والنصارى، أن يحيى بن زكريّا قُتل بمشورة امرأة، وأُهدي رأسُه إليها، وكان ذلك سَبباً لنقمة بني إسرائيل.

□ وفي الإصحاح الحادي والعشرين من سفْر الملوك الثالث من التوراة ما مُلخّصه «أنّ أخاب ملك سام أطاع زوجته في أخذ بستان لابوت الإزراعيلي، فانتقم اللّٰه منه ومن بنيه وأكلته الكلاب.

□ وفي سفر أحوال سليمان ما ملخّصُهُ: أنه عبَدَ آلهة نسائه لحُبّه لهنّ، وذهب الملك ولم يُبقِ إلّا سيفٌ واحدٌ.

□ وفي أحوال شمنون ما ملخّصه: أن أعداءه لم يعرفوا ما يقدروا عليه به حتى أتوا امرأته، فلم تزل به حتى أسرَّ إليها بما يوثقه، فوقع في أيديهم بركونه إليها.

□ وجاء في آثارنا أن رجلاً من أتقياء بني إسرائيل، وعده اللّٰه باستجابة ثلاث دعوات، فأخبر امرأته بذلك، فطلبت منه واحدة، وهي أن يجعلها أحسن نساء بني إسرائيل، ولم تزل حتى أجابها ودَعَا لها، فكان ذلك، فطمحت إليها الأعين ولعب بها الشيطان، فغار زوجها من ذلك، فدَعا اللّٰه أن يمسخها، فمُسخت كلبة، فلما رأى أولادها ذلك، ألحّوا على أبيهم بردّها إلى حالها الأولى فدعا اللّٰه فردّها، فذهبت الدعوات الثلاث وضاع حَظّه الوافر بطاعة المرأة.

ـ ولو أردتُ أن أقِصَّ عليكَ ما صَحَّ وقوعه من الوَبَال الذي وقع بسبب طاعة

النساء وفَسَاد آرائهنَّ قديماً وحديثاً، لأشغلتك بتلاوته دهراً. ومن هنا صحَّ عن نبيّنا ﷺ أن قال: «أعصوهنَّ في المعروف قبل أن يأمُرنكم في المنكر، وتعوّذوا باللّه من شِرَارِهنَّ، وكونوا من خِيارهنَّ على حَذَر»[1].

□ وقال: «النساء لا يُشاورن في النجوى ولا يُطَعْنَ في ذوي القربى، إن المرأة إذا أسنّت، ذهب خيرُ شطريها وبقي شرُّهما، وذلك أنه يعقم رحمها ويسوء خُلقها ويحدّ لسانها، وإن الرجل إذا أسنّ ذهب شرّ شطريه وبقي خيرهما، وذلك أنه يؤوب عقله ويَسْتحكم رأيه ويَحْسُن خُلُقُه».

□ وصحّ عنه ما مضمونه: «شاوروهنّ وخالفوهنّ فإن الرُّشْدَ في خلافهنّ».

□ وقال سيدنا علي بن أبي طالب كرَّم اللّه وجهه: «لا تُطلعوا النساءَ على حال ولا تُؤمنوهنَّ على مال ولا تَذَرُوهنَّ إلّا لتدبير العيال».

□ وقال في رسالة لابنه الحسن: «لا تملك المرأة من الأمر ما تُجاوز نفسها، فإن ذلك أنعم لحالها وأرخى لِبَالِها وأدْوَم لجَمَالها، فإن المرأة ريحانة وليست بقهرمانة، ولا تعد بكرامتها نفسها، واغْضضْ بصرها بسترك واغْضُضْها بحجابك ولا تُطعمها إن تَشفع لغيرها، واستبق من نفسك بقيّة، فإن إمساكك نفسك عنهنَّ وهُنَّ، يَرَيْنَ أنك ذو اقتدار، خير من أن يَرَيْنَ منكَ حالاً على انكسار».

□ وقال لقمان: «لا تأمَنَنَّ امرأةً على سرّ ولا تَطَأ جارية تريدها للخدمة».

ـ وقال كسرى ابرويز: «القدر وطاعة النساء يؤديان إلى الغرم الثقيل».

وقال بعض الحكماء: «إعص النساء وهواك وافعلْ ما شئت».

---

(1) وحسبنا تحذير نبيّنا ﷺ منهن: «نعوذ باللّه من شرار النساء، وكونوا من خيارهنّ على حذر فإنهن لا يُسَارعنَ إلى الخير، بل هنّ إلى الشرّ أسرع». انظر: «**آداب الملوك**»، لابن رزين الكاتب، من علماء النصف الثاني من القرن السادس الهجري، ص 40، تحقيق جليل العطية، دار الطليعة ـ بيروت.

ـ وقال بعضهم: «لا تثق بامرأة ولا تغترِرْ بمالٍ وإن كَثُرَ».

ـ وفي حكمة داود: «وجدتُ في الرجال واحداً في ألف ولم أجد واحدة في جميع النساء».

وقال الشاعر:

وَلا تَامَنْ لِأُنثى قَطُّ يوماً ... ولَوْ قَالَتْ نَزَلْتُ منَ السَّماءِ

وقال آخر:

لا تَامَنِ الأُنثى زَمَانَكَ كُلَّهُ ... يوماً وإن حَلَفَتْ يَميناً تَكْذِبُ

وقال آخر:

لا تَرْكُنَنَّ إلى النِساء ... وَلا تَثِقْ بِعُهُودِهِنَّ
فَرِضاؤُهُنَّ جَمِيعُهُنَّ ... مُعَلَّقٌ بِفُروجِهِنَّ

وقال أبو الطّيب:

إن امرؤ امرأةٌ أنثى تُدَبِّره ... لَمُسْتَهَامٌ عَدِيمُ الرّأي مَفْؤُودُ[1]

وقال آخر:

إن امرُؤٌ غَرَّهُ مِنكُنَّ واحدةٌ ... بَعْدي وبَعْدك في الدّنيا لَمَغْرورُ

وقال آخر:

تَمَتَّعْ بها ما ساعفتك ولا تكُنْ ... جَزوعاً إذا بانت فَسَوفَ تبينُ
وإنْ هيَ أعطتكَ اللُّبان فإنّها ... لِغَيرِكَ منْ طُلّابها سَتَلينُ
وإنْ حَلَفتْ أنْ ليس تنقضُ عهدها ... فليس لِمَخْضُوب البَنَان يمينُ

وقال كعب:

وَلا تَمَسَّكُ بالوَعْدِ الذي وَعَدتْ ... إلاّ كَمَا يُمْسِكُ الماءَ الغَرَابيلُ

---

(1) المفؤود: الجبان.

سابعها: في التمدّن: إن التمدّن المطلوب من الإنسان هو:

أولاً: الأخذ بحظّه من العلوم الشرعية والمَعَارف العقلية وأدَاء ما فرض اللَّه عليه، يأتمر لما أمر وينتهي لِمَا نَهَى، فإنه تعالى خلق الإنسان وشرَّفه بالعقل وكلَّفه الطاعة.

وثانياً: العمل لِدُنياه بما يُقيم أوَده ويُصلح أحوال داره التي هي مَعْبَرٌ لدار الآخرة.

وثالثاً: حُسْنُ السلوك والعِشْرة مع أبناء جنسه والأخذُ بمَكارم الأخلاق من أدبٍ وكرمٍ وعِفّةٍ وغيرةٍ وصَبْر على اللأواء وشُكر النّعماء وغير ذلك من مَحَامد الصفات ومَجَامع الكَمَالات، كل على حسب حاله، وليس التمدّن ما يزعمه كثير من الناس في هذا العصر، من جَمْع للمال والانهماك في الدنيا والحِيَل المُوصلة إليها، من حلالٍ أو حَرَام، والجلوس في القهوات، وشُرب الشّمول[1] ودَوَران الكاسات وسَمَاع المُغَنّيات وحضور التياترات واتّباع الشّهوات وغيرها ممّا لا يوافق عقلاً ولا نقلاً، فإن ذلك تضييعٌ للأوقات بما لا يفيد وأكثره وَبَال على صاحبه.

إذا كان رأسُ المال عُمْرك فاحْتَرِسْ عليه منَ الإنْفاقِ في غير واجبِ

□ وإذا ميّزت حقيقة التمدّن، وتأملت في نوعَيْ الإنسان، ظهر لك أن حظّ النساء ممّا ذكرنا، هو معرفة عبادتها ولو على وجه التقليد لزوجها، ثم تعاهد نفسها وزوجها وحُسْن معاشرته ونذْرها نفسها له خاصة، ثم تعاهد بيتها وبنيها وبَناتها وحُسن تربيتهم، ولا حاجة إلى معرفة الصَّنَائع وعلومها من نجارة وتجارة وحياكة وبيع وشراء، فإن نَفَقتها واجبة على زوجها في كافة الشّرائع، ولا إلى معرفة علوم الفلسفة والهندسة والنجوم ونحوها من العلوم، فإنّها في غنية عن ذلك وشُغل عنه كما أوْمأنا إليه سابقاً. ثم سترها وغيرتها وحُسْن العشرة لأحمائها وجاراتها ونحوهم من أبناء جنسها. ولو كُلّفت بمعاشرة الرجال والمُداعبة لهم والسَّرَيان مَسْراهم في أعمالهم وعلومهم وأفعالهم، لم يكن فرْق بين جماعة الناس وعانة الحمير[2].

(1) **الشمول**: الخمرة.

(2) **العانة**: الاسطبل، الحظيرة.

فإن البهائم تجتمع في المراعي والموارد ويَنْزو بعضها على بعض ولا يفرّق الراعي في رعايتها بين ذكرانها وإناثها، فلو كانت الناس على ما ذُكر، لما كانت ناساً بل كانت عين الوحش، فكيف يُعَدُّ التوحّش تمدّناً؟ وما أشبه مَنْ يمشي وراء زوجته ويأخذها معه للقهاوي والمجالس، بحمارٍ يتبع أتاناً، يسلك أيّان سلكت، على أن الحِمَار أعذر، فإن غايته في مؤخرها، وغاية هذا في وسطها إلى أمامها أقرب لاستقامة قامتها بخلاف الحيوان المنكّس الرأس المرفوع الطرف على وجه تساوي مقدّمه ومؤخّره.

وقد اعتذر سليم أفندي عن ذلك على لسان السّتّ جنلى ما لفظه: «ولما كانت المرأة الشخص الأضعف، كان من الواجب تفضيلها فيما تحتاج إليه إلى الرجل من تقديم الاعتبار العرضي إظهاراً للمحبّة والوداد، ولذلك وجب على الرجل أن يسمح لامرأته أن تسير أمامه مثلاً، لتبقى تحت نظره لئلّا تحتاج إلى مساعدته وهو غير ناظر إليها، إلى غير ذلك مما يزيدها رغبةً في أعمال بيتها ومحبّةً وتعلّقاً برجلها» (انتهى).

قلت: على هذا، ما أشبه من يقدّم زوجته أمامه، بجحا على ما يحكى عنه، أنه كان يمضغ العلك، فإذا قضى حاجته منه وضعه على أنفه ويقول: خيرُ المال ما بقي نصب العين.

ثامنها: إنّ ما نراه الآن من تَبَرّج النساء في غالب أوروبا وشبهها من بلاد المسيحيين، ممّا تأنف منه الطبائع ولا ترضاه الشرائع، بل ما ينكره أهل الجاهلية، فلقد كان من سُنَنِ جاهلية العرب، قُبيل نبوّة خاتم الأنبياءﷺ، أنّ من قَدِمَ مكّة وطاف حول البيت في ثيابه، يلتزم بالتصدّق بها، فكانت المرأة من أهل اليَسَار تطوف بثيابها، فإذا أرادت الخروج من مكّة، تصدّقت بها على ذوي الحاجة، وإن لم تكنْ من ذوي اليَسَار، استعارت ثياباً وطافت بها، فإذا فرغت، أرجعتها لأهلها ولبست ثيابها، فلا تطوف عريانة ولا ترجع إلى بلادها عريانة، وأن امرأة من العرب وردت مكة، وليس لها غير الثياب التي عليها، فالتمست العارية فلم تجد من يعيرها، وضاق عليها الأمر، ولم تتمكن من قضائها نُسكها، فنزعت ثيابها، ووضعت يدها على قِبَلها وأخذت تطوف، وهي تتلهّف وتُنشد:

اليومَ يَبدو بَعضُه أو كُلُّهُ فَمَا بَدَا منه فَلا أُحِلُّهُ[1]

فما كان إلّا وجاء الأمر من اللَّه لنبيّه، ﷺ، في إبطال هذه السُّنّة، فأرسل مَنْ نادى في الموسم ألا يطوف بالبيت عريان.

□ والآن على ما شاهدنا، فضلاً عن النقل، تمسي المرأة الأروبانية في السوق، مكشوفة الرأس والعُنُق، لا يُنكرُ عليها مُنكر، وتنزل المرأة للرقص في التياترو، وتأخذ كلما دارت دورتين أو ثلاثاً، تنزع ثوباً من ثيابها حتى تبقى عريانة، والرجال محدّقون بها ينظرون إليها.

وتدخل المرأة والرجل مسلخ الحمّام وينزعان الثياب ويدخل كلٌّ إلى جهة، ولا يُنكر شيء من ذلك، فما أدري من أين جاءت هذه البذاءة وقلّة الغيرة، مع أنه ورد عليهم في إنجيل متّى: «قد سمعتم أنه قِيلَ للأولين لا تَزْنِ، وأنا أقول لكم: إن كل من نظر إلى امرأة إلى أن يشتهيها، فقد زَنَى قلبه».

ودعوى أن أحداً يمعن النظر ولا يشتهي، دعوى فاسدة لا نسلّمها لِعنين، فضلاً عن غيره.

وفي رسالة مار بولس إلى طيماثاوس: «وكذلك النساء بزيّ اللّباس بالإستحياء والتعفّف بِتَزْيين».

ومما يقضي منه المرء عجباً، أن علماءهم، فضلاً عن الجهّال، يهزأون بالعرب ويدعون عليهم عدم التمدّن والتمدين مع أن البدوية المبذولة التي تبيع اللّبن وترعى الإبل والغنم، يمضي عليها الدهر بلا سَراويل، ولا يقدر أحد أن يدّعي أنه رأى مما تحت قميصها شيء.

وأما أكابرهم، فخالهم في تحذير النساء، وشدّة الغيرة عليهنّ أشهر من أن يُسَطّر، كل منهم يُنادي لسان حاله عليهنّ أشهر من أن يُسَطّر، كل منهم يُنادي لسان حاله في حقّ عياله بقول الأمير أبو فراس:

وفي الكُمِّ كَفٌّ يُنكِرُ الكُمُّ لَمْسَهَا وفي الخِدْرِ وجْهٌ ليس يَعْرِفه الخِدْرُ

وحكى أهلُ السِّيَر، أن الزبير بن العوام ﷺ، لما تزوّج عاتكة بنت زيد بن

(1) انظر: الرصافي نقلاً عن الصحاح، ص 478.

عمرو بن نفيل، وكانت من أجمل نساء قريش، صارت تخرج إلى المسجد للصلاة كعادتها مع أزواجها، لأنها كانت مع عبد اللّه بن أبي بكر فَقُتل عنها يوم الطائف، ثم تزوجها عمر بن الخطاب في أيام خلافته فقُتل عنها، ثم تزوجها الزبير، فشَقَّ عليه خروجها إلى المسجد، كَرِه أن ينهاها، لقول رسول اللّهﷺ: لا تمنعوا إِمَاءَ اللّه مَسَاجد اللّه. فعرض لها ليلةً في ظهر المسجد، وهي لا تعرفه، وضرب بيده عجيزتها ثم انصرف، فقعدت بعد ذلك عن الخروج إلى المسجد، وكان يقول لها: ألا تخرجين يا عاتكة، فكانت تقول: كُنّا نخرج إذا الناس ناس وما بهم باس.

وكان عقيل بن علفة إذا رأى الرجل يتحدث مع النساء، أخذه وربطه ودَهنَ تحت ركبتيه وإباطه بِدِهْنٍ وطرحه في قرب النَّمل، فلا يعود إلى محادثتهنّ، وحمل يوماً بنتاً له وأنشأ:

إنّـي وإنْ سِـيْـقَ إلـيّ الـمَـهْـرُ ... أَلْـفٌ وعُـبْـدانٌ وذودٌ عَـشْـرُ[1]

أَحَـبُّ أَصْـهَـاري إلـيَّ الـقَـبْـرُ

ولو أردت أن أقصّ عليك أخبار العرب وغيرتهم مثل هذه وأمثالها لامْتَلأ الوِطاب وطال الخطاب.

ولقد حَذَا حَذْوهم من تديّن بدينهم، وإن لم يكنْ من صميمهم، كأبي مُسلم الخراساني، صاحب الدعوة العبّاسية، فإنه كان لشدّة غيرته على أهله، يُنزلُ إليهم الطعام من الكِوَى ولا يسمح بدخول خادم عليهنّ، وكان إذا سافر بعياله لحاجة، فركبت فرساً أو بعيراً، يذبح الدَّابة كي لا يركبها غيرها.



المقام الثاني في **شبهة المدَّعيات** وهي أمور:

أحدها: ما هو موجود بالعَيَان من فَلاح جملةٍ من نساء العصر، في إنكلترا وغيرها، وما لهنَّ من الصنائع الفائقة والتَّصانيف الرائقة.

---

(1) **الذّود**: الإبل لا يتجاوز عددها الثلاثين ولا يقل عن ثلاثة، ولا يكون إلاّ من الإناث، وهو جمع لا مفرد له وقد يجمع على أذواد.

قال الخواجة سليم أفندي البستاني[1] من جملة كلام له: «ولا نقول أنه يوجد امرأة كاملة، لأنّ الكمال للّه وحده، ولكن نقول: إن مَحَاسن النساء المتهذّبات تكون أكثر من محاسن الرجال المتهذّبين، لأن العَوَارض التي تطرأ على محاسن الرجل الناتجة من الغَوْص في لجّة بحر هذا العالم المضطرب من الطمع وغيره هي أكثر من العَوَارض التي تُكَدّر مَحَاسن النساء المتهذّبات، ولا بدّ أن يأتي زمانٌ تقوم فيه نساء عصرنا للمحاماة عن أنفسهنّ ويُظْهرن من مَحَاسنهنّ ما لَمْ يَتَحَلَّ به بياضُ القرطاس العربي».

وفي مطالعة تأليف نساء أوروبا وغيرهنَّ من المتمدّنات برهان واضح على ذلك.

أقول: بعد اطلاعك على ما حَرَّرْنا، لا يبقى عندكَ رَيب أنَّ هذا الكلام من السفسطة، وأزيدُكَ أنّا لا نمتع أن يوجد في النساء ما إذا تعاطت شيئاً من الصنائع والعلوم، بلغت فيه مُرادها.

لكننا نقول: إنه ليس مهنتهنّ ولا يليق بهنّ ومعاطاتهنّ للصنائع التي تليق بالرجال، داعٍ للتبرّج ومخالفٌ للغيرة والديانة، كما برهنا عليه.

ودعوى أنهنّ أقرب إلى النجاح في ذلك، بزعم مشغولية الرجل بالعَوارض التي تطرأ، وأنها أكثر من عَوارض النساء مجرّد تَمَحّل.

قُلْ لي: متى يكون ذلك؟ أفي أيام حيضها التي تشغل فيها بحريق رحمها ومَسْح دمها؟ أم في أيّام طُهْرها التي تُقلق سائر جوارحها بغُلمتها وطلبها اللّقاح؟ أم في زمان حَبَلها الذي إذا زادت فيه يومها عن أكل رغيفين، بلغت بطنها ترقوتها ولم تقدر على النهوض من ثِقْل جثّتها؟ أم في زمان طَلْقها الذي تنادي فيه بالويل والثّبور وتُقلق جميع السكان والجيران وتدعو على كلّ من تُمَلِّك نفسها للرجال؟ أم في زمان إرْضاعها الذي تلهو فيه عن سائر أوضاعها؟ أم في زمان صباها الذي لا همّة لها فيه

(1) **سليم البستاني** (1847 ـ 1884): ابن المعلم بطرس البستاني، ولد في عبيه (عاليه)، قرأ العربية على الشيخ ناصيف اليازجي، (له شرح ديوان المتنبي)، اشتغل مع أبيه في تأليف «**دائرة المعارف**»، وتحرير «الجنان»، كما أنشأ معه «**الجنّة**» و«**الجنينة**»، له كتب في التاريخ والإجتماع والقصص.

إلّا بالكحل والمشط وتحسين الوجه ودلك الجسد على وجه إذا نظرت في المرآة، كَسَتْها جلابيب الغمام؟

كتَنفُّسِ الحَسْنَاءِ في المرآةِ إذْ كملت مَحَاسُنها ولم تتزوّجِ

□ نعم، بقي لها زمان يفيض عليها فيه العرفان، وهو وقت السّحَر إذا قام إليها الذكر وقَبّلها، فثمّة تُقبِلُ المدارك عليها وتتوجّه المعارف إليها، فإذا حَلَّ سَرَاويلها فهناك يحلّ لها كلّ مشكل، فإذا رفع رجليها ارتفع عن قلبها سائر الغَشَاوات، فيدقّ نظرها ويغوص فكرها في أنواع من العلوم العربية والفنون العجيبة، فإذا أدخل فيها مثل ذراع البكر، انكشف لها كل سرّ، فإذا أخذ يهمز ويغمز ويُدخل ويُخرج ويعصر ويمصر ويشقّ ويدق، غاصت في السر المكتوم وفاضت عليها دقائق العلوم، فما ينكشف الحال عنها إلّا وهي كالقباء المفرَج والشّن[1] المدحرج يتقطر الماء من أسافلها والعرق من أعاليها.

□ وما ذكره من تصانيف نساء أوروبا، قد شاهدنا بعضه، وليس بذاك، لكنّ حُبَّ الشيء يُعمي ويُصمّ، ومع ذلك، فما هي بأول قارورة كُسرت، ولا هو من خواص عصره الذي يتبجّح به، بل هو موجود في الأعصار السّالفة في أزمنة الحكماء وغيرهم.

□ وكذلك في نساء المسلمين من الفاضلات الكاملات ما هو كثير، ولكنّا نستحي ونُجلّهنَّ عن ذكر أسمائهنّ، وفي نساء العرب من الشعراء ما فاق وراق، كالخنساء وليلى الأخيلية وليلى بنت طريف وليلى العامرية وغيرهنَّ ممّنْ يضيق عن حصرها النطاق. ولا نجد فصلاً لنساء عصره سوى التبذّل ومُخالطة الرجال وكشف الرؤوس والأعناق في الأزقّة أو الأسواق ونحو ذلك ممّا يقال عند رؤيته: لا حول ولا قوة إلّا باللّه العليّ العظيم.

□ **ثانيها:** «إن المرأة إذا كانت ذات صناعة، تنتج لعيلتها مَا يُقيم أَوَدهم وتكون معينة لزوجها على مَعَاشه فيعمر بيته ويثرى، لا سيما إذا كان زوجها من أهل

---

(1) **الشّنّ**: قربة الماء مصنوعة من الجلد.

البطالة أو قليل الكسب، وهَبْ أنه كسوب، ولكن لو مات وكانت بما وصفنا، تقوم على أولاده الصغار ولا تُحوجهم إلى قَرابة أو جار».

أقول: أَقْبِحْ برجل يحتاج إلى كَسْب زوجته، يا ليته مات قبل أن يتزوجها، المرأة ريحانة، ليست قهرمانة، هل يستفيد من كسْبها إلّا أن يكون ممنونها في سائر أوقاته، عبداً لها في كل حالاته؟

ومن أمثلة العامّة: تجارة الأحمق على أهل بيته.

على أننا لا نمنع أن تكون المرأة عاقلة صناع اليدين، تشتغل بما يليق بها من غَزْل ونَسْجٍ وغير ذلك ممّا لا تحتاج فيه إلى مخالطة الرجال، والتبرّج المَنْهي عنه في سائر الأحوال.

☐ **ثالثها:** إن المرأة إذا كانت من ذَوَات المعارف والعلوم والآداب، استراح معها الزوج وانتظم أمره.

قال سليم أفندي من جملة كلام: «قد تأكّدتْ الأمّة الإنكليزية التي هي أشدّ العالم ارتباطاً بعضها ببعض، بأن أساس تقدّمهم نظام العيلة، لأنه كما تقوى علاقات أعضاء العيلة تقوى علاقات أعضاء الأمّة ويُظهر شدّة الاحتياج إلى تعليم وتهذيب النساء في العيلة التي يجتمع فيها أكثر من امرأة واحدة مع حماةٍ رائدة وكِنّة وضُرّة راشدة.

فإن كنّ جاهلات تصبح العيلة مرسحاً للنزاع والبغض والحسد والشّقاق، فإن رجل تلك العيلة يموت همّاً وكَمَداً ويعيش كأنه ماتت روحه تعذّبها شَيَاطين الجحيم».

أقول: ما تعني العلوم والآداب التي تنتظم العيلة إن كانت هي العلوم العقلية من منطق وفلسفة وهندسة ونجوم ونحوها، والنقلية من نحو وصرف وبيان وبديع وعروض، والصناعية من تجارة وعمارة، والحرفية من نجارة واحتطاب واحتشاش وغيرها؟

فهذه كلّها لا مدخل لها في التّحابّ، بل قد تكون داعية للشّقاق والتّحاسد الناشئين عن الطمع، وإن كانت الآداب الشرعية وتقوى اللّه وحسن السلوك والعشرة

لأهل بيتها وأمثالها من النساء، وهذا توجيه على كلّ أحد ذكراً أو أنثى قريباً أو بعيداً، كلّ على حسب حاله.

ويكفي المُراد من الآداب الشرعية ما تتلقّاه قبل التَبَعّل من أبيها عن العلماء، ومن زوجها كذلك، ومن الآداب للسلوك ما تتعلمه من أمّها أو أترابها وعَجَائز محلّتها وتوفيق اللّه والحظّ وراء ذلك كله.

□ **رابعها:** «إن الحرية لابن آدم أوّل راحة له ونظم لمَعَاشه وتكميل لذاته، وقصر النساء على خُدورهنّ موجب لسلب راحتهنّ وأعمالهنّ ونُقصان ذاتهنّ ومعرفتهنّ، وتكون المرأة كالبهيمة المحبوسة، لا تملك ضُرّاً ولا نفعاً، وقد يؤدي ذلك إلى سلب راحة زوجها وأهل بيتها أجمع، لأنها لا تُحسن عشرتهم ولا السلوك معهم».

أقول: إن الحرية لا مَدْخل لها في شيء من ذلك، بل إطلاقها للمرأة، موجب لطغيانها وفسادها على الزوج، وذلك يؤدّي إلى فَسَاد عِرضه ودينه كما قدمنا، وأمّا نُقصانها وجهلها فيكفي في دفعه تأديب أمُّها وأبيها ومن لا وَصْمة في عشرتهنّ، وأخذها عنهنّ من أتراب ودايات.

فمن وصيّة زوجة عوف بن محكم الشيباني لابنتها أمّ إياس ليلة زفافها: «أيْ بُنيّة، إنك مفارقة بيتك الذي منه خرجت، وعُشّكِ الذي منه دَرَجتِ إلى رجل لم تعرفيه وقرينٍ لم تألفيه، فكوني له أَمَةً يكنْ لكِ عبداً، واحفظي له خصالاً عشراً يكنْ لكِ ذُخْراً:

أما الأولى والثانية: فالرّضا والقَنَاعة وحُسن السمع له والطاعة.

وأما الثالثة والرابعة: فالتفقّد لمَوَاقع عينه وأنفه، فلا تقع عيناه منكِ على قبيح ولا يشمّ أنفه منكِ إلّا طيب ريح.

وأما الخامسة والسادسة: فالتفقّد لوقت طعامه ومنامه، فإن شدّة الجوع مُلْهِبَة وتنغيص النوم مَغْضَبة.

وأما السابعة والثامنة: فالإحراز لماله والإرعاء لحشمه وعياله.

وأما التاسعة والعاشرة: فلا تَعْصَينَ له أمراً ولا تفشينَ له سرّاً

فإنك إنْ خالفتِ أمره أَوْغَرْتِ صدرَه، وإن أفشيت سرَّه لم تأمني غَدْرَه، وإيّاكِ والفرح بين يديه، إذا كان مهتمّاً، والكآبة لديه إذا كان فرحاً» (انتهى).

ومن حفظت هذه الوصيّة نجحت، ولا حاجة لها إلى الذهاب إلى المدارس والمَكَاتب والأسواق، ولا إلى تعليم مقدّمات إقليدس، ولا غير ذلك ممّا لم تُخلق له وَلم تُكلَّف به.

☐ **خامسها:** «إنّا لا نرى شيئاً أعظم من المُلْك وتدبير البلاد والعباد، وإن كثيراً من البلاد الأوروبية ملوكها نساء، ولا نرى فيها اختلال، بل كثير منها في غاية الانتظام كمملكة الإنكليز وإسبانيا وغيرهما».

قلتُ أولاً: ما يُدريك ما يقع من الاختلال؟ هذه إسبانيا من بُرهة سنين في غاية الاضطراب.

ثانياً: حكم اللَّه لا يُدرَك، وقد يتولى الضعيف ويشجع الجبان وتموت الأفاعي من سُموم العَقَارب، وغاية ما ندّعي أنّ هذا الجنس يليق به كذا، وهذا الجنس يليق به كذا كما تقول: ذؤالة أشجع من ثُعالة، والثمر خير من الجَرَاد، فلا يقدح وجود فرد مُخالف، بل ولا ألف فرد، وفيما نحن فيه نقول الرجل خير من المرأة، مع أن مريم بنت عمران وفاطمة بنت محمدﷺ، لو وزنتَ واحدةً منهما بنصف رجال العالم لَرَجحت به، ولا يُبطل ذلك قَولنا: الرجل خير من المرأة.

ثالثاً: وضوح الفَرْق بين هذه الأعصار وغيرها، وذلك أن المُلْكَ في هذه الأعصار مقيّدٌ، لا سيّما في أوروبا، فإنه بيد المَشَايخ والمجالس وأهل الآراء، وليس بيد الملِك إلّا الاسم، فلا يقدح كونه ذكراً أو أُنثى أو جَمَاداً، وإلّا فلو أن أمر بيت أو ولد صفي لامرأة لَلَحِقَهُ الفساد وعدم الانتظام، فضلاً عن أمر بلاد وعباد وجباية أموال وقيادة عسكر».

وقد نظرنا في الأمور السّالفة، فما وجدنا قوماً قادتهم امرأة إلّا وذَلّوا، ولم يزل ملك الأكاسرة في بني ساسان في انتظام حتى تَدَاوله الصبيان والنساء فانقطع سِلْكُه، وبنو أُميّة لم يزالوا ملوكاً في الأندلس حتى كان آخرهم هشاماً طفلاً، جُعل اسم المُلْك عليه والتدبير والأمر لأمّه، فانقطع الأثر وعمي الخبر، وتولى المنصور بن عامر ثم ملوك الطَّوائف.

والزّباء، لما ملكت بعد أبيها وقتلت جذيمة، خدعها قيصر ونزع الملك منها ومن بيتها.

وقوم سَبَأ، يُضرب بهم المثل، فيُقال: أَذَلُّ من قوم سَبَأ إذْ ملكتهم امرأة.

وقد افتخر قوم من اليمن عند هشام بن عبد الملك، فقال لخالد بن صفوان: أَجِبْهمْ، فقال: ما عسى أن أقول لقومٍ هُمْ بين ناسج بُرْد ودابغ جلد وسائس قِرْد، ملكتهم امرأة، ودَلَّ عليهم هدهد وغرّقتهم فارة[1].

وللَّه درّ بعض ملوك بني العبَّاس، وأظنّه موسى الهادي، فإنه لما أُفضيت الخلافة إليه، أخذت أُمّه تتعاطى جملةً من المَصَالح والشّفاعات نحواً من أربعة أشهر حتى كاد نظام ملكه أن يختلّ، فجاءها يوماً وانتهرها قائلاً: ما هذه الوفود بِبَابك، أما مغزلٌ يُلهيك؟ أما مصحف يذكّرك، أما واللَّه لئن رأيتُ بعد اليوم أحداً قادماً عليك في قضية لأخذت الذي فيه عيناه، ثم أخذ في نظم أمره وإصلاح مُلكه.

ولقد أجادت سيّدتنا أمّ سلمة حيث تقول لسيِّدتنا عائشة، وقد استشارتها في الخروج: «إنك سدّة بين رسول اللَّه وبين أمّته، وحجابه مضروب على حرمته، وقد جَمَع القرآن ذيلك فلا تبذخيه، وسكن عقيرتك، فلا تُضحّي إماءَ اللَّه من وراء هذه الأمَة، قد علم رسول اللَّه مكانك، لو أراد أن يعهد إليك فَعل، قد نهاكَ رسول اللَّه عن الفرطة في البلاد، إن عمود الإسلام لا تَرْأَبُه النساء إن انثلم، ولا يشعبه إن انصدع، حمايات النساء غضّ الأطراف، قصر الوهادة، وهدب الذيول والأعطاف، اجعلي حصنك بيتك، وقاعة الستر قبرك، وأنت على ذلك أطوع ما تكونين للَّه ما لَزِمْته، وأنضَرُ ما تكونين للدين ما جلستِ عنه».

❀ ❀ ❀

سادسها: «إنه في النساء أنبياء كما في الرجال، ففي سفر القضاة من التوراة ذكر دابورا النبيّة، وأنها كانت تقضي للشعب ويصدرون عن أمرها.

(1) انظر: الكاهنة ظريفة وقصة سيل العَرِم، في **مروج الذهب**، ج2، ص 187، ط3، دار السعادة، مصر.

وكذا في بعض المقامات مثل طريقة التوراة والإنجيل، فإنه يوجد فيها ذكر لأنبياء من النساء.

وإذا كانت هذه أعظم المراتب للرجال وقد شاركتهم فيها النساء لم يبق فصلٌ بين النوعين».

أقول: هذه دعوى دونها خرط القتاد، ومن أمعن النظر في التوراة والإنجيل وجد أن لفظ النبي كثيراً ما يطلق على الكهانة وأمثالها من الفراسة والعبادة وغيرها.

وانظر إلى قوله في رسالة مار بولس: «وكلّ رجل يُصلي أو يتنبأ مغطّى فإنه يشين رأسه، وكل امرأة تُصلي أو تتنبّأ ورأسها مكشوف فإنها تشين رأسها».

وليس في شيء من التوراة والإنجيل ما يُفيد أنّ امرأةً نزل عليها الوحي، أو كانت حُجّةً على أحد من الخلق.

بل وَلْيكُنْ عندك معلوماً أنه ليس في النساء مُحدّثة تَرَاءى لها الملك سوى مريم بنت عمران وفاطمة بنت محمدﷺ، ولم يكن تحديثه إيّاها بنُبوّة ولا رسالة، بل لقضايا خاصة بذاتها.

أمّا مريم، فحين نفخ فيها الروح وقضى تعالى بخروج الحجّة منها، وأمّا فاطمة فلما استوحشت بعد وفاة أبيها، أرسل اللّه لها مَلَكاً تسمع صوته ولا ترى شخصه، يُسلّيها ويحدّثها بما يكون على بنيها وغيرهم، ولم تعش بعده سوى أيّام قلائل، ويا ليت لنا في كل جيل امرأة واحدة مثلهما، بل نقنع أن تقتدي النساء بهما في نَزَاهتهما وعفافهما، بل نقنع أن يوجد في الألف واحدة سالكة سلوكهما.

(هنا بياض في الصفحة 4 أسطر تقريباً) وكذلك في الصفحة التالية، ونقرأ في وسطها فقط).

أقول: لا ريب في حرمة الزّنى في سائر الشرائع الحقّة، وكذا مقدّماته التي منها: اللّمس والتقبيل والنظر بقصد، لا على سبيل الاتفاق والحاجة، وقد قدّمنا من التوراة والإنجيل ما فيه كفاية على ذلك وأما مسّ المسيح لذوات العاهات، فلعلّه من وراء الثياب سلّمنا، ولكنه مستثنى للحاجة، كما يُستثنى للأطباء لمكان الضرورة.

وأما تقبيل قدميه ومسح مريم لهما، فكذلك لعلّه من وراء الثياب والحذاء،

سلمنا، ولكن فعل النساء معه ليس حجّة، وليس في كلامه ولا فعله ما يدل على رضاه سلمّنا، فَلَعَلّه من خصوصياته، فإنه معصوم عن الشهوة والخطأ، فَسَاغ له ما لم يسغ (لغيره).. فيبقى ما يدل على التحريم، مما تقدم سالم عن المعارض.

ثامنها: إن أحكام المسيحيين مرتبطة بأوامر الرؤساء والمجامع، بدلالة ما في الأناجيل: «ما ربطتموه في الأرض فهو مربوط في السماء، وما حَلْلتموه في الأرض فهو محلول في السماء»، وبهذه العبارة يجتمع الروحانيون في كل قرن بغير... يُبدّلون ويزيدون ويُنقصون ما يؤدي...... إلى ما نحن فيه... الوهادة... الذين... ذلك لغيرهم، بل في بعض الأناجيل خطاب الواحد مخصوص... على ذلك أطوع ما تكونين للّه ما لزمته... الجسد لكونه... معصومون عن الخطأ... فيها أنه في النساء أنبياء كما في الرجال، ففي سفر القضاة... النبيّة وأنها كانت تقضي للشعب ويصدرون عن أمرها.. فإنما هي في الأحكام الغير...

[وهكذا إلى هنا وتبقى الصفحة الأخيرة في جلّها مطموس مع بَيَاض في وسطها عدا بعض الكلمات الباقية التي لا تفيد قراءتها المعنى المُراد. وفي نهاية هذه الصفحة كلمة: موقع] (انتهى).



المراجع

- **أعيان الشيعة**، للسيد محسن الأمين العاملي مؤسسة الأعلمي، 1982.
- **الأغاني**، لأبي الفرج الأصبهاني، دار الفكر المصرية.
- **الإيضاح**، الفضل بن شاذان الأزدي النيسابوري، المتوفى 260هـ.
- **الكتاب المقدس العهد والقديم والعهد الجديد**، جمعية الكتاب المقدس في الشرق الأوسط.
- **الأصول من الكافي**، للكليني الرازي، المتوفى 320م.
- **البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب**، لـ: عذاري المراكشي، دار الثقافة.
- **تاريخ جبل عامل**، المؤرخ محمد جابر آل صفا، دار النهار، طبعة رابعة.
- **تاريخ الشيعة السياسي الثقافي الديني**، الشيخ سليمان ظاهر، دار الأعلمي.
- **تاريخ أوروبا**، ف. أل فيشر، دار المعارف، 1964.
- **ديوان أبي نواس**، دار صادر، بيروت.
- **ديوان أبي تمام**، تقديم وشرح إيمان البقاعي، مؤسسة الأعلمي.
- **ديوان السيد حيدر الحِلّي**، ط 1404هـ ـ 1984م.
- **ديوان الحلاّج**، منشورات دار الكتب العلمية، محمد باسيل عيون السود، 2002م.
- **السرّ المصون في شيعة الفرمسون**، للأب لويس شيخو اليسوعي، دار الرائد اللبناني، 1910م.

- **شرح ديوان المتنبي**، للشيخ ناصيف اليازجي، دار ومكتبة الهلال.
- **الشعر والشعراء**، لابن قُتيبة الدينوري، دار إحياء العلوم، 1987م.
- **الكشكول**، لبهاء الدين العاملي، طبعة مصر.
- **الماسونية منشئة ملك إسرائيل**، محمد علي الزعبي، 1956م.
- **المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم**، محمد فؤاد عبد الباقي، دار الجيل.
- **المنجد في اللغة والأعلام**، المطبعة الكاثوليكية.
- **مشاهدات في لبنان**، لويس لورته، ترجمة كرم البستاني، منشورات وزارة التربية، 1951.
- **نهج البلاغة فن كلام الإمام علي بن أبي طالب**، السيد عباس علي الموسوي، دار الهادي.
- **نفح الطيب في غصن الأندلس الرطيب**، الشيخ أحمد بن محمد المقري التلمساني، دار صادر.

لائحة بمنشورات المجلس الثقافي للبنان الجنوبي

اسم الكتاب

1 ـ خطر إسرائيل على لبنان الجنوبي: المهندس عبد الله عاصي ـ 1968.
2 ـ مشروع الليطاني: المهندس جعفر شرف الدين ـ 1974.
3 ـ الاعتداءات الإسرائيلية على جنوب لبنان ـ 1978.
4 ـ في نتائج العدوان الإسرائيلي على جنوب لبنان ـ 1979.
5 ـ صفحات من تاريخ جبل عامل ـ 1979.
6 ـ وكل الجهات الجنوب (مجموعة شعرية) ـ 1979.
7 ـ معاً من أجل الجنوب ـ 1979.
8 ـ جنوب لبنان خط المواجهة الأول ـ 1980.
9 ـ وجوه ثقافية من الجنوب (جزء أول) ـ 1981.
10 ـ جنوب لبنان مأساة وصمود ـ 1981.
11 ـ شهادات على حاشية الجنوب: حبيب صادق ـ 1981.
12 ـ من دفتر الذكريات الجنوبية (جزء أول) ـ 1981.
13 ـ الدليل ـ مكتبة جبل عامل ـ 1981.
14 ـ الأبعاد السياسية لقضية الجنوب اللبناني ـ 1981.
15 ـ دراسات حول جنوب لبنان ـ 1981.
16 ـ في رحاب الخيام (شعر) (تراث عاملي) الشيخ عبد الكريم صادق ـ 1984.
17 ـ حسن العواقب ـ زينب فواز (تراث عاملي) تحقيق فوزية فواز ـ 1984.
18 ـ الهوى والوفاء ـ زينب فواز (تراث عاملي) تحقيق فوزية فواز ـ 1984.
19 ـ المقاومة الوطنية اللبنانية ـ طريق التحرير والوحدة ـ 1984.

20 ـ عامان من الاحتلال ، عامان من المقاومة ـ 1984.
21 ـ وجوه ثقافية من الجنوب (جزء ثانٍ) ـ 1984.
22 ـ من دفتر الذكريات الجنوبية (جزء ثانٍ)
23 ـ عشرون عاماً للجنوب والثقافة الوطنية ـ 1985.
24 ـ المقاومة والثقافة ـ 1985.
25 ـ المقاومة في التعبير الأدبي ـ 1985.
26 ـ الوقائع اليومية لمسيرة المقاومة الوطنية اللبنانية ـ 1986.
27 ـ قلنا لنزيه القبرصلي ـ شعر لعارف الخاجة ـ 1986.
28 ـ ماذا لو تركوا الخيل تمضي ـ شعر لناصر جبران ـ 1986.
29 ـ النشيد ـ قصص من الإمارات ـ 1986.
30 ـ حجارة الضوء ـ 1988.
31 ـ ثقافة المقاومة ومواجهة الصهيونية ـ 1989.
32 ـ خمسة وعشرون عاماً للجنوب والثقافة الوطنية ـ 1990.
33 ـ مقاربات وشهادات: حبيب صادق ـ 1991.
34 ـ سلام الراسي: شيخ الأدب الشعبي ـ 1991.
35 ـ رياح الخريف: شعر زهرة الحر ـ 1992.
36 ـ دفاعاً عن الاثار والمباني التاريخية في لبنان ـ 1994.
37 ـ الروابي العاملية: شعر محمد جعفر ـ (تراث عاملي) ـ 1995.
38 ـ الإحتلال الإسرائيلي لجنوب لبنان وتحديات المرحلة ـ 1995.
39 ـ حسين مروة في مسيرته النضالية فكراً وممارسة ـ 1997.
40 ـ تحية حب إلى جوزف صقر ـ 1997.
41 ـ رسالة وفاء وحب إلى سهى بشارة ـ 1997.
42 ـ لبنان في تحولات المشروع الإسرائيلي: محمود حيدر. 1998.
43 ـ على بوابة الوطن «**دهاليز الخيام**» : د.أميرة الحسيني.
44 ـ الرقص على رماد الهيكل، شعر علي محمد هاشم ـ 1999.

45 ـ ديوان الشاعر الزجلي: توفيق عبد الكريم صبّاح ،إعداد وتقديم: حبيب جابر ـ (تراث عاملي) 1999.

46 ـ الفنان حسني عوالي: حلم.. لم يتحقق ـ 1999.

47 ـ أمواج ورمال: شعر للدكتور نديم دعكور ـ 2000.

48 ـ انتصاراً لقيم الديمقراطية والعدالة وتقدم الإنسان إشراف وتقديم: حبيب صادق ـ 2000.

49 ـ تجديد الفكر السياسي من أجل التغيير: إشراف وتقديم حبيب صادق ـ 2001.

50 ـ مجلة «**مجالات**» الأعداد: الأول والثاني والثالث ـ 2001.

51 ـ ديوان «**أوزان**» للشاعر السيد محمد رضا شرف الدين ـ (تراث عاملي).2001.

52 ـ ديوان «**العدالة والحياة**» للشاعر القاضي محمد علي صادق ـ 2001.

53 ـ كتالوج معرض «**أطياف عربية**» ـ 2001.

54 ـ ديوان الشاعر السيد جعفر محسن الأمين : تحقيق وتقديم: حبيب جابر ـ (تراث عاملي) 2002.

55 ـ قيس ولُبنى (تمثيلية شعرية) السيد محمد رضا شرف الدين ـ (تراث عامل) 2002.

56 ـ كتالوج معرض «**متاهات الأسئلة**» للفنان السوري سعد يكن ـ 2003.

57 ـ نزهة الأنفس في محاورة الورد والنرجس: تأليف الشيخ أبي محمد أحمد بن ابراهيم رضا العاملي: تحقيق وتقديم: حبيب جابر ـ (تراث عاملي) ـ 2003.

58 ـ ديوان «**صلاة الشوق**» للقاضي أحمد شحادة، تحقيق سالم سبيتي ـ 2003.

59 ـ «**الأمثال العامية في جبل عامل**» للسيد جعفر محسن الأمين، تحقيق: جواد صيداوي ـ (تراث عاملي) 2004.

60 ـ كاتالوغ «**أربعون عاماً للوطن والثقافة**» ـ 2004.

61 ـ التربة (دفاتر الاقتراحات) ـ 2004

62 ـ المياه (دفاتر الاقتراحات) ـ 2004

63 ـ في الاقتصاد: الديون وتعديلها (دفاتر الاقتراحات) ـ 2004

64 ـ التجارة العادلة (دفاتر الاقتراحات) ـ 2004

65 ـ الحكم العالمي الصالح (دفاتر الاقتراحات) ـ 2004

66 ـ الحكم المحلي الصالح (دفاتر الاقتراحات) ـ 2004

67 ـ التربية (دفاتر الاقتراحات) ـ 2004

68 ـ قضايا المرأة (دفاتر الاقتراحات) ـ 2004

69 ـ جعفر محسن الأمين: سيرة وعامليات ـ إعداد أكرم جعفر الأمين ـ تحقيق جواد صيداوي ـ (تراث عاملي) ـ 2004.

70 ـ طرفة الطرائف وزبدة المعارف للشيخ أحمد رضا ـ تحقيق وتقديم: حبيب جابر ـ (تراث عاملي) ـ 2006.

71 ـ ديوان «**شاعرة الجنوب**» للشاعرة بسيمة فخري ـ (تراث عاملي) ـ 2006.

72 ـ أربعون عاماً للجنوب والثقافة الوطنية ـ 2007.

73 ـ ديوان «**سقط المتاع**» للشاعر العلاَّمة الشيخ عبد الحسين صادق ـ (تراث عاملي) ـ 2007.

74 ـ الأدب المهجري (شعر) للشاعر منير صالح (فتى الدواوير) ـ الجزء الأول ـ 2007.

75 ـ الأدب المهجري (شعر) للشاعر منير صالح (فتى الدواوير) ـ الجزء الثاني ـ 2009.

76 ـ «**الشيخ أحمد رضا العاملي لغوياً**» للباحث محمد سماحة عوض ـ 2009.

فهرست سوق المعادن

تصدير 5
مقدمّة المحقق 9
السيرة الذاتية للشيخ محمد علي عز الدين 15
1 ـ مولده ونشأته 15
2 ـ مراحل دراسته 16
3 ـ عودته إلى جبل عامل وتدريسه فيه 16
الإنتقال إلى حَنَوَيْه 17
4 ـ الشيخ عز الدين والطبيب الفرنسي الزائر 17
5 ـ مكتبة الشيخ محمد علي عز الدين 18
6 ـ مؤلفاته 18
7 ـ تعريف بعض مؤلفاته 19
8 ـ وفاته 20
9 ـ رثاؤه 20
مقدمة المؤلِّف 23
في بيان فضل العلم من طريق السنّة المطهرة 31
فائدة بيانية: عَسْجد بَلاغة لا صاغة 37
لؤلؤة البحرين: «حكاية عن الشيخ ميثم» 39
شذرةٌ لطيفة عن بشار (الشاعر) 41

دُرّة ـ فوائد فقهيّة 42

ظريفة لطيفة 44

بَيان كلمات لمولانا أمير المؤمنينعليه السلام 45

طريفة سكينة وعُروة 46

فائدة فقهيّة: غريبة 47

فائدة منطقية 49

فائدة شعرية غريبة وفريدة 50

فائدة لغوية حسنة 51

حديث الصبر 51

قضية: بين عليٍّ وعمَّار (رض) وبين عثمان (رض) 52

«كلام لبعض البلغاء» 52

غرائبُ لعلّها قريبة 53

خَواصٌّ غريبة 54

حكاية بعير الأعرابيّ 55

الخلفاء العباسيون: نُبذة مفيدة 56

شَذْرة دُرَر ومن الكشكول 57

فائدة في أوقات الاستخارة 61

فائدة في الاجتهاد 62

أحاديث شريفة 63

● في «مزار البحار» وغيره 64

● وفي «المزار أيضاً 64

● فائدة شريفة: رسالة إلى اللّه 66

دعاء شريف، نافع جداً إن شاء اللّه 67

● عهد عن ابن طاوس وغيره 69

● عهد عن جعفر الصادقعليه السلام 69

● زيارة شريفة لصاحب الأمرعليه السلام 71

● حديث لا تُعادوا الأيام فتعاديكم 74

يتيمة ذات قيمة في الزيارة 75

زيارة الصادقعليه السلام المذكورة لقضاء الحوائج 83

«عقد عارف حاسب لا عقد كاتب»: العدُّ بتشكيل الأصابع 86

● جوهر مكنون في أحوال النون 88

● لآلئ منظومة 88

● مسألة فسخ المرأة عقد النكاح 91

● غرائب شعرٍ ونثر 92

سؤال حول بِكْرٍ حامل 93

مسألة الشك في الصلاة 93

● حديث عليٍّعليه السلام عن الأشتر 95

● روضة نبوية حول العدل الإلهي 95

● دُرَّةُ خَواص لا دُرَّة غوّاص: إحرام راكب البحر. 97

● عقد منظوم كأنه خرز نجوم 99

● لُمَع ظاهرة 104

● لمع تاريخية سنة 1268هـ 106

حرب الترك 109

● حرب بني الغائر 114

سنة 1274هـ 114
رسالة الشقندي في تفضيل بر الأندلس على بر العدوة: «حقيبة تاجر فيها جملة جواهر» 117
نصُّ رسالة الشقندي 118
«محاسن إشبيلية» 139
جيّان قلعة الأندلس 143
غرناطة دمشق الأندلس 143
مالقة كرومٌ متصلة 144
المريَّة عظيمة القدر 145
مرسيّة حاضرة شرق الأندلس 146
بلنسية طيب الأندلس 146
جزيرة مَيُورقة 146
جواهر بديعية مُلحقة 149
في التوحيد والعدل 158
حِكَمٌ من كلام أمير المؤمنين عليه السلام 158
حُلل دمشقية وطراز مصري: الآب والابن والروح القدوس 159
«بَضَائع فيها بَدَائع»: عبيد بن الأبرص وامرؤ القيس 167
التحذير من الدنيا 168
● حُلَّةٌ ساترة 170
وقلادة لابن سينا: درة من الدرر 173
قصيدة للسهروردي منسوبةٌ لابن سينا 173
● **لآلىء مُذَهَّبة في ما يُستحسن ويُسْكِتُ منَ الأجْوبة** 175

من تاريخ جبل عامل في سنة 1281هـ 213
عصيان في كسروان 218
سنة 1287هـ 219
قصيدة للشاعر الحاج الأُزَري 219
مقارنة الآية 100 من سورة الإسراء بما قيل شعراً في مضمونها 223
رسالة الشيخ علي السبيتي إلى علي بيك الأسعد 225
قصيدة للشيخ علي السبيتي 228
قصيدة أخرى للسبيتي 230
رأي في آيتين 232
والجواب من وجوه 233
رأي في التوحيد والجنة 234
«ردّ على السيد حيدر الحِلّي» 239
بثينة وجميل 242
سؤال إعراب لطالب 242
تفسير حديث: كل شيءٍ بقدَر 244
«الجنان» 248
استعمال «لو» و«إذا» الشرطيّتين 265
إجهاض المرأة الحامل من هيبة عمر 266
طريقة الشيخ شمس 268
من أحداث سنة 1288 هـ 277
مُحاكمة الشيب والشباب 283
كشف الظنون عن شُبهة الفرمسون 311

أصدق أخوةَ من الفرمسون 321

نداء الشيخ علي السبيتي في الحضّ على التعليم 329

□ فصل في لفظ حرف الرّاء 333

مسألة في البيع 337

من كَرامات محمد وآله ﷺ 343

مسألة فقهية 353

سؤال في الميراث 358

□ ولمامية الرومي، من المُجون 364

غزلٌ للمؤلف 365

قناع العَذَارى 367

المراجع 393

لائحة بمنشورات المجلس الثقافي للبنان الجنوبي 395

فهرست سوق المعادن 399



- الأدب الفكاهي ← الثلاثاء

- جبل عامل ← درويش (علوي)

- جبل عامل ← داود رزق.

- معجم أعلام جبل عامل ← ٣ أجزاء.

* حسين فضل ← روائع الشعر العاملي.

- المجلس الثقافي للبنان الجنوبي